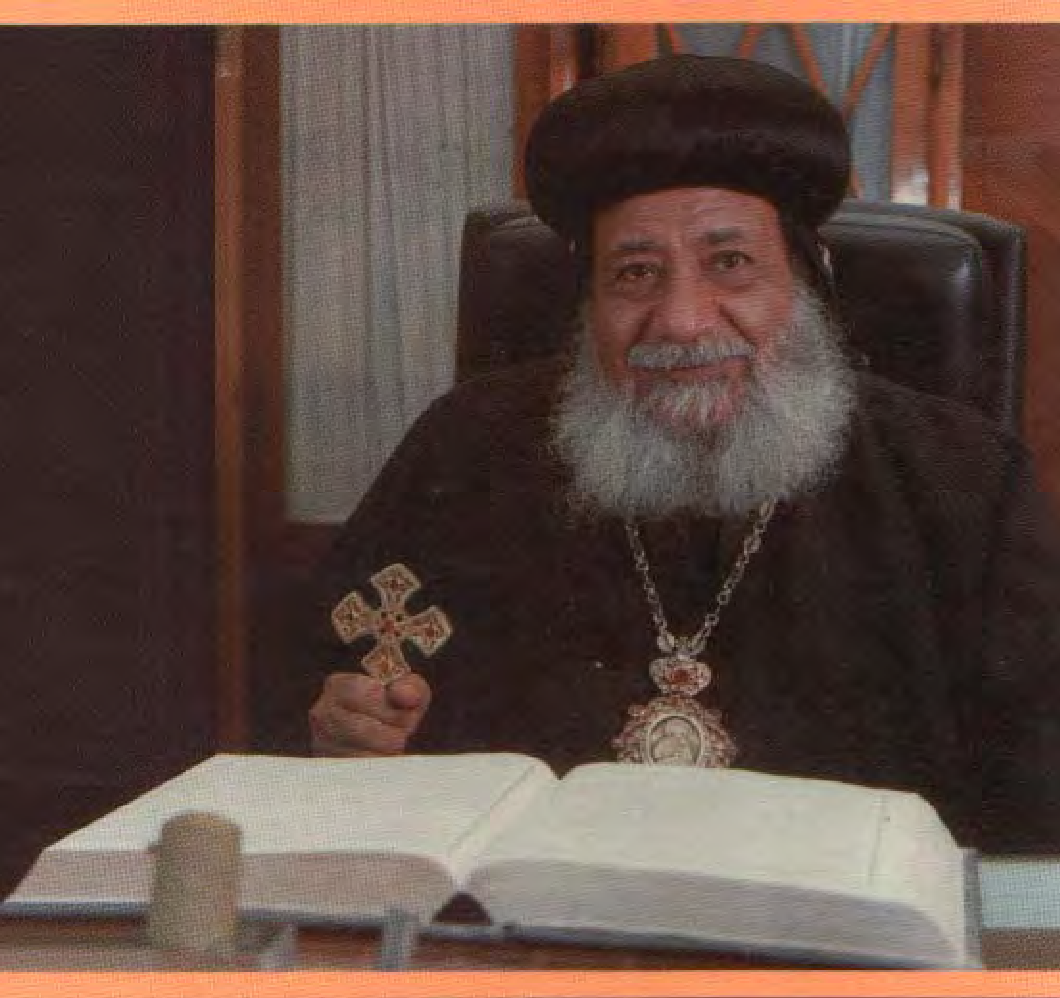
منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

اللاهوت المقارن



للمتنيح الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمي

موسوعة الأنبا غريغوريوس

١ - اللاهوت المقارن

بقلم

المتنيح الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمى

الكتاب : موسوعة الأنبا غريغوريوس ـ ١ ـ اللاهوت المقارن.

المؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس.

إعداد : الإكليريكى منير عطية.

الناشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس.

دير الأنبا رويس بالعباسية مصر ت: ٦٨٢٤٩٦٢ ـ ٤٨٨٢٥٢٢.

المطبعة : شركة الطباعة المصرية ت: العبور ٦١٠٠٥٨٩.

تصميم الغلاف : الفنان عادل لبيب.

الجمع : شركة فاين للطباعة والتوريدات ت: ٤٨٢٠٩٠٣

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٣/٨٤٧٢



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث



نيافة الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس

مقــــدمة

هذه مجموعة مذكرات فى اللاهوت المقارن، كتبها المتنيح الأنبا غريغوريوس (الدكتور وهيب عطا الله جرجس) بعد تعيينه معيداً بالكلية الإكليريكية فى عام ١٩٤٤.

وقد أشار لذلك صاحب القداسة البابا شنودة الثالث، فى كلمة وداعه الأخير فى اكتوبر ٢٠٠١، فقال غبطته : « بدأ التدريس فى الكلية الإكليريكية، ودرس مواداً جديدة لم ينافس فيها أحداً... فكان يدرس اللاهوت الأدبى، وكان يدرس الفلسفة، وله مؤلف كبير فى اللاهوت الأدبى وفى الضمير والمسئولية الأدبية، وكان يدرس الفلسفة بكل أنواعها، درس الفلسفة الغربية، والفلسفة الشرقية، والفلسفة اليهودية والوجودية والاشتراكية وله كتب فى كل هذا، مع فلاسفة مدرسة الأسكندرية أيضاً مثل أثيناغوراس وبنتينوس ومن فلاسفة الغرب أغسطينوس، وفى نفس الوقت الذى درس فيه اللاهوت الأدبى والفلسفة، درس أيضاً اللاهوت المقارن، وبخاصة اللاهوت المقارن القديم، وله كتب فى الأبيونية، والأبوليناريوسية والنسطورية وغيرها.... ».

واستمرت تطبع هذه المذكرات بنظام الماستر، أى لا يزيد عدد الطبعة عن خمسمائة نسخة، ويعاد طبعها تباعاً حتى الآن.

ورأينا أن نعيد طباعتها بطريقة أفضل، بعد إعادة تجميعها وتبويبها فى مجلدات، مع إضافة الأسئلة المختلفة حول الموضوع وإجاباتها.

وسنفرد أجزاء منها لتضم سير من شخصيات الكتاب المقدس، ومن القديسين، وكذلك الدراسات الفلسفية وترجمة لحياة بعض الفلاسفة، وكذلك ستكون أجزاء للموضوعات الكنسية المتنوعة، والموضوعات العامة بعد تبويبها، بحيث تشمل أجزاء هذه الموسوعة كل كتابات المتنيح الأنبا غريغوريوس التى لم تنشر أو نفذت بعد نشرها.

وذلك لكى نوسع دائرة الإستفادة منها للجميع، كما نحمى هذا التراث من الضياع، ولتأخذ هذه المطبوعات رقم إيداع، لحماية هذه المطبوعات من النشر عن أى طريق آخر غير مكتبة الأنبا غريغوريوس، التى تكرم مشكوراً صاحب الغبطة والقداسة البابا شنودة الثالث، وخصص لها مكاناً، بالدور الثالث بمبنى الأنبا رويس بالبطريركية الجديدة بالعباسية.

ها نحن قد بذرنا البذرة الأولى، والرب وحده القادر أن ينميها، ويكلل مشروعنا هذا بالنجاح بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث، أدام لنا الرب حياة قداسته، ومتعنا الرب برئاسته للكنيسة ولنا، أباً وراعياً، وحفظ الله قداسته بكل سلامة متمتعاً بكامل الصحة والعافية، ونفعنا الرب ببركة صلوات غبطته.

الإكليريكي منير عطية

إهـــــــداء

إلى القديس العظيم بطل الأرثوذكسية الأشهر

البابا أثناسيوس الرسولى

إليك يا سيدى البابا نهدى سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية، لأنها من وحيك وإلهامك، وبفضل توجيهك وإرشادك، وثمرة لكفاحك وجهادك!

فيك رأينا أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معاً!

ومنك تعلمنا كيف يكون الوفاء للحق، والاستمساك بالتقوى، والحرص على وديعة الإيمان.

ولقد وهبك الرب عقلاً شاخصاً فى الإلهيات، فكان تعليمك سليماً كل السلامة، وكان تعبيرك دقيقاً غاية الدقة!

ولم يكن طريقك سهلاً ... كان قولك مؤذياً لمسامع المنحرفين، وكان شخصك ثقيلاً على أنفاسهم الفاسدة، فكرهوك ولعنوك ... ومع ذلك لم يقووا على أن يقاوموا النعمة الساكنة بجنانك، أو يناقضوا الحكمة الناطقة على لسانك!

أثاروا عليك حرباً شعواء وطاردوك ونفوك، ولكنك صمدت وقاومت وأخيراً غلبت ونجحت، لأن الحق الذى فيك أعظم من الباطل الذى فيهم !

لولاك يا سيدى البابا لكان الإيمان الذى عندنا غير الإيمان الذى تسلمته أنت من أسلافك أيها البطريرك الرسولى!

لهذا نحييك تحية للفضيلة فى شخصك، ونطأمن رأسنا أمام عظمة أبوتك، تقديراً لتاريخك، وإقتداء بسيرتك فى الإيمان، يا حامى الإيمان!

من ابنك

غريـــغوريـــوس

باخوم المحرقى - وهيب عطا الله

مقـــــدمة

علم اللاهـــوت المقـــارن

علم اللاهوت المقارن

إن علم اللاهوت المقارن هو العلم الباحث فى الفرق المتباينة، التى ظهرت فى تاريخ الفكر المسيحى منذ نشأته. ومناقشة معتقداتها ومبادئها اللاهوتية مناقشة تهدف إلى إبراز الحقيقة المسيحية والبرهنة عليها. وبيان مدى انحراف المذاهب المعارضة، وابتعادها عن الإيمان الرسولى.

فعلم اللاهوت المقارن، علم جدلى، لا يكتفى بإظهار العقيدة المسيحية، وإقامة بنيانها على أساس متين من براهين العقل والنقل كما يفعل علم اللاهوت النظرى أو العقيدى، وإنما هو يعرض للمذاهب المسيحية التى ظهرت فى تاريخ الكنيسة، ويناقشها مناقشة جادة لتظهر ما فيها من حق ومن باطل، وبعبارة أخرى هو: علم الهرطقات المختلفة التى ظهرت فى تاريخ المسيحية، منذ نشأتها.

الهـــرطـقات

الهرطقات جمع هرطقة، وهى كلمة دخيلة على اللغة العربية من الكلمة اليونانية αἳρεσις وصفتها αἳρετικός والكلمة تعنى فى أصلها اللغوى «انتقاء» أو «انتخاب» أو «اختيار» لرأى ما مع تفضيله على غيره من آراء.

ثم تطورت الكلمة عند اليونان المتأخرين وعند كتاب الرومان، فأصبحت تستعمل للدلالة على مذهب من مذاهب الفلسفة أو مدرسة من مدارس الفكر، وأخذت الكلمة طريقها إلى الدين، فصارت تطلق على الفرق أو الطوائف الفكرية المختلفة فى داخل هذا الدين أو ذلك...

فى الكتاب المقدس:

فى العهد القديم

وقد استعملت الكلمة اليونانية فى العهد القديم فى أحد المعانى السالفة، ففى سفر التكوين ٤٩ : ٥ بمعنى «اختيار». ευμεων καὶ Λευι ἄδελφοὶ συνετὲλεσ ἄδικὶαν ἒξ αἳρεσεως αὓτῶν

(شمعون ولاوى أخوان تعاونا على الظلم باختيارهما).

وفى سفر اللاويين ٢٢ : ١٨، ٢١ بمعنى «تقدمة اختيارية».

κατὰ πὰσαν αἳρεσιν αὓτῶν ὂσα ἄν

προσένεγκωσι τῶ θεῶ εἰς ὂλοκαὓτωμα...

Κατά αἳρεσιν ὴ ἒν ταις ἑορταὶς ὓμῶν ἒκ

τῶν Βουκολίων ἢ ἐκ τῶν προβάτων

كل تقدمة اختيارية، يقربونها لله محرقة.

كل تقدمة اختيارية تقربونها فى احتفالاتكم من الماشية أو من الغنم.

وفى سفر المكابيين الأول ٨: ٢٠ بمعنى «رضى فريقين متعاهدين..»

ἐὰν δὲ μετὰ τοὺς λόγους τούτους

Βουλεύσωνται οὗτοι καὶ οὗτοι προσθεῖναι

ἢ ἀφελεῖν, ποιήσονται ἐξ αἱρέσεως αὐτῶν

(وإذا شاء هؤلاء أو أولئك أن يزيدوا على هذا الكلام أو يسقطوا منه فيفعلون برضى الفريقين)

فى العهد الجديد

تطور استعمال كلمة αἵρεσις فى العهد الجديد، فانحصر فى الدلالة على مذهب دينى لطائفة من الناس، تجمعهم مع آخرين رابطة بدين معين يتبعونه، ولكنهم يتميزون عنهم بآراء مغايرة أو تأويلات خاصة مخالفة ، تجعل منهم فرقة أو شيعة فى داخل الدين العام.

وبهذا أُطلقت هذه الكلمة αἵρεσις على كل من المذاهب اليهودية (١)

١ ـ أُطلقت على مذهب الصدوقيين: «شيعة الصدوقيين»

(أع ٥: ١٧) η αἵρεσις τῶ Σαδδουκαίων

٢ ـ أطلقت على مذهب الفريسيين...

(أع ١٥: ٥) Τινες τῶν ἀπό τῆς αἱρέσεως τῶν φαρισαίων

«بعض الناس من شيعة الفريسيين»

(أع ٢٦: ٥) κατὰ τὴν ἀκριβεστάτην αἵρεσιν τῆς ἡμετέρας θρησκίας ἔζησα φαρισαῖος

---

(١) ويوسيفوس المؤرخ اليهودى تكلم عن هذه المذاهب اليهودية مستعملاً اللفظة اليونانية αἵρεσις راجع الآثار القديمة لليهود Antiquities of the dows كتاب ١٣ فصل ٥ فقرة ٩، كتاب ١٨ فصل ١ فقرة ٢ و كتاب (حروب اليهود) كتاب ٢ فصل ٨ فقرة ٢.

(حسب مذهب ديانتنا الأدق قد عشت فريسياً)

٣ ـ بل أُطلقت كلمة αἵρεσις على الديانة المسيحية.

+ففى أع ٢٤ : ٥ يوصف القديس بولس الرسول بأنه « إمام شيعة «هرطقة» الناصريين ».

πρωτοστάτην τε τὴν τῶν Ναζωραίων αἱρέσεως

+ وفى اع ٢٤ : ١٤ ، يقول القديس بولس الرسول للوالى : « حسب الطريق الذى يقولون له شيعة «هرطقة» هكذا أعبد إله آبائى »

Κατὰ τὴν ὁδὸν ἣν λέγουσιν αἵρεσιν οὕτως λατρεύω τῷ πατρῴῳ θεῷ

+ وفى آع ٢٨ : ٢٢ ، يقول وجوه اليهود فى رومية للقديس بولس عن ديانته: « لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب «الهرطقة» أنه يقاوم فى كل مكان »

Περὶ μὲν γάρ τῆς αἱρεσεως ταύτης γνωστὸν ημὶν ἐστὶν ὄτι πανταχοῦ ἀντιλέγεται

على أنه يلاحظ فى النصوص الثلاثة الأخيرة جميعاً أن المسيحية عدت هرطقة فى نظر اليهود، فإما أن يكون استخدامها هنا بمعنى حسن أى باعتبار المسيحية (مذهباً) أو (مدرسة) أو (طائفة) مثلها مثل المذاهب اليهودية كالفريسيين والصدوقيين ... ومن إليهم... أو قد يكون لها هنا معنى سيىء، باعتبارها مذهباً مناوئاً، انحرف فى نظر اليهود عن جادة الصواب، وخرج عن الحق الإلهى.. وهو المعنى الذى تطورت إليه الكلمة اليونانية فيما بعد.

ومهما يكن من أمر.... فإن كلمة αἵρεσις قد استخدمت بمعناها السيئ هذا فى العهد الجديد نفسه...

فأحياناً تجئ مرادفة للشقاق الضار بسلامة الكنيسة، ولذلك عدت من أعمال الجسد، وفعاله الأثيمة التى تحرم صانعيها من ملكوت الله...

+ غلاطية ٥ : ١٩ ، ٢٠ :

φανερά δὲ ἔστιν τὰ ἔργα τῆς σαρκός ἄτινά εστιν πρνεια ακαθαρια

ασέλγεια ειδωλολατρεία φαρμακία

ἒχθραι ἒρις, ζηλὃς, συμοἳ ἒριθεἳαι,

διχοστασἳαι αιρεσεις.... Οἳτἄ τοιαὕτα

πρασσοντες Βασιλειαν θεου οὔ

κληρονομησουσιν.

« وأعمال الجسد ظاهرة، التى هى: زنى، نجاسة، دعارة، عبادة الأوثان، سحر، عداوة، خصام، غيرة، سخط، تحزبات، شقاق، بدع (هرطقات) ... إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله ».

١. كو ١١: ١٩

ἄκοὔω σχίσματα ἒν ὕμὶν ὕπἄρχειν,

καἳ μἒρος τι πιστεὔω δεἳ γαρ καἳ

αἳρἓσεις ἒν υμτν εἳναι ἳνα οἳ δοκιμοι

φανεροἳ γἒνωνται ἒν ὕμιν

« أسمع أنه توجد بينكم إنشقاقات، وأصدق بعض التصديق لأنه لابد أن يكون بينكم هرطقات أيضاً، ليكون المزكون ظاهرين بينكم ».

+ ٢ بط ٢: ١:

Εγἒκνηντο δὲ καἳ φευδοπ ροφῆται ἒν

τὤ λαὤ, ὤς καἳ εν ὕμἳν εσονται

φευδοδιδἄσ καλοι, οἳτινες παρεισιν

αιρεσεις απωλειἄς

« وكما كان يوجد أيضاً فى الشعب أنبياء كذبة، كذلك سيكون فيكم (أيضا) معلمون كذبة الذين يدسون هرطقات مهلكة ».

παρεισἄξουσιν αἳρἓσεις

وفى العصور الرسولية الأولى أخذ المعنى السيئ لكلمة αἳρεσεις يسود شيئاً فشيئاً، حتى أصبح تقريباً هو المعنى الأولى الذى يحضر إلى الذهن عند استخدام هذه الكلمة. فإذا ما

ذكرت هذه اللفظة، فهى للدلالة على التعليم الكاذب، المخالف للتعليم الرسولى وبامتداد الكنيسة ونمو سلطانها الروحى باعتبارها حامية الإيمان الرسولى، ومستودع العقيدة المسيحية القويمة، اشتدت البغضة لكل تعليم غريب عن تعليم الكنيسة وأصبحت الهرطقة شيئاً فشيئاً جريمة شنعاء يعد مؤسسها أو المنتمى إليها، عدواً لله، وللكنيسة المقدسة.

جاء فى رسالة مار أغناطيوس إلى أهل ترالليى Tralles فقرة ٦ (ابتعدوا عن المائدة الغريبة، وأعنى بها الهرطقة) . ذلك أن أولئك الناس يمزجون يسوع المسيح بتعاليمهم فقط ليكسبوا ثقتكم بحجج (بإدعاءات) كاذبة.. وكأنهم يعطون سماً ناقعاً لكنه ممزوج بعسل وخمر، حتى أن ضحاياهم من الأبرياء يأخذونه بسرور. فيشربون الموت مع لذة قاتلة فاحترسوا إذن من أمثال هؤلاء الناس)...

وقد ذهب بعض القديسين إلى أن يقتبل على نفسه كل إتهام فى أخلاقه إلا الاتهام بالهرطقة..

جاء فى بستان الرهبان: ... قيل عن القديس الكبير أنبا أغاثون، أن أناساً أتوا إليه لما سمعوا بعظم افرازه وكثرة دعته، وأرادوا أن يجربوه، فقالوا له: هل أنت أغاثون الذى نسمع عنك أنك متعظم؟ فقال لهم: نعم أنا هو، والأمر كما تقولون، فقالوا: أأنت أغاثون المهذار الكذاب؟، فقال: نعم أنا هو. فقالوا: أأنت أغاثون الهيراطيقى؟ فأجاب : لست بهراطيقى... فقالوا: لم تحملت كل ما قلناه لك، ولم تحتمل هذه الكلمة؟ فأجابهم: لأن أقوالكم الأولى احتسبتها ربحاً لنفسى، وباحتمالها أتقرب من الله. ولكن الهرطقة تبعدنى عنه وأنا لا أريد البعد عنه.

وهذا معناه أن القديس أغاثون كان يمكن أن يحتمل كل أنواع السباب والشتم إلا الهرطقة وحدها، فإن فى قبوله السب فضيلة مسيحية بينما أن فى قبوله الاتهام بالهرطقة تسليماً ورضى عن عداوته لله وللحق الإلهى...

أنواع الهرطقات

الهرطقات إجمالاً على نوعين: هرطقات روحية أخلاقية، وهرطقات لاهوتية إيمانية..

• الهرطقات الروحية الأخلاقية:

تعاليم مضادة للتقوى المسيحية، وتعدها الكنيسة إنحرافا عن طريق القداسة والجهاد القانونى، ومن بين الأمثلة عليها تعليم بلعام بن بعور، وقد عده السيد المسيح تعليماً ردياً ضاراً، أشار إليه فى إنذاره إلى أسقف برغامس: « ولكن عندى عليك قليل، إن عندك هناك قوماً متمسكين بتعليم بلعام الذى كان يعلم بالاق أن يلقى معثرة أمام بنى إسرائيل أن يأكلوا ما ذبح للأوثان ويزنوا » (١) ويبدو أن بلعام وقد رشاه بالاق، أوعز إلى بالاق بأن خير واسطة للعنة الشعب الإسرائيلى هى إضلاله عن طريق الله وذلك بتأثير النساء. فعمل بالاق بهذه المشورة. ونجح فى إسقاط الشعب الإسرائيلى فى الزنى وعبادة الأوثان فغضب الله على شعبه... يقول الكتاب المقدس بعد أن أورد محاولة بالاق مع بلعام فى أن يلعن شعب إسرائيل « وأقام إسرائيل فى شطيم. وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب، فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن، فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن وتعلق إسرائيل ببعل فغور، فحمى غضب الرب على إسرائيل ». (٢)

وتكرر هذا المعنى فى السفر نفسه، بعد أن استبقى الإسرائيليون نساء المديانيين أحياء، فقال لهم موسى: « هل أبقيتم كل أنثى حية؟ إن هؤلاء كن لبنى إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب فى أمر فغور، فكان الوباء فى جماعة الرب » (٣).

وأشار إلى هذه الواقعة النبى هوشع فقال بلسان الرب: (رأيت آبائكم كباكورة على تينة فى أولها. أما هم فجاءوا إلى بعل فغور ونذروا أنفسهم للخزى، وصاروا رجساً كما أحبوا) (٤). فأشار إليها سفر المزامير بقوله : (وتعلقوا ببعل فغور وأكلوا ذبائح الموتى، وأغاظوه بأعمالهم فاقتحمهم الوباء) (٥)، كما إليها أشار مار بولس قائلاً: (ولا تزن كما زنى أناس منهم فسقط فى يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفا) (٦).

ويقول القديس بطرس فى معرض حديثه عن بعض المعلمين الكذبة « قد تركوا الطريق المستقيم فظلوا تابعين طريق بلعام الذى أحب أجرة الإثم » (٧).

كذلك يقول القديس يهوذا الرسول عن الذين انحرفت أخلاقهم (ويل لهم لأنهم سلكوا طريق قايين وانصبوا إلى ضلالة بلعام لأجل أجرة) (٨).

---

(١) رؤ ٢: ١٤.	(٢) عد ٢٥: ١ ـ ٣.

(٣) عد ٣١: ١٥، ١٦.	(٤) هو ٩: ١٠.

(٥) مز ١٠٦: ٢٨ و ٢٩	(٦) ١. كو ١٠: ٨.

(٧) ٢. بط ٢: ١٥.	(٨) يهوذا ١: ١١.

وقال النبى موسى فى سفر التثنية (لا يدخل عمونى ولا مؤابى فى جماعة الرب، حتى الجيل العاشر لايدخل منهم أحد فى جماعة الرب إلى الأبد... لأنهم استأجروا عليك بلعام بن بعور من فتور آرام النهرين لكى يلعنك، ولكن لم يشأ الرب أن يسمح لبلعام) (١)

ومن الأمثلة على الهرطقات الروحية الأخلاقية، أيضاً بدعة النيقولاويين ـ أتباع نيقولاوس الشماس ـ الذى على قول اكليمنضس الأسكندرى أنه استحضر إمرأته أمام المؤمنين، وطلب إليهم أن يتخذها كل منهم خليلة له... وقد أفصح السيد المسيح عن كراهيته لهذه الهرطقة ... فقال لأسقف أفسس: (ولكن عندك هذا أنك تبغض أعمال النيقولاويين التى أبغضها أنا أيضاً) (٢) ... كما قال لأسقف برغامس: (هكذا عندك أنت أيضاً قوم متمسكون بتعاليم النيقولاويين الذى أبغضه فتب وإلا فإنى آتيك سريعاً وأحاربهم بسيف فمى) (٣).

*** الهرطقات اللاهوتية الإيمانية:**

فهى مبتدعات فى التعليم المسيحى، خلافاً للتسليم الرسولى فيما يتصل بجوهر الله وطبيعته، أو لاهوت الابن أو لاهوت الروح القدس، أو طبيعة المسيح ومشيئته وغيرها من مسائل العقيدة المسيحية، كأسرار الكنيسة، أو التقليد المقدس، أو شفاعة القديسين، وما يتصل بالآخرة كالدينونة والثواب والعقاب... ثم ما يتصل بالطقوس وترتيبات العبادة، كالقداسات، والأصوام، والأعياد، وإقامة المذابح والأحجبة والصور والأيقونات... إلى غيرها من مباشرات الكنيسة وترتيباتها...

---

(١) تث ٢٣: ٣ـ ٥.

(٢) رؤ ٢: ٦

(٣) رؤ ٢: ١٥، ١٦.

أضرار الهرطقات

* أولاً: الهرطقات بدع فى الدين:

والبدع فى الدين غير البدع فى العلم، إذ لما كان العلم قائماً على مجهود العقل البشرى فى الكشف عن الظواهر الطبيعية وتأويلها، وكان العقل البشرى عاجزاً عن أن يصل إلى المعرفة التامة بحقيقة ما، مرة واحدة وفى وقت واحد، فكان لابد من أن تكون الجهود البشرية المتعاقبة فى الكشف عن ظاهرة طبيعية مكملة لبعضها البعض، وبالتالى كان اختلاف وجوه النظر وابتداع نظريات جديدة مخالفة للقديمة مفيداً فى العلم أيما فائدة، أما فى الدين فالأمر ليس كذلك، لأن الدين قائم على أساس ملهمات ومعلنات إلهية، ليس للعقل البشرى نصيب فى كشفها أو الوصول إليها. وإذا كان ذلك كذاك، فقد ترتب عليه أن يكون الدين مجموعة حقائق كاملة... معلنة من الله ولا حق للإنسان أن يغير فيها أو يعدل منها... فإذا ما تناولها الإنسان بعقله، فأبدع فيها شيئاً جديداً أخرجها عن أصولها الأولى، ولم يعد الدين بعد ديناً سماوياً تؤخذ قضاياه تسليماً وإيماناً ... وإنما استحال فى نظر المبتدعين وأتباعهم إلى فلسفة بشرية أو علم إنسانى يقبل الزيادة، كما يقبل النقص... ويصبح موضوعاً للتغيير والتعديل، ولما كانت حقائق الدين العظمى روحانية، وعالية على الطبيعة، فإن خضوعها لتأويلات العقل يجعلها أكثر من العلم عرضة لنظرات مختلفة متعارضة، يصعب الجمع بينها والحد من تفرقها وتباينها، وهذا يفسر سر المقاومة الشديدة التى تلقاها كل بدعة جديدة من جانب المتدينين، ورجال الدين، لأنها تعارض قضية أو أكثر من قضايا الإيمان...

فالشر الأول من شرور الهرطقات، إنها ثورة على الدين، وخروج عن أوضاعه الأصيلة، ومحاولة بشرية من شأنها أن تطبعه بطابع النقص الإنسانى...

على أن الدين فوق أنه حقائق إلهية، فإنه ظاهرة فردية ثم ظاهرة اجتماعية، وعلى ذلك فإن للهرطقات **أضراراً فردية وأضراراً اجتماعية...**

* ثانياً: الأضرار الفردية:

فهى الضربات التى تصيب من أحل لنفسه أن يزيد على أقوال الله أو ينقص منها، وهى الويلات التى تنتظر من جعل نفسه عدواً لله، ناقضاً للتعليم المقدس، ومن شق وحدة الكنيسة، وبلبل أفكار البسطاء، لقد جاءت نصوص الوحى صريحة فى أن الهرطقات مهلكة، ودينونتها أمام الله عظيمة...

جاء فى سفر الرؤيا: (إن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة فى هذا الكتاب وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة، ومن المكتوب فى هذا الكتاب) (١).

وجاء فى رسالة مار بولس إلى الغلاطيين: (يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح، ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما، كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضاً إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما) (٢).

وجاء فى الرسالة نفسها بصدد إزعاج المؤمنين بتعاليم غريبة وتحويلهم عن تعاليم الإنجيل الصحيحة (ولكن الذى يزعجكم سيحمل الدينونة أى من كان) (٣)

وجاء فى رسالة مار بولس الثانية إلى أهل كورنثوس (لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة، فعلة ماكرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح. ولا عجب، لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور، فليس عظيماً إن كان خدامه أيضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر، الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم) (٤).

وجاء فى رسالة مار بطرس الثانية: (ولكن كان أيضاً فى الشعب أنبياء كذبة كما يكون فيكم أيضاً معلمون كذبة الذين يدسون بدع هلاك وإذ هم ينكرون الرب الذى اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكاً سريعاً وسيتبع كثيرون تهلكاتهم... وهم فى الطمع يتجرون بكم بأقوال مصنعة الذين دينونتهم منذ القديم لا تتوانى وهلاكهم لا ينعس) (٥).

وجاء فى ذات الرسالة أيضاً: (واحسبوا أناة ربنا خلاصاً كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له، كما فى الرسائل كلها، متكلماً فيها عن هذه الأمور التى فيها أشياء عسرة الفهم، يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقى الكتب أيضاً، لهلاك أنفسهم) (٦).

* **ثالثاً: الأضرار الاجتماعية**.. فكثيرة نذكر منها:

١ - **انقسام المؤمنين وتفرق كلمتهم** وتمزيق وحدة كنيسة المسيح، ولابد أن ينجم عن الشقاق فتور المحبة بين المؤمنين، ونشوب المنازعات والمخاصمات بينهم، وكم جرت الهرطقات من بلايا حروب بين الناس فى أمة واحدة أو أكثر من أمة، ألم تكن الهرطقات مثار اضطهادات وعذابات لكثيرين.

---

(١) رو ٢٢: ١٨، ١٩.
(٢) غل ١: ٧ - ١٠.
(٣) غل ٥: ٢٠.
(٤) ٢. كو ١١: ١٣ - ١٥.
(٥) ٢. بط ٢: ١ - ٣.
(٦) ٢. بط ٣: ١٥، ١٦.

٢ ـ **ثم أن الهرطقات تصرف جهود الكنيسة** عن العناية بالمسائل الروحية والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية، إلى الدفاع عن القضايا اللاهوتية، فتهمل الكنيسة واجباتها نحو الخطاة وغير التائبين... كما تقصر فى حل مشكلات الفقر والحاجة بين جمهور المؤمنين..

٣ ـ **والهرطقات تعثر الضعفاء والبسطاء** وتجعل الكثيرين حيارى بين الآراء المتعارضة، وكثير من الناس يفقد ثقته بالعقيدة الدينية من أساسها، أو يجد فى الحرب القائمة بين أصحاب المذاهب الدينية، ما يبرر له أن ينأى بنفسه عن المسائل الدينية ومشكلاتها، وبهذا يسكن ضميره عندما يزعجه عن حياة الإثم والفجور...

٤ ـ **والهرطقات تعطل رسالة المسيح** وتمنعها عن الامتداد إلى غير المؤمنين .... لأنها من جهة تصرف الكنيسة عن جهودها التبشيرية، ولأنها من جهة أخرى تسيئ إلى سمعة التعليم المسيحى فى نظر غير المؤمنين، فليس شئ أضر على الدين أكثر من أن يظهر أتباعه مشتتين، لا يجمعهم فكر واحد ورأى واحد فيما يقولون ... قال الرسول بطرس عن المعلمين الكذبة أنهم بسببهم يجدف على طريق الحق (١) ... وقال السيد المسيح فى بيان أهمية الوحدة بالنسبة لرسالته فى العالم: «ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى» (٢).

ولهذا كان تخوف رسل المسيح من الهرطقات التى تمزق وحدة الكنيسة، قال القديس بولس: (ولكننى أطلب إليكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تقولوا جميعكم قولاً واحداً، ولا يكون بينكم انشقاقات بل كونوا كاملين فى فكر واحد ورأى واحد) (٣).

نفع الكنيسة من الهرطقات

الهرطقات شرور، لكن يشاء الله أن يخرج من الشر خيراً أو خيرات (من الآكل خرج أُكلُ، ومن الجافى خرجت حلاوة) (٤) ... ومن هذه الخيرات أو البركات ما يلى:ـ

١ ـ إلتئام وحدة الكنيسة فى مجامع مسكونية لمقاومة الخطر المشترك:

وقد حدث ذلك فى كل مرة ظهرت بين المسيحيين بدعة أو هرطقة، فقد انعقد المجمع الرسولى الأول فى أورشليم نحو سنة ٥١م بسبب قوم انحدروا من اليهودية (وجعلوا يعلمون الأخوة أنه إن لم يختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا» (٥).

وانعقد المجمع المسكونى الأول فى نيقية سنة ٣٢٥م من ٣١٨ أسقفاً من أساقفة العالم المسيحى بأسره، لينظروا فى هرطقة آريوس الذى أنكر أزلية المسيح.

---

(١) ٢. بط ٢: ٢.
(٢) يو ١٧: ٢١.
(٣) ١. كو ١: ١٠.
(٤) قض ١٤: ١٤.
(٥) أع ١٥: ١.

وانعقد المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية سنة ٣٨١م من مائة وخمسون أسقفاً من أساقفة العالم، ليحكموا في هرطقة مقدونيوس الذي زعم أن الروح القدس مخلوق.

وانعقد المجمع المسكوني الثالث في أفسس سنة ٤٣١م، من مائتي أسقف من أساقفة العالم للنظر في هرطقة نسطور، الذي أنكر أن تسمى العذراء بوالدة الإله، بعد أن نادى بأن للسيد المسيح طبيعتين منفصلتين.

هذه المجامع المسكونية مظهر جميل من مظاهر وحدة الكنيسة الجامعة الرسولية، حيث يلتئم فيها رجال الكنيسة على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم تربط بينهم رابطة العقيدة والإيمان.

ولا شك أن المجامع بركة كبيرة فيها نفع كبير لكنيسة المسيح.

٢ - إيضاح الحقائق الإيمانية، وتحديدها في صيغ دقيقة تصبح قوانين لبنى الإيمان:

فعندما يظهر تعليم جديد، يثير حوله كثيراً من الجدل والنقاش، فينبرى له من يقاومه ومن يدافع عنه. ومن اصطدام الأفكار تنبلج الحقائق وتتحدد المصطلحات. فمثلاً بدعة الذين قالوا للأخوة إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا.. أثارت ثائرة الرسل الذين اجتمعوا وتدارسوا في الأمر طويلاً، وأسفر النقاش بينهم عن قرار حاسم أُبلغ إلى جميع الكنائس في ألفاظ محددة « قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة، أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعماً تفعلون » (١) ... وكذلك هرطقة أريوس جمعت الكنيسة على قانون الإيمان النيقوى (بالحقيقة نؤمن بإله واحد.. إلخ).

وهرطقة مقدنيوس اكملت قانون الإيمان: (نعم نؤمن بالروح القدس... إلخ) وهرطقة نسطور جاءت لنا بمقدمة قانون الإيمان (نعظمك يا أم النور الحقيقي ...) وبعبارة القداس (بالحقيقة أؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين) ... وهرطقة أوطاخي كانت سبباً في عبارة القداس (وجعله «أي الجسد» واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير) ...

وبالإجمال فإنه لولا الهرطقات لما كانت الصيغ اللاهوتية الدقيقة التي توصلت الكنيسة إلى تحديدها، فإنها كانت ثمرة الجدل الطويل والبحث الذي أسهم فيه جميع المعنيين بمشاكل الإيمان.

---

(١) أع ١٥: ٢٨، ٢٩.

٣ - ظهور أبطال الإيمان:

قال الرسول بولس: (لأنه لابد أن تكون بينكم هرطقات أيضاً، ليكون المزكون ظاهرين) (١)، وهكذا القول يصدق جملة وتفصيلاً على جميع الهرطقات التى ظهرت فى تاريخ الكنيسة. فكل هرطقة أثارت بعض عظماء الإيمان، وألهبت قرائحهم فانبروا لمهاجمتها والدفاع عن الحقيقة الأرثوذكسية. واحتمال صنوف الآلام فى سبيلها. فلولا هرطقة أريوس لما كان جهاد أثناسيوس، ولولا بدعة نسطور لما كان كفاح كيرلس الأول الملقب بعمود الدين، على أن هذه الإثارة لا تكون قاصرة على كبار القادة، ولكنها تتعدى إلى جميع المهتمين بمسائل الإيمان، وهى كالامتحان عندما يظهر أصحاب العقيدة القويمة...

٤ - ازدياد ثروة الكنيسة الأدبية:

الردود التى كتبها آباء الكنيسة على الهرطقات المختلفة التى ظهرت فى أيامهم، كشفت عن حقائق وأجلْت غوامض وشرحت مسائل وحلت مشكلات، ولما كانت هذه الشروح، والتأويلات والردود معالجة لم يكن مسبوقاً إليها قبل ظهور الهرطقات، فهى إذن عمل جديد أضاف إلى كتب الكنيسة ثروة أدبية جديدة. أصبحت تراثاً تعتز به الكنيسة وتحفظه ذخيرة لحاضرها ومستقبلها. على أن هذه الكتب قد كسبت فوق قيمتها اللاهوتية والفلسفية والجدلية، قيمة تاريخية، فهى وثائق ثمينة سجلت فيها الهرطقات والردود عليها، بالطريقة الحية التى كتبت بها فى وقتها، كما أنها تعطى صورة عن روح الكتبة وآباء الكنيسة وغيرتهم، ومدى اجتهادهم فى البحث والتخريج، وأمانتهم فى التفسير ومقدرتهم على الجدل والاقناع، وما هو أسلوبهم فى الدفاع، وكيف كانوا يسيرون بخطوات البرهان، وتسلسل الفكر، إلى غيرها من الأمور التى يجد الباحث فيها متعة ولذة..

هرطقة النيقولاويين

ورد اسم النيقولاويين مرتين فى سفر الرؤيا .. الأولى فى رسالة السيد المسيح إلى أسقف كنيسة أفسس، يمدحه فيها على بغضه لأعمال النيقولاويين (ولكن عندك هذا أنك تبغض أعمال النيقولاويين التى أبغضها أنا أيضا) (٢).

والمرة الثانية ... فى رسالته إلى أسقف برغامس، ويخه فيها على تهاونه مع النيقولاويين (ولكن عندى عليك قليل: أن عندك هناك قوماً متمسكين بتعليم بلعام .. هكذا عندك أنت أيضاً قوم متمسكون بتعليم النيقولاويين الذى أبغضه، فتب وإلا فإنى آتيك سريعاً وأحاربهم بسيف فمى) (٣).

---

(١) ١. كو ١١: ١٨، ١٩.

(٢) رؤ ٢: ٦.

(٣) رؤ ٢: ١٤ - ١٦.

ومن هذين النصين يتبين أنه كان للنيقولاويين تعليم ثم أعمال يبغضها السيد المسيح، ولابد لمن كان مسيحياً أن يتجنبها ولمن كان راعياً أن يناهضها ويقاومها، وإلا جعل نفسه عدواً لله، وأصابه شر عظيم...

فَمَنْ هؤلاء النيقولاويين الذين اختصهم السيد المسيح، بهذه الإشارة الواضحة إلى فساد تعاليمهم وأعمالهم؟؟؟

يرى عدد كبير من المؤرخين ومن آباء الكنيسة ومن بينهم يوسابيوس صاحب كتاب تاريخ الكنيسة (١) (... أن النيقولاويين هم أتباع نيقولاوس أحد الشمامسة السبعة الذين وقع الاختيار عليهم فى الكنيسة الأولى ليقوموا على خدمة الموائد. وكان دخيلاً أنطاكيا) (٢).

وقد ذهب بعض العلماء من أمثال فيترنجا Vtringa فى العصور القديمة، وهنجستنبرج Hangstenbergفى العصور الحديثة، إلى أن النيقولاويين هم أتباع بلعام، استناداً إلى أن نيقولاوس باليونانية وبلعام بالعبرانية هما بمعنى واحد، لكن المسيح فى سفر الرؤيا يكلم أسقف برغامس عن مذهبين متميزين الواحد عن الآخر...

ثم ما هى تعاليم النيقولاويين وما هى أعمالهم؟

قيل أنهم أباحوا كل ما يذبح للأوثان، وشجعوا العبادة الوثنية ... كما اتهموا بانكارهم أن الله هو الذى خلق العالم، ونسبتهم عمل الخلق إلى قوى أخرى، كذلك نسب إليهم أنهم نادوا بمبدأ الاختلاط بالنساء، الاختلاط غير المقيد بالزوجية وأنهم كانوا يعيشون حياة خليعة مستهترة.

ويرى أبيفانيوس فى كتابه (الرد على الهراطقة) (٣) أن نيقولاوس كان متزوجاً بامرأة على جانب كبير من الجمال وكان هائماً بحبه لها. فلما أصبح مسيحياً وتعلم أن حياة العزوبية تقود إلى القداسة أكثر من حياة الزوجية، هجر زوجته واتفق معها على أن يعيشا مفترقين، ولكنهما عادا بعد حين وعدلا عن حياة الفرقة، واستأنفا حياتهما الزوجية معاً، إما لأنهما اقتنعا بأن افتراقهما كان خطأ، وإما لأنهما لم يقويا على أن يعيش الواحد منهما منفصلاً عن الآخر. فلما رأى نيقولاوس سلوكه منتقداً، أراد أن يبرر نفسه فأخذ ينادى بتعاليم مضادة للحق والطهارة... وأسلم ذاته لحياة الشر والخلاعة .. واقتدى به غيره ... فتكونت منه ومنهم طائفة تبعت تعاليمه وسيرته.

وأيد هذه الرواية بعض من آباء الكنيسة غير أبيفانيوس من أمثال إيريناوس (٤) وإيرونيموس وإيلاريوس وترتليانس واغريغوريوس النيسى واغريغوريوس الكبير...

---

(١) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة كتاب ٣ ف ٢٩.

(٢) أع ٦: ٥. (٣) كتاب ١ ف ٢.

(٤) الرد على الهراطقة ك ١: ف ٢٦، ف ٣.

ويرى القديس اكليمنضس الأسكندرى رواية أخرى (١) ... يقول:

(قيل أنه كان لهذا الرجل إمرأة صغيرة السن وجميلة، فلما وبخه الرسل ، بعد صعود المخلص، على غيرته عليها، أحضرها فى الوسط، وسمح لمن رغب فيها أن يتزوجها....

وقد قيل أنه فعل هذا طبقاً لمبدأ كان ينادى به وهو: يجب على الإنسان أن يذل الجسد One ought to abuse the flesh وفى الواقع أن أتباعه ساروا على منواله ومبادئه، فى كل شئ وبدون مناقشة، وارتكبوا الفسق بلا قيد، أما عنى أنا فإنى أفهم أن نيقولاوس لم يعاشر غير زوجته... كذلك فيما يتصل بأولاده، أن بناته كبرن وهن فى حالة البتولية، وابنه أيضاً احتفظ بعفته، أما أن حدث أنه أتى بزوجته التى كان يحبها ويغار عليها، وجعلها فى وسط الجميع أمام الرسل، كان ذلك منه جحوداً بأهوائه ، وكان ضبطه لنفسه فى مواجهة اللذات التى يسارع الناس بشوق إليها، هو الذى علمه أن يقول: أذل الجسد Abise the flesh لأننى أعتقد أنه طبقاً لأمر المخلص لم يشأ أن يخدم سيدين، اللِذة، والرب، على أى حال يقولون أن متياس أيضاً قد علم هذا التعليم: أن يحارب الجسد وأن يذل، وأن لا يستسلم بأى نوع من أجل اللذة، بل أن تنمى النفس بالإيمان والمعرفة) (٢).

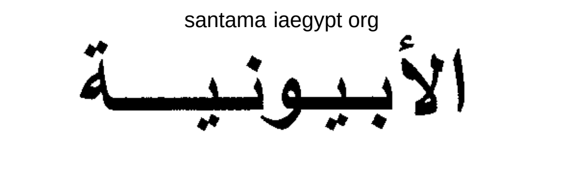
وسواء كان الخطأ خطأ نيقولاوس نفسه على رواية البعض .. أو خطأ تلاميذه وأتباعه على رواية البعض الآخر ... فإن النيقولاوية أصبحت مذهباً له أتباع، ومما يلفت النظر أن السيد المسيح لم يتكلم فى سفر الرؤيا عن نيقولاوس بل على النيقولاويين ... فقال: إنه يبغض أعمال النيقولاويين وأنه يبغض تعاليم النيقولاويين (٣) وكفى بشهادة مخلصنا دليلاً على شر النيقولاوية وفسادها، وبعد أتباعها عن جادة الحق الإلهى ... لهذا ناهضتها الكنيسة وقضت عليها نهائياً. لأن من رسالة الكنيسة أن تحمى المؤمنين من شر الهرطقات والهراطقة... وتعلن براءة تعليم المسيح من تعاليم الهراطقة.

---

(١) كتاب ٣ من المتفرقات STROMATA ف ٤.

(٢) أكليمنضس ... الموشيات... كتاب ٣: ف ٤: فقرة ٢٥ وما يليها.

(٣) رؤ ٢: ٦، ١٥.


الأبيونية

الأبيـــونـــيــــة

EBIONISM

الأبيونية بدعة نادى بها فريق من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية، لكنهم لم يشاءوا أن يتركوا الطقوس والعادات اليهودية التى فرضتها شريعة موسى فى العهد القديم... فهم طراز من المسيحيين المتهودين، جذبتهم المسيحية بتعاليمها، ومع ذلك ثقل عليهم أن يتخلصوا نهائياً عن طقوسهم القديمة التى تشبعوا بها وقتاً طويلاً. فنكصوا على أعقابهم، ولذلك جاءت مبادئهم خليطاً من المسيحية واليهودية...

فالأبيونيون، هم الخلفاء الروحيين لأولئك (الأخوة الكذبة) (١. كو ١١ : ٢٦)، (غل ٢ : ٤) الذين أقلقوا سلام الكنيسة فى انطاكية، وتعقبوا القديس بولس من مدينة إلى أخرى، عاملين على تعطيل رسالته، وهدم سلطته الرسولية، وأخذوا يعلموا المؤمنين على خلاف التعليم الرسولى، بأن المسيحيين لا يمكنهم أن يخلصوا إذا لم يختتنوا حسب الطقس الموسوى (أع ١٥ : ١، ٢٤). وقد شكا الرسول منهم كثيراً لأنهم أرادوا أن يحولوا إنجيل المسيح (غل ١ : ٧) وأقلقوا المؤمنين ليس فى أنطاكية فقط بل وفى غلاطية أيضاً (غل ٣ : ١، ٥ : ١٢)، ووصفهم الرسول بأنهم (متمردين، يتكلمون بالباطل، ويخدعون العقول ولاسيما الذين من الختان الذين يجب سد أفواههم، فإنهم يقلبون بيوتاً بجملتها معلمين ما لا يجب من أجل الربح القبيح) (تى ١ : ١٠، ١١). كما سماهم مرة أخرى بـ (المدخلين خفية، الذين دخلوا اختلاساً ليتجسسوا حريتنا التى لنا فى المسيح كى يستعبدونا، الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة ليبقى عندكم حق الإنجيل) (غل ٢ : ٤، ٥).

والأبيونية هرطقة ظهرت فى أيام المسيحية الأولى، لكنها لم تصبح مذهباً له أتباع، إلا فى أيام حكم الإمبراطور تراجان (٥٢ ـ ١١٧م) (١).

وقد ظن بعض المؤرخين أن الأبيونيين ينتسبون إلى زعيم اسمه أبيون، عاش فى القرن المسيحى الأول، بعد خراب مدينة أورشليم، وأنه نادى بتعاليم غريبة عن تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية، ولكن يبدو أن الأسم يدل على صفة لا على شخص، وإنه يرجع فى اشتقاقه إلى الكلمة العبرية אֶבְיוֹן و معناها (فقير) أو (مسكين) وجمعها بالعبرانية אֶבְיוֹנִים أى (فقراء) أو (مساكين) ويحتمل أن يكون الأبيونيون أنفسهم هم الذين أطلقوا هذا الاسم على أنفسهم، لينالوا الطوبى التى اختصها السيد المسيح (بالمساكين) فى موعظته على الجبل، (مت ٥ : ٣) غير أن الراجح أن يكون المسيحيون الأرثوذكسيون هم الذين

(1)Lightfoot (J. B.) Bissertations on the Apostolic Age'London, 1892 .p. 78.

سموهم بهذا الاسم، تحقيراً لشأنهم واستخفافاً بمبادئهم، كما يقال أحياناً عن المخطئ أو السيئ، فى مجال التحقير أو الرثاء أنه مسكين.

يقول العلامة أوريجينوس عنهم (أنهم مساكين.... وقد اشتق اسمهم من فقر أفكارهم، لأن أبيون تطلق بالعبرانية على الفقير).

EΒιωναῖοι, τῆς πτωχῆς διανοίας ἐπωνυμοὶ

EΒἴων, γἄρ ὃ πτωχὃς παρ 'Εβραίοις

ὂνομἄζεται

ويقول يوسابيوس القيصرى (أن المسيحيين الأولين أطلقوا على الأبيونيين هذا الأسم المناسب لأنهم كانوا يعتقدون فى المسيح معتقدات فقيرة وحقيرة.

ومهما يكن من أمر، فقد أصبح الأبيونيون، جماعة كبيرة العدد، انتشروا أولاً فى منطقة بيلا Pella، بل وفى فلسطين والأقطار المجاورة وامتدوا أيضاً إلى روما وإلى جميع مراكز الشتات...

وأقدم مرجع لنا فى مذهب الأبيونية والتعريف بمعتقداتها هو القديس يوستينوس الشهيد (١١٠ ـ ١٦٥م)، الذى ذكرهم وتكلم عن أخص مبادئهم، وقال أنهم مدارس فكرية ظهرت فى الكنيسة، وأنهم كانوا جماعات مختلفة، منهم من كان أكثر تشدداً وتزمتاً من غيره !!!

أما المتزمتون، فيحفظون السبت اليهودى والناموس الموسوى حفظاً حرفياً، وينادون بأن الختان ضرورى للخلاص، وأن الناموس القديم فرض على جميع المسيحيين، فيجب عليهم أن يتبعوه اتباعاً تاماً، ولذلك نظروا إلى المؤمنين من الأمم الذين رفضوا الخضوع للناموس القديم على أنهم نجسون، ويقولون أن الإيمان بالمسيح والعمل القائم على هـذا الإيمان لا يكفى للخلاص (١)، إلا إذا التزم المؤمن فرائض الناموس القديم، ولما كان بولس الرسول يقول بزوال الناموس القديم، فقد كرهوه كرهاً شديداً واتهموه باتهامات مرة وقاسية ، ووصفوه بأنه متمرد ومارق عن الناموس Legis apostata، وانكروا سلطانه ورفضوا رسائله، واكتفوا باستعمال النص العبرانى لإنجيل القديس متى، ولا يعيروا الأناجيل الأخرى أهمية تذكر...

أما عقيدتهم فى السيد المسيح فهى عقيدة هزيلة، فقد أنكروا لاهوته ولم يعترفوا بوجوده الإلهى قبل التجسد ، ورفضوا أن يعتبروه اللوغوس أو كلمة الله وحكمته، كما انكروا ميلاده المعجزى من العذراء، واعتبروه إنساناً عادياً كسائر البشر، ولد حسب الطبيعة من يوسف

---

(١) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٧ فقرة ٢.

ومريم (١) ويقول يوسابيوس (٢) أن الأبيونيين تبعوا ثيودوسيوس الأفسسى Theodotion وأكويلا البنطى Aguila of Pontus وهما يهوديا الأصل آمنا بالمسيح، وقد ترجما كلمات النبى إشعياء، هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل (إش ٧ : ١٤) بتغيير كلمة (العذراء) إلى كلمة (الفتاة) ... مع أن الترجمة السبعينية للكلمة العبرانية הָעַלְמָה هى ἡ παρθένος زاعمين أن السيد المسيح ولد من يوسف ومريم (٣)، أى ولد كما يولد سائر المخلوقين من زرع بشر، وكل امتيازه أن الله اختاره ليكون هو المسيا، وذلك نظراً لتقواه وخضوعه للناموس القديم خضوعاً تاماً، فقد نال المسيح البر تدريجياً كما يمكن أن يناله أى واحد آخر، وذلك بنموه فى الفضائل وطهارة الحياة، لكنه هو نفسه لم يكن عالماً بهذا الاختيار إلى يوم عماده، ففى ذلك اليوم فقط حل عليه روح الله ونال المواهب التى جعلت منه المسيا، ومن ثم بدأ عمله كنبى ومعلم ومسيا المنتظر، ورفض الأبيونيون الاعتقاد بأن المسيح خضع للموت أو للألم، واكتفوا بتعاليمه ومبادئه ومعجزاته، واعتقدوا فى مجيئه الثانى فى مجد ملكى، وأنه يعد لنفسه ولاتباعه ولا سيما من أتقياء اليهود ملكاً ألفياً فيه المجد وفيه السعادة، وهذا التعليم بالملك الألفى فيما يقولون مستقى من كتب العهد القديم (٤). جاء فى بعض كتبهم عن السيد المسيح (وسيقوم إنسان من زرعى). أى إنسان من بين اليهود، كشمس البر يعاشر ويخالط συμπορευόμενος بنى الناس فى وداعة وبر، وسوف لا يكون فيه إثم، وستنفتح السماء من فوقه، وتسكب الروح بركة الآب القدوس، (أى عند عماده) ... وهو سيسكب عليكم روح النعمة، وستكونون له أبناء فى الحق، وستسلكون فى وصاياه أولاً وآخراً... هذا الإنسان «يجدد ἀνακαινοποιοῦντα الناموس بقوة من الأعالى» وسيضطهده اليهود (خصوصاً سلالة لاوى) ويذبحونه كلص من دون أن يحسوا بجلاله. لهذا طرد إسرائيل وخربت أورشليم. إلى أن يتحنن الله عليها فى آخر الزمان ... وبعد ذلك ستخرب مملكة العدو ...). (٥)

وأما المعتدلون من الأبيونيون، فيحفظون ناموس العهد القديم لكنهم لا يرغبون فى فرضه على الجميع، ولا يتعصبون ضد الذين يرفضون الختان والسبت اليهودى وسائر طقوس العهد القديم، كما يفعل المتزمتون من الأبيونيين، إلا أنهم كانوا يحتفلون مع الأرثوذكسيين بيوم الأحد تذكاراً لقيامة المخلص، ولا يعترضون على آلام المسيا وموته، ولا ينكرون أن السيد المسيح ولد

---

(١) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٧ فقرة١، ٢.
(٢) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ك ٥ ف ٨ فقرة ١٠.
(٣) يوسابيوس: تاريخ الكنيسة ك ٣ ف ٢٧ فقرة ١، ٢.
(٤) ايريناوس: الرد على الهرطقات، كتاب ١ فصل ٢٦ فقرة ٢.
(5)Testamenta. Jud. 24. Sceberg (r). History of Doctrines, Vol . I.

من العذراء بغير زواج، وإن كانوا ينكرون مع المتزمتين منهم وجود المسيح السابق قبل التجسد، باعتباره إلهاً وباعتباره اللوغوس كلمة الله وحكمته، كما أنهم لا ينكرون على القديس بولس أنه كان رسولاً حقيقياً، وإن كانوا ينكرون رسائله إنكاراً تاماً..

ويظهر أن هؤلاء الأبيونيين المعتدلين ظلوا معروفين إلى زمان القديس إيرونيموس (٣٤٢ ـ ٤٢٠م) لأنه هو الآخر تكلم عنهم باعتبارهم فرقة قائمة فى أيامه (١) وقال فى رسالة له إلى القديس أوغسطينوس: (ماذا أقول عن الأبيونيين الذين يدعون أنهم مسيحيون. أنهم أرادوا أن يكونوا يهوداً ومسيحيين فى وقت واحد، لكنهم ما استطاعوا أن يكونوا لا يهوداً ولا مسيحيين) (١١٢: ١٣) (٢).

ويهاجم القديس يوستينوس الأبيونيين المتشددين فى قوة ويعلن أنه لا خلاص لهم، لكنه يتسامح نوعاً ما مع الأبيونيين المعتدلين، ويدعوهم أخوة، ولو أنه يذكر أيضاً أن بعضاً من المسيحيين لا يقبلونهم ويأبون أن يسموهم أخوة. وأن الكنيسة فيما بعد قد فصلتهم من شركتها، كما فصلت الأبيونيين المتشددين من قبل.

ويجئ بعد يوستينوس، القديس إيريناوس (١٢٠/ ١٤٠ـ ٢٠٢م) وهو أول من ذكر الأبيونيين باسمهم ونسب إليهم مجمل ما رواه يوستينوس عنهم، ويضيف قائلا: إن اعتقادهم فى السيد المسيح يشبه اعتقاد كيرنثوس Cerinthus وكربوكراتس Carpocrates ، وأنه كان لهم اتجاه خاص فى تفسير أسفار الأنبياء، كما كانت لهم نزعة يهودية واضحة فى منهج حياتهم، وأنهم كانوا ينظرون إلى أورشليم على أنها بيت الله... (٣).

كذلك يذكرهم العلامة أوريجينوس (١٨٥ ـ ٢٥٤) فى كتابه الرد على كلسس Celsus قائلاً (هناك قوم يؤمنون بيسوع ويفتخرون لذلك بكونهم مسيحيين لكنهم يشاءون أن يسلكوا فى حياتهم طبقاً للناموس القديم كما يفعل اليهود، هؤلاء هم طائفة الأبيونيين بقسميها، وهم إما يقرون معنا بأن يسوع ولد من عذراء، أو ينكرون هذا ويعتقدون أنه ولد كما يولد أى كائن آخر بشرى آخر) (١) ويعود بعد ذلك فيقول (هناك بعض الفرق الهرطقية لا يقبلون رسائل الرسول

---

(1) Fisher (G. P.). History of christian Doctrine, 1949 P. 49.

(٢) يوسابيوس، تاريخ الكنيسة ـ كتاب ٣ فصل ٢٧ فقرة ٥ ولابيفانيوس أسقف قبرص (٣١٠ ـ ٤٠٣) عبارة مماثلة يتحدث فيها عن الأبيونيين فيقول: إنهم ليسوا مسيحيين ولا يهوداً ولا وثنيين ... إنهم يقفون فى منتصف الطريق فليسوا هم شيئاً (مذكوراً) راجع: Sceberg (R.) Hist. of doctrines, vol. I

(٣) ايريناوس: الرد على الهرطقات، كتاب ١ فصل ٢٦ فقرة ٢ ، قارن أيضاً نفس المرجع كتاب ٣ ف ٢١ فقرة ٢.

(٢) أوريجينوس، الرد على كلسس: كتاب ٥ فصل ٦١ ، قارن كتاب ٢ ف ١.

بولس مثل فرقتى الأبيونيين... فأولئك لا يعدون الرسول قديساً أو حكيماً، ولا يقرون عبارته القائلة (العالم قد صلب لى، وأنا للعالم) (١).

مما تقدم نتبين أن الأبيونيين، المتشددين منهم والمعتدلين يتفقون فى بعض المبادئ، ويختلفون فى بعضها الآخر.

فهم يتفقون معاً على الاعتراف بأن يسوع هو المسيا وعلى إنكار لاهوته، وعدم الاعتراف بوجوده السابق قبل التجسد، ويتفقون على ضرورة اتباع الناموس القديم اتباعاً حرفياً، وعلى رفض رسائل القديس بولس رفضاً تاماً.

ويختلفون فيما بينهم فى نظرتهم إلى ميلاد السيد المسيح، فبينما ينكر المتشددون منهم ميلاده المعجزى من عذراء بكر، ويعدونه ابناً بالطبيعة كان ثمرة الاختلاط الطبيعى بين يوسف ومريم، يتسامح المعتدلون من الأبيونيين، فلا يمانعون فى ميلاد المسيح بغير الطبيعة، من الروح القدس والعذراء مريم.

كذلك اختلفوا فيما بينهم فى أية هبات عالية عن الطبيعة كان المسيح مزوداً بها، وفى أى زمن منح هذه الهبات، أعند ولادته أم عند عماده!!!

واختلفوا أيضاً فى تقدير التزامات الناموس القديم، فالأبيونيون المتشددون قالوا بوجوب الخضوع للناموس خضوعاً تاماً وحرفياً، وكانوا يصرون على حفظ السبت اليهودى والختان وسائر الطقوس الموسوية، وبالغوا حتى اعتبروا الختان ضرورياً للخلاص واحتسبوا المؤمنين من الأمم نجسين، وقالوا أن الإيمان بالمسيح والعمل بمقتضى هذا الإيمان لا يكفى للخلاص، إذا لم يلتزم المؤمن بناموس العهد القديم. أما المعتدلون منهم فقد حفظوا الناموس، وحتموا على أنفسهم الختان والسبت اليهودى، ولكنهم لم يرغبوا فى فرض هذه المبادئ والالتزامات على غيرهم، ولم يتعصبوا ضد الذين أنكروها، ثم كانوا يقدسون يوم الأحد مثل الأرثوذكسيين.

وهناك فريق ثالث من الأبيونيين يمكن تسميتهم بالأبيونيين الأسينيين Essene ، أضافوا إلى المبادئ الأبيونية ميولاً غنوسية تتمثل فى التأملات التصوفية الإلهية (أو الثيوصوفية Theasophic speculation والنسكيات الصارمة Oscetism) ونحن نجد فى رسالة ماربولس إلى أهل كولوسى، إشارة واضحة إلى بعض مبادئ هذه الجماعة أو ما يشبهها، مما أقلق سلام الكنيسة فى كولوسى، حيث يقول (انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس، حسب أركان العالم، وليس حسب المسيح ... فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب من جهة عيد أو هلال أو سبت. التى هى ظل الأمور العتيدة، وأما الجسد فللمسيح... لا يخسركم أحد الجعالة راغباً فى التواضع وعبادة الملائكة... إذن إن كنتم قد متم

(١) أوريجينوس. الرد على كلسس: كتاب ٥ فصل ٦٥.

مع المسيح عن أركان العالم. فلماذا كأنكم عائشون فى العالم تفرض عليكم فرائض، لا تمس، ولا تذق، ولا تجس التى هى جميعها للفناء فى الاستعمال حسب وصايا وتعاليم الناس، التى لها حكاية حكمة بعبادة نافلة وتواضع وقهر الجسد، ليس بقيمة ما من جهة إشباع البشرية) (كو ٢ : ٨ ـ ٢٣).

وقد لاحظ المؤرخون التقارب الواضح بين مبادئ هذا الفريق من الأبيونيين ومبادئ المذهب اليهودى الأسينى، ولذلك كان من الطبيعى أن يكون للمذهب الأخير أثره على الأبيونيين فى المبادئ المشتركة بينهما. خاصة وقد لوحظ أيضاً أن المناطق التى ظهر فيها مذهبا الأبيونيين والأسينيين (١)، وهى مناطق شرق الأردن والبحر الميت، كما يقول ابيفانيوس، قريبة من المناطق التى انتشر فيها اليهود الأسينيون، وهذا لا ينفى بالطبع عمل مؤثرات أخرى أقوى أثراً، مؤثرات غنوسية أو شرقية. ذلك أن مذهب الأبيونيين الأسينيين قد اتخذ صوراً مختلفة فى أزمنة مختلفة مما يتبين معه أثر العوامل غير اليهودية فى تشكيل هذا المذهب وفى تطويره، وعلى ذلك لا نكون مجانبين للصواب إذا أطلقنا على هذا المذهب مذهب الأبيونية الأسينية أو الأبيونية الغنوسية تمييزاً له، عن الطراز المعروف، وهو الأبيونية الفريسية أو الأبيونية بالمعنى الدقيق...

ومما هو جدير بالذكر هنا، أن الأبيونيين الذين يذكرهم الآباء المتقدمون مثل إيريناوس وهيبوليتس هم من الطراز الفريسى. أما الأبيونيون الذين يذكرهم أبيفانوس فهم من الطراز الأسينى الغنوسى.

وإذا كانت الأبيونية الفريسية قد ورثت تعاليمها من الكنيسة اليهودية، فإن الأبيونية الأسينية هى ثمرة الخلط بين المسيحية والمذهب اليهودى الأسينى، وبعض المبادئ التصوفية الغنوسية والشرقية، وقد نمت هذه البدعة وترعرعت خارج فلسطين، بعد خراب مدينة أورشليم وتشتيت كنيسة أورشليم بواسطة منشور هادريان (٢) عندما استقر بعض المسيحيين اللاجئين بالقرب من مساكن الأسينيين. فانضم إلى المسيحية عدد كبير من اليهود الأسينيين، طعموا الكنيسة هناك بأفكارهم الخاصة، جاء فى كتاب دينى صادر من هذه المدرسة الأبيونية الأسينية (انتشر الإنجيل الحقيقى بعد خراب الأماكن المقدسة)...

ويبدو أن الأبيونية الفريسية التى تكلم عنها إيريناوس لم تلبث أن انطمست خصائصها فى الأبيونية الأسينية. وهذا يرجع على الخصوص إلى سيادة الانتاج الأدبى للأبيونيين الأسينيين. هذه الميزة التى أخذت أصولها من المذهب اليهودى الأسينى، الذى اشتهر تابعوه بميولهم التفكيرية وولعهم بالبحث والدرس.

---

(1) Lawar & Oulton, Eusebius Ecclesiastical History, vol. II p 227.

(2) Bethunc - Baker. Early Hist. of Christian Doctrine P. 63 Nate 3.

فيعزى إلى هؤلاء الأبيونيين الأسينيين أنهم وضعوا المؤلفات الأكليمنضية وجميعها بين أيدينا، وكتاب (الخساى) الذى لم تبق منه إلا ملاحظات متناثرة وعدداً كبيراً من كتب أخرى مفقودة، وتنسب إليهم صورة النسك التى رسمها هيجيسبوس Hegesippus (أحد علماء الكنيسة الأولين نحو عام ١٦٠م) للقديس يعقوب الرسول أخى الرب، وكذلك الصورة التى رسمها أكليمنضس فى كتابه المربى للقديس متى الرسول، حيث وصفه بأنه كان يعيش على الحبوب النقل والخضروات وأنه كان يأكل الأطعمة الحيوانية (١) hard - shelled fruits ويظهر أنه كانت لهم بالإضافة إلى إنتاجهم الأدبى حماسة تبشيرية عظيمة، وإلى هذه الحماسة يرجع الفضل فى تعريفنا بالكثير مما عرفناه عن مبادئ هذه الجماعة، وقد جاء السيبادس Alcibiades أحد مبشريهم إلى روما فى القرن الثالث نحو سنة ٢٢٢م، وهو من مدينة أباميا Apam, aea فى سوريا ـ جاء بكتاب مقدس يحمل اسم Elchasai أو Elxai ولهذا السبب فإنهم أحياناً يسمون بالخسائيين نسبة إلى هذا الكتاب. وقد نجح السبيادس فى مخادعة البابا الرومانى كالستس Callistus ولكن أسقف بورتوس Portus انبرى له وكشف عن خطأ مبادئه وانتصر عليه. وقد وقع الكتاب بين يدى هيبوليتوس Hippolytus (٢) الذى كتب عن الهرطقات ومنه استقينا أهم معلوماتنا عنه.

والكتاب يحتوى على رؤيا قيل أنها كتبت فى السنة الثالثة لحكم الإمبراطور تراجان أى نحو سنة ١٠٠م ولو إننا لا نستطيع أن نقطع بيقين إذا كان حقاً أنها ترجع إلى هذا التاريخ (٣) .

واسم الكتاب لفظ آرامى הִילכְסָי ومعناه كما فسره ابيفانيوس بحق، القوة الخفية δυναμις κεκαλυμμὲνη ويكتب باليونانية بصورة مختلفة على النحو الآتى: Ηλχασαι أو Ελκεσαι أو Ηλξαι ولاشك أن الصورة الأولى أصحها جميعاً وأقربها إلى اللفظ الآرامى، وهى الصورة التى نجدها فى كتاب الهرطقات لهيبوليتوس.

ومن المؤلفين (٤)، من يرى أن اسم الخساى هو اسم الرسول الإلهى الذى أبلغ الرؤيا، ومنهم من يقول أنه عنوان للكتاب فقط، إلا أن هيبوليتوس يرى أنه اسم الشخص الذى ظهرت له الرؤيا، وهو صاحب المذهب.

(١) اكليمنضس، المربى : كتاب ٢ فصل ١ فقرة ٧.

(٢) هيبوليتوس (دحض جميع الهرطقات) كتاب ٩ فصل ١٣ ـ ١٧.

(3)lightfoot, Dissertations.

(4) Epiphanius.

ومؤدى هذه الرؤيا (١)، أن ملاكاً هائلاً هبط من السماء وظهر فى حجم كبير لألخساى (٢) (يبلغ طوله ٩٦ ميلاً، وعرضه ١٦ ميلاً، ومن الكتف إلى الكتف ٢٤ ميلاً ، ويبلغ طول قدمه ١٤ ميلاً، وعرضها ٦ أميال، وارتفاعها ميلين (٣) هذا الملاك هو ابن الله، وهو ملاك مذكر، وكانت تصحبه ملاك أنثى ذات حجم كبير أيضاً هى الروح القدس، وقد سلم الملاك لألخساى هذا الكتاب فى أرض سيرى.

هذا الكتاب يشتمل على إعلانات جديدة، وفيه التعليم بمعمودية ثانية باسم الله العلىّ وابنه الملك العظيم، من أجل غفران الخطايا Καινηάφεσιςάμαρ - τιων. بدون استثناء أعظم الخطايا وهى الزنى، ومن أجل شفاء الجروح من عضة الكلاب المسعورة والأمراض الشديدة، وذلك بتغطيس المعمدين فى الماء والالتجاء إلى السماء والأرواح المقدسة ملائكة الصلاة وشجرة الزيتون والملح والأرض مع الوعد بترك الشر.

يقول يوسابيوس (٤) أن أوريجينوس ذكر هؤلاء الهراطقة فى خطاب عام عن المزمور الثانى والثمانين. ومما قاله عنهم أنهم أصدروا كتاباً زعموا أنه هبط عليهم من السماء ومن سمعه وآمن نال غفران خطاياه، غفراناً غير الغفران الذى منحه المسيح.

ويقول هيبوليتوس أن السبيادس Alcibiades أوصى (أن من تاب وسمع هذا الكتاب وآمن، نال بالمعمودية مغفرة خطاياه) ... ومن بين نصوص هذا الكتاب قوله (وأقول أيضاً لكم أيها الزناه .. أنه إذا رجعتم غفرت لكم خطاياكم... منذ الوقت الذى تسمعون فيه هذا الكتاب، وتتعمدون مرة ثانية وملابسكم عليكم...) (٥).

والمعروف عن الأبيونيين الأسينيين أنهم نادوا كما نادى الأبيونيون الفريسيون، بوجوب الختان واتباع الناموس القديم واعتباره جزءاً رئيسياً من المبادئ المسيحية. لكن الناموس عندهم. ليس هو الناموس عند الأبيونيين الفريسيين، فقد اقتطع الأبيونييون الأسينيون من الناموس كل العناصر التى لا توافقهم. فرفضوا أسفار الأنبياء بتمامها، كما أنكروا على الخصوص مبدأ الذبائح الدموية، وأدخلوا من عندياتهم بعض عادات وطقوس اظهروا اهتماماً كبيراً بها، منها الغسلات التطهيرية ومنها الامتناع عن الخمر وعن الأطعمة الحيوانية.

---

(1) Lightfoot, Dissertations.

(2) Lawlor & Oulton, Eusebius Ecclesiastical history vol, II. p. 226, seeberg (R.), ,Text - book of the History of Doctrine Vol. 1 p. 89, Hippolytus.

(٣) يوسابيوس، تاريخ الكنيسة: كتاب ٦ ف ٣٨.

(4) Hippolytus, Refutations of all Heresies, Book IX chap. 8

(5) Hippolytus, Refuctations of all Heresies, Book IX. Chap. 13 - 15 Lawlor & Oulton, Eusebius Ecclesiastical History, vol. II. p. 227. (Note on Book VI, 38).

ونظر الأبيونيين الأسينيون إلى المسيحية على أنها ارتداد إلى الديانة الأولى، وأعنى بها الموسوية الصميمة، قبل أن تفسدها الإضافات الغريبة، وعلى ذلك أنكروا أن سمّى الإنجيل بالعهد الجديد، ولما كان بولس الرسول يتكلم فى رسائله عن زوال العهد القديم وحلول العهد الجديد محله (عب ٧ : ١٢، ١٨)، (غل ٣ : ٢٤، ٢٥)، ويصف طقوس العهد القديم بأنها ظل الأمور العتيدة (كو ٢ : ١٧) وأنها موضوعة إلى وقت الإصلاح (عب ٩ : ١٠). وأنها رمز للوقت الحاضر (عب ٩ : ٩)، ووصف الناموس بالعجز (رو ٨ : ٣) ووصف قواعده بالأركان الضعيفة الفقيرة (غل ٤ : ٩) وأنه لا نفع منها (عب ٧ : ١٨) (غل ٥ : ٦)، (٦ : ١٥)، وصرح أن بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما (غل ٢ : ١٦)، (رو ٣ : ٢٨)، وأخذ يوبخ الذين يريدون أن يعودوا إليها من جديد (غل ٤ : ١٠)، وأبان أ المسيح وسيط لعهد جديد (عب ٩ : ١٥)، (١٢ : ٢٤) وهو أفضل من العهد القديم (عب ٧ : ٢٢)، (٨ : ٦) لهذا كله كره الأبيونيون بولس الرسول كرهاً شديداً وأنكروا سلطانه الرسولى كما احتقروا رسائله، وبلغ من امتهانهم له ولكتاباته أنهم كانوا لا يقبلون ولا حتى مجرد اسمه، فإذا ذكروه صبوا عليه اللعنات والشتائم، وهذا يتضح من المؤلفات الروائية المنسوبة لإكليمنضس الروماني والمعروفة بالإكليمنضيات.

وأما عقيدتهم فى السيد المسيح فهى كعقيدة الأبيونيين الفريسيين، قالوا أنه ولد كما يولد سائر الناس، فهم ينكرون ولادته من عذراء بغير زرع بشر، ولكنهم اختلفوا عن الأبيونيين الفريسيين، فى قولهم أن الكلمة أو حكمة الله قد تجسد أكثر من مرة، وأن المسيح هو آخر حلقة من سلسلة الأنبياء أو المسحاء الثمانية الذين أعلنوا الحق الإلهى، ومنهم آدم وإبراهيم وموسى، وعلى رأسهم السيد المسيح...

هذا، والأبيونيون الإسينيون لا يأكلون اللحم، ولا يشربون الخمر، ولهذا فإنهم يقدمون فى سر الأفخارستيا، الماء بدلاً من الخمر (١)، على عكس الأبيونيين الفريسيين الذين كانوا يصنعون الأفخارستيا بالخمر الصرف والفطير...

وعلى العموم، فإن الأبيونية الأسينية ذات اتجاه غنوسى واضح أو قل هى الغنوسية فى دائرة المذاهب المسيحية المتهودة (٢).

أما الإكليمنضيات المنسوبة إلى إكليمنض الحبر الرومانى، وهو فى حقيقتها من وضع الأبيونيين الأسينيين، فتتألف من كتابين معروفين هما المواعظ ثم الاعترافات.

---

(1) Epiph. H. 30. 16; 19. 3.

(2) Hippolytus, Refutations of all Heresies, B. IX. Chap. 13 ff. Eusebius, Eccles. History B. 6. 38. Epiph. H. 19 Seeberg (R.) History of Doctrine, Vol. 1. p.

والمواعظ، كتاب لا يزال موجوداً باللغة اليونانية، وربما يرجع إلى منتصف القرن الثانى أو إلى النصف الثانى منه، ويتألف من عشرين عظة تجمع بينها وحدة التأليف (١).

فى هذا الكتاب يظهر سيمون الساحر، المبتدع الذى تتمثل فى شخصه كثير من الهرطقات المزعجة، ولهذا يدحض القديس بطرس أقواله ويحرم تعاليمه، ويلمح الكتاب إلى القديس بولس، وكأنه أحد المعلمين الكذبة الذين يندد بهم فى شخص سيمون، ومما يقوله القديس بطرس يوصى به سامعيه قوله: (تجنبوا أى رسول أو معلم أو نبى يعلم تعليماً لا يشابه أولاً تعليم يعقوب المسمى أخا ربى، والمؤتمن على رعاية كنيسة العبرانيين فى أورشليم، ولا يأتيكم بشهادات، وإلا فإن الشر الذى نازع الرب أربعين يوما ولم يغلبه، ينزل بعد ذلك على الأرض كالبرق من السماء، ويرسل إليكم داعية يقاومكم، كما حرض سيمون ضدنا ليعظ باسم ربنا ويزرع الضلال زاعماً أنه الحق، بينما إن الذى أرسلنا قال لنا: (كثيرون سيأتون إلىّ (٢) بثياب الحملان، لكنهم من داخل ذئاب خاطفة (٣)، ولا شك أن الكتاب يشير هنا بوضوح إلى رفض القديس بولس لرسائل التوصية (٤) كما يشير إلى المشهد الذى حدث فى الطريق إلى دمشق (٥).

وينسب فصل آخر من كتاب المواعظ إلى القديس بطرس: أنه قال بأن مجئ السيد المسيح لابد أن يسبق بظهور الدجال، والنبى الحقيقى ينبغى أن يسبق بالنبى الكذاب، ثم يطبق هذه القاعدة بالنسبة إليه وإلى سيمون، ويضيف قائلاً: لو كانوا قد عرفوه ἐγινώσκετο لما صدّقوه، ولكن لأنهم لم يعرفوه αγνοούμενος لهذا آمنوا به خطأ ... إنه الموت... لقد طلبوه كما لو كان مخلصاً ... إنه مخادع ... ومع ذلك سمعوا له كما لو كان يتكلم بالحق (٦). ويبدو أن الكاتب يستغل هنا كلمات القديس بولس فى مهاجمته له: (كمضلين ونحن صادقون، كمجهولين ونحن معروفون كمائتين وها نحن نحيا) (٧).

ونجد فى فصل ثالث من الكتاب، إشارة واضحة غاية الوضوح إلى رواية الرسول بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية عن النزاع القائم فى مدينة أنطاكية، حيث ينسب المؤلف إلى القديس

---

(١) وقد طبعها درسل Dresel فى جوتنجن Goettingen سنة ١٨٥٣ ثم De Lagardo فى ليبزج Leipzig سنة ١٨٦٥.

(٢) نص الآية كما جاء فى الإنجيل هو: احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة (مت ٧: ١٥).

(٣) كتاب المواعظ ١١: ٣٥ راجع أيضاً:

Lightfoot (J. B.Dissertations on the Apost, Age. P. 84, 85.).

(٤) (أفنبتدئ نمدح أنفسنا، أم لعلنا نحتاج كقوم رسائل توصية إليكم أو رسائل توصية منكم) ٢. كو ٣: ١.

(٥) أع ٩: ٣ـ ٩.

(٦) المواعظ ٢: ١٧ ـ ١٨ راجع أيضاً: Lightfoot, Dissertations.

(٧) ٢. كو ٦: ٨، ٩.

بطرس الرسول أنه قال لسيمون الساحر، « فإذا كنت إذن عرفت يسوع الذى نعرفه نحن وتحدثت إليه وأنت فى رؤيا، فقد غضب عليك يسوع كما يغضب على عدو، ولهذا تكلم معك فى رؤى وأحلام بل وفى إعلانات خارجية، أفهل يستطيع أحد أن يصبح حكيماً من تعليمه عن طريق الرؤى؟؟ فإذا قلت أنه يستطيع ذلك، فلماذا أقام المعلم معنا وتحدث إلينا سنة كاملة ونحن فى صحو (يقظة)؟ ثم كيف يمكن أن نصدقك فى هذا (الأمر)، أنك رأيت يسوع؟ كلا، إذ كيف يمكنك أن تراه، وأفكارك تعارض تعليمه؟ فلو أنك رأيته وتعلمت منه ساعة واحدة لأصبحت رسولاً، لذلك بشر بكلماته ، واشرح تعليمه، وأحبب رسله، ولا تحاربنى أنا رفيقه، لأنك قاومتنى وخاصمتنى ἐναντῖος ἄνθἐστηκαςμα أنا الصخر المكين، أساس الكنيسة، فلو لم تكن خصماً لما طعنت فى تبشيرى، ولما افتريت علىّ حتى لا يصدقنى الناس، بينما إنى إنما أخبرت بما سمعته بنفسى شخصياً من الرب، كما لو كنت حقاً أنا الملوم (١) (Καταγνωσθἐντος) وأنت المقدر غاية التقدير، كلا إذا كنت أنت تدعونى ملوماً Κατεγνωσμἐνον فأنت تتهم الله الذى أظهر لى المسيح، وتهاجم من دعانى مباركاً فيما أعلن إلى (٢) (Toΰ ἐπὶ ἄποκαλυψει μακαρισαντος με)

بهذه الروح اللاذعة سلب كاتب المواعظ من القديس بولس جميع انتصاراته التبشيرية وخلعها على خصمه المزعوم، ويمضى الكاتب فى هدم شخصية القديس بولس الرسولية، فيعتبر بطرس رسول الأمم بدلاً من بولس الرسول، وينسب إلى برنابا أنه زميل للقديس بطرس، ويقول أيضاً عن أكليمنض أنه تلميذ للقديس بطرس لا للقديس بولس.

وتلحق بكتاب المواعظ رسالة من القديس بطرس إلى القديس يعقوب الرسول تسمّى الاحتجاج δια-μαρτυρια لابد أن تكون من تأليف الأبيونيين الأسينيين، وإن لم تكن جزءاً من نفس الكتاب. ومن ثم تعد بينة أخرى على كراهيتهم للقدس بولس...

فى هذه الرسالة يستنكر القديس بطرس ما فعله الراجعون إلى الله من الأمم الذين رفضوا تعليمه الصحيح، وقبلوا تعليماً غبياً لا سند له من الشريعة، وهو من تعليم أعداء الإيمان.

Toΰ ἔχθροΰ ἄνθρώπου ἄνομὂν τινα κὰι φλΰαρωδη διδασκαλῖαν

(١) غل ٢ : ١١، ١ . يو ٣: ٢٠، ٢١، تث ٢٥ : ١، أم ٢٨ : ١١ سى ١٤ : ٢، ١٩ : ٥.

(٢) والإشارة هنا إلى ما جاء فى مت ١٦ : ١٧.

ويجأر القديس بطرس بالشكوى من (أشخاص حاولوا بتأويلات ملتوية أن يفسدوا كلماته، وينسبون إليه أنه قال بزوال الناموس القديم مدعين أن هذه كانت عقيدته لكنه لم يكن يعلم بها جهاراً) ..

+ + +

أما الاعترافات، فهى كتاب كامل، يعتقد أنه أحدث عهداً من المواعظ، ويقوم بعضه فيما يظهر على كتاب (المواعظ) أو على كتاب آخر أقدم عهداً، ربما كان الأصل الذى ترجع إليه (المواعظ) أو (الاعترافات) معاً، ويقوم بعضه الآخرعلى وثائق أخرى عرفت عن طريق الترجمة اللاتينية لروفينوس Rufinus الذى أحدث فى النص الأصلى تغييراً كبيراً...

ويلاحظ فى (الاعترافات) أنها عدلت عن النزعة المتشددة التى يتميز بها تعليم الأبيونيين الأسينيين فى كتاب المواعظ، وهدأت من الهجمات المرة والكلمات اللاذعة التى انهالت بها المواعظ ـ ولو تلميحاً ـ على القديس بولس الرسول، ولا ندرى إذا كانت هذه النغمة المعتدلة هى من فعل المؤلف الأصلى للكتاب أم من فعل المترجم روفينوس.

على أن فى الكتاب فقرة واحدة ربما أفلتت عن غفلة أو تركت عن عمد، إذ فيها إشارة إلى القديس بولس، وإن كانت شديدة الخفاء بحيث لا تبدو فيها إهانة واضحة له، ولذلك يعتقد أنها منقولة من كتاب آخر، لعله (سلم يعقوب).

ΑναΒαθμοι ΙακῷΒου

ومؤدى هذه الفقرة أن عدواً Home quidam inimicus أثار شغباً ضد الرسل وهجم على القديس يعقوب، وأمسكه بيديه ورماه على سلم الهيكل ، ولم يكف عن ضربه إلا بعد أن أيقن أنه مات، وحدث بعد ذلك أن علم الرسل سراً عن طريق غمالائيل أن هذا العدو inimicus ille home كان قد أرسله قيافا فى مهمة إلى دمشق ليضطهد الرسل ويقتلهم، ولكى يعتقل خصوصاً بطرس الذى اعتقد أنه هرب إلى هناك (١)، ويبدو أن لهجة الكتاب الأصلى كانت أكثر عنفاً وشدة فى الهجوم على القديس بولس، مما يظهر فى هذه الفقرة، لأن القديس أبيفانيوس يقرأ عن بولس فى كتاب (سلم يعقوب) الآنف الذكر (أنه كان من سلالة أمية، وأنه كان قادماً إلى أورشليم، راغباً فى أن يتزوج من ابنة الكاهن الأعظم، فتهود واختتن، ولما خاب أمله، ارتد عن اليهودية وأخذ يهاجم الفرائض الموسوية بشدة (٢).

ومن المبادئ الهامة التى اشتملت عليها كتب الأبيونيين قولهم أن الله هو الكل Tô πᾶν والمسيح قد صدر عن الله، وكذلك العالم صدر من الله، وهذا

---

(١) الاعترافات ١ : ٧٠، ٧١ راجع Lightfoot, Dissertations p. 87.

(٢) أبيفانيوس: الهرطقات ٣٠ ـ ١٦.

الصدور يقتضى حدوث تغيير Τροπη فى الله (١). والله هو نفسه جسم σῶμα وله شكل ظاهر σχῆμα (٢). وليس هناك غير إله واحد هو الذى خلق العالم، وهو القاضى العادل، والمسيح ابن الله لكنه ليس هو الله.

οὔτε ἑαυτον θεὸν εἶναι ἀνηγόρευσεν

لأن الله جوهر غير مولود، أما المسيح فمولود (٣).

والعالم يسير على مبدأ الازدواج Dualism والتنافر Antagonism وتوجد تبعاً لقانون التنافر مجموعتان من الأنبياء: المجموعة الأولى من الذكور والمجموعة الثانية من الإناث، وتتمثل الأولى فى آدم، والثانية فى حواء، ومن هذه المجموعة الأخيرة أو الأنثوية جاءت الأمم الوثنية واليهودية الكاذبة، ومنها تصدر الحروب وعبادة الأوثان والذبائح الدموية، أما النبى الحقيقى وهو المسيح أو آدم (فلما كان يتغير على الدوام منذ بدء العالم فى اسمه وشكله، فإنه يتدرج إلى أن يبلغ إلى الأزمنة المعينة. وإذ قد مسح من الله بفضل جهاده فإنه سيجد راحة إلى الأبد (٤)، هذا النبى الحقيقى قد علم الحق لاسيما فى آدم وموسى، وفوق الكل فى المسيح...

والإنسان حر مريد (وقد أوصى بالأمور التى تليق به أن يفكر فيها ويفعلها لذلك تخير ما يكون فى قدرتك)(٥)، وعلى ذلك، يجب علينا أن نتمم وصايا الله...

ولا ينتظر الأبيونيون الأسينيون ملكوتاً أرضياً ثيوكورانيا كما يفعل الأبيونيون الفريسيون.

وأما عن الطقوس (فالمواعظ) لا تذكر طقس الختان، بل أن الاعترافات لا تجيزه، غير أن فى الكتابين نصوصاً واضحة عن الغسلات التطهيرية (٦)، وعن الاكتفاء بالطعام النباتى دون الحيوانى (٧) وعن تحريم الزواج (٨)، وتحريم الذبائح الدموية (٩).

وظلت الهرطقة الأبيونية بأقسامها تقاوم كنيسة الله الأرثوذكسية بضعة قرون، ويبدو أنها تركزت فى شرق فلسطين.. فى نهاية القرن الرابع للميلاد، وإن انتشر بعض أتباعها فى كبرى مدائن الإمبراطورية، غير أن بقاءها لم يدم طويلاً بعد ذلك، فقد اختفت تقريباً فى نحو منتصف القرن الخامس واندمج أتباعها تدريجياً، إما فى الكنيسة المسيحية أو فى الكنيسة

---

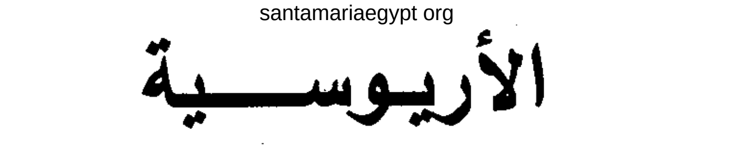
(١) المواعظ ١٧ : ٧. (٢) المواعظ ١٦ : ١٥، ١٦.
(٣) المواعظ ٢ : ١٥، ١٦، ١٧، ٣٣، ١٧ : ٧، ٨، ٩، ٢٠ : ٨.
(٤) المواعظ ٣ : ٢٠، قارن الاعترافات ٢ : ٢٢.
(٥) المواعظ ١١ : ١١، ١٠ : ٤ قارن المواعظ ٢ : ٣٦، ٣ : ٢٢، ٢٣، ٨ : ٤٨.
(٦) المواعظ ٩ : ٢٣، ١٠ : ٢٦، الاعترافات ٤ : ٣، ٥ : ٣٦.
(٧) المواعظ ١٢ : ٦، ١٥ : ٧، ٨ : ١٥، ١٤ : ١..
(٨) المواعظ ٣ : ٦٨ ـ الرسالة إلى القديس يعقوب ٧ ـ.
(٩) المواعظ ٢ : ٥٢، ٥٣ : ٣ ـ ٤٢.

ليهودية، وأغلب الظن أنهم اندمجوا أو امتصوا فى الكنيسة اليهودية، نظراً لأنهم كانوا أكثر لتصاقاً بالناموس القديم منهم بشريعة السيد المسيح.

وهكذا ذهبت الأبيونية، كما ذهب غيرها من الهرطقات، التى ناوأت المسيحية، لقد حاولت الأبيونية أن تسلب المسيحية خصائصها العالمية وتردها إلى حدود اليهودية الضيقة فلم تفلح، لأن مبادئ المسيحية قوية راسخة، وهى من الصمود والثبات بحيث لا تستطيع الأبيونية وغيرالأبيونية أن تزعزعها أو تقاومها، أو تسلبها سلطانها الذى ملكت به على قلوب الكثيرين من كل شعوب العالم الذين استهوتهم بمبادئها الإلهية السامية، فوحدت بينهم فى جامعة الإيمان وانطوى تحت لوائها اليهود واليونان...

وظل المسيحيون الأرثوذكسيون على إيمانهم بلاهوت السيد المسيح، ومولده على غير الطبيعة من الروح القدس والبتول الطاهرة مريم العذراء، على الرغم من مزاعم الأبيونيين وترهاتهم، ولا زال الأرثوذكسيون يعتقدون فى الرب يسوع أنه المسيا وهو الأقنوم الثانى من الثالوث الأقدس، وهو كلمة الله الكائن فى الذات الإلهية منذ الأزل. وقد تجسد فى الزمان، وظهر بين الناس إنساناً مثلهم، وهو لم يزل قائماً فى السماء مع الآب والروح القدس، يتقبل ضروب العبادة والسجود من الملائكة والناس، وتألم ومات بالجسد، دون أن يفارق لاهوته ناسوته ومن دون أن يتألم لاهوته.

كذلك استمر المسيحيون الأرثوذكسيون على احترامهم للقديس بولس الرسول وتصديقهم بارساليته، وحقيقة دعوته بين رسل السيد المسيح، وأنه المعيّن لخدمة الإنجيل بين الأمم، وأنه لا يقل شيئاً عن سائر الرسل، بل لعله من أبرز الرسل وأعظمهم خطراً، تحتل سيرته ورسائله مكانة كبيرة فى التعليم المسيحى، وتقرأ رسائله فى كل قداس وفى كل خدمة كنسية أخرى، تقديراً لمعانيها وانتفاعا بما فيها، ويوصف الرسول بولس فى كتب الكنيسة بأنه لسان العطر، وفيلسوف المسيحية والناطق باسمها، فلم ينل منه هجوم الأبيونيين منالاً بل زاده جلالاً على جلال، وعرف المسيحيون الأرثوذكسيون قدره، وأحبوه وأكرموه، وأطلقوا اسمه على كنائسهم، وعلى أولادهم، تيمناً بشخصه، وتبركاً بحياته وتمثلاً بجهاده.



الأريوسية

الأريوسية

عندما جاء القرن الرابع للميلاد، لم تكن العقيدة المسيحية قد تحددت فى مصطلحات ثابتة نهائية، ومع ذلك كان هناك تقليد واضح مستقر فيما يتصل بشخص ربنا يسوع المسيح.

وظلت الكنيسة المسيحية فى الثلاثة القرون الأولى تعانى الإضطهاد والتعذيب فلما تخلصت من نير الاضطهاد، وتنسمت الراحة من آلام الأعداء الظاهرين، وأصبحت الدولة مسيحية وحامية للديانة المسيحية، وقعت الكنيسة فريسة لآلام من طراز آخر، فقد كان عليها أن تجابه بعض الهرطقات التى قادها قوم مسيحيون، ولكنهم لم يكونوا مسيحيين كاملين. فقد أخذوا عن الوثنية وفلسفتها بعض أفكار لم يتحرروا منها، فخلطوها مع العقائد المسيحية الأصلية، وكونوا من هذا الخليط عقيدة جديدة، أزعجت الكنيسة وبلبلت أفكار المؤمنين بالمسيح ردحاً طويلاً من الزمن، وكأن الكنيسة لم تكد تحصل على السلام والخلاص من أعدائها الخارجيين، حتى اضطرب سلامها من جديد بفعل أعداء داخليين، هؤلاء الأعداء الأخيرون هم أريوس وأتباعه، الذين أرادوا أن يقحموا على ديانة المسيح عناصر من ديانات أخرى ومن مذاهب فلسفية وثنية، يلبسونها لباساً مسيحياً، ويصبونها فى قوالب مسيحية، وهى من المسيحية براء والمسيحية منها براء .... ومع ذلك يزعمون أنهم لم ينشئوا مذهباً جديداً، ولكن يكفى أنهم قدموا تفسيراً جديداً، تفسيراً يتعارض مع التفسير الذى رعاه التقليد الرسولى، وصانه منذ نشأة الكنيسة فى العصر المسيحى الأول...

أريوس وتعاليمه

ولعل أريوس فى مبدأ الأمر كان مسيحياً مخلصاً، قصد إلى أن يقدم تفسيراً مسيحياً ظنه التفسير الكامل لعقيدة المسيحيين فى المسيح. وكان يهدف إلى أن ينشئ نظرية فيما يختص بشخص المسيح، نظرية تخلو من الصعوبات التى تثيرها المفهومات السائدة فى عصره، وتحل المشكلات التى كانت تقف أمام أذهان بعض الناس فى زمانه، الذين كانت أذهانهم لا تزال وثنية على الرغم من مسيحيتهم ، ولكن أريوس أثبت أنه كان حقاً جاهلاً بالحقيقة المسيحية فى المسيح، وأنه كان فى حاجة ماسة إلى أن يتعلم التعليم الصحيح، قبل أن يزعم لنفسه الحق فى أن يعلِّم أو يفسر كلمة الحق باستقامة...

وتنطوى النظرية الأريوسية على أن هناك الله، كما أن هناك ابن الله، ولكن القول بابن الله يجب ألا يمس وحدانية الله، فقد كان أريوس يتمسك أشد التمسك بفكرة الوحدانية. وكان يصر أولاً وقبل كل شئ على بساطة الله وعلى تفرده، وعلى أنه واحد وحدانية مطلقة كاملة، وأنه عال علواً تاماً وأنه بعيداً بعداً مطلقاً، وأنه لا يمكن معرفته ولا إدراكه، Inaccessible كما لا يمكن أن ينطق به، وأنه خفى وفى خفاء أزلى أبدى، وأن هناك هوة لا نهائية تفصل بينه وبين الناس.. ولقد أراد الله أن يخلق العالم، ولكنه بمقتضى طبيعته لا يمكنه أن يخلق الكون المادى

مباشرة، ولذلك فقد خلق اللوغوس لهذا الغرض بصفته إيناً له (وهذا هو السبب عند أريوس فى وجود الابن) وعلى ذلك فإن ابن الله موجود قبل الزمان وقبل العالم، بغير جسد، ومتميز عن الآب. فهو كائن متوسط بين الآب وبين العالم...

ويقول أريوس في خطاب له إلى يوسيبيوس أسقف نيقوميديا Nicomedia وقد وصفه بأنه « زميله في إتباعه مذهب لوقيان »، وأنه « الورع الحقيقى » εὐσεβής وقد أورد هذا الخطاب ثيودوريت (١) Theodoret.

« ونحن نقول ، ونؤمن، وقد علمنا أن الابن ليس إلا مخلوقاً، كما أنه ليس بحال ما جزءاً من غير المخلوق، وأنه لم يحصل على وجوده من أية مادة، ولكنه بمشيئته وجد قبل الزمان وقبل الدهور كإله تام، مولود وغير متغير، وأنه قبل أن يولد أو يخلق أو ينتوى أو يؤسس، لم يكن موجوداً، إذ أنه ليس غيرمولود، أننا نضطهد لأننا نقول أن الابن له بداية، ولكن الله ليست له بداية... ولأننا نقول أنه من العدم، نقول هذا لأنه ليس جزءاً من الله ولا جزءاً من أى كائن جوهرى.

ولا شك أن هذه العبارة إشارة إلى الفكر التى تنطوى عليها كلمة ὁμοούσιος ومعناها من جوهر سابق على الآب والابن، أخذ كل من الآب والابن بنصيب مساو للآخر منه.

وقد بنى أريوس نظريته فى أن الابن مخلوق على فكرتين:

الأولى: لما كان المسيح تبعاً لتعاليم الإنجيل هو ابن الله، فهو متأخر فى الوجود عن الله....

وحجة أريوس فى هذا قائمة على أساس التشابه بين بنوة المسيح لله، وبين البنوة فى عالم الإنسان، فكما أنه فى عالم الإنسان يوجد الابن بعد والده فى الزمان. كذلك الحال فيما يتصل بالكلمة أو الابن، لم يكن الابن موجوداً ثم وجد بعد ذلك، فالآب أسبق من الابن فى الوجود، وعلى ذلك فهو متأخر عن الآب فى الوجود، وبالتالى فهو مخلوق من الآب.

الثانية: أن الآب متفرد تفرداً تاماً، كما أنه روحانى روحانية مطلقة، وهذه حقيقة لاهوتية يرى أريوس أنه يجب أن نحرص على عدم المساس بها:

(أ) وفى نظره أن فكرة الولادة لا تتفق مع روحانية الله وتفرده، لأن الولادة تقتضى المادية كما تقتضى الشهوة الجنسية وما يتبعها من إحساسات وهذه كلها صفات بشرية لا يليق أن تنسب إلى الله...

(ب) ثم أن الولادة تقتضى أيضاً نوعاً من التغير، بينما أن الله غير قابل للتغير على الإطلاق.

---

(١) فى كتابه تاريخ الكنيسة ١ : ٤ (٥).

(جـ) ثم أن الولادة تقتضى أيضاً وحدة الطبع أو الطبيعة بين الوالد والابن المولود منه، وهذا يهدم صفة التفرد التى يتصف الله بها... ومن صفة الألوهة عدم التوالد.

ولذلك يقول أريوس: لا يمكن أن يكون الابن قد وجد من أو عن جوهر الآب، وإنما وجد الابن بعملية خارجية محدودة، أو بفعل صادر عن إرادة الآب ... وعلى ذلك فقد كان الآب وحده هو الموجود أولاً، ثم بعد ذلك أوجد الابن من العدم ... وعمل الآب فى هذه الحالة هو فعل الخلق سواء بسواء،... وإذن فالابن (عند أريوس) مخلوق من الآب.

على أساس هاتين الحجتين أو الفكرتين بنى الأريوسيون نظريتهم فى عدم أزلية الابن، وأنه مخلوق، ولو أنهم يقولون بوجوده قبل الزمان وقبل جميع الخلائق، وأنه ليس كسائر الخلائق من حيث أن جميع الخلائق خلقت بواسطته بينما أنه هو قد خلق بطريق مباشر بفعل إرادة الآب، ولما كان مخلوقاً وخارجاً عن وجود الآب وكيانه، فلابد أن يكون خاضعاً للتغيير الذى تخضع له الكائنات المخلوقة. وإذن لابد أن يكون محدوداً فى قوته وحكمته ومعرفته !!! وهو ذو إرادة حرة، وذو طبيعة قابلة للتغير، كما أنه عرضة للخطأ الأخلاقى، وعلى ذلك فلا بد له من أن يعتمد على معونة النعمة، ولكنه استطاع أن يحيا بلا خطيئة بفضل صلاحه وتقواه وبتدريبه المتواصل لإرادته.

ولكن، على الرغم من أنه فى هذا كله هو أقل من الآب، إلا أنه مع ذلك هو ابن الله بالحقيقة، وله أن يعبد وأن يسجد له... وهو اللوغوس الذى لبس جسداً بنفس حية أو حيوانية... وهو الوسيط الذى خلق الكون كله بواسطته، ثم تجسد بعد ذلك فى شخص يسوع المسيح...

هذه هى النظرية التى سعى إليها أريوس، إلى أن يوفق بين التصورات الوثنية، والتصورات المسيحية فيما يتصل بالله وبالكون ... ويبدو لنا من هذا بوضوح أن يسوع فى نظر أريوس لم يكن إنساناً حقيقياً ولا إلهاً حقيقياً... ولقد ظهر هذا جلياً فى ذلك الوقت لبعض من أقدر قادة الفكر المسيحى وأبعدهم نظراً، وأحدهم ذكاء وبصيرة، ولكن تعليم الكنيسة لم يكن حتى ذلك الوقت قد تحدد على الدقة... حقاً أنه لم يكن تعليماً ملتبساً ... ولكنه كان على أى حال ينقصه التعبيرات والمصطلحات المحددة... ويبدو لكثيرين أن هذا النقص ساعد على ظهور البدعة الأريوسية، بالإضافة إلى بعض نصوص الكتاب المقدس التى بدا أنها تؤيد تلك البدعة..

نشأة النزاع الأريوسى وأسبابه

نشب النزاع الأريوسى فى مدينة الأسكندرية نحو عام ٣١٨م، وكان أريوس قسيساً لإحدى كنائس الأسكندرية، وكان ناسكاً وقوراً، واشتهر بعلمه ومهارته فى المنطق. وبدأ النقاش باعتراض، أثاره أريوس على خطاب ألقاه ألكسندروس أسقف الأسكندرية عن سر التثليث ... ويظهر أن ألكسندر ألح فى خطابه على وجود الابن مع الآب منذ الأزل، فاعترض أريوس على

هذه العبارة. وأصر على القول بأن الله وحده هو الأزلى، أما جميع الكائنات الأخرى بما فيها الابن لابد وأن تكون مخلوقة بفعل من أفعال الإرادة الإلهية .

ومذهب أريوس يمكن إرجاعه إلى مذهب لوسيان فى أنطاكية... ولوسيان هذا (وقد توفى سنة ٣١١ أو ٣١٢م) علم تعليماً مقارباً من تعليم بولس السموساطى، وهو أن الله واحد وأن اللوغوس الإلهى كائن مخلوق أرسل إلى العالم وقد اتخذ طبيعة بشرية من أجل أن يعلن الآب...

ولكى يقدم من شخصه مثالاً ونموذجاً للجنس البشرى ... وبفضل تقدمه شيئاً فشيئاً وبفضل مثابرته فى الفضيلة، بلغ حالة من الكمال لا يمكن تغييرها. ويظهر أن لوسيان قد جمع بين نظريات بعض الهراطقة القدامى فى المسيح، وبين بعض المذاهب الفلسفية المنتشرة فى الشرق مثل الأفلاطونية الجديدة، وذهب فى سبيل شرح آرائه إلى تفسير الكتب المقدسة تفسيراً حرفياً، وهو التفسير التقليدى الذى كان متبعاً فى كنيسة أنطاكية... ولما كان أريوس تلميذاً للوسيان، فقد ورث عن معلمه فكرته عن الله، وهى فكرة وثنية فى حقيقتها، نقلها لوسيان عن الأفلاطونية التى ترى الله كائناً سامياً، فائقاً، عالياً على المادة، منفرداً بالذات، لا يعبر عنه، ولذلك فهو فى حاجة إلى وسيط بينه وبين الكون المخلوق ، هذا الوسيط أو واسطة الخلق يجب أن يكون سابقاً فى وجوده على وجود الخليقة أو الكون، لكنه هو نفسه مخلوق، ولا يمكن أن يكون لله ابن بالمعنى الدقيق، إذ أن نسبة فعل الولادة إلى الله يقتضى أن تنسب إلى الألوهة صفة المشاعر الجسدانية وحركاتها، وهذا يجعل الله عرضة لقوانين الضرورة الميكانيكية... لأن الولادة γἒννῆσις بالنسبة إلى الكائن الإلهى ليس لها معنى، إلا أنها فعل إرادى لهذا الكائن به يخلق ابناً من العدم، وليس لفظ « الولادة » إلا مرادفاً للفظ « الخلق »...

ولا شك أن هذا المذهب الذى يصور الله بهذه الصورة، هو فى حقيقته مذهب مؤلف من عناصر سابقة على المسيحية... إنه يعود بنا إلى الفكر الوثنى، وإلى تصور كائن مخلوق ليس هو بإله ولا هو بإنسان، إنه نصف إله يقف فى مركز متوسط بين الخالق وبين الكون، وهو ينطوى على مبدأ الشر بعينه، وفى هذا يقول القديس أثناسيوس « إن هذه الأفكار وثنية» Ελλήων ἶδια ταντα (١).

وينحصر مذهب أريوس فى الابن فى قضيتين:-

(أ) أن الابن ليس أزلياً مع الآب.

«إنه كان ولم يكن» ἤνὃτεονκ ἤν

(ب) أن الابن كائن مخلوق ἒξὂύκ ὂντων ἒγὂνετο

خلق (ولد) ولم يكن له قبلاً وجود.

---

(١) مقالات القديس أثناسيوس فى الرد على الأريوسيين: المقال ١ : ١٨، قارن الخطبة ٣ : ١٥، ١٦.

وإذا كان الابــن على قــول أريـــــوس، مــخــلــوقــاً، فــإنــه لـيس أزلـــيـاً مـــع الآب συναιδιος τῶ πατρὶ إنه لا يزيد عن كونه «قوة عظيمة» من قوى الله، شــأنه شــأن الجـــراد الـــذى وصـــفه النبـــى يوئـــيل (١) أنـــه يعتـــمد على «النعمة» grace ولـه طبيـــعة المخـلوقـين، قــابل Capable للخطيئة، ولو أنه بلا خطيئة، وهو قابل أيضاً للتغير كما هو الحال فى سائر الخلائق. τρεπτὸς φὔσεὶ ὤς τά κτισματα هو فى جوهره essence غريب عن جوهر الله ξενος ἄλλὸτριος وليست له معرفة تامة، ولذلك لا يمكنه أن يعلن الآب، واتحاده بالله ليس إلا اتحاداً مــن نــوع نسبى أو أدبــى moral ، بمعنـى انســجام إرادتــه مع إرادة الله، وخـضـوع إرادتـــه لإرادة الله (٢). ولما كان المسيح فى نظر أريـوس قابـلاً للتغـيـر τρεπτος فإن صـلاحه ليس صـلاحاً جوهرياً ذاتياً، وعلى ذلك فإن بنوته للآب جزاء لثباته ومثابرته وفقاً لسبق علم الله به ....

فالمسيح، مؤله بالمشاركة μετοχή ἐθεοποιήθη ثم أن الطبيعة الناسوتـية التى اتــخذها اللوغـوس المخلوق، غير كامـلة إذ المسيح المتــجــسد إذ كان نــفـساً عاقـــلة νοῦς بل أن يتـخـذ طبـيعة الإنسان .... واتحـد اللوغـوس فى المسيح بجـسم إنســان ونـفـس حيوانية ψυχή ἄλογος (نفس غير ناطقة) ....

وهنا... يجدر بنا أن نشير إلى أن مذهب أريوس - فى هذه النقطة - قد اعتنقه فيما بعد أبوليناريوس.

---

(١) يو ٢ : ٢٥ قارن أيضاً خطب أثناسيوس ضد الأريوسيين ١ : ٥.

(٢) راجع مقالات أثناسيوس فى الرد على الأريوسيين، مقال ٣ : ١٠.

تاريخ النزاع الأريوسى
حتى مجمع نيقية

بدأ أريوس يثير الإنتباه إلى مذهبه الجديد فى سنة ٣١٧، وحاول الكسندر بأسلوب ودى فى مبدأ الأمر أن يقنعه بالعدول عن رأيه، لكن أريوس أصر على موقفه، ولم تفلح معه كل أساليب لإقناع والجدل، فجمع البابا مجمع الكرازة المرقسية فى عام ٣٢١ وحكم المجمع برياسة البابا لكسندروس بتجريد أريوس من رتبته الكهنوتية. على أن أريوس وجد من يسانده فى مصر وخارج مصر، ولاسيما زملاؤه فى التلمذه من أتباع لوقيانوس، الذين كانوا يحتلون بعض مراكز القوة والنفوذ. وقد كسب على الخصوص تعضيد يوسبيوس أسقف العاصمة نيكوميديا، الذى كان يتمتع بمكانة كبيرة عند الإمبراطور، (وقد سجل ثيودوريت فى كتابه تاريخ الكنيسة نص خطاب أريوس إلى يوسبيوس أسقف نيكوميديا وكذلك كتاب يوسبيوس إلى باولينوس Paulinus أسقف صور) (١). وجمع يوسبيوس مجمعاً فى نيقوميديا، وأرسل من قبله رسائل إلى الأساقفة فى تعضيد أريوس... فأمال معه عدداً كبيراً منهم إلى الاعتقاد بأن أريوس حوكم ظلماً ... وبذلك تفاقمت المشكلة، وتعقدت، بصورة لم تكن متوقعة... وكان لابد لبابا الأسكندرية أن يدافع عن موقفه ويبرز الأسباب التى دعت المجمع الأسكندرى إلى تجريد أريوس من كهنوته، وأرسل الشماس أثناسيوس الذى صار فيما بعد خلفاً لالكسندروس إلى أساقفة العالم المسيحى، بتفصيلات قضية أريوس وأعمال المجمع الذى انعقد لمحاكمته فى الأسكندرية سنة ٣٢١، مذيلاً بتوقيعات الأساقفة الذين حضروا وأيدوا الحكم بتجريده (٢)، وقصد ألكسندروس بهذا أن يضع الحقائق أمام أساقفة العالم بأسره، إظهاراً لسلامة تصرفه، وعلم الإمبراطور قسطنطين بالمشكلة، وكان ميالاً إلى السلام، وإلى صيانة وحدة الكنيسة، وطلب إليه أن يتدخل، فأرسل خطاباً إلى البابا ألكسندروس سنة ٣٢٤ يدعوه إلى العمل على السلام، وذلك بإعادة أريوس إلى رتبته، وقد حمل هذا الخطاب هوسيوس أسقف قرطبة - أحد كبار مستشارى الإمبراطور- فرجع إليه هوسيوس يحمل تقريراً عن مسألة أريوس جعل الإمبراطور يغير وجهة نظره تماماً، فأرسل يوبخ أريوس على سوء تصرفه، ولكن هذا كله لم يكن كافياً لتهدئة المشاعر وفض المشكلة، فاقترح هوسيوس على الإمبراطور أن يأمر بعقد مجمع مسكونى عام، فانعقد فى السنة التالية أى سنة ٣٢٥ فى نيقية عاصمة بلاد بيثينيا Bitnynia بآسيا الصغرى على البحر الأسود - أو بحر البونتوس Ο πὸντος = حرفياً: البحر ولكن اطلقت اصطلاحاً على البحر الأسود - من ٣١٨

---

(١) جزء ١ فصل ٤ راجع أيضاً ثيودوريت - تاريخ الكنيسة - جزء ١ فصل ٥، ٦.

(٢) هذا موضوع رسالة لأثناسيوس بعنوان «تجريد أريوس» Depositio Aru من بين كتابات أثناسيوس، وصفها Robbertson فى كلامه عن أثناسيوس، بالمجلد الرابع من مجموعة الآباء السابقين واللاحقين على مجمع نيقية، بأنها البذرة الأولى فى جميع كتابات أثناسيوس التى رد فيها على الأريوسية.

أسقفاً، وهذا العدد يبلغ نحو سدس عدد الأساقفة في العالم كله، ودام إنعقاد المجمع نحو ٣ شهور....

مجمع نيقية

انعقد المجمع، ويبدو أن المشكلة الحقيقية التى انعقد من أجلها لم تكن واضحة تماماً فى أذهان الغالبية الكبرى من أعضائه، قال الأريوسيون أن المسيح إله وابن الله، وقالوا أيضاً بأنهم يعبدونه ويسجدون له، كما أبدوا ولاءاً شديداً لنصوص الكتاب المقدس، ولهذا بدا لأعضاء المجلس فى مبدأ الأمر أن تعليم الأريوسيين تعليم سليم فى جوهره، وإن كانت الألفاظ التى يستعملونها مخالفة لما جرى عليه التقليد فى كنيسة المسيح، ومع ذلك ليس من الضرورى إلزامهم باستخدام ألفاظ بعينها. كان هذا هو الاتجاه السائد أولاً عند أساقفة سوريا وآسيا الصغرى، وربما كانوا متأثرين على نوع ما بتعليم أوريجينوس كما فهموه، وكانوا يخشون غاية ما يخشون مذهب الموناركيين Monarchianism الذين كانوا ينادون فى القرن الثانى بأن المسيح إنسان كسائر الناس، حلت عليه حكمة الله بصورة لم يعرفها أى نبى أو رسول آخر، ولكنه ليس إلهاً، إذ لا يوجد إلى جانب الله إله آخر، ومذهب السابيليين أتباع سابيليوس المبتدع الذى أنكر التمايز بين الأقانيم فى الذات الإلهية، وزعم أن الله واحد ظهر فى صورة الآب مرة وفى صورة الابن مرة ثانية وفى صورة الروح القدس مرة ثالثة، وكان هذا الفريق من الأساقفة يرى وجوب إلتزام النصوص المقدسة، وعدم إضافة تحديدات جديدة، ولهذا كانوا يميلون إلى مناصرة أريوس وأصدقائه، ولم يروا أن الأريوسية قد إنحرفت إنحرافاً تاماً عن الإعتقاد التقليدى فى شخص السيد المسيح. والغريب أن يسمى هذا الفريق نفسه بالفريق المحافظ، وكأن المعارضين لأريوس كانوا هم المبتدعين. وليس بخاف أن الأريوسية هى التى ابتدعت تعليماً جديداً، وإلا فما سر هذه المشكلة التى أثارها أريوس والتى أزعج بها الكنيسة ما ينوف على خمسين سنة من الزمان. وعلى كل حال فقد وجد هذا الفريق زعيماً له فى شخص يوسبيوس أسقف قيصرية، وكان يتمتع باحترام كبير نظراً لعلمه الواسع ومعرفته الأدبية والتاريخية (١). كان يوسبيوس بلا منازع من أعلم الأساقفة، وأشهر كتاب الكنيسة فى زمانه، وكان اعتقاده يمثل التعليم المسيحى السائد فى زمانه عن التثليث وشخص السيد المسيح، لكنه كان يترجح بين المذهب القائل بأن الابن تابع للآب Subordinationism وبين مذهب سابيليوس Sabelianism وكان يفتقر إلى تحديدات أكثر دقة، وقد وصفه دورنر Dorner بحق أنه كان يتلون كالحرباء، فكان بذلك مرآه وصورة للمشاكل التى لم تجد لها حلاً فى زمانه، فكان النزاع الأريوسى هو الذى اضطر الناس إلى أن

---

(١) يوسبيوس القيصري= ولد سنة ٢٦٠م وتوفى سنة ٣٤٠م، وهو من فلسطين وربما قيصرية بالذات، قضى حياته الأولى فى قيصرية، وكان صديقاً حميماً لقسيس لسمه بامــفيـليوس Pamphilius ترك له مجموعة كبيرة من الكتب.

يخوضوا إلى بحث هذه المشاكل العويصة، على أن يوسبيوس كان يعارض الأريوسية معارضة صريحة فى أهم المسائل.

كان يقول أن اللوغوس ليس مخلوقاً κτίσμα كسائر المخلوقات، كما يزعم الأريوسيون، وكان يقول أنه لم يمر ثمت زمان لم يكن اللوغوس فيه موجوداً، ومع ذلك كان يوسبيوس يتكلم أحياناً عن الآب، على أنه سابق فى وجوده على وجود الابن .. وكان يصف الابن بأنه الموجود الثانى، والعلة الثانية، وهذا كله كاف لأن يقرب بينه وبين الأريوسية ... ولعل مناصرته للأريوسية ترجع أكثر ما ترجع إلى الصداقة الشخصية التى كانت تربط بينه وبين بعض الأريوسيين وإلى كراهيته العميقة لمذهب السابيليين... كما علم به Marcellus وغيره... ولعله أيضاً رأى أن يتبع فى ذلك الوقت ما يمكن تسميته «سياسة الشمول» وقد أورد سقراط فى كتابه تاريخ الكنيسة جزء ٢ فصل ٢١ فقرات ليوسبيوس القيصرى ليثبت فيها أرثوذكسيته ضد الذين اتهموه بالأريوسية...

وكان من أكبر أنصار أريوس أسقفان مصريان: سكوندوس Secundus أسقف بتوليمايس Ptolemais (المنشية جنوب أخميم وشمال جرجا) وثيوناس Theonas أسقف مارماريكا Marmarica اللذين لم يعدلا عن رأيهما إلى النهاية، وكان يؤيدهم قلبياً ثلاثة أساقفة آخرون من تلاميذ لوقيانوس الأنطاكى وهم يوسبيوس أسقف نيقوميديا وثيوجنيس Theognis أسقف نيقية، وماريز Maris أسقف خلقيدونيا وبعض آخر وكان أشد خصوم الأريوسية قوة، ألكسندر باباً الأسكندرية وتلميذه أثناسيوس ، وكان ساعده الأيمن، وكذلك يوستاثيوس Eustcthius الأنطاكى، ومارسيلوس Marcellus أسقف أنقرا Ancyra وبعض الأساقفة الشرقيين، ومن بين أساقفة الغرب هوسيوس أسقف قرطبة الذى لعب فى هذا النزاع دوراً حاسماً، ولعل هوسيوس كان أشهر أساقفة الغرب وأعلاهم منزلة ... ولد فى سنة ٢٥٦ ورأس مجمع Elvira سنة ٣٠٦ ولهذا اختصه الإمبراطور قسطنطين ليكون مستشاره الخاص فى الشئون الكنسية، ولهذا يحتمل أن يكون هوسيوس هو الذى رأس مجمع نيقية، بعد أن افتتحه الإمبراطور قسطنطين بذلك الخطاب الذى سجله يوسبيوس فى كتابه .Vit Const ،لقد حامى هوسيوس عن الإيمان الأرثوذكسى بالقول الشفاهى والفعل أكثر من التأليف، ومع ذلك فقد حفظ لنا القديس أثناسيوس، خطاباً كتبه هوسيوس فى آخر أيام حياته إلى الإمبراطور قونستانتوس Constantius يحثه فيه على أن يعدل عن سياسته فى حماية الأريوسيين واضطهاد خصومهم ...

ولم يكن هوسيوس وحده من أساقفة الغرب الذين حضروا المجمع، فقد مثل أفريقيا كسيليان Caecilian أسقف قرطاجنة، ومثل بلاد الغال نيكاسيوس Nicasius أسقف ديجون Dijon ، ومثل إيطاليا قسيسان رومانيان والأسقف مرقص مطران كالبريا Calabria ، ومثل بانونيا Pannonia دومنوس Domnus أسقف ستريدون Stridon.

لم يكن من السهل الوصول إلى إتفاق، حقاً أن الأريوسيين كانوا أقلية واضحة، وأن الأغلبية العظمى رفضت الألفاظ والتعبيرات التى أراد الأريوسيون استخدامها فى حرية واستهتار، فيما يتصل بربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، ولكن الشر قد تفاقم، والمشكلة قد تعقدت بحيث لم يعد مناسباً أن يكتفى فقط، بنفى المعانى التى استنبطها الأريوسيون والأفكار التى نادوا بها، كان على الكنيسة أن لا تكتفى بهذا، إذ أن الأريوسيين ذهبوا بعيداً فى إنكار لاهوت الابن الكلمة، تمشياً مع منطق نظريتهم فى أن الابن لم يكن موجوداً مع الآب منذ الأزل. لذلك كان لابد وأن تثبّت الكنيسة تعليمها فى أزلية الابن، وقيامه فى جوهر الآب منذ الأزل، بأسلوب إيجابى إلى جانب نفيها وإنكارها للتعليم الأريوسى.

ومن هنا نشأت صعوبة أكبر، لأن الغالبية العظمى من الأساقفة لم تكن ترحب باستخدام لفظ أو تعبير جديد، لم يحفظه التقليد أو يصفه التسليم الرسولى. وفى نفس الوقت أبدى الأريوسيون كامل استعدادهم لقبول أى تعبير أو لفظ يقترح من الكتاب المقدس، لتحديد العقيدة الإيمانية فى السيد المسيح. لأنهم كانوا يفهمونه ويؤولونه على طريقتهم الخاصة... وقد روى لنا المؤرخون الكثير عن أساليب الغمز واللمز والهمس المختلفة، التى حاول بها الأريوسيون ما أمكنهم أن يفلتوا من حكم المجمع بإدانتهم أو بحرمهم من الكنيسة، مع التشبث بموقفهم والثبات على آرائهم الفاسدة، وظل الموقف طويلاً على هذا النحو حتى تشجع الأريوسيون، وكتبوا بأنفسهم صيغة لقانون الإيمان كما يقترحونه على المجمع لإقراره، ولكن الأساقفة رفضوا إقرار الإيمان الأريوسى، ونهضوا ومزقوه إرباً إرباً بين صيحات الاستنكار والغضب الشديد. على ما يروى لنا ثيودوريت فى كتابه تاريخ الكنيسة (١).

وأخيراً قام يوسبيوس أسقف قيصرية وقرأ على المجمع صيغة الاعتراف، التى كانت تستخدم فى كنيسته عند التقدم إلى العماد المقدس، مؤملاً أن يكون فيها الغناء وأن يقرها المجمع ويعممها.. وقد أورد ثيودوريت هذه الصيغة فى كتابه تاريخ الكنيسة (٢) وذلك ضمن الرسالة التى أرسل بها يوسبيوس القيصرى إلى كنيسته يشرح لهم فيها سير أعمال المجمع فى نيقية، ووصف هذه الصيغة بأنها تتفق مع التقليد الذى قبله من أسلافه فى قاعدة كرسيه لفائدة الموعوظين والمتقدمين إلى العماد، كما يتفق أيضاً مع ما يعرفه هو شخصياً من الكتب المقدسة، ومع إعتقاده وتعليمه منذ أن أصبح قسيساً فأسقفاً، والمفهوم من رسالته إلى الكنيسة فى قيصرية، أن هذه الصيغة التى قرأها على المجمع فى نيقية هى بعينها الصيغة التى تستخدم فى سر العماد المقدس فى كنيسة قيصرية بل وربما فى كل فلسطين.. ولكن يبدو مع ذلك أنه عدل

---

(١) جزء ١ ف ٧.

(٢) جزء ١ ف ٨.

فيها بعض الشئ، بالإضافة أو الحذف أو التنقيح لبعض عباراتها... ومن بين ما جاء فى هذه الصيغة:

« نؤمن برب واحد يسوع المسيح. كلمة الله، إله من إله، نور من نور، حياة من حياة، الابن الوحيد الجنس ῢἳὃν μονογενὴ المولود البكر قبل كل الخليقة πρωτὂτοκον πάσης κτίσεως مولود من الآب قبل كل الدهور، به أيضاً كان كل شئ الذى من أجل خلاصنا تجسد σαρπω θὲντα وعاش كإنسان بين الناس ὲν ἄνθρώποις πολιτενσ λςενον وتألم وقام ثانية فى اليوم الثالث، وصعد إلى الاب، وسيأتى ثانية فى مجده ليدين الأحياء والأموات »...

وقد أضاف يوسبيوس إلى هذه الصيغة توكيداً بوجود كل من الأقانيم الثلاثة (الآب حقاً هو الآب، والابن حقاً هو الابن، والروح القدس هو حقاً الروح القدس) وذلك بالإشارة إلى النص المذكور فى مت ٢٨ : ١٩ القائل:

« وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » وذلك عمداً وقصداً حتى لا ينزلق أحد دون أن يدرى إلى ضلالة سابيليوس، وهو يهدف إلى إنكار بدعة أريوس ... وعلى كل حال فقد نص قانون مجمع نيقية على عبارات تنفى بدعة سابيليوس كما تنفى بدعة أريوس.

على أن هذه الصيغة التى عرضها يوسبيوس القيصرى على المجمع لقيت استحساناً من جميع أعضاء المجمع، غير أنها لم تكن حاسمة فى إنكار البدعة الأريوسية، أو لم تكن كافية لنفى المذهب الذى ذهب إليه أريوس وأتباعه... اقترح الإمبراطور، بناء على رأى بابا الأسكندرية وشماسه أثناسيوس ومن تبعهما، إضافة لفظ واحد هو هوموسيوس ὃμοούσιος ومعناه «من جوهر واحد» وقد استتبع إضافة هذا اللفظ تعديلات أخرى، كما أضيف إنكار صريح لأهم التعبيرات الأريوسية...

ومن أهم هذه التعديلات:

١) استبدال لفظ « الكلمة » λὂγος بلفظ « الابن » إذ رؤى أن لفظ الكلمة غامض نوعاً ما، وأن لفظ الابن أصرح وأبعد عن التأويل الأريوسى...

٢) حذف عبارة « المولود البكر قبل كل الخليقة πρωτὤποις ον πᾶσης κτῒσεωει ثم عبارة « المولود من الآب قبل كل الدهور πρὂ πἄντων τὤν ἄἳὤνων ὲκ τοῦ πατρὂς γεγεννηυὲνον

لأنهما قابلتان للتفسير الأريوسى.

٣) حــــــذف عبــــــارة «عــــــاش كـإنــســـــان بـــــين النــــاس» ἒν ἄνθρὤπῡς πολιτευσάμενον لأنها عبارة غامضة ملتبسة، لا تعبر بوضوح عن الناسوت الحقيقى الذى اتخذه سيدنا.

أما العبارات التى ادخلت على قانون إيمان يوسبيوس القيصرى فهى:

١) ابن الله τον νεὂν τοὒ θεοὒ ثم، الابن الوحيد الجنس المولود من الآب γεννηθἒγτα ἒκ τοὒ πἄτρὂς μονογενη بدلاً من λὂγον ثم، تأنس ἒνανθρωπ ήσαντα . إلى هذا، فقد أضيفت ثلاث عبارات كاملة:

١) الذى هو من جوهر الاب.

٢) مولود غير مخلوق.

٣) من جوهر واحد مع الآب.

τουτἒστιν ἒκ τῆς οὒσἳας τοὒ πατρος,

γεννηθἒντα οὒ ποιηθεντα, ὂ μοοὒσοον τω

πατρι

وأخيراً، أقر المجمع قانون الإيمان فى صياغته النهائية، التى وضعتها لجنة مؤلفة من ثلاثة أعضاء من بينهم البابا ألكسندروس بابا الأسكندرية والشماس أثناسيوس.

وهنا نقف أمام بعض الصفات التى نص عليها قانون الإيمان النيقاوى فيما يتصل بالابن، وهو الأقنوم الثانى من الثالوث المقدس.

+ + +

المــــــولـــــــود مــــــن الآب: أى مــــــن جــــــوهـــــــر الآب ὂυσιάς τοὒ παπρὂς ἒκ τῆς ولفظ οὒσια فى هذه العبارة يعنى صميم وجود الآب، أى بالحرى صميم ذات الآب، عين جوهر الآب، والحق أن الكلمة تختلف فى مدلولها عن مدلول كلمة Substance فى الإنجليزية والفرنســية، أو كلمة الـ Substantia اللاتينية، وعن مدلول كلمة essentia بـاللاتـينـية أو essence بالإنجليزية أو الفرنسية، وحتى عن مدلول كلمة nature ... إن العبارة تهدف إلى توكيد الوحدة الجوهرية بين الآب والابن، بمعنى أن الابن هو من نفس كيان الآب وجوهره وطبيعته، وبعبارة أخرى أن الآب لا وجود له من غير الابن، والابن لا وجود له من غير الآب... ولا يمكن أن يتصور الآب

بمعزل عن الابن أو الابن بمعزل عن الآب .... وعلى ذلك فكما قال أثناسيوس أن هذه العبارة تفيد العلاقة الفريدة التى لا نظير لها بين الآب والابن، والتى لا يمكن أن تماثلها علاقة الله بالموجودات التى برأها الله، إذ لا يمكن أن يقال عن كائن ما غير الابن أنه من جوهر الآب وطبيعته، فالابن وحده هو الذى يمكن أن يقال عنه أنه من صميم جوهر الآب، وأنه غير مفترق ولا متميز ولا منفصل عن جوهر الآب...

نور من نور...

تشبه بنوة الابن للآب بولادة النور من النور.... وهنا نذكر التشبيه الذى يقال عادة وهو صدور الأشعة من الشمس ... وإن كانت الأشعة متميزة عن القرص، لكننا لا نستطيع أن نفصل بينها، كما لا نستطيع أن نتصور قرص الشمس من غير أشعة... ولا نستطيع أيضاً أن نتصور أسبقية فى الزمان للقرص على الأشعة الصادرة منه، هكذا الابن مولود من الآب، هو متميز عنه فى الأقنومية ... ولكننا لا يمكن أن نتصور الابن من دون الآب أو الآب من دون الابن، كما لا نستطيع أن نتصور لحظة واحدة فى الزمان كان فيها الآب كائناً ولم يكن الابن كائناً معه... إن الابن من جوهر الآب ... وبعبارة أخرى.. إن جوهر الابن هو بعينه جوهر الآب من غير افتراق ولا تمييز ... بل وإن الحياة التى فى الابن هى بعينها الحياة التى فى الآب، والوجود الذى للابن هو بعينه الوجود الذى للآب.. وكما أن أشعة الشمس لا تفارق القرص كذلك الابن لا يفارق الآب بل كائن معه منذ الأزل وإلى الأبد ... وكما أن النور الذى نراه على الأرض أو على جزء منها لم ينفصل عن النور الذى فى جلد السماء، كذلك الابن الكلمة الذى تجسد لأجل خلاصنا وحل بيننا ورأينا مجده، كان ولا يزال فى السماء وهو على الأرض.

إله حق من إله حق...

وهذه هى الحقيقة المسيحية من غير تشبيه ... ليس الابن مجرد انعكاس أو صورة للآب ... إنه إله حقيقى من إله حقيقى ... فهما أقنومان فى ألوهة واحدة... وألوهة الابن هى من نفس ألوهة الآب، من غير افتراق ولا تمييز فى جوهر الألوهة.. لأنهما وإن كانا أقنومين لكنهما إله واحد...

مولود غير مخلوق...

إن الابن مولود من الآب... ولكن ما أبعد الفرق بين مدلول كلمة الولادة هنا، ومدلولها فى عالم الإنسان أو فى عالم الحيوان. فالكلمة مولود من الآب لكنه مع ذلك كائن معه فى الذا ت

الإلهية منذ الأزل، بحيث لم تمر لحظة واحدة من الزمان كان فيها الآب موجوداً ولم يكن الابن قائماً معه فى الجوهر الإلهى... الابن إذن غير متخلف عن الآب فى الزمان ... فهو مساو له فى الأزلية والأبدية ... إن التخلف فى الزمان هو بالنسبة للولادات السائدة فى عالم المخلوقات، أما بالنسبة للابن الكلمة... فهو أزلى مع الآب... ولذلك فهو مولود من الآب كولادة النور من النور من غير إفتراق فى الزمان ... ولذلك فهو غير مخلوق.

واحد مع الآب فى الجوهر.... ὁμοούσιον τῷ πατρι ومعنى العبارة هو أن الابن مع الآب جوهر واحد.. إن جوهر الابن هو نفسه جوهر الآب. ولا يمكن أن نميز جوهرياً بين أقنومى الابن والآب، أو لا يمكن أن نعرف للابن جوهراً متميزاً عن جوهر الآب أو منفصلاً عنه أو مفترقاً عنه... على أن هذه العبارة فيما تؤكد وحدانية الجوهر تؤكد تميز الأقانيم، وهى بذلك تنفى فى وضوح بدعة سابيليوس الذى زعم أن الثالوث أقنوم واحد ظهر باسم الآب تارة، وباسم الابن تارة أخرى، وباسم الروح القدس تارة ثالثة... يقول القديس باسيليوس ، هذا التعبير يصحح الخطأ الذى وقع فيه سابيليوس إذ ينفى وحدة الأقانيم τὴν ταοτοτητα της υποστάσεως ويتبين مفهوم الأقانيم بالمعنى الكامل.... لأن الشئ لا يكون هو نفسه واحداً فى الجوهر مع نفسه، وإنما يكون واحداً مع شئ آخر (١).

تجسد وتأنس....

تجسد σαρκωθὲντα بمعنى أنه صار جسداً، أو أصبح له كيان جسدى ،طبقاً لقول الإنجيل ، والكلمة صار جسداً ὁλογος لم تعد كافية لتوكيد ناسوتية السيد المسيح كاملة، المؤلفة من جسد ومن نفس ناطقة عاقلة... لذلك اقتضى الأمر أن يضاف إلى تعبير التجسد، تعبير آخر لإظهار كمال ناسوتية السيد، وهو ἐνανθρω πησαντα أى تأنس بمعنى أنه له المجد، اتخذ كل ما هو ضرورى للطبيعة البشرية، كل ما يجعل الإنسان إنساناً بالمعنى الكامل، أو بالحرى كل ما يؤلف الوجود العادى للإنسان.

وختم مجمع نيقية قانون الإيمان بقوله نعم نؤمن بالروح القدس. ثم أضاف بعد القانون حرماً هذا نصه:

---

(١) رسائل باسيليوس ـ رسالة ٥٢.

« .... وأما أولئك القائلون بأنه كان ثمة وقت لم يكن الابن فيه موجوداً، وأنه لم يكن موجوداً قبل أن يولد، وإنه وجد (جاء إلى الوجود) من العدم، أو يزعمون أن ابن الله من جوهر أو كيان مغاير لجوهر الآب وكيانه ἒξἒτἒθας ὔποστἄσεως ἡονσιας

أو أنه مخلوق أو قابل للتغير أو التبدل τρωπτὂν ἣαλλὂιωεον فهؤلاء تحرمهم الكنيسة الجامعة ».

ولا شك أن المقصود بهذه العبارة حرم الأريوسيين .... لأن أريوس هو الذى قال أن الابن لم يكن موجوداً قبل أن يولد ... منكراً بذلك أزلية الابن ووجوده منذ الأزل ... وكأن مجمع نيقية يؤكد أزلية وجود الابن على الرغم من تلقيبه بالابن ... وذلك رداً على أريوس الذى قال حيث أنه هو الابن فلابد أن يكون له ابتداء...

ولذا يبدو أن هذا الحرم من المجمع النيقاوى المقدس... هو فى غاية الأهمية، نظراً لأنه بيّن لنا فى عبارات واضحة ليس فيها لبس أو غموض، ما هو التعليم الصحيح فيما يختص بالأقنوم الثانى ... كما أبان أيضاً نقطة الإنحراف فى البدعة الأريوسية.

ثم وقع على قانون الإيمان جميع الأساقفة الذين حضروا المجمع فيما عدا سيكوندوس Se-cundus، ثيوناس Theonas على ما يروى ثيودوريت، ولو أن المؤرخ سقراط يقول أن خمسة أساقفة امتنعوا عن التوقيع.

وصدر بعد ذلك قرار امبراطورى ينفى أريوس، وجميع الذين لم يقبلوا قرار مجمع نيقية، ولكن المشكلة الأريوسية لم تنته مع ذلك، وصارت لها ذيول أزعجت الكنيسة وقتاً طويلاً بعد مجمع نيقية.

لابد لنا هنا من أن نبحث منهج الأريوسيين فى التفكير بحثا علميا... لقد تلقى الأريوسيون الأوائل أكثر ثقافتهم فى مدرسة لوسيان Lucian بأنطاكية، حيث تعلموا أن يخضعوا علوم اللاهوت لعمليات التفكير الفيزيقى الرياضى... وأخذوا يوسعون المفهوم الأفلاطونى المجرد عن الله عن طريق الجدل الأرسطاليس Aristotelian Dialectic ، وتفسير الكتاب المقدس تفسيراً نقدياً Critical exegesis وقد سيطر المنهج والتفكير الأرسطالى على المدرسة، حتى لم يعد لفكرة الفداء(١) أى مكان، ولم يكن ثمة شىء إلا وخضع للمنطق القياسى Nothing was too magestic for a syllagistic formula وأخذ علم اللاهوت يتحول إلى فن Tecknology أى إلى علم بالمصطلحات والمواصفات الفنية... وبعبارة أخرى أصبح علما بما يمكن استنباطه فى القياس ومالا يمكن استنباطه... على أن يكون قائماً على أساس الكتاب المقدس»... فأريوس أقام حجته على أساس المعنى المنطقى الذى يقتضيه لفظ «الابن»... قال، لابد أن يكون الآب سابقاً على الابن أو أقدم منه فى الزمان... فكيف يمكن أن يكون لله ابن مولود γεννητός وغير مولود ἄγεννῆὸς معاً؟

ولم يلبث هذا المنطق أن خان صاحبه وقاده إلى مجموعة متناقضات شنيعة واضحة التناقض، فمع أن النظرية الأريوسية تقتضى مثلاً أن ينظر إلى طبيعة الله على أنها طبيعة غامضة Mysterious ولا يمكن فهمها inscrutable حتى للابن نفسه، إلا أنهم قالوا: أن الألوهة يمكن أن تفهم فهما كاملاً بالتفكير المنطقى من جانب الإنسان... ثم أن أريوس بدأ يستخدم كلمة البنوة بمعناها المجازى، لكنه انتهى إلى حد إنكار أى نوع من البنوة الإلهية بمعناها الدقيق... وقد اعترف الأريوسيون المتأخرون بهذا الخطأ، فثبتوا على «إنكارهم» إمكان وصول العقل البشرى(٢) إلى الإحاطة بالكائن الإلهى The Divine Being

فمنهج أريوس كان محاولة لبحث غوامض علم اللاهوت وصياغتها على أساس عقلى صرف، مستعيناً فى ذلك بتشبيهات وطرق تفكير فيزيائية بحتة. وعنده أن المجرد «غير مولود (مخلوق)» το αγεννητὸν يساوى الطبيعة اللاهوتية θὲτης ولم يكن لديه فكرة ما عن الحب أو الصفات والعلاقات الأخلاقية... ومن جهة أخرى، فإن القديس أثناسيوس لم يلح فى كتابه «الخطب orations على مسألة أكثر مما ألح على سخف وتفاهة التفكير فى

(1) Harnack, Dogmengesch`ii`pp. 185, 186, cp. Fair bairn, Christ in mod. Theol. p.62.ff.

(2) ὃ φἄλλονται μεγἄλως περὶ περἶτον ἄσωμἄτον σωμἄτων ενθομοῦενοἶ

Athanasius, the orations i, 15, cp.ii.35- 36-, ii, 04 iii. 1, 63, 67.

أسرار الطبيعة الإلهية على نحو ما يفكر الإنسان فى الأمور الأرضية. قال القديس أثناسيوس: «إذا كانوا يتباحثون فيما يختص بإنسان ما، فدعهم يفكرون بهذا الأسلوب البشرى، سواء فى كلمته أو فى ابنه... أما إذا كانوا يتباحثون فيما يختص بالله خالقهم، فلا تدعهم بعد هذا يصيغون الأفكار البشرية بل الأفكار التى تعلو عن الطبيعة البشرية. ثم إنه ليس من الصواب أن نبحث فى «كيف» كون «الكلمة» من الله، أو كيف يكون هو بهاء الله أو كيف يحدث أن الله يلد، وكيف تكون طريقته في الولادة... إذ لابد أن يخرج الإنسان عن نفسه، حتى يجترىء على بحث هذه المسائل، مادام يطلب أن يشرح فى ألفاظ مالا ينطق به، وما يختص بطبيعة الله نفسه، وما لا يعرفه إلا الله وابنه... ثم «أنهم يخطئون خطأ جسيماً فى قبول أفكار مادية عما ليس هو بمادى (١) فالاعتراض الأريوسى القائل بأن فكرة الولادة تتضمن التقسيم Division أو التغير muta-bility في الله، يمكن أن يرد عليه، كما يرى القديس أثناسيوس بأنه يجب أن نبعد من أذهاننا نهائياً، أية فكرة مادية إذا ما تكلمنا عن جوهر اللاهوت.

كذلك كان الأريوسيون يستشهدون بالكتاب المقدس... وقد استعانوا بنصوص من العهد الجديد على الخصوص، واستغلوها كثيراً فى تأييد نظريتهم... وهى هذه النصوص التى تتضمن صفات إنسانية للمسيح المتجسد، لكنهم نسبوها أيضاً إلى الكلمة قبل التجسد... قال القديس غريغوريوس النيسى «أن مأربهم الخبيث من بحث المعتقدات ، هو محاولتهم أن يبينوا أن الأقوال التى نطق بها الرب من حيث ناسوته وهى تنم عن الضعف، قد صدرت عن لاهوته...»

لقد ساق الأريوسيون فى تأييد نظريتهم كل نصوص الكتاب المقدس التى تبدو أنها تتضمن إعتبار المسيح مخلوقاً، أو تنسب إليه وهو فى حالة التجسد، نقص المعرفة أو نمو المعرفة، أو الإعياء أو الحزن وغيرها من الإنفعالات أو الحالات النفسية والعقلية، والتى يبدو أنها تشير إلى خضوع الابن للآب... ومن بين هذه النصوص...

(١) لبيان وحدانية الله (تث ٦ : ٤، لو ١٨ : ١٩، يو ١٧ : ٣).

(٢) لبيان طبيعة البنوة (مز ٤٥ : ٨، مت ١٢ : ٢٨، ١. كو ١ : ٢٤).

(٣) لبيان خلقة اللوغوس (أم ٨ : ٢٢ (الترجمة السبعينية)، أع ٢ :٣٦، كو١ :١٥، عب ٣ : ٢).

(٤) لبيان نموه الأخلاقى وتطوره الأخلاقى προκοή (لو ٢ : ٥٢، مت ٢٦ : ٣٩ وما يليها ، عب ٥ : ٧، ٨، ٩ فى ٢ : ٦ ـ ٩ وما بعدها، عب ١ : ٤).

(٥) لبيان إمكان تغيره το πρέμτὸν ونقص المعرفة. (مر ١ : ٣٢، يو ١١ : ٣٤، ١٣ : ٣١).

---

(1) CP. Newman, A tn. Treatises, Vol. ii, p.43 (art. Arians CP. Greg. Naz. Grat. Theol. XXVII. 2, Sub fin.

(٦) لبيـان أنه أقل من الآب (يو ١٤ : ٢٨ ، مت ٢٧ : ٤٦ ، (قـارن) مت ١١ : ٢٧ ، ٢٦ : ٣٩ ، ٢٨ : ١٨ ، يو ١٢ : ٢٧ ، ١ . كو ١٥ : ٢٨) .

وقد عنى أثناسيوس على الخصوص بدحض تفسيرهم وتأويلهم لتلك النصوص... كما أهتم بايراد نصـوص أخـرى تكمل وتساند تلك النصـوص التى حـرض الأريوسيـون على ايرادها وابرازها دون غيرها...

ويلاحظ أنه قد صار من عادة الأريوسيين فيما بعد، أن يستعينوا فى تأييد آرائهم، بشهادات من كتَّاب الكنيسة القدامى، ومنهم على الخصوص أوريجينوس وغريغوريوس صانع العجائب، وديونسيوس الأسكندرى، فزعمـوا أن أوريجيـنوس قـال عن الابـن أنـه إلـه أو إلـه ثـان δεὔτερος θεὂς ، وليـس هـو اللـه نفسـه αὔτὸ θεος أو حتـى خَيـر فى ذاتـه αὔτομγαθος ونسبوا إلى ديونيسيوس واغريغوريوس صانع العجائب أنهما قالا عن الابن أنه «مخلوق» وأضافوا إلى هذه الأقوال المزعومة أو المنحولة على هؤلاء الأعلام، أقوالاً أخرى لعلماء آخرين فى القرن الثالث، وزعموا أنها تظاهر المذهب الأريوسى.... والواقع أن المدرسة الانطاكية قد اقتطعت جزءاً من تعليم أوريجينوس، قاصدة تبسيط التعليم المسيحى ليكون فى زعمها منطقياً ومقبولاً للعقل.... فحذفت منه الاعتقاد فى أن الابن مولود منذ الأزل... ولعلّ الأريوسية كانت امتداداً طبيعياً، لتيار قوى سرى فى ثلاثة القرون الأولى للمسيحية، لتوكيد وحدانية الله وأقنومية الابن، ضدا لتعاليم الوثنيين والهراطقة التى ناوَت الكنيسة فى هذه الفترة من تاريخها.

إمتداد الأريوسية وإزدياد خطرها على الكنيسة

وإذا كانت الأريوسية قد حالفها النجاح، وإن كان نجاحاً إلى حين، فذلك يرجع إلى أسباب عـامـة: فقـادتهـا الذين دافعوا عنهـا عـرفوا فن الإعـلان عن مـبادئـهم والعمـل على نشرها وذيـوعهـا بين الناس، وقدّموا عقيدتهـم فى صـورة مـبسطة أمكن للناس قبولهـا فى سهـولة ويـسر... وقد ألف أريوس، فى مبدأ النزاع مجموعة من الأغانى الشعبية لهذا الغرض سميت ثاليات θαλειά «الوليمة الروحية»... وبهذه السهولة إنتشرت الأريوسية، وصارت خطراً يهدد وقار العقيدة وجلالها، إذ إندفعت الجماهير الجاهلة تبدى رأيها فى أعقد المسائل اللاهوتيـة وأبعدها عن متناول اللغة البشرية، واشتد الجدل واتسعت هوة الخلاف... وأصبح أضحوكة الناس فى المسارح والساحات، وصارت النساء والأطفال تسأل فى الطرقات والشوارع أسئلة بذيئة، قال القديس أثناسيوس «تأمل كيف أنهم مضوا إلى كل مكان يذيعون تعاليمهم الفاسدة، منذ أن اخترعوا هذه الهرطقة... بل وبعضهم كانوا ومازالوا إلى اليوم يلتقون بالأطفال

فى الشوارع، ويسألونهم أسئلة لم يستقوها ولا من الكتب المقدسة وإنما من فيض قلوبهم» (١)، فيسألونهم مثلاً «هل خلق الله من العدم من لم يكن موجوداً، أو أنه خلق من هو موجود بالفعل؟ وهل ولد الله من كان موجوداً، أو لم يكن موجوداً من قبل؟ هل هناك كائن واحد موجود بذاته، أو كائنان إثنان؟؟..... «ثم يقتربون أيضاً من النساء ويسألونهم أسئلة بذيئة كهذه: «هل كان لك ولد من قبل أن تلديه؟؟.. فإذا لم يكن لك ولد، فهكذا ابن الله لم يكن موجوداً من قبل أن يولد، هؤلاء السفلة يجدون متعتهم فى أمثال هذه الدعايات التى يتبادلونها جاعلين طبيعة الله وكأنها مساوية لطبيعتهم... هؤلاء يجرأون على أن يسموا أنفسهم مسيحيين، وهم فى الآن نفسه يفعلون ما يفعله الوثنيون محاولين أن «يبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بصورة الإنسان الذى يفنى» (٢)، لقد أزعجت الأريوسية الكنيسة وأقلقت راحتها، «فكانت منازعات فى كل مدينة وفى كل قرية بخصوص العقيدة الدينية وكان الشعب يراقب ثم ينقسم إلى شيع وأحزاب» (٣)، فكانت هناك «حرب مناقطة»، نشبت فى كل مكان، فى البلاط، وفى البيوت الخاصة، وفى الشوارع والطرقات العامة، وفى الحوانيت وفى الأسواق».

وفى المرحلة الثانية للنزاع الأريوسى، وهى المرحلة التى تلت مجمع نيقية، لعب البلاط الملكى دوراً كبيراً فى توجيهها، فبعد مجمع نيقية أصبح حزب يوسبيوس مجرد حزب دينوى يعتمد على رعاية الامبراطور. يقول القديس أثناسيوس فى هذا «لما كان تعليمهم مكروها من جميع الناس، فقد رأوا أنفسهم مضطرين بالتالى إلى أن يؤيدوا هرطقتهم ويسندوها بسلطة بشرية لئلا تتلاشى بالكلية، وحتى يقمعوا بهذه الوسيلة من لا يفهمون حججهم من بسطاء الشعب، فيؤمنون بمذهبهم تحت تأثير الخوف من السلطة الامبراطورية» (٤)... ويقول بعض المؤرخين، اتفقت جميع المصادر على أن كل نجاح أحرزته الأريوسية بدأ بأوامر البلاط التى أصدرها لصالحها وتوقف بتوقفها» (٥).

All authorities are a greed that Arian Successes began and ended with Arian Command of the palace.

وكانت السياسة التى رسمها الحزب الأريوسى، هى السيطرة على جميع كراسى الأسقفيات الهامة باستخدام العنف الصريح أحياناً، والدسائس والحيل أحياناً أخرى. وقد نجحت هذه السياسة

---

(١) لو ٦: ٤٥.

(٢) رو ١: ٢٣، أثناسيوس: المقالات: مقال.: ف ٢٢

(3) Theodoret ap. Newman, Arians p. 452.

(٤) أثناسيوس: المقالات ـ مقال ١ ف ٤٣. قارن نفس المرجع: مقال ٣ ف ٢٨.

(5) Gwatkin, Studies of Arianism, P. 3.

نجاحاً تاماً فى بلاد الشرق. أما فى الغرب فلم يستطع الأريوسيون أن يحصلوا على أية سيطرة حقيقية...

ثم أن الأريوسية أخذت عن فلاسفة الوثنية تصورها لله تصوراً مجرداً Abstract وعالياً transcendental ومقابلتها بين الكائن المخلوق γενητὸν وغير المخلوق ἀγένητον وإنكارها عملياً لكل إتصال بين الإنسان وبين الله، على أنها كانت مذهباً رائجاً بين الناس نظراً لأنها نادت بعبادة مخلوق هو نصف إله، ولا ننسى أن نفوذ الوثنية كان لا يزال قوياً جداً فى كل أنحاء الامبراطورية الرومانية، وكانت الوظائف الحكومية والجيش، والمحاكم مليئة بالوثنيين.... كذلك كان التعليم بين أيدى الناس أكثرهم وثنيون، بل ويمكن أن نقول أن المجتمع العام بأسره كان لا يزال مجتمعاً وثنياً، تسيطر عليه الأفكار الوثنية وليس للمسيحية فيه إلا نصيب ضئيل جداً، ويبدو أن ظهور الأريوسية فى مدينة الأسكندرية قبل غيرها، يعزى إلى أن الظروف والملابسات كانت أكثر ملائمة فى الأسكندرية، منها فى أية مدينة أخرى لظهور هذه الهرطقة أو هذه الصورة الجديدة من المسيحية الوثنية، وأخيراً يجدر بنا أن نلاحظ أثر اليهودية فى رواج الأريوسية، لأن العقلية اليهودية يمكنها أن تستسيغ الأفكار الأريوسية لما فيها من قوة الاعتقاد فى وحدانية الله، وإنكارها للاهوت السيد المسيح وتساهلها فى ميدان الأخلاق. ولذلك فإننا كثيراً ما نرى القديس أثناسيوس(١) يتهم الأريوسيين بالتهوّد ... ولئن كان هذا الإتهام مبالغاً فيه..... لأن الأريوسية تتعارض مع المبادىء الأساسية فى اليهودية، إلا أن فى هذا الإتهام شيئاً من الحق، نظراً لأن الأريوسية تبدى فى نتائجها الأخلاقية ميلا إلى اليهودية الفاسدة، التى كانت فى انطاكية وفى غيرها من البلاد مصدر إرتباك واضطراب للمسيحيين الناشئين....

أخطار الأريوسية ومضارها العقيدية

ينبه القديس أثناسيوس فى أكثر من موضع فى مؤلفاته إلى خمسة أخطار للأريوسية، وأضرارها على العقيدة الدينية....

من ذلك أن الأريوسية تنطوى على تصور الله تصوراً خاطئاً... وهى تقرر عبادة المخلوق، مما يتعارض مع أول مبدأ من مبادىء الإعتقاد بوجود الله.

يقول القديس أثناسيوس عن الابن الكلمة «لقد خدمته الملائكة خدمة تليق بمن هو ربهم وسيدهم» (٢)، وهم يعبدونه لا لأنه يعلوها فى مجده فحسب، ولكن لأنه يسمو عالياً جداً على جميع الخلائق، وعلى الملائكة أنفسهم، من حيث أنه هو ابن الله الوحيد، وابن لأبيه فى طبيعته

---

(١) الخطب، خطبة ٢ ف ١٧ قارن أيضاً نفس المرجع خطبة ١ ف ٨.

(٢) مت ٤: ١١.

وجوهره، فإذا كان الملائكة يعبدونه لأنه فقط مخلوق أعظم منهم جلالاً... فكل مخلوق آخر يعلو غيره فى مرتبته يصبح جديراً بعبادة من هو دونه، وأقل منه مرتبة... ولكن من المحقق أنه ليس مخلوق كائناً من كان، يليق أن يكون معبوداً لمخلوق آخر. إنما هذه العبادة، يليق بل يحتم تقديمها لله العظيم... رب السموات والأرض... لذلك فإن كورنيليوس عندما وقع عند قدمى القديس بطرس وسجد له، للوقت منعه الرسول من ذلك قائلاً: «أنا أيضاً إنسان» (١) كذلك القديس يوحنا عندما خرّ على الأرض ليسجد للملاك كما ورد فى سفر الرؤيا، منعه الملاك فى الحال، وقال له «أنظر لا تفعل، لأنى عبد معك ومع أخوتك الأنبياء والذين يحفظون أقوال هذا الكتاب... أسجد لله» (٢) . فالملائكة الأطهار لا يجهلون أنهم أرفع جميع الخلائق ولكنهم يعلمون أيضاً أنهم مع ذلك لا يزيدون عن كونهم مخلوقات. ولا يمكنهم أن يدعوا لأنفسهم حقاً فى أن يعْبَدوا، وإنما فقط يجب عليهم هم أن يعبدوا الرب الإله... أما الرب (يسوع المسيح) فالملائكة تسجد له، إذ كتب عنه صريحاً «ولتسجد له كل ملائكة الله» (٣) ... وكما يحدثنا أشعياء النبى بأن جميع الأمم تتعبد له، «شعب مصر، وتجارة كوش، والسبئيون ذوو القامة، إليك يعبرون، ولك يكونون، خلفك يمشون، بالقيود يمرون، ولك يسجدون، إليك يتضرعون قائلين فيك وحدك الله، وليس آخر. ليس إله» (٤) .

وقد قبل الرب (يسوع المسيح) عبادة تلاميذه له، ومدحهم على ذلك بل وحثّهم على المداومة عليها قائلاً: «أنتم تدعوننى معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأننى أنا كذلك» (٥)، ولما قال له القديس توما «ربى وإلهى» (٦)، سمح له أن يستخدم معه هذه اللغة ولم يعنفه أو يوبخه على ذلك، بل بالأحرى وافقه على كلماته... أنه هو نفسه الذى يشير إليه المرتل (داود النبى) وسائر الأنبياء كثيراً، تحت اسم «رب الجنود» (٧) ورب الصباؤوت (٨)، وتفسيرها «رب القوات» (٩)، أنه هو الإله العظيم، إله الكل، الإله الحقيقى، والقادر على كل شىء، ولو أن هذه الأقوال قد تثير الأريوسيين، وتجعلهم يتميزون بالغضب إلى حد الجنون (١٠) . ويقول القديس أثناسيوس فى خطبة أخرى «ومع أنه قد يقال أنه (الابن) يفوق فى المجد (جميع الخلائق)، ولكنه من حيث أصله ونشأته ـ وهو ما يعنينا أولاً ـ يستوى تماماً مع أى من خلائقه التى ظهرت إلى الوجود بفعل إرادته... فإذا كان الأمر كذلك، كما لاحظنا من قبل، فكيف يكون بعد ذلك هو ربّنا، وتكون جميع الخلائق فى كل مكان، عبيد له» (١١) .

---

(١) أع ١٠: ٣٦. (٢) رؤ ٢٢: ٩. (٣) عب ١: ٦. (٤) أش ٤٥: ١٤.

(٥) يو ١٣: ١٣. (٦) يو ٢٠: ٢٨. (٧) مز ٤٨: ٨.

(٨) الجنود أو القوات צָבָא Pl.of צְבָאוֹת Heb

(٩) مز ٢٤: ١٠. (١٠) أثناسيوس: الخطب. خطبة ٢ ف ٢٣. (١١) أثناسيوس : خطبة ٣ ف ٦٤.

وتنكر الأريوسية الوحى أو الإعلان الإلهى Divin revelation وترى أنه مستحيل، فالله، تبعاً للنظرة الأريوسية يعيداً عن الإنسان بعداً لانهائياً، وسيظل بالنسبة للإنسان سراً خفياً، لا يعبر عنه، ولا يمكن إدراكه، ولا معرفته كما أنه لا يمكن أن يقال عنه أنه يكلم ذاته، أو أنه يلد... إن الله وحدة بسيطة مجردة... هو العلّة الأولى بالنسبة إلى العالم... وهو مستقل عن الخليقة إستقلالا تاما، وبعيداً عن متناول القدرات البشرية بعداً تاماً...

وقد أستغل القديس أثناسيوس الرسولى هذه المسألة فى الرد على الأريوسيين... فقال: «إن جميع الكائنات مخلوقة.... وكذلك الابن على قول الأريوسيين مخلوق، ولكن الله الآب والله الابن كلاهما يؤكد لنا أنه ليس هناك كائن مصنوع أو مخلوق، أيا كان، بقادر على أن يكون له علم مباشر أو معرفة يقينية بطبيعة الآب الإلهية... وأن قوى جميع الأرواح المحدودة هى من الضيق بحيث أنها لا تستطيع أن تقتبل تلك الفكرة الهائلة، وهى من الضعف أيضاً بحيث لا تستطيع أن تحتملها... يقول الآب: «لا يقدر إنسان أن يرانى ويعيش» (١) ويقول الابن، «وليس أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن» (٢) ... وعلى ذلك يلزم لخصومنا إما أن ينكروا أن الابن هو وحده الذى يدرك طبيعة الآب، ويعلنون أنهم لا يصدقونه عندما يقول لهم «ليس أحد رأى الآب إلا الذى من الله» (٣) وأنه «ليس أحد يعرف الآب إلا الابن»، وإما يلزمهم أن يقروا أن الابن لا يمكن أن يكون مخلوقا... ألم يكن هو (الابن) الابن الوحيد لله، بالمعنى الحرفى؟ ولماذا يكون مستحيلاً أبداً بالنسبة للكائنات الأخرى العاقلة أن تتوصل إلى معرفة صحيحة وكاملة بالآب؟ وكيف يكون إبناً بالمعنى الحرفى الدقيق إلا إذا كان حقاً هو من جوهر الآب بالذات.. إنى أرجو أن تغفر لى كثرة تكرارى نظرا لعظم خطورة هذا الموضوع... فإن إحلال ابن الله مكاناً بين مصنوعاته ومخلوقاته تجديف مريع، ومن الغباء والكفر أن يقال عنه «أنه مخلوق ولكن ليس ككل المخلوقات» وأن يقال عنه «أنه مصنوع ولكن ليس ككل المصنوعات، وأنه مولود ولكن ليس ككل المولودات»... إذ كيف لا يكون هو من بين تلك الأشياء ، إذا كان حقاً ما يقولون من أنه لم يكن موجوداً قبل أن يولد؟ (٤).

ويرى الأريوسيون أن الابن لا يمكن أن تكون له أية معرفة جوهرية عن الآب. يقول أريوس فى ثاليته: إن الآب خفى (مستور) حتى عن الابن، فالكلمة لا يستطيع أن يرى أباه كامل الرؤية. أو يعرفه تمام المعرفة، لا بل إن الابن لا يعرف أيضاً حتى جوهره الخاص»...

يقول القديس أثناسيوس «ثم أن أريوس يجرؤ على القول بأن الكلمة ليس هو الإله الحقيقى، فعندما يسمى الكلمة الله، فهذا كلام رمزى فقط يشير إلى الامتيازات التى زوده الله بها. هكذا

---

(١) خر ٣٣: ٢٠.   (٢) مت ١١: ٢٧.   (٣) يو ٦: ٤٦.

(٤) أثناسيوس : الرد على الأريوسيين، خطبة ٢: ف ٢٢.

يقول أريوس. فكل ما يتصل بالابن متميز ومنفصل عن الآب. إذ الابن يتعلق بالمخلوقات سواء كانت من الأشياء أو من الأشخاص الذين هو واحد منهم، ويتمادى أريوس فيزعم بأساليب شيطانية أن الآب خفى (غير منظور) عن الابن، وأن الابن لا يستطيع أن يعرف الآب معرفة حقيقية كاملة. وعندما يقول أن الابن يعرفه ويراه فمعناه أنه يعرفه ويراه بقدر ما يمكنه أن يفعل ذلك، كما هو الحال تماماً بالنسبة لنا نحن الذين لا نستطيع أن ندرك الله إدراكاً كاملاً. وبهذا القصور يكون الابن ليس جاهلاً فقط بطبيعة الآب بل وبطبيعته هو أيضاً... فكيان وطبيعة كل من الآب والابن والروح القدس مختلفان عند كل منهم، عنهما عند الآخر اختلافاً كبيراً.. وطبيعة الكلمة ومجده لا علاقة لهما بطبيعة ومجد الآب والروح القدس... إن هذا الرجل الكافر يعلن بصراحة أن الابن كائن قائم بنفسه تماماً، وليست له شركة بطبيعة الآب. إن هذه الآراء مأخوذة من ذلك الكتاب الذى لا يستسيغه العقل، والذى يستوجب السخرية الذى كتبه أريوس (١).

وعلى ذلك فإنه نظراً لاستشراف الله وسموه وحطه الإنسان، حكم على الإنسان أن يظل إلى الأبد بعيداً عن الله، (٢).

والتعليم الأريوسى يهدم نظرية الفداء والكفارة... لأنه يقول بأنه لم يكن ثمت اتحاد حقيقى بين اللاهوت والناسوت، يقول أثناسيوس: إذا لم يكن الابن إلا مخلوقاً لزم أن يبقى الإنسان كما كان سابقاً خاضعاً للموت، لأنه لم يتحد بالله، وإذا كان اللوغوس مخلوقاً، وكانت هناك حاجة إلى وسيط بين الخالق والمخلوق، وكان الأخير عاجزاً عن أن يحتمل لمسة الله الملتهبة (غير الملطفة).

τῆς τοῦ πατρὸς ἀκράτου χειρὸς

حينئذ يصبح اللوغوس نفسه فى حاجة إلى وسيط، وهذا الوسيط إلى ثان... وهكذا إلى مالانهاية εἰς ἄπειρον

يقول القديس أثناسيوس «إذا كان الابن مخلوقا فما كان يمكن أن يتم اتحادنا بالله، وبالتالى كان يبقى الإنسان ميتاً، فالمخلوق لا يملك القوة التى بها يصل نفسه أو غيره من المخلوقات بالله... والكائن المخلوق لا يقدر أن يخلص نفسه، فبالأولى لا يقدر أن يخلص مخلوقا آخر» (٣).

---

(١) أثناسيوس: الرد على الأريوسيين. خطبة ١ ف ٦.

(2) Dorner, Person of christ div. i. vol. ii. p. 240

(٣) أثناسيوس: الرد على الأريوسيين. خطبة ٢ ف ٦٩. راجع نفس المرجع خطبة ٢ ف ٢٦.

وفى كلمة واحدة، أن الوساطة تبعاً للنظرية أريوس تصبح مستحيلة... وأعظم ما يستطيع الإنسان أن يبلغ إليه هو النبوة الأدبية، لكنه لا يستطيع أن يحتمل الاتصال بالروح الإلهى أو بشخص الله... ولا يستطيع أن يكون شريكاً فى الطبيعة الإلهية... (١) إنما الإنسان، على قول أريوس أو تبعاً للنظرية الأريوسية، يقدر كما كان المسيح قادراً على «شركة النعمة» μετοχη χάριτος وينبغى أن يكتفى بأن يحاول - معتمد على ذاته - أن يتبع مثال المسيح... وعلى ذلك فإن الأريوسيين قد جعلوا مشكلتهم مستحيلة، إذ أهملوا أحوالها الروحية. لقد صار المسيح عند أريوس، على ما يقول جواتكن: «شاهداً لا على محبة الله، بل على هوة وراء قوة الله يجب عبورها... والوحى - تبعاً لهذه النظرية - اضحوكة والكفارة تعبير عقيم تافه، وعلى ذلك فقد مات المسيح عبثاً» (٢) ... ولكن هل يمكن لمخلوق أن يمنح مصدر التقديس الذى لا يستطيع غيره أن يقدسه به، وهل يمكن لمخلوق أن يهب الحياة التى تستطيع هى دون غيرها أن تجدد المخلوق الذى فصل عن خالقه بفعل الخطية...

موقف الكنيسة من «الأريوسية»

لقد وجدت البدعة الأريوسية بعض التأييد فى مصر، ولكنها وجدت أرضاً خصبة فى فلسطين وسوريا حيث التقت أفكار أريوس بأفكار سابليوس التى كانت قد تفشت فى تلك البقاع... ومهما كان الأمر، فإن أعظم مؤيد للأريوسية هو يوسابيوس النيقوميدى.. فقد قبلها ودافع عنها مدفوعاً لا إيماناً بمبادئها فقط، ولكن بكراهيته وعداوته لأسقف الأسكندرية.. وقد عقد يوسابيوس هذا مجمعاً فى بيت عنيا، أيد فيه أريوس ومعتقداته. غير أن يوسابيوس القيصرى بذل جهده فى إيجاد حسن التفاهم بين أريوس وبين أسقفه الأسكندرى... ولما انتصر الملك قسطنطين على ليسينيوس Licinius ودانت له الامبراطورية سنة ٣٢٣، وجد نفسه مضطرا إلى أن يتدخل فى هذا النزاع الدينى، الذى أقلق كل مناطق الشرق فى الامبراطورية.... ولم يستطع أن يتغافل عن خطر هذا الاضطراب فى مصر وأثره من الناحية السياسية، ولذلك كتب للقديس الكسندر، ولأريوس يستحثهما على أن يكفا عن هذا النزاع «التافه»... «المشين»... حباً فى السلام. وقد حمل هذه الرسالة إلى الأسكندرية أسقف من الغرب اسمه هوسيوس الكوردوفى Hosius of Cordova، ويبدو أنه لم يكن وسيطاً محايداً فى هذا النزاع فلم تجد جهوده شيئاً، ويظهر أنه اتفق مع البابا الكسندروس على استمالة الملك قسطنطين إلى أن يدعو إلى عقد مجمع مسكونى عام. إنعقد هذا المجمع بالفعل فى نيقية فى يونيو ٣٢٥م.

---

(١) ٢. بط ١: ٤.

(2) Gwatkin, Studies of Ariaism, p. 26.

وهنا يجدر بنا أن نلاحظ أن آباء الكنيسة ومعلميها قد اعترضهم فى سبيل الدفاع عن الإيمان الأرثوذكسى صعوبات ثلاث، لم يكن من السهل عليهم تخطيها فى نزاعهم مع خصوم عنيدين لا يهدأون، خصوم لا إخلاص لهم ولا ضمير...

أولاً: كتمان وسرية العقائد المسيحية (disciplina arcani) :

وهذا مرده إلى سببين:

(١) أنه لم يكن قد وضع حتى ذلك الوقت قانون للإيمان معتمد من الكنيسة الجامعة الرسولية.

(٢) التوقير الشديد لحقائق الإيمان الموحى بها.

كان التعليم فى الكنيسة الأولى شفهياً... وكان إكتسابه إمتيازا عظيماً... وكان من نتيجة هذا التكتم إزدياد الإحترام العميق لأسرار الديانة المسيحية... ولم يبذل أحد جهداً فى تعميم المعتقدات المسيحية ونشرها بين الناس، فكانت معرفة الحقائق المسيحية إمتيازاً موقوفا على المعمدين وحدهم... إذ كان قانون الإيمان التقليدى traditio symboli عنصراً أساسياً فى طقس المعمودية عند الغربيين... حتى أن المؤرخ سوزومين Sozomen اعتذر عن سرد قانون الإيمان النيقوى فى تاريخه فقال: «لا يبعد أن يقع هذا الكتاب بين أيدى إناس غير مسيحيين» (١) ... ولربما كان للهيئات والجمعيات الدينية السرية فى العالم الوثنى أثر كبير على الكنيسة المسيحية.. ولكن لا شك أنه كان على المسيحية أن تصحح من ابتكارات الطبيعة البشرية الجاهلة، وتؤلف بينها وتكمل نقصها... ومهما يكن من أمر فإن مبدأ التعليم السرى لعب دوراً هاماً فى سياسة الكنيسة الأولى، وسلوكها العملى...

ثانياً : الاعتقاد بأن اللغة البشرية قاصرة عن أن تعبر تعبيراً كاملاً عن الحق الإلهى:

كان إتجاه آباء الكنيسة ومعلميها دائماً إلى مقاومة التفكير فى أسرار الإيمان العظمى. قالوا بقصور الفكر البشرى وعجز اللغة البشرية، ونبهوا إلى مزيد من الحذر، لاسيما بالنسبة إلى موضوع الولادة الإلهية. فاعترفوا بجهلهم فيه، واذعنوا إلى أن العقل البشرى محدود، وسلموا بالحقائق الموحى بها بدون فحص أو بحث فى كيفيتها... وقد نادى القديس أثناسيوس بهذا فى وضوح واعترض بشدة على إستعمال السؤال «كيف؟» فى بحث العلاقة بين الأقانيم الثالوثية، أو فيما يتعلق بكيفية الولادة الإلهية.. ويقول فى موضع آخر كلاما بهذا المعنى:

(1) Hibbert Lectutes, x, p. 293 note, Newman, Chap. 11, 1.

ونحن لا نملك أن نتعجب من الأريوسيين لأنهم إذا كانوا لا يسمعون للآب والابن، فكيف يقنعون أو يصدقون بشهادة القديسين، الذين يقول واحد منهم أن الكلمة هو «بهاء مجده ورسم جوهره» (١) ... وأن «المسيح»: «هو قوة الله وحكمه الله» (٢) ... ويقول غيره في المزمور «عندك ينبوع الحياة... بنورك نرى نوراً» (٣) ... وأيضاً «كلها بالحكمة صنعتها» (٤) ويقول الأنبياء: «وجاءت إليّ كلمة الرب» (٥) ... ويقول القديس يوحنا «في البدء كان الكلمة» (٦) ... ويقول القديس لوقا «سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معلمين وخداماً للكلمة» (٧) ... ويقول داود «أرسل كلمته وشفاهم» (٨) ... إن جميع هذه النصوص تنقض من كل وجه البدعة الأريوسية من أساسها، وتؤيد التعليم بأزلية الابن مع الآب... وأنه قائم في جوهر الآب... أفهل رأى أحد النور من دون بهائه، أو (رأى) صورة أو رسماً دقيقاً يختلف عن الأصل؟؟.. أو كيف لا يكون من الجنون المطبق أن يدور بخلد إنسان، أن الله كان وقتاً ما بلا كلمة أو بلا عقل أو بلا حكمة!!...؟ والكتاب المقدس يقدم لنا هذه الإيضاحات وهذه الأمثلة، نظراً إلى قصور الطبيعة البشرية عن أن تدرك الله... فعن طريق هذه الإيضاحات وهذه الأمثلة، يمكن أن نكوّن نحن فكرة ما بقدر الإمكان، ولو كانت غير واضحة وناقصة جداً» (٩).

وبمثل هذه اللغة تكلم كذلك القديس غريغوريوس النيسي عن سر الاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت في شخص ربنا يسوع المسيح.

ثالثاً: جمعت الكنيسة مجمعاً لتواجه التعاليم المحدثة التي نادى بها أريوس، بالتقليد العام في الكنيسة الجامعة الرسولية:

وهذا هو نفس المنهج الذي اتبعه بطريقة غير رسمية كُتّابٌ من أمثال ايريناوس وترتليانس، أما في القرن الرابع فقد لبس هذا المنهج صورة جديدة وهي عقد مجمع مسكوني عام... وهنا يجدر بنا أن نلاحظ أن التقليد الذي سارت عليه الكنيسة منذ ابتدائها، قد ظهر واضحاً في مجمع نيقية، وأخذ صورة محددة ومعتمدة رسمياً من الكنيسة... يقول القديس أثناسيوس: أما بالنسبة إلى

---

(١) عب ١: ٣.
(٢) ١. كو ١: ٢٤.
(٣) مز ٣٦: ٩.
(٤) مز ١٠٤: ٢٤.
(٥) أر ٢: ١.
(٦) يو ١: ١.
(٧) لو ١: ٢.
(٨) مز ١٠٧: ٢٠.
(٩) أثناسيوس: الرد على الأريوسيين، خطبة ٢ ف ٣٢.

الإيمان فلم يكتب الآباء قائلين «إنه يبدو حسناً «وإنما قالوا: هكذا تؤمن الكنيسة الجامعة «وعلى ذلك فقد صرحوا بالأساس الذى يقوم عليه اعتقادهم، لكى يبينوا أن آراءهم ليست جديدة، وإنما هى معتقدات رسولية، وأن ما كتبوه لم يكن من إختراعهم بل كان هو نفس التعليم الذى علم به الرسل (١).

مجمع نيقية: -

إنعقد سنة ٣٢٥ من ٤١٨ أسقفاً كان أكثرهم من كنائس الشرق، وعدد قليل من كنائس الغرب. وقد أناب أسقف روما قسيسين إثنين لحضور المجمع... ويرجح أن هوسيوس الكوردفى أو أسقف قرطبة هو الذى رأس المجمع. وقد وضع المجمع صيغة قانون الإيمان، وكان من الضرورى أن يؤلف قانون الإيمان، من مختلف دساتير الإيمان المعروفة فى الكنائس... وقد ألف أريوس وحزبه قانوناً للإيمان رفضه المجمع... كما قدم يوسبيوس القيصرى قانوناً يعبر عن إيمانه وإيمان الكنيسة التى يرعاها... وكان يوسابيوس هذا من أعلم أعضاء المجمع... وأكثرهم إلتصاقاً وإخلاصاً لأفكار أوريجينوس... وكان يعد أية محاولة لتحديد عقيدة التثليث المسيحى، بأدق مما فعل أوريجينوس بدعة وتعليماً جديداً لا يوافق هو عليه... ويتميز قانون الإيمان الذى وضعه يوسابيوس القيصرى بأنه مختصر، لكنه تخلص من المشكلة الحقيقية فى الموضوع، والتى أثارها أريوس والتى بسببها إنعقد مجمع نيقية، يشتمل على شىء لا يقبله أريوس بطريقته الخاصة.

ومن أهم ما جاء فيه:

«(ونؤمن برب واحد يسوع المسيح، كلمة الله، إله من إله، نور من نور، حياة من حياة، ابن وحيد الجنس، بكر جميع الخلائق، مولود من الآب قبل كل الدهور، به كان كل شىء الذى من أجل خلاصنا تجسد...)».

وعلى الرغم من أن أكثر أعضاء المجمع من الآباء المحافظين، قبلوا قانون إيمان يوسابيوس القيصرى، إلا أن القديس الكسندروس بابا الأسكندرية وتلميذه أثناسيوس وأتباعهما لم يقنعوا بهذا القانون الموجز الذى لا يشتمل على إدانة صريحة للأريوسية... لذلك فقد وافقوا على قانون الإيمان القيصرى، ولكنهم أصروا على تعديله بحيث يتناول فى نوع من التفصيل رفضاً صريحاً للمبادىء الهرطقية التى نادى بها الأريوسيون... فاقترح الامبراطور بايعاز من هوسيوس أسقف

---

(1) A th.. de Syn. v. (A th. treatises, i. 68).

قرطبة، أن تضاف إلى القانون عبارة «الواحد فى الجوهر» ὁμοούσιος ومع ذلك كان لابد من تعديل بعض الصيغ والعبارات وشرحها فى تفصيل ووضوح... وقد ساهم أساقفة إنطاكية وأورشليم بعض المساهمة مع الوفد الأسكندرى فى وضع الصيغة النهائية لقانون الإيمان، ومن أهم التعديلات التى أحدثت، إحلال كلمة «الابن» بدلاً من «اللوغوس» فى المادة الثانية ثم تعريف كلمة γεγεννημενὸν بما هو أكثر منها دقة فى التعبير.

γεννηθὲντα ἐκ τοῦ παρὸς μονογενή

τοντἐστιν ἐκ της ουσῖας τοῦ πατρος

«الوحيد الجنس المولود من الآب، بمعنى أنه من جوهر الآب: ثم:

θεὸν ἄληθινὸν ἐκ θεοῦ ἄληθινοῦ γεννη

θὲντα οὔ ποσηθὲντα ὁμοοσσιον τωπατρι

«إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد من الآب فى الجوهر».

ويلاحظ كيف قوبل فى العبارة الأخيرة مقابلة واضحة بين كلمتى الولادة و «الخلق» فى عبارة مولود غير مخلوق. وقد كان الأريوسيون يتعمدون الخلط بينهما... كما أن كلمة σαρκωθὲντα تجسد وهى كلمة غامضة قد فسرت بإضافة كلمة ἐνανθρωπ ήσαντα تأنس إليها .... وأخيراً أضاف المجمع حروما تمنع التفسير الأريوسى لقانون الإيمان منعا باتا....

ولم يتفق المجمع على قانون الإيمان إلا بعد مناقشات حامية طويلة، وإعتراضات شديدة أثارها بعض الأعضاء فى مبدأ الأمر حول عبارة «واحد مع الآب فى الجوهر» ὁμοούσιος وعبارة «من جوهر الآب» ὀὔσῖας τὸν πατρος

وكان الامبراطور يتدخل أحياناً لتلطيف جو المناقشة... وأخيراً وافق المجمع ووقع أعضاؤه على قانون الايمان... ورأى يوسابيوس القيصرى أن يكتب لكنيسته رسالة يشرح فيها موقفه ويفسر فيها قرار المجمع... ثم قرر المجمع إدانة أريوس، وحكم عليه بالنفى، كما قرر أيضاً حرق جميع مؤلفاته، ووصم اتباعه منذ ذلك الحين بأنهم أعداء المسيح.

التعبير: «واحد فى الجوهر» أو «قائم فى ذات الجوهر» ὁμοούσιος

ونحن لا نعلم غير القليل مما حدث بالفعل فى مجمع نيقية... ولهذا لا يمكن أن نقطع بيقين كيف ظهرت كلمة ὁμοούσιος فى جو مناقشات المجمع... لم ترد فى رسالة

الكسندروس... فلا يبعد أن تكون قد جاءت على لسان أثناسيوس عند احتدام الجدل، وتحمس لها أوسيوس أسقف قرطبة، والامبراطور قسطنطين، فنحن نقرأ هذا التعبير فى خطب أثناسيوس فى الرد على الأريوسيين... فيقول : «إننا نؤكد أن الابن هو ابن الآب بالطبيعة والجوهر، وهو قائم مع الآب فى الجوهر الواحد. إنه حكمة الآب والابن الوحيد وهو كلمة الله الوحيد الحقيقى... فليس هو مصنوعا ولا مخلوقاً، وإنما هو مولود وهو كائن مع الآب فى جوهر واحد، لهذا نقول أنه الإله الحقيقى، حيث أنه كائن مع الآب فى جوهر واحد» (١).

وكان لابد أن تلقى كلمة ὁμοούσιος إعتراضات شديدة ليس فقط لأن هذه الكلمة قد رفضت سنة ٢٦٩، بمناسبة بدعة بولس السموساطى نظراً للإشكالات التى أثارها بولس، ولكن لأنها على الخصوص لم ترد فى الكتب المقدسة... وإستخدام تعبير لم يرد ذكره فى كتب الوحى أمر مستحدث وخطير.... وزيادة على ذلك، فإن كلمة ὁμοούσιος تنطوى على معنى من معانى هرطقة سابيليوس... إذ لما كان جوهر الله οὔσιος مساو لأقنومه أو لشخصه، فقد قيل أن ما هو قائم معه فى الجوهر ὁμοούσιος لابد أن يكون منطوياً فى جوهره كما هو الحال تماماً بالنسبة إلى الانسان، إذ عقل الإنسان أو كلمته («اللوجوس: (λογος) هو جزء منه... وقال بعض آخر أن كلمة ὁμοούσιος لها معنى مادى.... وعلى هذا أنكر أريوس فى رسالته إلى البابا الكسندروس الفكرة التى عزاها هو نفسه إلى المانويين وهى: أن يكون المولود الإلهى جزأ كائناً مع الآب فى جوهر الله.

وعلى الرغم من هذه الإعتراضات ، فقد وجدت كلمة ὁμοούσιος أسباباً قوية تبرر إدخالها فى قانون الإيمان:

أولاً: لأن الضرورة كانت تدعو إلى استخدام هذه الكلمة... فلم يكن ثمت تعبير آخر أصلح من هذا التعبير لنفى الفكرة الأريوسية، ولحمايةتعليم الكتب المقدسة من محاولات أريوس لإفساده... فالمعنى الرئيسى الذى تنطوى عليه كلمة ὁμοούσιος هو أن الابن ليس مخلوقاً... ولا يكفى لإيضاح هذه الحقيقة أن يقال أن الابن من الله ἐκ θεοῦ فقد يحتج أريوس بعبارة الرسول بولس فى رسالته الأولى إلى كورنثوس: «لنا إله واحد، الآب

(١) الرد على الأريوسيين، خطبة ١ ف ٩.

الذى منه جميع الأشياء، (١) ἐξὄντα πάντα ويزعم أن الابن هو أيضاً من بين «جميع الأشياء» Τά παντα كذلك لا يكفى أن يقال عن الابن أنه الصورة المطابقة للآب. ἄπαράλ λακτος ἐικών فقد يقال أيضاً عن الكائنات المخلوقة، أنها تماثل الله أو تشبهه بمعنى نسبى أو أدبى... لذلك فلا مفر من استخدام كلمة ὁμοούσιος لحماية تعليم الكتب المقدسة، الذى تسلمته الكنيسة عن طريق التقليد الشريف..... ولما كان أباء الكنيسة يخشون من استعمال ألفاظ ميتافيزيقية، خوفاً من إعاقة الإيمان المودع فى الكنيسة المقدسة.... لهذا فقد ألزمتهم الضرورة إلى إستخدام كلمة ὁμοούσιος التى تلخص التعليم المسيحى، وبذلك يقضون على تعاليم الهراطقة ويبينون أن الكلمة ليس مخلوقاً.

ثانياً: لأن السياق يحدد المعنى المقصود من كلمة ὁμοούσιος ولا سيما الحروم التى ألحقت بقانون الإيمان. فليس ثمت خطر من استخدام كلمة ὁμοούσιος ولا خوف من أن تستدعى إلى الأذهان شيئاً من أفكار سابيليوس المبتدع، مادامت كلمة ὁμοούσιος محمية بعبارات أخرى مثل «الابن الوحيد الجنس» بمعنى أنه من جوهر الآب μονογενή τούεστιν ἐκ τής ονσιας πατρος ثم أنه لا مجال أيضاً لأى تفسير أو تأويل مادى لكلمة ὁμοούσιος لأن الله روح، وهو واحد فى الجوهر، كما هو معروف.....

ثالثاً: أما أن كلمة ὁμοούσιος قد سبق أن رفضت بالفعل فى أنطاكية، فلأنه كان من الممكن أن يساء استخدامها وفهمها فى ذلك الوقت بطريق المغالطة. وقد شرح القديس أثناسيوس هذه المسألة شرحاً وافياً، وأبان حقيقة الموقف فى انطاكية... وقال أثناسيوس، أن أكبر معلمى الكنيسة من أمثال أوريجينوس وثيوغنوستوس Theognestus وديونسيوس، قد استعملوا هذه الكلمة ὁμοούσιος أو ما يقابلها تماماً، بالمعنى الذى تقبله الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية، أى بنية إثبات أن ابن الله هو ابن حقيقى، ولذلك فهو إله وغير مخلوق، ويوسابيوس القيصرى نفسه يصرح فى رسالته إلى كنيسة قيصرية بأن «بعض العلماء والمشاهير من قدامى الأساقفة والكتاب قد استخدموا هذا التعبير (٢) ὁμοούσιος

---

(١) ١. كو ٨ : ٦.

(٢) رسائل أثناسيوس ١ ف ٥٨، ٢ أنظر تحت ὁμοούσιος

وعلى ذلك فكلمة ὁμοούσιος استخدمت فى انطاكية واستخدمت فى نيقية... ولكن ليس بمعنى واحد eadem materia فقد استخدمها بولس الساموساطى بمعنى، ولكن أريوس رفض استخدامها بمعنى آخر...

وهكذا انتهى مجمع نيقية إلى إقرار قانون للإيمان وصفه القديس أثناسيوس الرسولى بأنه «يحمى الحق والتعبد للمسيح».

ἔκ δικοῦντες μὲν τὴν ἀλήθειαν καί τὴν εἰς χριστὸν εὐσεβειαν (١)

ولكن النصر الذى أحرزه المدافعون عن الإيمان فى مجمع نيقية، لم يكن نصرا نهائيا على الأريوسية، ولا نزعم أنه استطاع أن يقضى قضاءا تاما على المتاعب التى سببتها الأريوسية للكنيسة. لقد كانت الأريوسية ثورة على التعليم المسيحى فى أزلية الابن، لكن هذه الثورة لم تخمد فى سهولة ويسر، بل ظلت الكنيسة تجاهد ضدها بعد مجمع نيقية أيضا بنصف قرن من الزمان، كان مليئا بالأحداث الأليمة فى الشرق والغرب... وكاد الإيمان فى لاهوت المسيح أن يفنى، لو لم يهب الله للكنيسة القديس أثناسيوس الرسولى بابا الأسكندرية فى ذلك الوقت... فقد كان له من صفات الثبات والصمود والعناد فى الحق، ما كفل له الانتصار الحاسم، على أكبر بدعة كادت أن تمحو كيان الكنيسة المسيحية من كل الأرض. لقد حفظ الله أثناسيوس بعناية خاصة فلم يخطئ فى تعليمه ولا فى تعبيره، بصورة جعلت كل عبارة من أقواله تعبيرا سليما عن عقيدة الكنيسة الجامعة... وجميع الكنائس فى الشرق والغرب تعد أثناسيوس ليس أكبر معلميها فقط، بل وأيضا حامى الإيمان الرسولى... وقد أنصف من دعاه من المؤرخين بمؤسس المسيحية الثانى...

كان لأثناسيوس عقلية لاهوتية ممتازة جدا، ومقدرة غير عادية على ألا يغال فى الأنظار اللاهوتية من دون أن يزل عقله أو يخطئ لسانه أو قلمه... وفضلا عن هذا، فقد كانت له صفات روحانية تمشت بموازاة عجيبة مع عقليته اللاهوتية... فكان بهذا كله أبرز رجل من قديسى الكنيسة، توافرت لديه أرثوذكسية الحياة الروحية بقدر ما توافرت له أرثوذكسية العقيدة الدينية..

قال أحد اللاهوتيين من أساقفة الكنيسة الإنجليزية «احتاجت الكنيسة إلى تربية طويلة قبل أن تصبح جديرة بأن تفسر التعليم الرسولى الحقيقى... وقد أتيح لها ما لزمها من هذه التربية، بفضل الصراع الذى صارعته أكثر من قرنين مع الغنوسيين والأبيونيين والسابليين والأريوسيين، فليس الخلفاء الحقيقيون للرسل بهذا المعنى، هم آباء القرن الثانى. وإنما هم آباء القرنين الثالث والرابع... حقا إننا نجد فى شروح العصر النيقاوى مصطلحات فنية وتعريفات

(1) de Syn. Liv,

(تحديدات منهجية) لكن فكرة شخص (أو أقنوم) المسيح التى واجه بها القديس بولس اليهودية الغنوسية، هى فى صميمها وجوهرها الفكرة عينها التى عارض بها آباء هذه القرون المتأخرة، السابيلية والأريوسية فى عصرهم (١).

وبالإجمال لقد حاولت الأريوسية أن تخضع المسيحية للمنطق وللفلسفة ففشلت، وتحاول الأريوسية الجديدة ممثلة فى شهود يهوه ما حاولته أمها من قبل، ولكن الذى حفظ الكنيسة فى القديم سيحفظها إلى يوم يبعثون، وستفشل كل الجهود البشرية المستندة إلى حيل الشيطان وأساليبه، كما فشلت للهراطقة جهود من قبل... فويل للذين يجندون نفوسهم لمقاومة بيعة الله المقدسة... وطوبى للذين يحفظون الإيمان بلا تغيير ولا انحراف، ولا تطوير... والشيطان وإن أزعج الكنيسة ويزعجها إلى مجئ المسيح الثانى، لكنه لن ينتصر عليها... فالرب وليها حي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها.

النصوص
التى اعتمد عليها أريوس واتخذها أساسا لبدعته

أولا : نصوص لبيان وحدانية الله :

(١) «اسمع يا إسرائيل إن الرب إلهنا رب واحد» (٢)

هذا النص يدل على الوحدانية ولا يتعارض مع التثليث، والمسيحية الأرثوذكسية تؤمن بالوحدانية وتؤمن أيضا بالتثليث، ولا تعارض بين الوحدانية وبين التثليث.. لأن الوحدانية من جهة وأما التثليث من جهة أخرى...... الوحدانية فى الجوهر وفى الذات الإلهية، لأن الجوهر الإلهى واحد والذات الإلهية واحدة... وأما التثليث فتثليث فى الأقانيم... تثليث فى الصفات الإلهية وهى الصفات التى تقوم عليها الذات الإلهية... وبدونها تنعدم الذات الإلهية الواحدة... وهذا النص المقدس أورده السيد المسيح فى العهد الجديد كما هو للدلالة على الوحدانية... وهذا النص هو أحد النصوص التى استند إليها مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥م عندما قرر قانون الإيمان.

«نؤمن بإله واحد» وعندما قال أيضا «نؤمن برب واحد».

وإذا كان أريوس يورد هذا النص ليعارض به عقيدة الكنيسة المسيحية الأرثوذكسية فى التثليث وفى أزلية السيد المسيح له المجد، فهذا يدل فى نفس الوقت على سوء فهم أريوس للعقيدة المسيحية فى التوحيد والتثليث معا...

---

(١) الأسقف ليتفوت Lightfoot فى تفسيره الرساله إلى كولوسى - الطبعة ٧ ص ١٢٥.

(٢) تث ٦ : ٤.

(٢) «فقال له يسوع لماذا تدعونى صالحا إنه لا صالح إلا الله وحده»(١)

وهذا نص آخر يؤيد الوحدانية ولا يتعارض مع التثليث.. فالسيد المسيح عندما نطق بهذا القول القدسى، أراد به أن يستثير إيمان الشباب الحقيقى فى شخصه المبارك باعتباره الإله المتجسد... حيث أن الله فى حقيقته وجوهره غير منظور... ولكنه أصبح منظورا منذ التجسد الإلهى، والمسيح له المجد وهو الله منظور فى الجسد، أو هو الله وقد أصبح له كيان جسدى وصورة منظورة محسوسة، أو هو الله محتجبا فى الناسوت الظاهر للناس.

إن الشاب الغنى ابتدر حديثه للسيد له المجد بقوله أيها المعلم الصالح. والسيد المسيح يريد أن يستدرج الشاب إلى الإيمان الحقيقى بشخصه المبارك، فقال له «لماذا تدعونى صالحا، إنه لا صالح إلا الله وحده».

وكأنه يقول له : هل كان تلقيبك لى بأنى معلم صالح سخاءا فى التعبير، أم كان قولك صحيحا دقيقا يعبر عن عقيدة كامنة فى نفسك... فإذا كان قولك سخاءا فى التعبير... فهو قول خاطئ لأن الصلاح الكامل صفة يتفرد بها الله وحده... وإذا كان قولك صحيحا ودقيقا ويعبر عن عقيدة كامنة فى نفسك بأننى صالح فهو إقرار منك بأننى هذا الواحد الصالح... وبعبارة أخرى أننى هو الله الذى يتصف وحده بالصلاح.

والقول كله فى تعبير سيدنا وفادينا إشارة من كثير من إشاراته المقدسة التى أشار بها إلى لاهوته، لأن سيدنا وإن كان قد جاء محتجبا فى الناسوت وقد أخفى لاهوته عن الشيطان، لكنه من وقت لآخر كان يشير بالقول تارة وبالمثل تارة أخرى، وبالعمل تارة ثالثة إلى حقيقة لاهوته، على أنه كان يعود بعد كل قول أو مثل أو فعل يشير به إلى لاهوته، كان يعود إلى إخفاء لاهوته من جديد فى تصرف من تصرفات الضعف البشرى، كالجوع والعطش والتعب والنوم والصلاة الضارعة والألم الذى يدل على حقيقة ناسوته وكماله...

(٣) «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك والذى أرسلته يسوع المسيح» (٢)

المعنى هنا أن المعرفة بالله هى الحياة الأبدية، ولن تكون كذلك إلا إذا كانت معرفة خصبة عميقة غنية حية ممتدة. ليست إذن مجرد معرفة نظرية سطحية ضحلة، لأن هذه الأخيرة ليست فى حقيقتها معرفة... ولعلها أقرب إلى الوهم من الحقيقة، والذى يعرف الله معرفة حقيقية باطنية عميقة، يكون حياً حياة لا يسودها الموت ولا يقوى عليها، وبذلك يكون قد دخل فى الأبدية وهو على الأرض... إذن هو حي... لكن لا حياة خارجية تافهة... وإنما هو حي حياة خصبة غنية نشطة فعالة قوية.

---

(١) لو١ٸ : ١٩ 　　　　(٢) يو١٧ :٣.

سيدنا يؤكد أن معرفة الله... هى هذه الحياة الأبدية، والله هنا هو الآب الذى يعرفه اليهود لأنه أصل الوجود وهو أب البشر... وهو الكائن الأول... واجب الوجود... والعلة الأولى للوجود... فهو إذن إله حقيقى...

وأما يسوع المسيح... فهو الأقنوم الثانى متجسدا.. هو الكلمة فى الجسد... وهو الكائن منذ الأزل مع الآب وهو عقل الله وكلمته... لم تمر لحظة من الزمان كان فيها الآب ولم يكن الابن موجودا معه... ولكنه قد ظهر فى الزمان من أجل عمل الفداء... فالابن والآب هما جوهر واحد ولاهوت واحد، وهما مع الروح القدس ذات إلهية واحدة، ولا فارق بين الأقانيم إلا من حيث الاختصاص... والابن هو الذى تجسد، وإن كان الآب والروح القدس قد اشتركا معه فى عمل التجسد من حيث هما معه فى الذات الواحدة، وإن كان فعل التجسد مختصا بالكلمة.

والواو هنا لا تفيد الإنفصال ولا تفيد العطف وانما تفيد الإيضاح والتفسير... ونحن حينما نقول باسم الآب والابن والروح القدس، فلا نقصد الإنفصال بين الأقانيم. وإذا كان المسيح له المجد يناجى الآب ويقول : «أنت الإله الحقيقى وحدك»... فلا يدل هذا على أن العبارة التالية وهى : «يسوع المسيح الذى أرسلته» إضافية، وإنما هى تفسيرية تمشيا مع المعرفة السابقة للإله الواحد كما كان يفهمها اليهود.

وأما الإرسال فليس معناه الإنفصال، أو أن الابن رسول على ما يفهمه المسلمون، وإنما الارسال هنا باطنى... فى داخل الوحدة الثالوثية... والإشارة إلى فعل التجسد الذى تم بتدبير الثالوث القدوس... ونظرا لأن الكلمة أصبح له كيان جسدى ظاهر أمام الناس فى ذلك الزمان، ولابد أن تفسر العلاقة بين الآب الذى يعرفه اليهود وبين الكلمة المتجسد.

فالكلمة مرسل بالمعنى الخاص للدلالة على فعل التجسد، وللدلالة على الكيان الجسدى الذى أصبح له على الأرض... ولكنه ليس رسولا بالمعنى الذى يفهمه المسلمون لأنه ليس مجرد إنسان... ولا هو نبيا أو رئيسا للأنبياء... ولكنه هو بعينه الكلمة مقيم السماء والأرض، الذى له تخر كل ركبة فى السموات وعلى الأرض وهو مع الآب والروح القدس الإله الحقيقى وحده الذى له السجود...

ثانياً : نصوص لبيان طبيعة البنوة :

(٤) «لذلك مسحك الله إلهك بدهن البهجة أفضل من رفقائك أو شركائك» (١)

إذا كان هذا المزمور مناجاة وصلاة للمسيح إلهنا، فهو مناجاة له من حيث هو متجسد لأن صاحب المزمور يشبهه بملك ممسوح بالدهن المقدس... وإذا كان المسيح هو الكلمة المتجسد فقد جمع فى شخصه الإلهى بين الإله والإنسان... ومن حيث لاهوته فهو شريك للآب والروح

---

(١) مز ٤٥ : ٧.

القدس فى الجوهر الإلهى والذات الإلهية... ومن حيث ناسوته فهو شريك للإنسان فى اللحم والدم وكل ما يتصل به... والكلمة المتجسد سمى مسيحا لأن الروح القدس انسكب عليه... فهو مسيح لأنه عين بمسحة الروح القدس ليكون نبيا وملكا وكاهنا وليكون فاديا للبشر، وإذن فمن هذه الجهة عومل كلمة الله المتجسد معاملة إنسان، لأنه اشترك مع الإنسان فى اللحم والدم... فحق لصاحب المزمور أن يكلمه بهذه الصفة، وأن يناجيه كملك ممسوح من الله... فالمسيح إله من حيث لاهوته... وكإنسان لاهوته هو إلهه...

(٥) «ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله»(١)

يبدو أن أريوس فهم من هذا النص الإلهى أن المسيح شئ آخر غير الروح القدس، وأنه لا قدرة له بغير الروح القدس على أن يخرج الشياطين... ولكن هذا خطأ فى الفهم، والمعنى أن المسيح له المجد أراد أن يؤكد سلطانه على إخراج الشياطين، وأراد فى نفس الوقت أن يؤكد لليهود أنه على الرغم من ذلك ليس هو إلها آخرا غير الإله الذى هم يعرفونه... لذلك لابد أن يبين تضامن الأقانيم الثلاثة معا لأنها قائمة معا وكائنة معا فى جوهر واحد، وهذا النص المقدس يشير بوضوح إلى الأقانيم الثلاثة... فالابن هو المتكلم... والروح القدس هو المشار إليه بروح الله... والآب وهو المشار إليه بالله... فهذا التعبير إذن تعبير للدلالة على أن عمل إخراج الشياطين، وإن كان بسلطان المسيح وهو الابن الظاهر فى الجسد لكنه بغير إنفصال عن الآب، والروح القدس.

(٦) «أما المدعوين من اليهود واليونانيين فالمسيح قوة الله وحكمة الله» (٢)

ما الذى يزعج شهود يهوه والأريوسيين من هذا النص !!!.. ربما يقولون أنه فى كلامه «قوة الله وحكمة الله» أنه يوجد تفريق بينه وبين الله، ولكن عندما يقول أن المسيح «قوة الله وحكمة الله»....

فأولا : يتكلم عن ربنا يسوع المسيح بعد التجسد، لأن لقب (يسوع) لقب من ألقاب الأقنوم الثانى بعد التجسد، فهو يقصد الله الذى أخذ صورة الإنسان... فعند قوله «يسوع المسيح حكمة الله وقوته» لا يقصد أنه افترق عن اللاهوت... ولكن يقصد أنه بعد التجسد وهو الله المتجسد صار حكمة لله، فالحكمة لها شواهدها... فلو قلنا هذا الرجل حكيم فمن أين عرفنا هذه الحكمة؟ الحكمة شئ روحى وعقلى... تصرفات الإنسان المنظور هى برهان حكمته غير المنظورة... أصبحت منظورة بكلامه وتصرفاته.. فالله غير المنظور الذى لم يره أحد ولا يقدر أن يراه، صار منظورا بأن اتخذ لنفسه جسدا ولكن لاهوته غير المنظور (منظور) لأنه مستتر فى الجسد...

---

(١) مت ١٢ : ٢٨ (٢) ١. كو ١ : ٢٤

فالمسيح لأنه صار منظورا وهو الله غير المنظور، أصبح حكمة الله لأن الحكمة المخفية ترى فى التصرفات... عندما يقول : «فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الله الكلمة»... فكيف كان الكلمة منذ البدء... وإن الكلمة هى برهان العقل غير المنظور... إننا نعرف مقدار عقل الرجل من أعماله وأقواله... فلولا أن عرفنا ذلك لما عرفنا أنه عاقل... فالعقل شئ غير منظور يرى فى الكلام... فالكلمة هى الفكرة متجسدة على اللسان من العقل، وإذا لم تتجسد لا تسمى كلمة بل فكرة فقط... فالله غير المنظور بطبيعته ولكنه صار منظورا بكلمته... من هنا المسيح هو الكلمة لأنه تجسد، والله هو العقل الذى لا يرى ولكن عندما صار منظورا فى المسيح صار مرئيا... فالمسيح كلمة الله لأن فيه رأينا العقل غير المنظور، لأن الكلمة وإن كانت تتجسد فى الزمان إلا أنها هى العقل قبل التجسد... من هنا فالكلمة وإن ظهرت فى الزمان إلا أن وجودها سابق على الزمان... فالمسيح وإن كان تجسده تم فى الزمان، إلا أن وجوده كان موجود قبل الزمان، وبعد التجسد مازال متصل مع الآب ومع الروح القدس اتصال أزلى... فهو الكلمة وهو العقل الإلهى...

وإن كان تجسد فى الزمان إلا أنه متصل بالوجود الإلهى منذ الأزل، فوجود الكلمة فى العقل الأزلى لا ينفى أزليته بعد التجسد...

فلو قال الكتاب «المسيح حكمة الله» لا نستطيع أن نتصور الله فى لحظة من الزمان كان الله فيها غير حكيم وغير عاقل... فالحكمة قائمة معه منذ الأزل، فليس هنا فصل بين المسيح والله، ولكن لبيان أن المسيح هو الذى ظهرت فيه حكمة الله غير المنظورة صارت منظورة فى المسيح، لأنه هو الذى أبرز هذه الحكمة لأنه جعلها قريبة من فهم الإنسان.

وعند قوله «المسيح قوة الله» نفس القياس... الله قوى وقوته ظاهرة فى الخلق... فمن أين نعرف قوته.. فكلما نقول أنه قوى وهو غير منظور، فكيف نقول ذلك إن لم نر خليقته، وصنعة الخلق هى خاصة بالأقنوم الثانى، عمل الخلق عمل خاص به «به أيضا عمل العالمين»، والمسيح ليبين أنه خالق عندما وجد المولود أعمى ليس له عينين، صنع من التفل طينا ووضع مكان عينيه... فهو شفى الأعمى وعميان كثيرين... ولكن أحيانا كان يقول لهم (أبصر- انفتح- بالتدريج) ولكن هنا الحادثة الوحيدة التى تؤكد أن هذا الإنسان لم يكن له عينين... فالمسيح فى هذه الحادثه عمل كما كان فى الخليقة «جبل الرب الإله الإنسان ترابا من الأرض» صنع هذه المعجزة بنفس الطريقة... فالخلق إذن صفة وعمل الأقنوم الثانى... والله يعد خالق للكون بالاقنوم الثانى. فلو مسكنا الإنسان نجد أنه لا يحب الله أو قريبه بالعقل، لأن العقل لا يناسبه الحب بل التفكير والتخطيط والتدبير، ولكن الحب بالعاطفة ومركز الحب والعاطفة هو القلب «حب الرب إلهك من كل قلبك» فالقلب مركز الحب... والعقل مركز التفكير... فعندما خلق الله العالم

فالخلق إنما تفكير وتدبير، ثم العمل والخلق ... فالصانع يفكر فى صورة الإنسان ذهنيا، ثم يعمل المطابقة بين ما فى ذهنه وما يريد صنعه... فعندما خلق الله الإنسان فكر فى الصورة التى تكون عليها قبل الخلق ولذا «صنع الإنسان على صورته».

فالعقل هو الخلاق والمدبر فهو العقل الإلهى والفكر والكلمة والحكمة وكل ذلك ألقاب للأقنوم الثانى، وعند قوله «المسيح قوة الله» ليس معناه الله حاجة والقوة حاجة أخرى. ولو حذفت القوة منه فماذا يبقى... قوة الله هو الله نفسه وهذه القوة تظهر فى الخلق، والخلق من صفات الأقنوم الثانى، فعندما يقول الكتاب «المسيح هو قوة الله» يقصد بأن الله وهو غير منظور صارت قوته وقدرته منظورة فى المسيح... فالمسيح قوة الله لأنه هو الله وقد صار منظورا....

ثالثاً : نصوص زعم أريوس أنها لبيان خلقة اللوغوس :

(٧) «الرب اقتنانى فى أول طريقه قبل ما عمله منذ البدء. من الأزل مسحت من الأول. من قبل أن كانت الأرض ولدت. حينما لم تكن الغمار... والينابيع الغزيرة المياه. قبل أن أقرت الجبال وقبل التلال ولدت، إذ كان لم يصنع الأرض بعد ،ولا ما فى خارجها ولا مبدأ أتربة المسكونة، حين هيأ السموات كنت هناك، وحين رسم حدا حول وجه الغمر حيث ثبت الغيوم فى العلاء وقرر ينابيع غمر. حيث وضع للبحر رسمه. المياه لا تتعدى» (١).

استعان أريوس بهذا النص الذى رأى فيه إشارة إلى سيدنا يسوع المسيح، ورأى فيه ما يدل على خلقة الابن ولكن هذا النص عينه يخيب أمل أريوس فى الاعتماد عليه، فاذا كانت الحكمة المشار إليها هنا هى الحكمة الأزلية. فالرب اقتناها لا بمعنى أنه خلقها، ولكن بمعنى أنها كانت منذ الأزل ولاتزال قائمة وكائنة عنده، ولا يختلف هذا التعبير كثيرا عما يقوله القديس يوحنا فى إنجيله «فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله».

والبدء الذى يشير إليه سفر الأمثال هو البدء بعينه الذى يشير إليه إنجيل يوحنا، لأنه هو الأزل، والدليل على ذلك أن النص فى سفر الأمثال يقول مباشرة من الأزل مسحت من الأول من قبل أن كانت الأرض. والأول هنا هو الأزل والأزل ما لا بداية له فى الزمان. ولا يحيا فى الأزل إلا الله... لأن الله وحده هو الأزلى الذى لا بداية له... وهو وحده الألف والياء... فإذا كانت الحكمة التى يتكلم سفر الأمثال باسمها، يشار إلى أنها كائنة عند الله منذ الأزل.. فالمعنى من ذلك أن الابن قائم وكائن مع الآب منذ الأزل وإلى الأبد.

---

(١) أمثال ٨: ٢٢ – ٢٩، أنظر أيضا يشوع بن سيراخ ص ١ : ٤ – ٩.

وهذا النص يتكلم عن الحكمة الإلهية، وفى هذا إشارة إلى المسيح باعتبار أنه هو المقصود من هذه الحكمة... هذه الحكمة تتكلم... يقول شهود يهوه والأريوسيون مادام الرب يقول : الرب اقتنانى أول طريقه، فمعنى ذلك أن المسيح لم يكن أزليا لأنه قال «اقتنانى»، ولكن كلمة «اقتنانى» لا تعنى أن هذا الاقتناء كان حديثا، أو كان هناك فرق زمانى بين الله وبين حكمته، وليست «اقتنانى» بمعنى «أوجدنى» حاشا. لكن اقتنى هنا بمعنى حاز أو ملك أو أحرز... وذلك لأن الكلمة العبرانية «قينية» وهى مثل العربى بمعنى أحرز، ملك. حاز... هذا اللفظ نجده مثلا استخدمته حواء عندما ولدت قايين فقالت «قد اقتنيت رجلاً من عند الرب» لا بمعنى أن حواء خلقت قايين.. حاشا.. ولكن بمعنى أنه صار ابنها أى أحرزته... صار اسمه منسوباً إليها... صار ولدها ... وبالتالى ليس غريباً عنها ... وهذا اللفظ استخدمه أيضاً ابرآم (ابراهيم)، عندما كلمه ملكى صادق «مبارك ابرآم من الله العلى مالك السموات والأرض» فقال ابرآم رفعت يديِّ إلى الرب الملك العلى «مالك» السموات والأرض وكلمة «مالك» هنا هى قينية بالعبرانية بمعنى «أحرز أو حاز» وعلى ذلك فعندما يقول الرب اقتنانى أول طريقه، أى أن الحكمة تقول أن الرب أحرزنى من الأول منذ الوقت الذى كان فيه الله نفسه إلهاً، اقتنانى من الأول أى منذ البدء بدون أى فرق زمانى ... ويلاحظ أن الترجمة العربية حرفية ... لكن المعنى واضح هنا تعنى أن الله حاز الحكمة منذ الابتداء .... منذ الأول .... منذ الأزل.. منذ أن كنت أنا إلها كانت الحكمة معى.. والحكمة قائمة معى ... يقول الرب إنى أحرزت الحكمة منذ البدء منذ بدء وجودى... على أن الله ليس له بدء لأنه موجود من الأزل، وبمعنى آخر أنه منذ أن كان لله وجود، الحكمة موجودة عنده... وهذا يشير إلى قيام الحكمة مع الله ووجودها معه منذ البدء. أى أنه لم توجد لحظة من الزمان كان الله فيها موجوداً ولم تكن الحكمة موجودة معه ... وهذا حق لأننا لا نستطيع أن نتصور الله كلى الحكمة، كان لحظة من الزمان خاوياً من الحكمة، هذه العبارة إذن لا تزعجنا ولا تشككنا فى أزلية المسيح، لأن القرينة نفسها تدل على أن الحكمة (وهى الابن) موجودة منذ البدء مع الله موجودة منذ الأزل ... وهكذا يشير إلى أن الله حكيم منذ الأزل.. منذ بدء الوجود، وهذا عكس مفهوم الهراطقة لأنهم ظنوا أن كلمة اقتنانى تدل على أن الحكمة جاءت فيما بعد. لكن كلمة «أول طرقه» وضحت المعنى أن الحكمة قائمة مع الله منذ بدء الوجود، منذ كان الله هو البدء، فالحكمة كائنة معه ... وهكذا يطابق قول الإنجيلى القديس يوحنا «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله» وقوله «الكلمة عند الله» هو كقول سفر الأمثال «الرب اقتنانى أول طرقه» فالكلمة أو العقل الإلهى والحكمة كانت عند الله منذ البدء أى فى البدء كان الكلمة، وقوله «عند الله» أى لم يكن وجود للكلمة فى مكان آخر، إنما كان عند الله منذ وجوده

تعالى، وكلمة «عند» لا تدل على المكانية لأن الله ليس له مكان، أى أن المكان خارج عن الوجود الإلهى لأن الله يملأ السموات والأرض وهو غير محدود.

ولتوكيد هذا المعنى يقول « قبل ما عمله منذ البدء » أى قبل الخليقة لأن الخليقة خلقت بالحكمة، الله هو خالقها لأنه هو الأول والخالق وخلق الكون بحكمة ... يقول قبل ما عمله منذ البدء ... أى قبل الخليقة أى الحكمة قائمة مع الله قبل الخليقة. بل هو الخالق الذى به خلق العالمين، قبل ما عمله منذ البدء. « من الأزل مسحت»، هذه جملة بدل جملة (بدل) أى توكيد لقوله منذ كان الله فى البدء منذ الأزل .... مسحت... وما هو الأزل؟ الأزل هو ما لا بداية له ... والأزل لاينسب لغير الله... لأن الإنسان مخلوق ومادام مخلوقاً فله إبتداء ومادام له إبتداء فليس أزلياً، بل الإنسان خالد أى لا يموت... قلت «خالد» ولم أقل «أبدى» الإنسان لا يموت ومع ذلك لا يتصف بالأبدية، لأن الله وحده هو الأبدى لأنه هو وحده الأزلى الذى لا بداية له ... والإنسان لم يكن أزلياً إذن لا يكون أبدياً ... فالصفتان «أبدى، أزلى» متلازمان وهذه ترجمة لمعنى كلمة يهوه، وبالعبرانى تعنى الأزلى الأبدى، أى السرمدى .... والإنسان لا يوصف بالسرمدية.

يقول هنا «منذ الأزل مسحت» وهذا الوصف الذى تتصف به الحكمة لا يمكن أن يتصف به إلا الله وحده... فمن هذا النص نفسه يتضح أن المسيح أى الحكمة قائم مع الله منذ الأزل، منذ البدء ، وإذن فهو يهدم مذهب الأريوسيين وشهود يهوه، الذين زعموا وظنوا أنه يؤيدهم، إذن لم تكن لحظة من الزمان كان فيها الله ولم تكن معه الحكمة ... لأن الحكمة لم تكن دخيلة على الله وجاءت عليه من خارج.. حاشا...

وقوله «مسحت» يعنى أن شخصاً مسحنى ... والمسحة، دائماً تعنى التعيين، والمسيح معناه «المعين لمهمة معينة » ... لما كان الملك أو النبى أو الكاهن يمسح أى عين من الله لكى يؤدى وظيفة .. فالحكمة هنا تقول «مسحت من الله» أى «عينت» لا بمعنى أن أحداً عينها ولكن بمعنى أن عمل الفداء، عمل الخلاص عمل الخلق هو من تخصص الأقنوم الثانى... وليس فى هذا التمايز بين اختصاصات الأقانيم غرابة. فالإنسان مثلاً يفكر بالعقل ويتأمل روحياً بالعقل ... لكنه يعطف ويحب ويتحنن أو يكره بالقلب... والإنسان هو هو بعينه لا ينقسم، لكن للعقل تخصص التفكير والمعرفة والعلم، وأما القلب فتخصص العاطفة والحب والحنو والرحمة والكراهية وما إلى ذلك..... والأقانيم خواص فى الذات الإلهية الواحدة ولكل أقنوم تخصص من دون إنقسام فى الذات الإلهية.. والأقنوم الثانى هو المختص بالخلق، لذلك طلى المسيح عينى المولود أعمى بالطين، ليبين أنه الخالق ويؤكد الرسول بولس أن الابن هو الذى عمل العالمين... فالمسيح

إذن هو الخالق .. لأن الخلق عمل العقل ... والصانع عندما يصنع شيئاً فإنه يصنعه وفقاً لصورة فى الذهن وطبقاً للصورة يعمل الصنعة ... والله خلق الإنسان طبقاً للصورة الموجودة فى العقل الإلهى والعقل الإلهى هو المسيح، لذلك فإن عمل الخلق هو من اختصاص الأقنوم الثانى ...

«عينه» أى منذ الأزل أنا معين لهذه المهمة .. لا بمعنى أن شخص عيننى... الحكمة أو الابن قائم مع الآب منذ الأزل، أى أنه شريك الآب فى الأزلية، ولأن الآب لم يكن أعلى منه حتى يعطيه الأزلية والخلق والعمل، ولكن هو شريك مع الآب ... «من الأول» ... أى يؤكد ما قاله سابقاً يعنى منذ الأزل.

(٨) «فليعلم يقيناً جميع آل إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه رباً ومسيحاً» (١)

لقد ضل أريوس لأنه فهم من هذا النص أن يسوع المسيح مخلصنا لم يكن رباً ومسيحاً من قبل، وأن الله هو الذى جعله رباً ومسيحاً، ولكن الرسول الذى خطب فى جماهير اليهود قصد أن يخجل اليهود ويبين لهم مدى الجريمة التى ارتكبوها فى إنكارهم للمسيح، وفى ثورتهم عليه وفى صلبه وفى قتله.

فيسوع هذا الذى هم يعرفونه أنه هو الذى صلب ومات وقبر، هو الذى يكرز به الرسل فإنه قام من بين الأموات، وصعد إلى السموات وأرسل الروح المعزى كما وعد.. . فيسوع هذا لم تنته قصته بما فعل به اليهود، وإنما المصلوب هو بعينه المكروز به، أنه قام من بين الأموات وأنه هو الذى أرسل الروح القدس على التلاميذ الأطهار، وجعلهم قادرين على أن يتكلموا بلغات متنوعة بصورة معجزية دهشت لها الجماهير.

فيسوع المسيح إذن ليس ضعيفاً وإنما هو قوى وعظيم وجليل. وهو كذلك فى ذاته من حيث لاهوته، وإن كان قد ظهر فى الضعف من حيث ناسوته، فيسوع الذى هم يعرفونه فى صورة الجسد، ينبغى أن لا يبقى فى الصورة التى يعرفونها هم عنه. وإنما فى الصورة المجيدة التى ظهرت بقيامته وصعوده إلى السموات، وإرساله الروح المعزى وصنعه الآيات والعجائب على أيدى الرسل الأطهار، فالعبارة التى نطق بها الرسول هى تعبير يشرح التطور الذهنى، فى الصورة المفهومة عن المسيح له المجد، وهى صورة متغيرة تبعاً للمفهوم الذى صاحبها بالنسبة لليهود بصفة خاصة... وإلى الناس جميعاً بصفة عامة...

---

(١) أعمال ٢ : ٣٦.

ولفظ جعل لا يفيد أن يسوع المسيح له المجد.. قد تغير في ذاته ... وإنما هو تعبير للدلالة على التطور الذهني، في الصورة التي كانت للمسيح بالنسبة لأذهان اليهود، إلى أن انتقلت إلى الصورة التي أصبحت له في أذهان اليهود الذين آمنوا بالمسيح بمعجزة التكلم بالألسن.

(٩) «الذي هو صورة الله غير المنظورة وبكر كل خلق» (١)

والظاهر أن أريوس استعان بهذا النص لاسيما الجزء الأخير منه، لتأييد بدعته في أن الابن مخلوق.. أما النص نفسه فلا يحتمل شيئاً من هذا، بل واضح من النص الدلالة على علاقة الابن بالآب، أو العلاقة بين الله غير المنظور وبين الله وقد صار منظوراً... وهو ما يؤكده إنجيل يوحنا «الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبر» ... وأما أن الابن هو بكر كل خلق فالمعنى أن الابن هو رأس الخليقة وسيدها ومبدئها، لأن به كان كل شئ وبغيره لم يكن شئ مما كان ولأن به عمل العالمين. وكلمة البكر تفيد الأول ... لأن الله هو الأول وهذا ورد كثيراً في كتب الأقدمين من الفلاسفة وكبار المفكرين.

وقد استخدم هذا التعبير أكثر من مرة في معنى الأول على الإطلاق ... من ذلك:

... إن السيد المسيح له المجد وصف بأنه بكر الراقدين بمعنى أنه أول الراقدين .. كما وصف بأنه البكر بين أخوة كثيرين، ولا شك أن البكر هنا تفيد الأول ... والأولية هنا هي أولية زمنية ... فالمسيح بكر كل خلق... بمعنى أول كل خلق... بمعنى أنه هو الأول الذي أنشأ الخلق...

(١٠) «الذي هو أمين لمن أقامه، كما كان موسى في جميع بيته» (٢)

هذه الإقامة لا تتعارض بتاتاً مع أزلية المسيح له المجد من حيث لاهوته... لأن الإقامة هنا في التعيين بالمسحة المقدسة، مسحة الروح القدس التي أخذها المسيح له المجد في نهر الأردن، وبهذا صار في مهمته الرسمية كمعيَّن في وظيفة الكهنوت، التي صارت له بطريقة رسمية علنية في نهر الأردن ... ففي نهر الأردن كان حلول الروح القدس بالنسبة للمسيح معمودية، وميرون وكهنوت ... أما المسيح من حيث لاهوته فهو قائم وكائن مع الآب والروح القدس منذ الأزل وإلى الأبد...

---

(١) كولوسي ١ : ١٥.

(٢) عبرانيين ٣ : ٢.

رابعاً : نصوص لبيان نموه الأخلاقى وتطوره :

(١١) «وكان يسوع يتقدم فى الحكمة والقامة (السن) عند الله والناس» (١)

فى هذا النص ينحصر الكلام عن مخلصنا على صفاته الناسوتية، دون اللاهوتية.. فمادام سيدنا وربنا قد اتخذ لاهوته ناسوتاً كاملاً.. واتحد به اتحاداً كاملاً بغير افتراق... فهذا الناسوت مادام حقيقياً فلابد أن ينمو ويكبر ويصير إلى قامة ملء الإنسان ... هذا من جهة... ومن جهة أخرى، فمادام سيدنا قد اتخذ لاهوته ناسوتاً كاملاً من جسد ونفس ناطقة، فالنفس الناطقة بصفتها نفساً إنسانية تنمو هى أيضاً فى المعرفة الطبيعية، كما تنمو نفس كل إنسان وتزداد فى المعرفة وفى الحكمة الإنسانية، بنمو القوى العاقلة وبازدياد الخبرات والمدركات الحسية، التى تنتقل إلى داخل النفس عن طريق الحواس حيث أن الحواس أبواب المعرفة الإنسانية.

ولا شك أن سيدنا يسوع المسيح له كمال المعرفة من حيث لاهوته، وهى معرفته الأزلية الأبدية وعلمه الذى لا يحد ولا يستقصى، ولكنه من حيث ناسوته له أيضاً معرفة إنسانية قابلة للنمو والازدياد بحسب القوة العاقلة الإنسانية فى النفس الإنسانية وبنمو المعرفة الحسية.. والخبرات البشرية .. والمسيح له المجد له أن يستغل معرفته اللاهوتية الأزلية الأبدية حينما يشاء، وله أيضاً أن يظهر هذه المعرفة تدبيراً وقصداً... وفى هذه الحالة الأخيرة يستغل معرفته الإنسانية... فلا تبدو أمام الناس إلا معرفة إنسانية عادية قابلة للنمو والتطور، بحسب القوة العاقلة وبحسب نمو المعرفة الحسية والخبرات البشرية...

(١٢) «ثم تباعد قليلاً وخرّ على وجهه وهو يصلى قائلاً: إن كان يستطاع فلتعبر عنى هذه الكأس، لكن ليس كمشيئتى بل كمشيئتك»... ثم مضى ثانية وصلى قائلاً: إن كان لا يستطاع أن تعبر عنى هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك» (٢)

فإن كان يبدو من هذا النص أن هناك مشيئتين، مشيئة للمسيح له المجد ومشيئة للآب.. لكن الحق أن للمسيح مخلصنا مشيئة واحدة وهى مشيئة الآب ... ولكن كان لابد أن يظهر فى عمل الفداء كمال ناسوت المسيح، وأنه لم يأخذ جسداً خيالياً كما زعم أوطاخى وبعض الهراطقة، بل أن كلمة الله اتخذ له جسداً حقيقياً ذا نفس ناطقة.. ولابد ذهنياً أن نتصور أن تكون للناسوت مشيئة، وأمام هول الصليب وعظمة آلامه لابد للناسوت أن يرفض الألم إذا كان ناسوتاً حقيقياً، فسيدنا فى صلاته فى بستان جثسيمانى يعبر عن شدة آلامه الحقيقية، وكأنه يتمنى أن تعبر عنه

---

(١) لوقا ٢ : ٥٢

(٢) متى ٢٦ : ٣٩ ـ ٤٢.

كأس الألم أو كأس الصليب، ولكنه فى نفس الوقت هو يشاء أن يصلب من أجل البشر ليفديهم ويموت بديلاً عنهم لأنه كما قال: « ... من أجل هذه الساعة قد أتيت» ... فليس هناك فى الواقع مشيئة للمسيح تتعارض مع مشيئة للآب ، لكنه تعبير عن الآلام وأنها حقيقية، لدرجة أن الناسوت لو كان خلواً من اللاهوت لكان يتمنى أن تعبر عنه كأس الصليب، ويمكن أن نشبه هذه الحالة بموقف من المواقف يشعر فيه الإنسان برغبتين، هما حسب المنطق الشكلى والذهنى متعارضتان، ولكنهما من جهة الواقع لابد أن تخضع أحداهما للأخرى.. وإذا قال الإنسان أحياناً أريد هذا الأمر ... ولكنى لا أستطيع لأنه يتعارض مع رغبة أخرى أحترمها وأقدرها تقديراً يسمو عن تقديرى للرغبة الأولى ... فهذا التعبير تعبير فصيح لإظهار حقيقة وجود هاتين الرغبتين فى وقت واحد... وأنه يمكن للإنسان أن يميز بينهما تمييزاً ذهنياً فى نفسه ولكنه مع ذلك ... أخضع إحداهما للأخرى فى واقع الأمر... هذا الإخضاع هو أيضاً برغبته لأن تقديره للرغبة الأعلى يسمو على تقديره للرغبة الأدنى .. وبالإجمال فإن كان يبدو التعارض شكلاً بين الرغبتين فى المجال الذهنى البحت... لكن ليس بين الرغبتين تعارض فى مجال الواقع العملى.

وتطبيقاً لهذا نقول أن المسيح له المجد راغب فى خلاص البشرية.. وبالتالى فى إحتمال الآلام وكأس الصليب، ولكنه فى نفس الوقت ولأنه اتخذ ناسوتاً حقيقياً .. والناسوت لابد إذا كان ناسوتاً حقيقياً أن لا يرضى بالصليب والألم... ولابد أن يعبر عن رغبته فى الهرب من الألم، ولكن مع ذلك فالناسوت أيضاً يحتمل الألم برغبته فى سبيل الرغبة الأعلى وهى خلاص البشرية ... وهى فى نفس الوقت رغبة اللاهوت والناسوت معاً وليس بين الإثنين فى الواقع تعارض... لأن الناسوت ناسوت الكلمة متحداً به بغير افتراق ولا انفصال...

(١٣) «الذى فى أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه.. مع كونه إبناً تعلم الطاعة مما تألم به. وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى» (١)

والإشارة فى هذا النص المقدس إلى معركة بستان جثسيمانى، حيث جثى مخلصنا على ركبتيه وصار يصلى، وكان عرقه يتصبب مثل قطرات الدم مما يدل على عظم الآلام وشدة الحزن وقسوة الآلام النفسية وعنفها... قدم المسيح صلاة إلى الآب .. قدم كلمة الله بالجسد صلاة إلى الله الآب، وفى لاهوته كمال القدرة على أن يجنبه الألم، ولكنه فى نفس الوقت لا

---

(١) عبرانيين ٥: ٧ ـ ٩.

يمكنه أن يتعارض مع إرادته ومشيئته فى قبول موت الصليب لأنه من أجل الساعة قد أتى من السماء، ولا معنى الاجتياز ولا معنى لتجنب الصليب وهو قد جاء خصيصاً لهذا الغرض، على أن هذه الصلاة لم تكن محصورة فى تجنب آلام الصليب لكنها كانت تتجه إلى طلب قوة الاحتمال.. لأن الآلام كانت شديدة وكان يمكن أن تجهز هذه الآلام على ناسوت المسيح قبل أن يصلب .... ومعنى هذا أن الآلام النفسية التى عاناها المسيح له المجد فى بستان جثسيمانى، خاصة وأنه كان يعلم بكل ما سيأتى عليه... نقول أن هذه الآلام كانت شديدة لدرجة أنها كانت كافية لأن تضع حداً لحياة المسيح فى الجسد قبل أن يتمم عمل الفداء ... ولو كان هذا قد حصل لما كان عمل الفداء قد تم، ولا خلاص البشرية قد تحقق، بل تكون خطة الله وتدبيره فى خلاص الإنسان قد فشل، ويكون الشيطان قد نجح ويكون الله قد فشل.

كان إذن، لابد أن يحتمل المسيح آلامه آلام الصليب حتى النهاية، وكان لابد لحياة المسيح أن تطول واحتماله أن يمتد إلى أن يتمم عمل الخلاص، وهذا ما حدث فعلاً... فإن المسيح احتمل الآلام الشديدة جسدية كانت ونفسية بل وروحية، إلى أن تم صلبه ونكس الرأس وقال قد أكمل... ومع ذلك فلم تطل حياة المسيح فى الجسد كثيراً، بل مات بعد الصلب بثلاث ساعات فقط، مع أن أى مصلوب يموت بين ١٨ إلى ٢٤ ساعة نتيجة هبوط تدريجى فى القلب وتمزق بسيط فى شرايين الجسد والقلب... أما المسيح فصلب فى الثالثة ومات فى السادسة وكأنه مات فى ثلاث ساعات فقط، حتى أن الصالبين عندما أرادوا أن ينزلوا الأجساد من على الصليب نظراً لاستعدادات عيد الفصح ... رأوا أن يكسروا ساقى كل مصلوب من المصلوبين الثلاث حتى يموت، فينزلوه من على الصليب ويعودون إلى إجراءات عيد الفصح، وفعلاً كسروا ساقى الأول والثانى اللذين صلبا مع مخلصنا وهما اللص اليمين واللص الشمال، ولما جاءوا لفادينا وأرادوا أن يكسروا ساقيه كما كسروا ساقى اللصين اليمين والشمال وجدوه قد مات... فتعجبوا كقول الكتاب لأنه هكذا قد مات سريعاً، ولابد أن يكون الموت قد حدث نتيجة انفجار فى القلب، وفى هذا تمت نبوة النبى الإنجيلى فى المزمور التاسع والستين القائلة «العار قد كسر قلبى» (١) وكسر القلب هنا هو ما نسميه فى الطب الحديث انفجارات القلب أو انفجارات شرايين القلب ... وإذا كان الرسول فى رسالته إلى العبرانيين يشير إلى صراخ ودموع من جانب سيدنا، فالإشارة هنا إليه من حيث هو بديل عن الإنسان وفادى البشر وقد حمل صورة الإنسان. فالإشارة إليه من حيث ناسوته ولأنه أخذ ناسوتاً حقيقياً كاملاً، ولا يعيب سيدنا أن يصلى طالما أنه فى الجسد بل هو دليل

---

(١) مز ٦٩ : ٢٠

ناسوته الكامل، وليس صراخه ودموعه معناه أن لاهوته قد فارق ناسوته، وإنما معناه أنه لم يدع للاهوته أن يوقف عمل الناسوت وخصائصه... وصفات الناسوت كاملة ولكنه أحياناً مع وجود صفات اللاهوت يخفيها أو بتدبيره يمنع تدخلها لوقف عمل الناسوت ... بتدبيره أحياناً يدع عمل اللاهوت ظاهراً بحيث لا يكاد يظهر للناسوت من أثر، وذلك بمحض إرادته ومشيئته الواحدة، حيث أن لسيدنا مشيئة واحدة وطبيعة واحدة هي طبيعة اللاهوت والناسوت متحدان بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، وكذلك جاز للكتاب أن يصف المسيح بالتقوى، وهذه التقوى من صفات الناسوت، كما جاز له أن يصف المسيح بالطاعة وهذه الطاعة من صفات المسيح الناسوتية، ولكنه في طاعته لا يطيع لاهوتاً آخر غير لاهوته هو ذاته، لأن اللاهوت الذى فيه هو اللاهوت الذى يملأ السماء والأرض، هو لاهوت الإله وحده الحقيقى ... الله محب البشر واللاهوت الذى فيه هو لاهوت واحد الذى فى الآب والروح القدس... مجد واحد وقدرة واحدة وسرمدية واحدة للذات الإلهية الواحدة، أما قول الرسول بأنه سمع له ومعنى ذلك أنه استجيب إلى طلبه، لئلا تجهز الآلام عليه قبل أن يتم عمل الفداء، وفعلاً طالت حياته الجسدية على الأرض إلى أن تم عمل الصليب، وهذا معناه فى قول الكتاب «وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى». (١)

(١٤) **«الذى إذا كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله .. لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس. وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب... لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكى يجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء وممن على الأرض وممن تحت الأرض .. ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب، لمجد الله الآب» (٢)**

هذه النصوص من رسالة ماربولس إلى كنيسة فيلبى تبين لنا مقام المسيح الإلهى... فهو معادل لله الآب مساو له في الربوبية والمجد والأزلية والأبدية وكل الكمالات الإلهية .. وهو التعبير الذى استند إليه آباء مجمع نيقية، حيث ورد فى قانون الإيمان عن ربنا يسوع المسيح أنه نور من نور إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق مساو للآب فى الجوهر (ϩⲟⲙⲟⲟⲩⲥⲓⲟⲥ) ὁμοούσιος فمع أن أقنوم الابن متميز عن كل من

---

(١) عبرانيين ٥ : ٩

(٢) فيلبى ٢ : ٦ ـ ١١.

الأقنومين الآخرين فى الثالوث القدوس، إلا أن كل من الأقانيم مساو للآخر فى جميع الكمالات الإلهية .. فالأقانيم الثلاثة جوهر واحد، وكلها قائمة معاً فى الجوهر الواحد منذ الأزل وإلى الأبد.. وهذا هو التفسير الدقيق لكلمة ϩⲟⲙⲟⲟⲩⲥⲓⲟⲥ وقول الرسول لم يحسب خلسة، بمعنى أن هذه المساواة بين أقنوم الله الابن أو الله الكلمة وأقنوم الله الآب، ليست مفتعلة ولا مغتصبة وإنما هى مساواة طبيعية بين أقنومين فى جوهر واحد وذات إلهية واحدة...

ومعنى أن المسيح يسوع كما جاء فى عدد ٥ من نفس الإصحاح «كان فى صورة الله» إننا رأينا فى المسيح يسوع صفات الله الغير المنظور، لأنه كما يقول الإنجيل الله لم يره أحد قط ... الابن الوحيد فى حضن الآب هو خبر.

فأقنوم الابن هو من نفس جوهر أقنوم الآب وطبيعته، ولكنه اتخذ ناسوتاً وصار منظوراً فى الهيئة بين الناس، ولكن فيما هو ظاهر فى الجسد أعطانا صورة الله الآب الغير المنظور.

فالابن إذن هو أقنوم الكلمة وهو من حيث لاهوته مساو لأقنوم «الآب» فى الكمالات الإلهية، وهو من ذات طبع الآب والروح القدس ومن ذات الجوهر الإلهى، ولا فرق إلا فى أن أقنوم الابن أو الكلمة أخذ صورة البشر وظهر بها فى الهيئة كإنسان.. فمن رآه فى الجسد رأى فيه الله الغير المنظور فى صفاته وكمالاته الإلهية وقد أخلى الابن نفسه من مجد الكرامة الإلهية، حيث أنه أخذ صورة الناس وظهر فى الهيئة على الأرض، وحل فينا وبيننا لكن لم يخل السماء من وجوده، ففى نفس الوقت كان المسيح له المجد بلاهوته على الأرض وبلاهوته فى السماء.. وذلك يتضح من قوله ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء، فهو إذن لم يخل السماء من وجوده أو من لاهوته، لكنه أخلى ذاته بمعنى أنه تنازل وقبل صورة الناس واتخذ له جسداً من لحم ودم، متحداً بنفس ناطقة وصار بذلك متأنساً كالبشر وقد قبل صنوف العذاب والآلام والإهانات والصلب، وكل ما يقترن بطبيعة البشر فى ذلها وهوانها.. وقد صار فى شبه الناس لأنه وهو الله الكلمة أخذ جسداً إنسانياً ذا نفس ناطقة، وصار له كيان جسدى وصار له كل ما للبشر، كأنه واحد منهم مع أنه فى نفس الوقت خالقهم ويملأ بلاهوته السماء والأرض.

إذن ... هو فى شبه الناس لا بمعنى أنه اتخذ جسداً خيالياً، كلا.. وحاشا... لأنه أخذ واتخذ له جسداً حقيقياً، وإنما فى شبه الناس من حيث أنه وهو فى الجسد لم يكن فى حقيقته مجرد إنسان، وإنما كان فى جوهره الله الكلمة المتجسد.

فكلمة «شبه» هنا لا تعارض حقيقة الناسوت الذى اتخذه كلمة الله، ولا تؤيد ماذهب إليه أوطاخى الهرطوقى الذى أنكر حقيقة الناسوت، بادعائه أن الناسوت قد اندمج فى اللاهوت واختلط به وضاع فيه وامتص فيه كما تضيع أو تمتص نقطة من الخل فى المحيط، وإنما كلمة شبه هنا تنصرف إلى الدلالة على أن المسيح له المجد لم يكن مجرد إنسان وإنما كان فى حقيقته الله متجسداً... وقد تصرف فى الجسد تصرف إنسان وهو الإله فخضع ناسوته لكل ما يخضع له ناسوت البشر من أحوال، فيما عدا الخطيئة، ولم يسمح للاهوته أن يتدخل فيوقف أعمال الناسوت وصفاته... ولذلك سمح لنفسه أن يجوع وأن يعطش وأن ينام وأن يتألم ألما كاملا من غير تخفيف أو نقص، وقد أطاع وهو فى الجسد الشريعة التى أنزلها هو بنفسه على البشر، لأنه وهو واضع القانون أول من يحترم القانون الذى هو واضعه... ولذلك فإنه نظر إلى يوحنا لتعميده... ولما اعترض يوحنا قائلاً : أنا محتاج أن أعتمد منك، قال له السيد المسيح اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر... وعندما شفى الأبرص قال له اذهب أر نفسك للكاهن وقدم ما أمر به موسى... وكل ما أمرت به الشريعة أطاعه المسيح له المجد، وعمل به وباشر الطقوس كما رسمتها الشريعة وتمم الفصح بحسب ما أمر به موسى... وقد سار فى طاعة الشريعة حتى الموت... موت الصليب... لأن الشريعة نصت على أنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة... ولذلك جاء المسيح من السماء لكى يغفر بموته خطيئة الإنسان، ولولا الطاعة لأوامر الشريعة لما كان المسيح يجيئ ويصلب من أجل البشر، وربما يقال أنه فى مقدوره أن يغفر بدون عمل الصليب... ولكن هذا القول مستحيل لأن الحكم الذى أصدره الله على الإنسان الأول وفيه كل جنسه لا يمكن أن يسقط، وبالتالى لابد للإنسان أن يموت، ولا يمكن أن ينقل الموت عن الإنسان إلا إذا تم الموت بموت واحدا بديلا عن الإنسان... وكان هذا الواحد هو المسيح وهو الله متجسدا... أما قول الكتاب لذلك رفعه الله أيضا وأعطاه اسما فوق كل اسم، ليس معناه أن المسيح كان وضيعا فى تطوره وصعد إلى المجد كما يدعى أريوس... ويزعم أن فى هذا النص ما يدل على تطور فى المسيح من حالة إلى حالة، لكن هذا التطور لا وجود له من حيث لاهوت المسيح لأن اللاهوت لا يقبل التغيير ولا التطور ولا الارتقاء، وإنما لأن المسيح اتخذ صورة الناس وصار بازاء العدل الإلهى بديلا عن الإنسان، وقد مات ذبيحا وكان موته على الصليب ذبيحة «كفارة» عن البشر جميعا إلى الله الآب، وقد قبلت هذه الذبيحة وكان فيها الترضية الكافية لعدالة الله وللحكم الذى أصدره الله على الإنسان... ولما قبلت هذه الذبيحة قام المسيح من بين الأموات وصعد إلى السموات وجلس فى الأعالى فى أسمى مكان. وبذلك انتقل المسيح له المجد من الأرض التى فيها أهين وصلب ومات نيابة عن الإنسان إلى السماء... إلى قدس الأقداس الذى صعدت إليه ذبيحة المسيح الكفارية ذبيحة مقبوله من الله الآب .... فالرفعة المشار إليها هنا ليست رفعة من اللاهوت، لأن اللاهوت لا يقبل الرفع كما لا يقبل الخفض، وإنما الرفعة هنا بمعنى ارتقاء المسيح من الأرض إلى السماء، كما أنها تشير إلى أن المسيح صار بموته على

الصليب ذبيحة «كفارية» فدائية لخلاص البشر، وقد قبلت هذه الذبيحة ودخل بعدها إلى السماء، والمسيح بحق الخلاص الذى قدمه للبشر صار رأس الخليقة الجديدة، وتاجها ومخلصها وفاديها وملكا لملكوت السموات ورئيسا لجيش الخلاص، فصار اسمه هو الاسم الذى يطلق على المسيحيين الذين انضموا تحت لوائه ودخلوا فى سياج مملكته، وصاروا من أعضاء جسده السرى، وليس عند المسيحيين اسم يفتخرون به أعظم من اسم المسيح، ولولا قيامة المسيح وهى دليل إنتصاره على الموت بلاهوته وتحقيق خلاصه للبشر، لما كان للمسيح وجود ولا اسم يعرف إلى اليوم بين الناس... بل كان شأنه شأن أى إنسان عادى عاش ومات ودفن ولم تقم له قائمة... وبالإجمال فإنه يلزم أن نكون حذرين فى تفسير نصوص الكتب المقدسة بالنسبة للمسيح له المجد، فنميز بين النصوص التى تتناول الناسوت والنصوص التى تتناول اللاهوت، فكل نص ينسب إلى المسيح الجوع، العطش، النمو، التطور والانتقال من حالة إلى حالة، كلها نصوص تتناول الناسوت ولا تتعرض للاهوت الذى هو فى نفس الوقت متحد به، ومن بينها هذه النصوص التى وردت فى رسالة مار بولس إلى فيلبى الأصحاح الثانى التى استند إليها أريوس فى تأييد بدعته والتى تناولناها بالشرح منذ قليل..

١٥ ـ «صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما أفضل منهم»(١) :

مع أن هذا النص مرتبط بفقرة طويلة سبقته تشير إلى مقام المسيح اللاهوتى ومكانته وصفاته التى لا يمكن أن يتصف بها غير الله وحده، لكن أريوس فى حماقته اندفع ليتخذ من العبارة الأخيرة من هذه الفقرة منفصلة عن الفقرة كلها سندا لتأييد بدعته، متجاهلا المعانى العميقة التى تنطوى عليها النصوص السابقة على هذه العبارة الأخيرة، وهذه هى عادة الهراطقة وسقطتهم فى كل زمان ومكان، أنهم يقتطعون عبارة من بين السطور وينفردون بها بتأويل يخرجها عن قصدها السامى، وذلك بانتزاعها من سائر النصوص ونزعها من السياق العام... الأمر الذى يضر بسلامة التعليم القويم.

يبدأ الرسول الفقرة كلها وهى التى يبدأ الأصحاح الأول من رسالته إلى العبرانيين بها مستعرضا عمل الله فى الفداء.

«الله بعد ماكلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه، الذى جعله وارثا لكل شئ الذى به أيضا عمل العالمين، الذى هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى، صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما أفضل منهم» (عب١ : ١ ـ ٤).

فالرسول هنا يستعرض عناية الله بالإنسان وإهتمامه بأمر خلاصه وإرساله الأنبياء الكثيرين،

---

(١) العبرانيين ١ : ٤.

لتقويمه وتنبيهه ورعايته وتوجيه نظره إلى حاجته لخلاص أبدى بموت الفادى على الصليب، وبعد هذه الجهود المتلاحقة التى مهد الله بها لظهور المسيح فى الجسد... ظهر أقنوم الكلمة متجسداً فى شبه الناس... وصار له كيان جسدى معروف بين الناس.... وعلى الرغم من هذا الكيان الجسدى ومع أن المسيح ظهر كإنسان وأخضع ذاته لكل ما يخضع له الإنسان... لكن هو ذاته الكلمة مقيم السماء والأرض... الكلمة الذى كان منذ الأزل عند الله بل كان هو الله، وعندما تكلم المسيح في الجسد كان الله هو الذى يكلمنا فيه، لأنه هو ذاته صورة الله غير المنظور، وهو ابن الله لأننا رأينا فيه صفات الله غير المنظور وكمالاته. وليست هناك فى لغة البشر كلمة أكثر دلالة على المطابقة التامة من كلمة ابن... فالمسيح ابن الله لأن الصفات التى رأيناها فيه أيام جسده هى بعينها صفات الله غير المنظور... ولذلك قال لفيلبس حينما سأله أرنا الآب وكفانا... أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفنى يا فيلبس... الذى رآنى فقد رأى الآب، أنا والآب واحد... وفيما يوصف المسيح بأنه ابن الله لأن فيه تمام المطابقة بين الصفات والكمالات التى عرفناها فيه أيام جسده، وبين الصفات والكمالات التى يتصف بها الله الغير المنظور، يوصف المسيح أيضا بأنه الخالق الذى تمم عمل الخلق والعالمين... وصفة الخلق لا يتصف بها غير الله وحده. وكما تفل الله على الأرض وصنع من التفل طينا ومن الطين خلق آدم الأول، هكذا تفل المسيح على الأرض وصنع من التفل طينا وطلى بالطين مكان العينين فى المولود الأعمى الذى لم تكن له عينان، دلالة على أنه هو الخالق الذى عمل العالمين، فصفة الخلق تنسب أيضا إلى المسيح وهى من صفات لاهوته... ومن صفات لاهوته أيضا المطابقة التامة الجوهرية بين أقنوم الكلمة والجوهر الإلهى، وبذلك وصف الرسول أقنوم الكلمة بالنسبة إلى اللاهوت بأنه رسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة مقدرته... وهذه عبارات تدل على تمام المطابقة بين أقنوم الابن وجوهر الثالوث القدوس، لأنه جوهر واحد وما يتصف به الثالوث يصدق على أقنوم الابن من حيث الصفات والكمالات الإلهية، ومن حيث هو الكلمة المتجسد فقد صنع لنفسه تطهيراً لخطايانا لأن من أجل هذا الغرض قد أتى الكلمة من السماء، متخذا ذات ناطقة واتحد بالناسوت الذى أخذه من مريم اتحادا كاملا بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، وبموته فداء عن البشر، صار للبشر بموته غفران خطاياهم.

وبعد أن تمم عمل الخلاص وأكمله على الصليب صعد إلى السماء وجلس فى أسمى مكان فى الأعالى... هذا المكان الذى وصف بأنه يمين الله وهى عبارة مجازية يجب أنها لا تؤخذ بمعنى حرفى ولكن بالمعنى الأدبى... لأن الله ليس له يمين ولا شمال إذ أنه ليس محدوداً بالمكان، وإنما الجلوس عن اليمين معناه الجلوس فى أسمى مكان الكرامة... والمعنى بالإجمال أن المسيح جلس فى أسمى مقام فى الأعالى... وطبيعى أنه فى الجسد الذى صعد به صار فى مقام أعظم من مقام الملائكة، لأن له اسما أعظم من اسمهم فاسمه عجيبا مشيرا إلها قديراً أبا أبديا رئيس السلام، وكما قلنا، نقول أيضا، أنه يجب التفريق دائما بين ما ينسب إلى اللاهوت... وما ينسب

إلى الناسوت من صفات، لأن المسيح يملك فى طبيعته صفات اللاهوت والناسوت معا، من حيث أنه يجمع بين اللاهوت والناسوت فى طبيعة واحدة بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، مع أن صفات الناسوت متميزة عن صفات اللاهوت... لكن ما ينسب إلى الناسوت يمكن أن ينسب إلى اللاهوت باعتبار أن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت اتحاد تام.

خامساً : نصوص لبيان إمكان تغيره ونقص معرفته:

(١٦) «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب» (١)

استعان أريوس بهذا النص للتدليل على أن الابن ناقص فى معرفته وبالتالى فإنه مخلوق...

ولكن هذه الصعوبة تحل على أساس أن السيد المسيح لا يعلم باليوم والساعة من حيث ناسوته، ولكنه يعلم بهما من حيث لاهوته... لأن العلم بالمستقبل وبالغيب المحجب صفة تختص باللاهوت وحده، وأما الناسوت فلا يعلم بشئ من دون وسائل التبليغ بالعلم، سواء كان ذلك عن طريق الناس أو من طريق الاستنباط والاستنتاج من المقدمات المعروفة، ومع ذلك ولأن اللاهوت فى المسيح متحد بناسوته اتحادا تاما... فالسيد المسيح إذاً يعلم اليوم والساعة.. يعلم لأنه إله متجسد ولاشك فى ذلك، ولاشك أيضا فى علمه اليوم والساعة لأنه باللاهوت الذى فيه يعلم الحاضر والماضى والمستقبل، والسيد المسيح يملك فى بعض الأحيان أن يعبر عن هذا العلم ويظهره... فكم من مرة نقرأ فى الإنجيل المقدس عن المسيح أنه يعلم الأفكار قبل أن تخرج إلى ألفاظ وكلمات... كما أنه يعلم بأمور حدثت وتحدث بعيداً عنه، من ذلك علمه بالحديث الذى جرى بين القديس بطرس الرسول تلميذه وبين المطالبين بالجباية، كيف أن سيدنا كلم بطرس عن الموضوع وعن التفصيلات قبل أن يكلمه بطرس، مما يدل على علمه بالأمور التى تحدث بعيدا عنه... وفى الإنجيل نقرأ أيضا أن السيد المسيح خرج من العلية إلى بستان جثسيمانى وهو يعلم كل ما سيأتى عليه، كما أنه علم كذلك بإنكار تلميذه بطرس له وهو الانكار الذى تم خارج دار رئيس الكهنة، ولكن سيدنا علم به من بعيد وهو بعيد عنه، وبعد القيامة علم بإنكار تلميذه توما وبقوله إن لم أضع أصبعى فى أثر المسامير وأضع يدى فى جنبه لا أومن، فظهر لتلاميذه فى الأحد التالى للقيامة وقال لتوما هات اصبعك وضعه فى جنبى ولاتكن غيرمؤمن بل مؤمناً، إذاً المسيح له المجد يعلم بكل ما جرى ويجرى وسيجرى، لكن هذا العلم يختص أولا وبالذات بلاهوته ولا يختص بناسوته ولو أن الناسوت متحد باللاهوت، وطبيعة هذا الاتحاد الكامل تقتضى أن يعلم الناسوت أيضا بما يعلمه اللاهوت، إلا أن العلم فى الناسوت مع ذلك ليس مختصا به ولا من صفاته الخاصة به، ولكنه بالنسبة للناسوت علم مفاض عليه من اللاهوت المتحد

---

(١) مر١٣ : ٣٢.

به... وإذا كان سيدنا يشاء أحيانا أن يعبر عن صفة تختص بالناسوت فيسلب العلم عنه، فهذا نسلب إنما بناء على أن صفة العلم لا تختص ذاتيا بالناسوت.

وعلى سبيل المثال والإيضاح نقول أن المعلم الذى يصحح إجابات تلاميذه، يعلم بصفته كذلك بالناجح منهم والراسب ولكنه يمكنه أن ينكر على نفسه العلم بالناجح والراسب من التلاميذ، من حيث أن نظام المدرسة أو الكلية يقتضى أن لا يخبر المعلم تلاميذه بنتيجة لإمتحان قبل الموعد المحدد الذى تعينه إدارة الكلية، طبقا لتقاليد الإمتحانات ونظمها وترتيباتها ولأسباب أخرى كثيرة تضعها الكلية فى اعتبارها... والمثل على ذلك أيضا ما يجرى بالنسبة لبعض الشخصيات الكبيرة، التى قد تكون لها أكثر من صفة، فيمكنها أن تتصرف بصفة فى نفس الوقت تنكر على نفسها شيئا من جهة بينما لا تنكره من جهة أخرى، فرئيس الوزراء فى حكومة ما قد يكون وزيرا فى نفس الوقت، للداخلية أو للخارجية أو لهما معا ولغيرهما بحسب مقتضى صالح الدولة، فاذا وقع على قرار يختص بصفته وزيرا للخارجية فلا يجوز أن يوقع عليه كرئيس للوزراء أو كوزير لوزارة أخرى، وإذا وقع على قرار بصفته رئيسا للوزراء فلا يوقع عليه بصفته وزيرا للداخلية أو للخارجية...

وهكذا يمكن أن يكون لأى شخص آخر أكثر من صفة... فالمهندس أو الطبيب أو المحامى أو رجل الأعمال يمكنه أن يوقع على عقد بيته أو أى عقار يمتلكه وذلك لا بصفته موظفا بالحكومة ولكن بصفته الشخصية...

كما لا يجوز له أن يوقع على وثيقة رسمية حكومية بصفته الشخصية وإنما بصفته موظفا فى تلك الهيئة أو المؤسسة.

فهذان المثالان والأمثلة الكثيرة على أنه يمكن أن يكون للواحد أكثر من صفة، وعلى نفس القياس عليه أن يقال أن السيد المسيح له المجد يعلم باليوم والساعة من حيث لاهوته ولا يعلم بهما من حيث ناسوته... وعلى كل حال يعلم بهما حيث أن لاهوته وناسوته متحدان معا بغير افتراق ولا امتزاج ولا تغير ولا انفصال... والناسوت وإن لم تكن له صفة العلم بذاته ولكنه يعلم بصفة اتحاده باللاهوت الذى يفيض عليه العلم لأنه متحد به...

(١٧) «وقال أين وضعتموه. قالوا له يا سيد تعال وأنظر» (١)

وهذا نص أيضاً جاء به أريوس، ظنا منه أنه يمكنه أن يعتمد عليه فى إثبات أن المسيح لا يعلم بالمكان الذى دفن فيه لعازر، وهذا فى نظر أريوس يعد نقصا وبالتالى فهو مخلوق.

نقول أن المسيح له المجد يعلم بالقبر ومكانه... ولكن لا المعرفة الجسدية لأنه لم يذهب إلى القبر قبل ذلك، ولا معرفة له بمكانه من حيث ناسوته، ولكنه يعلم بالقبر طبعا ولاشك.. لأن

---

(١) يو ١١ : ٣٤.

لاهوته الذى يملأ السماء والأرض كفيل بأن يجعله يعرف أين هو... وإذا كان المسيح لإسمه السجود، علم بنثنائيل وقصته وهو طفل رضيع وضعته أمه فى تعريشة التينة إنقاذا له من عسكر هيرودس، الذين كانوا يدخلون البيوت ليقتلوا الأطفال الرضعان من ابن سنتين فما دون، بل وسيدنا يقول لنثنائيل حين إلتقى به أول مرة، قد رأيتك قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك... الأمر الذى انتبه إليه نثنائيل وقال على الفور : أنت ابن الله... فأجابه السيد قائلا : هل آمنت لأنى قلت لك أنى رأيتك تحت التينة، سوف ترى أعظم من هذا.

نقول إذا كان لسيدنا علم بهذه الحادثة بل وقد رأى نثنائيل كما صرح بفمه الطاهر، وكانت الرؤيا بلاهوته لأنها لم تكن بالناسوت، فبالأحرى يعلم سيدنا بالقبر من حيث لاهوته القائم فيه والمتحد بناسوته... ولكن هذه المعرفة ليست معرفة جسدية ولاتعتمد بالرؤية العينية بعين الجسد... ولا بالخبرة المادية، وإذا كان سيدنا يعلم بالقبر من حيث لاهوته ولا يعلم بموضعه من حيث ناسوته، فهو يشاء بتدبيره أن يبرز نفسه جاهلا بالمكان الذى دفن فيه لعازر، حتى يكشف صراحة عظمة المعجزة عندما تتم، وحتى لا يظن أحد من الناس أن هناك اتفاقا بين المسيح له المجد وبين عائلة لعازر... ثم أنه بهذا السؤال وجه نظرهم وحركتهم إلى متابعته وملازمته ومصاحبته إلى المكان الذى دفن فيه لعازر....

(١٨) «فلما خرج قال يسوع الآن تمجد ابن الانسان وتمجد الله فيه»(١)

هذا النص ليس فيه شئ مما يمكن لأريوس أن يتخذه على أن الابن مخلوق، لأن هذه العبارة التى نطق بها مخلصنا فى علّيه صهيون وهو على المائدة مع تلاميذه... وبعد أن خرج يهوذا الأسخريوطى إلى حيث عقد الصفقة مع الكتبة والفريسيين ومع رؤساء الكهنة حتى يسلم لهم المسيح معلمهم وسيدهم.

فالواضح أن سيدنا إذ أُسلم للكتبة والفريسيين ورؤساء الكهنة... وهؤلاء أسلموه لبيلاطس ليسلمه للصلب.

والصلب هو العمل الفدائى الكفارى الذى تم فيه خلاص البشرية... كما تم فيه حكم الله على المسيح كبديل عن البشرية وفادٍ لها... وفى هذا كله تمجيد لله... وكأن موت المسيح له المجد هو فى نفس الوقت بركة وخير للبشرية... وخلاص للإنسانية من خطاياها... وبعبارة أخرى أن الله بعمل الفداء قد تمجد فى المسيح وهو بعينه الكلمة المتجسد...

---

(١) يو ١٣ : ٣١.

سادساً : نصوص زعم أريوس على أن المسيح أقل من الآب :

(١٩) «سمعتم أنى قلت لكم أنا أذهب ثم آتى إليكم، لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب لأن أبى أعظم منى»(١)

فى زعم أريوس، أن هذا نص صريح على أن المسيح له المجد، أقل من الآب... وإذن فهو مخلوق، ولكن قد ضل أريوس ضلالة بعيدة، لأنه على طريقة الهراطقة عزل جزءا من النص عن السياق العام... وبهذا أتلف المعنى كل الإتلاف.. وأضر بمغزى هذا الحديث المعزى... فإن سيدنا له المجد كان فى مجال تعزية تلاميذه عن مفارقته لهم... وكان فى مجال تهدئة مشاعرهم وتطييب خواطرهم وتطمينهم بعبارات مهدئة معزية.

فهو يقول لهم... سمعتم أنى قلت لكم أنا أذهب، لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب..

وفى مجال التعزية يطلب منهم أن يفرحوا ولا يحزنوا إذا فكروا فى الفارق بين ما هو عليه على الأرض من الذل والإهانة والعذاب، لاسيما أحداث الصليب وماتبعها ولازمها ولحقها من آلام وأحزان وأوجاع كثيرة، حتى قال مرة : نفسى حزينة جدا حتى الموت... وبين ما سيكون عليه بعد أن يصعد إلى السماء من مجد وكرامة، لأنه بعد الصعود جلس فى الأعالى وفى أسمى مكان فى السماء... هذا الفارق الضخم بينما كان عليه سيدنا من هوان، ومما سيصل إليه بالفعل بعد صعوده بالمجد... هو نقطة العزاء التى ركز عليها سيدنا حديثه حتى يهدأ من روع تلاميذه، الذين فزعوا لسماعهم عن خبر مفارقته لهم وذهابه عنهم... وإذن فالآب أعظم من الابن لا فى الجوهر ولكن فى الحالة... فالابن نزل إلى الأرض، وتجسد، وصلب وأهين، ومات... وأما الآب ففى المجد... والابن نفسه صعد إلى هذا المجد عينه الذى أخلى نفسه عنه فترة ما... نجد الآب إذن أعظم من الابن فى الحالة لا فى الجوهر، وكيف يكون الآب أعظم من الابن فى الجوهر .. أن هذا مستحيل لأن الآب قائم مع الابن والروح القدس فى جوهر واحد... ولا فرق بين الأقانيم لأنها متساوية الكرامة والمجد وجميع الكمالات الإلهية، وإن كانت متميزة فى الخواص لكن الذات واحدة، والجوهر الإلهى واحد.

وسيدنا نفسه يقول لفيلبس حينما سأله أرنا الآب وكفانا، أجاب المخلص بعتاب بقوله : أنا معكم زمانا هذه مدته ولم تعرفنى يا فيلبس؟ الذى رآنى فقد رأى الآب... أنا والآب واحد... إلى غيرها من النصوص الإلهية التى تبين أن الابن والآب جوهر واحد، وان الابن والآب والروح قائم فى الذات الواحدة. وأنه لا تمايز بتاتا بين الأقانيم فى الجوهر...

أما قوله : فالآب أعظم منى... فالعظمة هنا تنسحب على حالة الكرامة والمجد التى تركها

---

(١) يو ١٤ : ٢٨.

الابن بسبب التجسد وعاد إليها بعد قيامته وصعوده إلى السماء... وكمثل توضيحى يمكن أن نقول أن الأم التى سافر ولدها إلى بلد بعيد ليحصل على دراسة عليا، وعلى درجة علمية أكبر أو على منصب أرفع، إذا بكت على فراق ولدها وعزاها أحد الناس عن هذا الفراق بقوله : لا تحزنى أيتها الأم فإن ولدك هناك أعظم منه هنا... فلا يفهم من هذا التعبير أن هذا الولد صار فى بلد أجنبى أعظم فى طبيعته وجوهره منه فى وطنه... ولكن معنى العبارة أن ابنها صار فى حالة أعظم من الحالة التى كان عليها فى وطنه... وهكذا يمكن أن يقال للأم التى فقدت ابنها بالموت أن ابنك قد صار إلى عالم أفضل، وأنه هناك أعظم منه هنا، وهذا تعبير للدلالة على أن حالة ابنها وهو فى العالم الآخر أعظم من حالته فى عالم الشقاء.

... والخلاصة... أن سيدنا حينما قال : إن أبى أعظم منى لم يكن كلامه فى مجال الإلهيات وإنما كان فى مجال العزاء.

لم يكن كلامه عن الجوهر الإلهى وإنما كان كلامه عن الفرق بين حالة الابن على الأرض وحالته فى السماء... هذا الفرق الذى ذكره للتلاميذ ليعزيهم عن مفارقته لهم.

(٢٠) «ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة... ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: ايلى ايلى لما شبقتنى أى إلهى إلهى لماذا تركتنى» (١)

هذا التعبير نطق به المسيح له المجد مرددا مطلع المزمور الثانى والعشرين... «إلهى إلهى لماذا تركتنى» وهو المزمور الذى نطق به النبى بروح النبوة، مفصلا أحداث الصليب كما لو كان حاضرا بنفسه ساعة إتمام الصلب... ولكن يبقى السؤال كما هو، لماذا يقول المسيح إلهى إلهى لماذا تركتنى؟ لأن هذه العبارة تثير صعوبتين الصعوبة الأولى : كيف يكلم المسيح الله ويناديه قائلا إلهى إلهى. والصعوبة الثانية : التى تثيرها هذه العبارة هى صعوبة الترك... فهل ترك اللاهوت الناسوت؟ !! وهذا التعبير يستند إليه أصحاب الطبيعتين من الرومانيين والخلقيدونيين بل والنساطرة أيضا.

أما الصعوبة الأولى... فنجيب أن المسيح له المجد وإن كان هو الله ظاهرا فى الجسد، لكنه يمكنه أن يخاطب لاهوت الآب أو اللاهوت المتحد به بقوله إلهى... وهو نفسه قال لمريم المجدلية بعد القيامة لم أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم. كذلك إن اللاهوت هو إله الناسوت وإن كان متحدا به، فالمسيح من حيث هو إنسان يمكنه أن يخاطب اللاهوت سواء لاهوت الآب وهو بعينه لاهوت الابن ولاهوت الروح القدس، وهو اللاهوت الحال به والمتحد به بقوله إلهى...

لأن سيدنا اتخذ له ناسوتا كاملا من جسد ومن نفس ناطقة، كما يقول النبى أعددت لى

---

(١) مت ٢٧ : ٤٦.

جسدا، وعلى هذا فناسوت المسيح ناسوت مخلوق وخالقه هو اللاهوت المتحد به... والذى يملأ السماء والأرض... فإذا خاطب اللاهوت فيخاطبه إلهى... ولا صعوبة هنا لأن الناسوت كامل وله كل الصفات الناسوتية.. والاتحاد بين اللاهوت والناسوت لم يبطل صفات الناسوت ولم يعطل صفات الناسوت وهو اتحاد بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغير.

... أما الصعوبة الثانية... فتُحل على أساس أن الترك المشار إليه فى النص ليس تركا جوهريا وإنما هو ترك أدبى ... ونحن نؤمن أن آلام الصليب وقعت على الناسوت فيزيقيا وفى نفس الوقت وقعت على اللاهوت أدبيا... وإن لم يكن فيزيقيا... فمعنى العبارة إذن لماذا تركتنى للألم وهذا تعبير للدلالة على شدة الآلام التى احتملها المسيح له المجد، وأنها كانت آلاما حقيقية حتى دعته يصرخ من أجلها ويقول : لماذا تركتنى! كما قال من قبل : إن أمكن أن تعبر عنى هذه الكأس... ودليل أيضا على أن سيدنا أخذ ناسوتا حقيقيا. وليس كما زعم أوطاخى وبعض الهراطقة أنه كان ناسوتا خياليا، ويدل أيضا على أن الناسوت لازال بعد اتحاده باللاهوت ناسوتا كاملا محتفظا بكل صفاته ولم يبطل الاتحاد شيئا من صفات الناسوت... وهذا رد مناسب على أوطاخى الذى زعم أن الناسوت قد ضاع فى اللاهوت واختلط به وامتزج فيه وامتص فيه إمتصاصا كما يمتص أو تضيع نقطة من الخل فى المحيط.

فقوله إذن لماذا تركتنى، معناه أن الآلام شديدة ولذلك يعبر عن شدتها وقسوتها بالعبارة... لماذا تركتنى... لكنه كما قلنا ترك أدبى وليس تركا جوهريا.. نقول لاتركا جوهريا لأنه لو أن اللاهوت فارق الناسوت مفارقة جوهرية وجودية، لكان معناه أن الفداء لم يتم وأن الصلب كان صلبا واقعا على الناسوت وحده... ومن ثم... لا يكون للصلب قيمة «كفارية» أبدية «كالتى صارت له بالفعل... ولو ترك اللاهوت الناسوت تركا جوهريا وجوديا، لكان معناه أن الذى صلب من أجل البشر إنسان... فكيف يقول الكتاب عن دم المسيح أنه دم أزلى وأنه دم الله كما عبر الرسول بقوله كنيسة الله التى إقتناها بدمه... فإذا كان الدم موصوفا بأنه دم الله فكيف يجوز ذلك مالم يكن اللاهوت متحدا بالناسوت وقت الصلب أيضا!!

... إذن ... فاللاهوت لم يفارق الناسوت ولم يتركه جوهريا، وإنما تركه للألم بمعنى أن اللاهوت لم يتدخل به ليبطل آلام الصليب أو تخفف منها، وإنما توقف اللاهوت عن التدخل فوقعت الآلام كاملة على الناسوت من غير تخفيف وعلى قول النبى أشعياء :

«الرب وضع عليه إثم جميعنا».

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين.

خطاب القديس أثناسيوس الرسولى
فى الرد على الأريوسية

١ ـ معلوم تماماً أن كل الهرطقات التى جانبت الحقيقة قد ابتدعت حماقة، وأن كفرها قد صار مشهودا للكل منذ زمن طويل. وسوف نرى جليا ويقينا أن مبتدعيها قد خرجوا منا كما كتب المغبوط يوحنا، والآن فإن آراء هؤلاء الناس ليست بعد متفقة معنا. ولهذا كما قال المخلص الذين لا يجمعون معى يفرقون مع الشيطان، ملاحظين الذين يختبئون ليزرعوا زوانهم الخاص زوان الهلاك، ويضموا إليهم الذين يهلكون، ولكن حيث أن إحدى هذه الهرطقات وآخرها وهى التى وكأنها تنبئ بضد المسيح هذه التى تسمى الأريوسية. مخالفة وشريرة رأت أن أخواتها السابقات قد أنكرت علانية، فترددت أن تنكشف وتسترت فى كلمات الكتاب المقدس، مثلها مثل أبيها الشيطان، وأقحمت نفسها الدخول إلى فردوس الكنيسة، ولأنها تبدو شبيهة بالمسيحية قد أضلت بعض أشخاص أن يفتكروا فكرا ضد المسيح، بإغراء من إختراعاتها لأنه ليس فيها شئ معقول، لكنها قد خدعت بعض الجهال الذين ليست لهم فقط آذان مخدوعة، بل وقد قبلوها وذاقوها كما فعلت حواء، هؤلاء رأوا فى جهلهم أن هذه الهرطقة جميلة، وأعلنوا أنها مقبولة وقد رأيت نفسى مضطرا، إلى أن أنفذ إلى مداخل هذه الهرطقة لأثبت مبلغ معارضتها للعقل، حتى أن البعيدين عنها يظلون على بعدهم عنها، والذين ضلوا بها يندمون وإذ يفتحون عيون قلوبهم يفهمون أن الظلام ليس كالنور والكذب ليس كالحقيقة، كذلك هرطقة الأريوسيين ليست خيرا، ولكن حتى الذين يدعون مسيحيين قد ضلوا بها ضلالا بعيداً، كأنهم لم يقرأوا الكتب المقدسة ولم يعرفوا المسيحية بتاتا ولا الإيمان الذى فيها.

٢ ـ أجل، أى مشابهة يرونها بين الهرطقة وبين الإيمان الصحيح، حتى يدعون جهلا أن هؤلاء الناس لم يقولوا شيئا رديئا؟ حقا كما لو أنهم جعلوا من قيافا (رجلا) مسيحيا، أو حسبوا يهوذا الخائن بين الرسل، أو كأنهم يقولون إن الذين قبلوا باراباس بدلا من المخلص لم يصنعوا شيئا رديئا، أو جعلوا من هيمينايس والاسكندر قوما علّموا الناس تعليما صحيحا ومن الرسول الذى تكلم ضدهما رجلا كاذبا، لكن مسيحيا لا يتحمل كلاما كهذا وليس من يقول إن من يصنع أمرا كهذا ملهم بالروح، لأن عندهم أريوس بدلا من المسيح مثل مانى عند المانويين، وبدلا من موسى وغيره من الرجال القديسين قد اكتشفوا من يسمى سوتاتيس Sotatés الذى يسخر منه اليونانيون الوثنيون أنفسهم، وابنة هيروديا : فإن أريوس حاكى النهج المخنث المنحل الذى نهجه الأول، فكتب هو أيضا ثاليات Thalies θαλεῖα وهى (أشعار ماجنة هزلية)، كما قلد عن الثانية رقصها، وكان يرقص ويلهو فيما هو يجدف على المسيح، بحيث أن الذين سقطوا فى هرطقته فقدوا العقل وصاروا يهذون حتى غيروا اسم «رب المجد» إلى شبه صورة إنسان فاسد، وبدلا من أن يسموا مسيحيين أصبحوا يسمون أريوسيين، وهذه علامة على كفرهم، والواقع أنهم

لا ينتحلون أعذارا. وعندما يلامون على أنهم لا يفترون على من ليس مثلهم حتى يثبتوا أنه بنفس الطريقة يسمون هم أنفسهم أريوسيين، فإذا كانوا لا يخجلون من اسمهم يمكنهم أن يسروا به، لكن لأنهم يخجلون منه لذلك يتعيرون أو أنهم مجتمعين يفرون من كفرهم. لأن الشعب «المسيحي» لم يتخذ أبدا اسم أساقفة، ولكن اسم الرب هذا الذى نؤمن به : إن الرسل المغبوطين كانوا معلمينا وخدام إنجيل المخلص ولم نأخذ اسمنا منهم، وإنما تبعا للمسيح نسمى نحن مسيحيين، فالذين يتخذون من آخر أصل الإيمان الذى يعتقدون فيه، فمنه والحالة هذه، يحملون الاسم، كأنهم أصبحوا ملكا له.

٣ ـ وعلى ذلك حيث أننا جميعا مسيحيون، ونسمى بالمسيح مسيحيين، فماركيون وهو مبتدع هرطقة، قد طرد قديما (من الكنيسة) وهؤلاء الذين بقوا مع هذا الذى طرد، ظلوا مسيحيين، هؤلاء الذين تبعوا ماركيون لا يسمون بعد مسيحيين، بل من ثم ماركيونيين وبالمثل فالنتينوس Valentin وباسيليدس Basilide ومانى وسيمون الساحر قد أعطوا نصيبا من اسمهم لمن تبعوهم، فالبعض سموا فالنتينيين والآخرون باسيليديين وغيرهم مانويين وهؤلاء سيمونيين وغيرهم فريجيين من فريجيا، والذين من نوفات نوفاتيين، وبالمثل أيضا مالاتيوس الذى طرده بطرس الأسقف والشهيد، سمى أتباعه لا مسيحيين بل ملاتيين وبالمثل أيضا عندما طرد المغبوط الكسندروس أريوس، فالذين بقوا مع الكسندر ظلوا مسيحيين، والذين خرجوا (من الكنيسة) مع أريوس تركوا لأتباع الكسندر اسم مخلصنا، وأما هم فتسموا من ذلك الوقت أريوسيين، وهذا هو الواقع أيضا بعد موت الكسندر، إن الذين دخلوا فى شركة مع أثناسيوس، الوارث لكرسيه، والذين أثناسيوس نفسه فى شركة معهم، يحرصون على نفس الصورة، فليس منهم من يتخذ اسمه من نفسه، ولا يتخذ أسمه من اسمهم. ولكن مرة أخرى إن الكل يحمل الاسم المألوف عند المسيحيين، لأنه مع أن لنا خلفاء لمعلمينا ومع أننا أصبحنا نحن مستمعين لهم كما هو تعليم المسيح الذى قبلناه منهم، إلا أننا لا نسمى إلا مسيحيين. أما بالنسبة للذين يتبعون الهراطقة، حتى لو كان لهم خلفاء كثيرون جدا، إلا أنهم يحملون على كل حال اسم مبتدع الهرطقة، إن أريوس قد مات، وكثيرون من أتباعه خلفوه، ومع ذلك فان من يتبعون تعليم أريوس يسمون أريوسيين، ولنا على ذلك برهان واضح : فمن كانوا هيلينيين، ولكنهم الآن قد جاءوا إلى الكنيسة تاركين خرافاتهم الهيلينية لا يتخذون اسم الذين يجحدونهم وإنما اسم المخلص. وبدأ الهيلينيون يسمون مسيحيين. والذين يذهبون إلى هذه (الهرطقات) أو كل الذين من الكنيسة ينضمون إلى الهرطقة، يتركون اسم المسيح، ومنذ ذلك الحين يسمون أريوسيين، حيث أنه ليس لهم بعد إيمان المسيح بل قد أصبحوا وارثين لحماقة أريوس.

٤ ـ كيف إذن يكونون مسيحيين، من ليسوا مسيحيين ولكن من أشياع أريوس؟ أو كيف يصبحون من الكنيسة الجامعة من زعزعوا الإيمان الرسولى، وجعلوا أنفسهم (مخترعين شرورا)

وأباطيل، وقد تركوا كلمات الكتب المقدسة (الإلهية) ودعو بثاليات أريوس وهى حكمة باطلة؟ وفى هذه الحالة يقال أنهم ينادون بهرطقة باطلة، ومما يدعو إلى الدهشة أن كثيرين من الكتاب وضعوا عددا من التصانيف والعظات على العهدين القديم والجديد، لكننا لم نجد عند أى منهم ثالية، ولا حتى عند الهيلينيين الكيسيين. لكن توجد فقط عند الذين يحفظون هذه (الأغانى) يرددونها فى الولائم مع التصفيق بالأيادى، والدعابات بين الأطفال ليضحكوا الآخرين. فهذا الأريوس الغريب لا يحاكى شيئا حسنا، بل وإنه يجهل أمور الكياسة، وقد سرق أمورا كثيرة من الهرطقات الأخرى فهو يحاكى دعايات سوتاتيس فقط.. فماذا كان عليه أن يفعل، حيث أنه أراد أن يرقص مخالفا للمخلص، إلا أن يفسر كلمات كفره الدنيئة الساقطة، بأعضائه الواهنة الخامدة، حتى أنه طبقا لقول الحكمة : يعرف الإنسان من كلامه الذى يخرج منه، وهذا يكشف بالمثل ما فى نفس الكاتب من تخنث وما فى روحه من فساد، والواقع أن الشقى لم يفلت من نظرات الناس، لكنه بقدر ما تلوى كثيرا إلى أعلى وإلى أسفل على نحو الحية، قد سقط فى خطأ الفريسيين : الذين إذ أحبوا الظلم تظاهروا بأنهم يعتمدون على أنهم قد تهذبوا بكلمات الناموس، ويريدون أن ينكروا الرب المنتظر والذى جاء، يتظاهرون بذكر الله ولكنهم سقطوا فى التجديف إذ يقولون «لماذا وأنت إنسان، تجعل نفسك إلها» (١) وتقول «أنا والآب واحد» (٢) وبالمثل فإن أريوس الكاذب والسوتاتى يدعى أنه يتكلم عن الله، موردا أقوال الكتاب المقدس، لكنه مقتنع من كل وجه أنه أريوس الملحد الذى ينكر الابن، ويعده بين المخلوقات.

٥ ـ وهذه هى فاتحة الثالية الأريوسية، وترهاتها على نحو النساء، وطريقتهن : «بحسب إيمان مختارى الله، الذين لهم معرفة الله، الأطفال القديسين، الأبرار، الذين قبلوا روحا إلهيا مقدسا، هذا الذى تلقنته، أنا، ممن نالوا نصيبا من الحكمة الفرحين، المتعلمين من الله، والحكماء فى كل شئ. على أثرهم جئت سالكا فى الإيمان عينه، أنا الذى اختبأت (فى حبائلى؟) والذى تألمت كثيرا من أجل مجد الله. وإذ قد تعلمت من الله فإنى عرفت الحكمة والعلم».

أما عن الإنتقادات التى ابتدعها فى هذا (الكتاب) وهى إنتقادات معيبة جدا، ومليئة من الروائح الكريهة فهى :

«إن الله لم يكن دائما أبا، ولكن كان هناك وقت كان الله فيه وحده، ولم يكن أبا، وقد صار أبا فيما بعد. والابن لم يكن كائنا كل الزمان : من حيث أن كل شئ قد كان (قد خلق) (خرج) من العدم، وحيث أن كل الأشياء مخلوقة ومصنوعة، فكلمة الله نفسه كان و (قد خلق) من العدم وكان ثمت وقت لم يكن فيه موجودا، وأنه لم يكن كائنا قبل أن يوجد. لكن له أيضا إبتداء فى

(١) يوحنا ١٠ : ٣٣.

(٢) يوحنا ١٠ : ٣٠.

خلقته. لأنه يقول، كان الله موجودا وحده، ولكن لم يكن الكلمة أو الحكمة موجودا ثم عندما أراد أن يخلقنا صنع موجودا ما وسماه الكلمة، والابن، والحكمة، لكى يصنعنا بواسطته».

«وعلى ذلك هناك حكمتان، على قوله : الواحدة خاصة بالله وتوجد معه. والابن حيث أنه كان (قد خلق) فى هذه الحكمة بما أنه شريك معها، قد اتخذ فقط اسم الحكمة واسم الكلمة. لأنه، على قوله، «الحكمة» قد وجدت عن طريق حكمة الله، وبواسطة إرادة الله الحكيم. كذلك يقول أن هناك كلمة آخر فى الآب (غير) الابن وأنه لأن الابن يأخذ من هذا الكلمة، فالله بفضل النعمة أيضا سماه كذلك كلمة وابن. ثم أن هناك مغالطة مطابقة لهرطقتهم تظهر من كتاباتهم الأخرى: هناك كثير من القوى: الواحدة قوة الله وهى خاصة بالطبع، وهى سرمدية. والمسيح ليس قوة الله الحقيقية لكنه واحد من قوتين........ (وحتى الدودة ليست قوة فحسب لكنها هى ذاتها سميت عظيمة).

والقوى الأخرى متعددة ومشابهة للابن، عنها يتكلم داود عندما يرنم (قائلا) ... «رب القوات». والكلمة ذاته، عرضة للتغير بطبعه، شأنه فى ذلك شأننا جميعا. لكنه يظل خيرا صالحا بمحض إرادته طالما شاء هو ذلك. لكنه إذا أراد يقدر أن يتغير تماما مثلنا، حيث أنه من طبيعة خاضعة للتغير وهذا فى الواقع هو السبب فى أن الله وقد سبق فرأى أنه سيكون خيرا، أعطاه سلفا هذا المجد الذى كان سيكون له أيضا بسبب فضيلته، هكذا سبق الله فعلم بما صار عليه هو الآن».

٦ ـ وقد تجاسر أريوس على القول بأن الكلمة ليس إلها حقيقيا، وأنه وإن كان يسمى إلها لكنه ليس إلها على الحقيقة، إنه من قبل المشاركة فى النعمة، تسمى (الكلمة) باسم الله كما هو الحال بالنسبة لكل القوى الأخرى. وكما أن كل الموجودات غريبة فى جوهرها عن (جوهر) الله ومتباينة عنه، هكذا الكلمة غريب عن جوهر الآب وعن سرمديته، ومختلف عنه من كل وجه، وهو ينتمى على الخصوص إلى المصنوعات والمخلوقات، وهو واحد منها. وزيادة على ذلك فإن أريوس، وهو الوارث لسفاهة إبليس قد وضع ثاليته أن الآب يعلو على إدراك الابن، وأن الابن لا يستطيع أن يرى أباه أو أن يعرفه معرفة كاملة : فما يعرفه (الابن) ومايراه، يعرفه ويراه حسب ملكاته (قواه) الخاصة، كما أننا نحن أيضا نعرف (الأشياء) حسب قوانا الخاصة، والحق، عند أريوس، أن الابن لا يعرف الآب معرفة صحيحة فمقدرته على الفهم ناقصة. وليس ذلك فقط بل إن الابن نفسه لا يعرف أيضا جوهر ذاته. ويقول أريوس أن ذوات الآب والابن والروح القدس منفصلة بالطبيعة ومختلفة، ومتمايزة، ولا شركة بينها، وكما أعلن الابن نفسه إنها مختلفة تماما وإلى مالا نهاية له عن بعضها بعضا، فى جوهرها وفى مجدها. وعلى ذلك فالكلمة غريبة تماما عن الإثنين الأخرين، عن الآب وعن الروح القدس، من حيث المشابهة فى المجد، والمشابهة فى الذات. هذه العبارات نطق بها أريوس الكافر وأعلن أن الكلمة منفرد فى ذاته، وأن الابن ليس له أدنى شركة مع الآب. فهذه بعض الترهات التى توجد فى رسالة أريوس التى توجب السخرية.

٧ ـ فمن يسمع إذن مثل هذه الكلمات، ونغمة هذه الثالية، ولا يملك بحق وكل الحق، شعور الكره نحو أريوس الذى جعل من هذه الأمور الخطيرة، لهوا فى الأماكن العامة؟ ومن لا يرى أن (أريوس) لم يفعل إلا أن يتظاهر بأنه يدعو الله وأنه يتكلم عن الله كالحية التى أشارت على حواء؟ ومن يواصل القراءة ولا يرى كفره، كما خدعت الحية المرأة بحيلتها؟ ومن لا يندهش من هذه التجاديف؟ وكما يقول النبى «السماء قد ارتجفت» (١) والأرض قد ارتعدت لمخالفة الناموس. إن الشمس التى غضبت ولم ترض عن الإهانات التى لحقت بجسد سيدنا جميعا، الذى احتمل الآلام بإرادته عنا، فزاغت وسترت أشعتها، قد جعلت من هذا اليوم يوما لا شمس فيه، أما من جهة تجاديف أريوس فكيف لا تصاب الطبيعة البشرية كلها بالخرس، وكيف لا تطمس أذنيها، ولا تغلق عينيها، حتى لا تستطيع أن تسمع هذه الأشياء أو ترى من كتبها؟ والرب نفسه كيف لا يصرخ بحق على هؤلاء الزنادقة الجاحدين بجميله، ويقول ما سبق النبى هوشع فقاله: «ويل لهم لأنهم هربوا عنى، تبا لهم لأنهم أذنبوا إليّ. أنا أفتديتهم وهم تكلموا عليّ بكذب» (٢) ويقول أيضا بعد ذلك بقليل : «وهم يفكرون عليّ بالشر يرتدون نحو العدم» (٣) والواقع أنهم إذ قد ارتدوا عن كلمة الله الكائن واختلقوا من لا وجود له قد سقطوا فى العدم. ولهذا فإن المجمع المسكونى قد طرد أريوس من الكنيسة لأنه تكلم بهذه الأمور وقطعه عن شركتها، فلم يؤيد (المجمع) كفره، ومنذ ذلك الحين حكم على خطأ أريوس بأنه هرطقة، هرطقة احتوت على شئ زاد على الهرطقات الأخرى، لأنها قد سميت أيضا مضادة للمسيح، واعتبرت منبئة بالدجال. وهو كما قلت سابقا، حكم صارم على الهرطقة الكافرة، يكفى ليقنع جميع الناس بالهرب منها. ومع ذلك، هناك أشخاص يقال إنهم مسيحيون، جهلا أو رياء، (يزعمون) أن الهرطقة ليست شرا مشكوكا فيها من جهة الحقيقة، ويسمون أتباعهم مسيحيين وإذن فلنمتحن هؤلاء بقدر طاقتنا ولنكشف شر الهرطقة فربما يخجلون ويهتدون، وينجون منها «كما من وجه الحية».

٨ ـ على ذلك، فلأن (أريوس) قد أودع ثاليته كثيرا من كلمات الكتب المقدسة، فجعلوا من تجاديفه مدائح من كل نوع، وقد شاهدوا أن يهود اليوم يقرأون الناموس والأنبياء، فهم أيضا لهذا السبب سينكرون المسيح معهم ثم سمعوا ما قيل إن المانويين أيضا يرددون (يتلون) بعض أجزاء من الأناجيل، سينكرون معهم الناموس والأنبياء. وإذا كانوا عن جهل يرسمون ويقولون أمثال هذه الجهالات، فيأخذون من الكتب المقدسة ما استخرجه الشيطان نفسه، مبتدع الهرطقات، بسبب نتانة خبثه، من الكتب المقدسة حتى يستروها، وإذ يزرع سمومه، ويخدع البسطاء وبهذا

(١) أرميا ٢ : ١٢.
(٢) هوشع ٧ : ١٣.
(٣) هوشع ٧ : ١٥، ١٦.

الأسلوب عينه خدع حواء، وأضل الهراطقة الآخرين وهكذا أيضا قد حرض الآن أريوس على الكلام، وعلى أن يقول لنفسه أنه نهض يقاوم الهرطقات حتى يخفى إدخال هرطقته الخاصة، ولكن على الرغم من ذلك لم يخف شره. لأنه لما كفر بكلمة الله تجرد فى الحال من كل الفضائل، وظهر للجميع أنه أنكر (الأقنومين) الآخرين أيضا، وأنه لا يفكر بشئ من الحق أبدا وأنه كان يتصنع. كيف يتكلم بالحق عن الآب من ينكر الابن الذى خبرنا عن الآب؟ أو كيف يفكر بالصواب عن الروح من يجدف على الكلمة الذى أرسل الروح؟ وكيف يؤمن به من إذا تكلم عن القيامة ينكر أن المسيح صار من أجلنا «البكر بين الأموات»؟ وكيف إذن ينكر ولادة الابن من الآب شرعا وحقا، ولا يخطأ أيضا فى مجيئة بالجسد؟ لأن اليهود قديما أنكروا الكلمة وقالوا «ليس لنا ملك إلا قيصر» فحرموا من كل شئ مرة واحدة، وتجردوا «من نور الصباح، ومن رائحة الزيت» ومن معرفة النبوة ومن الحق ذاته. والآن إنهم لا يفهمون شيئا، مثلهم مثل «من يمشى فى الظلمات. من فى الحق فهم مثل هذه الأمور أبدا؟ أو من أين أو ممن يفهم المتملقون ومأجورو الهراطقة مثل هذه الأمور؟ من كلمهم هكذا عندما تعمدوا؟ من قال لهم وإذا توقفتم عن «عبادة الخليقة» تعودون من جديد إلى عبادة من صنع وخلق؟ أو أنهم اعترفوا هم أيضا بأنهم سمعوا مثل هذه الأشياء لأول مرة، وأنهم لا ينكرون أن هذه الهرطقة غريبة ولم تأت من أباء الكنيسة. وما لا يأتى من الأباء هو ابتداع حديث وهو شئ آخر كما تكلم المغبوط بولس، فى الأيام الأخيرة سيرتد قوم عن الإيمان الصحيح تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين»(١) وانصرفوا عن الحق؟

٩ ـ لأننا نحن نأخذ من الكتب المقدسة ما يؤيد الإيمان التقوى، ونحن نضع «المصباح على المنارة» (٢)، قائلين: الابن بالطبيعة هو الابن الحقيقى والابن الخاص للآب، وهو يتصل على الخصوص بجوهره بذاته essence وحكمته، وهو الابن الوحيد والكلمة الحقيقى، وهو وحده من الله، ليس هو مخلوقا أو مصنوعا لكنه على وجه الدقة مولود من ذات essence جوهر الآب، فهو إله حقيقى، مساو فى الجوهر للآب الحقيقى. أما الموجودات الأخرى فقد قال عنها «أنا قلت، أنكم آلهة «ولها فقط هذه النعمة من الآب بمشاركة الكلمة عن طريق الروح. لأنه هو (الابن) رسم جوهر L'empreinte de la substanc الآب، نور من نور، قوة حقيقية وصورة حقيقية لذات جوهر الآب. وهذا أيضا ما قاله الرب «من رآنى فقد رأى أبى» أنه كائن فى كل الأوقات ولم يكن ثمت وقت لم يكن هو فيه موجودا. لأنه لما كان الآب أزليا، فكلمته كذلك أزلى، وحكمته. لكن ما الذى أتوا به إلينا فى ثاليتهم الفاسدة؟ أو ما الذى بدأوا بقراءته فيها محاكين مؤلفها... وما الذى

---

(١) ١. تيموثيئوس ٤ : ١..

(٢) متى ٥ : ١٥.

أخذوه عنها غير هذا: «إن الله لم يكن دائما هو الآب بل أصبح كذلك فيما بعد، والابن لم يكن موجودا كل الزمان لأنه لم يوجد قبل أن يخلق. إنه ليس من الآب، لكنه هو نفسه تكون من العدم. هو لا يتصل على الدقة بجوهر الآب. انه مخلوق ومصنوع والمسيح ليس هو الإله الحقيقي. ولقد صار هو نفسه إلها بالمشاركة. إن الابن لا يعرف الآب معرفة تامة والابن لا يرى الآب رؤية كاملة. والكلمة لا يفهم الآب ولا يعرفه معرفة تامة. فكلمة الآب الحقيقي والوحيد ليس هو نفسه، لكنه بالاسم فقط قد تسمى الكلمة والحكمة، كما بالنعمة قد تسمى الابن والقدرة. إنه ليس كالآب لا يعتوره تغيير، لكن طبيعته متغيرة كالمخلوقات، ويعوزه الفهم ليعرف الآب معرفة كاملة». إن قولهم هذا هرطقة غريبة ليس لها حتى المظاهر، لكنها دائما تخترع القول على من هو كائن بأنه ليس كائنا، وليس لها أبدا إلا أن تقترح تحت ستار مديح. فإذا كان يطلب من أحد من الناس تعرض عليه قضيتان، قضية بإزائها يفضل الاعتقاد بأن كلماته تلائم الله؟ أو بالأحرى ما يقولونه هم أنفسهم، وهم المتعلقون بالكفر: ما هو الأليق بالتفكير من جهة الله؟ هل الكلمة هو الله؟ نحن نطالبكم: أجيبوا لأنه بهذا يعرف الجميع قضيتين: فما هو اللائق أن يقال؟ كان هناك وقت لم يكن فيه (الابن) موجودا «أو كان موجودا كل الزمان؟.... هل أنه لا يساوى الآب فى الجوهر أم أنه يساوى الآب ويتعلق به على وجه دقيق؟ هل أنه مخلوق أم أن الخلائق قد صنعت به؟ هل هو كلمة الآب أم أن هناك آخر خارجا عنه، وأنه بهذا الفعل الآخر وبحكمة أخرى قد خلق هو، وأنه هو وحده الذى يحمل اسم الكلمة والحكمة، وأنه يشارك فى هذه الحكمة الأخرى ويأتى بعدها؟

١٠ ـ من أين إذن هذه الأقوال التى يتكلم بها هذا الإنسان عن إله مبينا أن ربنا يسوع المسيح هو الله وابن الآب؟

إذا لم يكن المخلص هو الله، ولا الكلمة ولا الابن، فأنتم أحرارا أن تقولوا ما يرضيكم، مثلكم مثل الهلينيين واليهود الآن. **لكن إذا كان هو كلمة الله والابن الحقيقى وإلها (مولودا) من إله «ومبارك على الكل إلى الأبد»** (١). أليس يليق بتلك المزاعم أن تباد وتمحى، وكذلك الأقوال الأخرى وثالية الأريوسيين أيضا، باعتبارها صورة مليئة بالشر والكفر؟ إن من يقع بها (بهذه الثالية) لا يعرف أن «بقربها يهلك العمالقة، ويلتقون بفخاخ الجحيم»(٢) وهذا يعرفونه بأنفسهم ويخبئونه كما يفعل المخادعون. إنهم لا يجرؤون على مثل هذه الأقوال لكنهم يصرخون بأقوال غيرها تقترب منها. لأنهم إذا قالوها سيحتقرون. وإذا أقروا بها، ستتعبهم البراهين المستقاة من الكتب المقدسة. لهذا مثلهم فى الواقع مثل «أبناء هذا الدهر» (٣)، الذين

---

(١) رومية ٩ : ٥.
(٢) أمثال ٩ : ١٨.
(٣) لوقا ١٦ : ٨.

أضاءوا بالشر مصباحهم المزعوم بزيت «الزيتونة البرية» (١) وخوفا من أن ينطفئ سريعا كما قيل «نور الأشرار ينطفئ» (٢) فهم يخفونه، «تحت مكيال» (٣) الرياء، ويتكلمون عن أشياء أخرى، ويهددون إعتمادا على الأصدقاء وخوف قسطنس حتى أن الرياء والتوعدات تمنع الذين يأتون إليهم من أن يروا دنس الهرطقة. أفليس الهرطقة إذن جديرة بكل كراهية، حيث أنها لا تجد جرأة عند أخص أتباعها الذين يخفونها ويغذونها كحية؟ لأنهم من أين قد ابتدعوا هذه الأقوال المفلسة؟ وممن استقوا أمثال هذه الأمور التى يجرؤون على قولها؟ إنهم لم يستقوها من إنسان: فهم لا يستطيعون أن يذكروا اسم أحد سلمها إليهم. **فمن من بين الناس يونانيا كان أو بربريا يجرؤ على القول بأن الله مخلوق من المخلوقات، وأنه لم يكن موجودا قبل أن يخلق؟ أو من لا يؤمن بالله المسيح الذى إليه وجه الله الآب الكلام فقال «هذا هو ابنى الحبيب» (٤) مدعيا أنه ليس إبنا بل مخلوقا؟.**

إن الكتب المقدسة لا تعطيهم عذرا. إنها كثيرا ما تبين، وها نحن نبين الآن، إن هذه التعاليم غريبة عن الأقوال الإلهية. فلم يبق إذن إلا أن نقول إن هذه الحماقات مستقاة من الشيطان. إنه هو وحده الذى بذرها. على ذلك فلنقاومه، إنه هو الذى يجب علينا أن نصارعه، حتى إنه بمعونة الرب، وباعتياد قهر الشيطان وهزيمته يخجلون أن يروا من بذر الهرطقة فيهم قد أصابه الخرس، ثم يعلمون ولو بعد حين، أنهم كأريوسيين أصبحوا غير مسيحيين.

١١ ـ لقد قلتم وتؤكدون، بتحريض من الشيطان، إنه كان ثمت وقت لم يكن فيه الابن موجودا: وهذا هو اللباس الأول لحماقتكم الذى يجب أن تتجردوا عنه. فإذا كان هناك وقت لم يكن الابن فيه موجودا، قولوا ما هو أيها المجدفون والكافرون. فإذا قلتم أن الآب كان فيه موجودا، فانه تجديف أعظم، فلا يجوز أن يقال أنه كان هناك وقت الآب فيه موجودا دون الابن **لأنه موجود دائما، وحاضر الآن وكائن فى نفس الوقت مع الابن، وهو هو عينه الكائن**، والآب هو آب للابن. فإذا قلتم كان هناك زمن كان الابن فيه موجودا ولم يكن هو فيه موجودا، فالجواب أحمق، ولا معنى له فكيف يمكن أن يكون هو نفسه موجودا، وليس هو؟ لقد ارتبكتم الآن، ويلزمكم أن تقولوا أنه كائن ثمت زمن، مدة من الزمن، حيث لم يكن الكلمة موجودا، وهذا ما يدل عليه بالطبع تعبيركم «زمن». وما قلتموه كذلك فى كتاباتكم: أن الأبن لم يكن موجودا قبل أن يخلق هو نفس القول: إنه كان هناك وقت، لم يكن فيه موجودا: هذا وذاك يشير إلى وجود زمن سابق على الكلمة. فمن أين ابتدعتم هذا؟ ولم كالأمم «ارتجحتم صلفا،

(١) رومية ١١ : ١٧. (٢) أمثال ١٣ : ٩.

(٣) متى ٥ : ١٥. (٤) متى ٣ : ١٧.

وتفكرتم بالأباطيل ضد الرب وضد مسيحه» (١)، فليس سفر من الكتب المقدسة يتكلم هكذا عن المخلص، **بل بالحرى تتكلم الكتب المقدسة دائما عن أزليته وعن أنه كائن مع الآب كل حين** : في البدء كان الكلمة، وكان الكلمة عند الله، والكلمة كان هو الله» (٢) وسفر الرؤيا يتكلم على هذا النحو: «الكائن والذى كان والذى يأتى» (٣)، **فمن هذا الذى ينزع الأزلية عن الكائن «وعن الذى كان»** ؟ بهذا ناقض بولس اليهود إذ كتب فى رسالته إلى الرومانيين، يقول «منهم (أتى) المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل، الإله المبارك فى الدهور» (٤)، ولافحام الهلينيين قال «لأن (كمالاته) غير المنظورة ترى منذ خلق العالم بواسطة أعماله، وقوته الأزلية ولاهوته» (٥) ويبولس يبين «ما هى قوة الله «إذ يقول» المسيح قوة الله وحكمة الله». وإذ يتكلم هكذا فإنه لا يعين الآب، كما تهمسون كثيرا الواحد للآخر قائلا إن الآب هو قوته الأزلية الأبدية، ليس الأمر كذلك لأنه لم يقل «الله نفسه هو القوة»، بل «له القوة» إنه واضح لعيون الجميع أنه ليس له هو نفسه لكن ليست قوة الله بعد. اقرأوا تتمة النص، واهتدوا إلى الرب والروح وسترون أن الإشارة تنطبق على الابن.

١٢ ـ والواقع أن القديس بولس إذ ذكر الخليقة، تناول أيضا على التوالى القوة الخالقة فى الخليقة وهى كلمة الله «هذا الذى به كان كل شئ». فإذا كانت الخليقة تكفى بمفردها وبذاتها، وبدون الابن، لمعرفة الله فلنحذر لئلا نزل، فنظن أيضا أن الخليقة قد صنعت بدون الابن. لكن إذا كانت بالابن مخلوقة وإذا كانت كل الأشياء تقوم فيه (٦)، فبالضرورة أن من يرى الخليقة يرى الكلمة الذى خلقها أيضا، وبه أيضا يبدأ أن يدرك الآب، وإذا كان كما يقول المخلص «ليس أحد يعرف الآب إلا الابن، ومن يعلن له الابن (٧)، وإذا كان فيلبس الذى قال له «أرنا الآب»(٨) لم يجبه قائلا انظر إلى الخليقة بل «أن من رآنى فقد رأى الآب» (٩)، فمن اللائق أن بولس الذى وبخ الهيلنيين، ملاحظا إنسجام الخليقة ونظام (الخليقة)، على أنهم لا يتأملون فى الكلمة الخالق الذى هو فى الخليقة، لأن المخلوقات تعلن عن خالقها، لكى بهذا يعرفكم بالإله الحقيقى، ويجعلكم تكفون عن عبادة المخلوقات، من اللائق أن يقول قدرته السرمدية ولاهوته(١٠)، حتى نستدل على الابن أن الكتبة القديسين الذين يقولون «الذى هو قبل الدهور» «والذى به صنع الدهور» يبشرون بأن الابن موجود كل آن وجودا سرمديا، بما يؤيد لاهوته. لأن

---

(١) مزمور ٢ : ١.
(٢) يوحنا ١ : ١.
(٣) رؤيا ١ : ٨، ٤ : ٨.
(٤) رومية ٩ : ٥.
(٥) رومية ١ : ٢٠.
(٦) كولوسى ١ : ١٧.
(٧) متى ١١ : ٢٧.
(٨) يوحنا ١٤ : ٨.
(٩) يوحنا ١٤ : ٩.
(١٠) رومية ١ : ٢٥.

أشعياء يقول: «الله السرمدى الذى خلق أطراف الأرض» وسوسنة كانت تقول «الله السرمدى» وكتب باروخ «سأصرخ نحو السرمدى فى أيامى» وبعد قليل يقول «لأننى اترجى المخلص السرمدى وفرحا يأتينى من البار»

يقول الرسول أيضا فى رسالته إلى العبرانيين «هذا الذى هو إشعاع مجده ورسم جوهره» (١). وداؤد يغنى من جهته فى المزمور ٨٩ قائلا: «إن جلال الرب علينا» وفى النور سنعاين النور «فمن هو عديم الفهم فيجادل فى أن الابن موجود فى كل حين؟؟** من فى الواقع قد رأى النور خارجا عن البهاء والجلال» فيقول عن الابن «إنه كان وقت لم يكن الابن فيه موجودا إذ أنه لم يكن موجودا قبل أن يولد»؟ والكلمات التى يوجهها إلى الابن فى المزمور ١٤٤ «حكمك هو حكم كل الدهور» **لا تسمح بتاتا بتصوير لحظة لم يكن الكلمة فيها موجودا. لأنه إذا كان كل برهة تقاس فى الدهور، وإذا كان الكلمة ملكا وخالقا لكل الدهور وأنه لم تكن ثمة برهة قبله، فإنه من الجنون أن يقال أنه كان هناك وقت لم يكن الكلمة فيه موجودا وأن الابن جاء من العدم.** عندما قال الرب نفسه «أنا هو الحق» ولم يقل «إننى صنعت حقا بل أنه دائما يستعمل التعبير «أنا هو»، «أنا هو الراعى» «أنا هو النور» وأيضا «ألستم تدعوننى السيد والمعلم؟ حسنا تقولون لأننى «أنا هو» فمن يسمع من الله هذه الكلمة وإذا كان الحكمة، كلمة الآب هو الذى ينطق بها عن نفسه، فمن يتردد فى أنها الحق ولا يسلم مباشرة بأن «أنا هو» **تدل على سرمدية الابن وأنه لا بداية له وأنه سابق على كل الدهور؟**

١٣ - والكتب المقدسة إذ تتكلم عن الابن، تنسب إليه السرمدية. وأما العبارات التى يستعملها الأريوسيون «أنه لم يكن موجودا»، «قبل وعندما»، فهى الكلمات التى تستعملها الكتب المقدسة فيما يتصل بالمخلوقات.

عندما تكلم موسى عن خلقة عالمنا قال «وكل نبات الحقل، قبل أن يصير على الأرض، وكل عشب الحقل قبل أن ينبت، لأن الله لم يكن قد أسقط مطرا على الأرض، ولم يكن هناك إنسان ليعمل الأرض، وفى سفر التثنية» «عندما قسم العالى الأمم»، قال الرب بفمه «لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بما قلته أنى أمضى إلى الآب، لأن أبى أعظم منى. والآن قد نبهتكم بهذا قبل أن يكون، حتى إذا صار هذا تؤمنون» (٢) وأما عن الخليقة فقد قال بفم سليمان: «قبل أن تكون الأرض، وقبل أن يخلق اللجج، قبل أن تنفجر ينابيع المياه، وقبل أن تتثبت الجبال، قبل التلال ولدنى» (٣)، «وقبل أن يكون ابراهيم أنا كائن» (٤) «وقال عن أرميا «قبلما صورتك فى البطن»

(١) عبرانيين ١ : ٣.
(٢) يوحنا ١٤ : ٢٨.
(٣) أمثال ٨ : ٢٤، ٢٥.
(٤) يوحنا ٨ : ٢٨.

عرفتك، (١) وداؤد يغنى قائلا: «يارب ملجأ كنت لنا جيلا فجيل يارب، قد كنت لنا ملجأ فى كل الأجيال من قبل أن تثبت الجبال وتخلق الأرض والكون، أنت كائن منذ الأزل، وإلى نهاية الدهور» (٢) وفى سفر دانيال «صرخت سوسنة بصوت عظيم وقالت: يا إله السماء الذى تعرف السرائر، والذى تعلم كل الأشياء قبل أن تكون»(٣) وعلى ذلك فالتعبيرات «لم يكن ثمة زمن» و «قبل أن يكون» و «متى»، وكل التعبيرات المماثلة، يليق أن تقال عن مخلوقات مصنوعة، ومكونة من العدم، لكنها جميعا غير «الكلمة» تأملوا. إن هذا ينطبق على المصنوعات، أما عن الابن فالكتب المقدسة تستخدم لفظ «دائما». **وعلى ذلك فإن الكلمة لم يخلق من العدم، وليس الكلمة أبدا واحدا من المخلوقات، لكنه صورة الآب، والكلمة الأزلى، ولم يكن ثمة زمن لم يكن هو فيه موجودا، لكنه كائن دواما، لأن النور أزلى كما أن إشعاعه أزلى، فلماذا إذن تفترضون أن هناك سنوات قبل الابن، ولماذا تجدفون على الكلمة (فتجعلونه يجئ) بعد سنوات، مع أنه هو عينه الذى صنع الدهور؟** وعلى العموم، كيف يكون ثمت زمن أو دهر لم يكن الكلمة قد ظهر فيه بعد، الكلمة الذى به كان كل شئ وبغيره لم يكن شئ مما كان، ولماذا بالإشارة إلى الأزمنة، لاتقولون بوضوح: كان هناك فسحة من الزمن، فيه لم يكن الكلمة قد وجد، لكنكم تخفون تعبير «زمن» لتخدعوا البسطاء، إنكم تخفون آرائكم بالتمام لكنكم حتى لو أخفيتموها، لايمكنكم أن تتجاهلوها: إنها أزمنة تعينونها إذ تقولون كان هناك وقت لم يكن هو فيه موجودا من قبل أن يولد.

١٤ ـ هذا وإنهم يمعنون فى سفاهتهم إذ يقولون إذاً لم يكن هناك وقت لم يكن الابن فيه غير موجود، وإذا كان الابن أزليا وكائنا مع الآب كل حين، فأنتم أيها الخصوم الحمقى (المجانين) لاتجعلون من الابن إبنا بعد بل أخا للآب، إذا قلنا فقط أن الابن كائن مع الآب منذ الأزل، وأنه ليس هو الابن، فإنهما يصيران بهذا وكأنهما ظهور أو صورة.

ولكن إذا قلنا عن الابن أنه أزلى، فنحن نقر أن الابن مولود من الآب، فكيف يمكن لمن ولد أن يدرك على أنه أخ لمن قد ولده ... وإذا كان إيماننا هو فى الآب والابن أفهل هناك أخوة مشتركة بينهما؟ ثم كيف يمكن أن يقال عن الكلمة أنه أخ لذاك الذى هو أبو الكلمة. ليس سر المشكلة هو الجهل، لأنهم هم أنفسهم يعرفون الحقيقة، إنما هو تعلل اليهود والناس الذين أرادوا ـ كما قال سليمان ـ «أن يجانبوا الحقيقة. لأن الآب والابن لم يولدا من مبدأ سابق على وجودهما، حتى يظن أنهما أخوان. إن الآب هو أصل الابن، ومصدر ولادته والآب هو الآب، وليس هو إبنا

(١) أرميا ١ :٥.　　(٢) مزمور ٩٠ :١ – ٢.

(٣) دانيال ١٣ :٤٢.

لأحد، والابن هو ابن وليس أخا. ولكن إذا كنتم تقولون أنه الابن الأزلى المولود من الآب، فحسنا تقولون، فإن جوهر الآب لم يكن أبدا غير كامل.

والابن لم يولد كما يولد الإنسان من إنسان، أى أنه يخرج إلى الوجود بعد أن يبدأ أبوه فى الوجود، إن الابن مولود من الله، ولما كان هو الابن الحقيقى لله الأزلى، فإنه موجود منذ الأزل. إن الولادة فى الزمان هى فى الواقع تختص بالناس، بسبب نقص طبيعتهم، لكن الابن المولود من الله أزلى بسبب الكمال الأزلى بطبيعته. فإذا لم يكن هو الابن وإنما كان مخلوقا وجد من العدم، كما قالوا أولا وتكلموا عن الابن كأنه مخلوق، فإنه يمكنهم أن يجأروا بحماقتهم بأنه كان هناك وقت لم يكن فيه الابن موجودا.

لكن إذا كان هو الابن، وهو ما يقوله الآب، وما تصيح به الكتب المقدسة أيضا، وإذا كانت حقيقة كونه الابن ليست شيئا آخر غير كونه مولودا من الآب، وإذا كان من ولد من الله هو كلمة الآب وحكمته وإشعاعه، فماذا ينبغى أن يقال إذا لم يكن غير ما يؤكدونه أنه كان هناك زمن لم يكن فيه الابن موجودا، وكأنهم لصوص، يسلبون، كلمة الله، ويتكلمون ضد الابن قائلين إنه كان زمنا ما بدون كلمته الحقيقى وحكمته الحقيقى، وأن النور كان وقتا ما بدون هذه الحكمة، وأن النبع كان جافا بدون ماء، وحتى إذا كانوا يتظاهرون بأنهم يخشون اللفظ «زمن ما» بسبب الملام الموجه إليهم ويقولون إن الابن كان كائنا قبل الدهور، فإنهم على الرغم من ذلك لا يستعفون من الملام حيث أنهم يقرون بأن هناك فترات من الزمن، يقولون أن الابن لم يكن موجودا فيها، وبذلك ينسبون إلى الله أنه كان بدون كلمته، وهم فى هذا يخطأون خطأ عظيما.

١٥ ـ وإذا كانوا من جهة أخرى يصرحون باسم «الإبن»، لأنهم لا يشاءون أن يلاموا جهارا من الجميع، لكنهم ينكرون انه الابن الحقيقى لذات الآب، بحجة أن هذه البنوة لا يمكن إلا أن تفترض التجزئة والتقسيم، فإنهم يقولون أن «الابن» ليس إلا مجرد اسم، ينكرون أنه الابن الحقيقى فكيف لا يضلون كثيرا، إذ يتصورون غير الجسدانى على نحو ما يتصورون الجسدانى وبسبب ضعف طبيعتهم الخاصة ينكرون ما يتعلق بطبيعة الله الخاصة؟ تأملوهم فإنهم إذ لا يفهمون كيف هو الله، وبأى صورة هو الآب، ينكرون الله أيضا، لأنهم، أى هؤلاء المجانين، يتصورون الابن مولودا من الآب، حسب قياساتهم. فإذا كانوا كذلك. وكانوا يرون أنه لا يمكن أن يكون لله ابن، فإنه يليق أن نرثى لهم. وأن نناقشهم، وأن نفحصهم لأنهم على الأقل يحسبون للعقل حسابا، ويحتكمون إليه.

فإذا كان الابن كما تزعمون قد ظهر من العدم، ولم يكن موجودا قبل أن يولد، فلابد حتما أن تكون ثمة نوع من المشاركة بسببها سمى إبنا، وإلها، وحكمة.

وهكذا تقوم كل الأقانيم الأخرى، وإذ هى مقدسة فهى ممجدة. وعلى ذلك ينبغى أن تقولوا، فيمن يشارك الابن لأن كل الأقانيم الأخرى تشارك فى الروح. فمن الذى يشارك الابن فيه على قولكم؟ أيشارك الروح؟ لكن بالأحرى أن يقال أن الروح هو الذى يأخذ من الابن؟ كما قال الابن نفسه (١) فمن غير المعقول أن يقال أن الابن يتقدس بالروح. فمن ثم أنه يشارك فى الآب: هذا ما يمكن أن يقال. وما يجب أن يصرح به. ولكن ما هى هذه المشاركة، أو من أين هى؟ فإذا كان الآب يدرك هذه المشاركة من الخارج فكأن الابن لا يشارك فى الآب، ولكن يشارك فى هذا الشئ الآتى من الخارج، وحينئذ لا يصبح الابن ولا حتى ثانيا للآب (الثانى بعد الآب)، ويصبح ذلك الشئ سابقا على الابن، فلا يقال فى هذه الحال عن الابن أنه ابن الآب، بل ابن لذلك الشئ، ويكون قد تسمى بابن الله من حيث مشاركته لذلك الشئ. وهذا محال وكفر حيث أن الآب يقول: «هذا هو ابنى الحبيب» (٢) كما أن الابن يقول عن الله أنه أبوه الحقيقى. فواضح إذن أن الذى يصنع فعل المشاركة ليس خارجا، لكنه من جوهر (ذات) الآب، فإذا كان شيئا آخر خارجا عن جوهر الابن، فإننا نلتقى بمجال آخر: أن هذا الشئ يصبح متوسطا (واسطة) بين الآب، وجوهر الابن، أو يصبح أحدا آخر.

١٦ ـ فقد ظهر إذن أن هاتين القضيتين مستحيلتان، ومضادتان للحقيقة، ولابد من القول أن من يجئ من جوهر الآب هو الابن، وهو ابن الآب بكل ما فى هذه الكلمة من معنى، لأن الكلام عن المشاركة فى الله، هو هو بعينه القول بالولادة. وما هو معنى التعبير، أنه «يلد» الابن؟ والحق أن جميع الأقانيم تشارك فى الابن، بنعمة الروح (القدس) الذى يظهر به. وهذا يبين بوضوح أن الابن نفسه لا يشارك فى شخص، وأن من يجئ من الآب بالمشاركة هو الابن، ونحن لا نعد كمشاركين فى الآب إلا بالمشاركة فى الابن مباشرة: وهذا ما كان يقوله بطرس «لكى تصيروا شركاء الطبيعة الإلهية» (٣). وكذلك قال الرسول «أما تعلمون أنكم هيكل الله» (٤) «ونحن هيكل الله الحى» (٥) ونحن نرى الآب، برؤيتنا الابن مباشرة، ذلك أن معرفة الآب هى بتوجيه الفكر نحو الابن، وإدراكه بالعقل لأن الابن هو الثمرة الحقيقية لجوهر الآب. فلا يقل أحد منكم أن المشاركة عارضة، أو أنها جزء من جوهر (ذات) الآب فقد قررتم واعترفتم بأن الله يتصل بذاته بالمشاركة، والاتصال بالمشاركة هو عينه الولادة فالابن المولود ليس عرضا أو جزءا من الجوهر السعيد. وليس من غير الممكن قبول أن يكون لله ابن، من جوهره الحقيقى. ونحن حين نتكلم عن الابن، المولود، لا نعنى عرضا أو جزءا من جوهر الله، بل بالأحرى لنا هذا الإيمان بناء على معرفتنا بطبيعة الابن وهو ابن شرعى

---

(١) يوحنا ١٦ : ١٥.
(٢) متى ٣ : ١٧.
(٣) ٢. بطرس ١ : ٤.
(٤) ١. كورنثوس ٣ : ١٦.
(٥) ١. كورنثوس ٦ : ١٦.

وحقيقى ووحيد لله . وليس أحد يستطيع أن يبارى فيما قررناه وأبناه، من أن المولود من جوهر الآب هو الابن، لكن يجب أن يكون واضحا لكل أحد أن الابن هو الحكمة، وهو كلمة الآب، فيه وبه صنع الآب وخلق كل الأشياء. والابن هو «بهاؤه»، فيه ينير الآب كل الأشياء، و «ينكشف لكل من يريد أن يعلن لهم» (١) إنه «رسم» الآب وصورته، فيه يرى ويعرف، ولهذا فإنه والآب واحد (٢)، لأن «من يراه يرى الآب أيضا، إنه المسيح، فيه افتدى (الآب) كل الأشياء، وخلق «الخليقة الجديدة» (٣). ولنقل أيضا، إذا كان هذا هو شأن الابن، فلا يليق، بل وأنه خطر جدا، أن يجعل من الابن مخلوقا جاء إلى الوجود من العدم. أو أن يقال أنه لم يكن موجودا قبل أن يولد. لأن من يتكلم على هذا النحو عما يخص جوهر الآب، فإنه يتناول الآب نفسه، بهذه التجاديف معتقدا فى الآب وفى ابنه المولود منه، إعتقادا حسب تصوره.

١٧ ـ هذا وحده يكفى لهدم الهرطقة الأريوسية، وبهذا أيضا يمكن أن نعرف ما فيها غريبا عن الإيمان، فإذا كان الله هو المبدع وهو الخالق، وإذا كان بالابن قد خلق مخلوقاته، وإذا لم يكن ممكنا أن نرى فى الموجودات غير مصنوعات خلقت بالابن، فكيف لا يكون تجديفا القول بأن الله خالق، وأن كلمته الخالق وحكمته لم يكن لهما وجود فى لحظة ما؟ الواقع أن هذا القول هو بعينه ذات الإنكار بأن الله خالق، إذا لم يكن كلمته الحقيقى خالقا ومولودا منه هو ذاته، أو إذا كان قد صدر عن جوهر خارج من جوهر الله أو إذا كان الذى يفعل الله بواسطته غريبا عن الله، ومخالفا لجوهره. وبعد ذلك يقولون لنا، أو بالحرى أنهم يكشفون لنا عن كفرهم بقولهم: كان هناك وقت لم يكن الابن فيه موجودا، وقولهم: قبل أن يولد. **لأنه إذا لم يكن الكلمة أزليا مع الآب، لم يكن الثالوث أزليا**، وإنما كان أولا وحده ثم بالاضافة أصبح ثالوث، وبتتابع الأزمنة، على قولهم، نمت وتكونت أسس معرفتنا باللاهوت.

ثم أيضا إذا لم يكن الابن هو الابن الحقيقى لجوهر الآب، أو إذا كان قد ظهر إلى الوجود من العدم، فالثالوث أيضا يكون **قد تكون من العدم، ويكون هناك ثمت وقت لم يكن الثالوث فيه موجودا، وإنما الوحدانية وحدها ويكون الثالوث تارة ناقصا وتارة كاملا**، ناقصا قبل أن يوجد الابن، كاملا عندما وجد. فمن ثم من ولد يعد مع الخالق، ومن لم يكن موجودا فى زمن ما، يمجده علم اللاهوت مع من هو كائن على الدوام، ويجعله شريكا له فى المجد. **بل هناك ما هو أخطر، أن يكون الثالوث متخالفا فى ذاته مؤلفا من طبائع ومن جواهر متباعدة متنافرة، وليس هذا إلا القول بأن للثالوث إبتداء.**

---

(١) متى ١١ : ٢٧، لوقا ١٠ : ٢٢.   (٢) يوحنا ١٠ : ٣٠.

(٣) ٢ . كورنثوس ٥ : ١٧.

فما هو ذاك المعبود الذى لا يكون شبيها حتى بنفسه، والذى يتكامل بمضى الزمن، وأحيانا لا يكون كما هو الآن، وأحيانا يكون كما هو الآن؟ وإذن.... فالثالوث يقبل الاضافات.

وهكذا إلى ما لانهاية ،حيث أنه، تكون منذ الإبتداء بفعل الإضافة، وإذا كان يقبل الزيادة، فلا جدال أنه يقبل النقص أيضا: إذ من الواضح أن ما يزيد يمكن أيضا أن ينقص.

١٨ ـ وليس الأمر كذلك، حقا وكلا بيقين. فالثالوث لم يولد، لكنه أزلى. وهناك لاهوت واحد فى الثالوث، ومجد واحد فى الثالوث المقدس. ولكنكم تجرأون على تمزيق الثالوث إلى طبائع مختلفة.

ولما كان الآب أزليا، فإنكم تقولون عن الكلمة الكائن معه أنه كان وقت لم يكن فيه موجودا. وبينما أن الابن كائن مع الآب، تفكرون أنتم أن تباعدوا بينهما. إن الثالوث خالق وموجد: ألا تخشون إذن أن تجعلوا الابن نازلا إلى المجودات من العدم؟ ألا تخجلون من أن تجعلوا العبد مساويا لشرف الثالوث، وأن تضعوا الملك، رب الصباؤوت فى مرتبة الوضعاء؟ كفوا عن خلط مالا يختلط أو بالحرى ما لاوجود له، كما لو كان موجودا، مع ماله وجود، إن مثل هذا الكلام لا يجلب للرب المجد والكرامة، بل الخزى والعار: من لا يكرم الابن لا يكرم الآب (١) لأنه إذا كان اللاهوت كاملا فى الثالوث، وإذا كانت هذه هى العبادة الإلهية والحقيقة الوحيدة، وإذا كان هذا هو الخير وهذه هى الحقيقة فإن ذلك يجب أن يكون كذلك دائما لأن الخير والحق لايجيئان فضلة، كما أن كمال اللاهوت لا يكون بالإضافة، **وإذن لابد أن يكون ذلك أزليا**، أو إذا لم يكن أزليا، فإن الثالوث يجب أن يكون الآن كما هو الآن وأنتم لا تنكرون أن الثالوث كان موجودا منذ البدء، حتى لا يكون الآن لا وجود له.

ليس هناك مسيحى واحد يسيغ أمثال هذه الهرطقات : وهذا لا ينطبق إلا على الأمم الوثنيين الذين قالوا بتثليث له إبتداء، وجعلوه مساويا لما هو مخلوق. لأن ما يخلق، عرضة للنقص كما أنه يقبل الزيادة. **لكن إيمان المسيحيين يعرف الثالوث القدوس الذى لا يتغير وهو ثالوث كامل، ودائما باق كما هو، والإيمان المسيحى لا يزيد على الثالوث شيئا، ولا يرى أن الثالوث كان شيئا آخر غير ما هو الآن** : فأى فرض من هذين الإفتراضين هو فى الواقع كفر. كذلك الإيمان المسيحى يعرف الثالوث بدون أن يخلط بينه وبين الأشياء التى لها إبتداء، ويعبد الثالوث مراعيا وحدة اللاهوت التى لا تقبل الانقسام، والإيمان المسيحى يجافى تجاديف الأريوسيين، **إنه يقر ويعرف أن الابن كائن فى كل حين. لأن الآب أزلى، وكلمته أزلى كذلك**. ولنتناول هذه المسألة أيضا.

---

(١) يوحنا ٥ : ٢٣.

١٩ ـ إن الله هو، بل يدعى أيضا، «ينبوع الحكمة والحياة»، كما قال أرميا «تركونى أنا ينبوع المياه الحية» (١) وأيضا «كرسى مجد مرتفع هو مقدسنا، أيها الرب رجاء إسرائيل. كل الذين يتركونك يخزون، الحائدون عنى فى التراب يكتبون، لأنهم تركوا الرب ينبوع المياه الحية» (٢) وجاء فى (سفر) باروخ «إنك قد تركت ينبوع الحكمة»(٣) فإذا كان ذلك كذلك، فقد صار من المنطقى أنه لا الحياة ولا الحكمة غريبتان عن جوهر الينبوع، لكنهما يتعلقان به على وجه الدقة، وإنهما لم يكونا أبدا بلا وجود، وإنما كانا موجودين فى كل حين. وهما الابن الذى يقول «أنا هو الحياة»(٤) و «أنا الحكمة أسكن الذكاء «المشورة»(٥)، فكيف إذن لم ينطق كفرا من يقول إنه كان ثمة وقت لم يكن الابن فيه موجودا؟ وهذا هو فى الواقع ذات القول: إن الينبوع كان فى وقت ما جافا، كان بلا حياة وبلا حكمة، وينبوع من هذا النوع ليس ينبوعا، إذ الينبوع لا يكون كذلك مالم ينبع منه شئ. ومن المحال أن يكون الأمر على غير ذلك يقول الله عن الذين «يصنعون إرادته» إنهم يصيرون «كنبع مياه لا تنقطع مياهه» (٦) كما فى القول إلى أشعياء النبى «وتشبع الرغبة فى نفسك وتنشط عظامك، فتصير كجنة حية وكنبع حياة لا تنقطع مياهه» (٦). إن هؤلاء المجدفين يجرأون على القول إن الله وهو الذى يدعى، بل هو بالفعل ينبوع الحكمة، كان زمنا ما عقيما ومحروما من حكمته الخاصة. لكن ما يقولونه كذب، والحقيقة تشهد بأن الله هو الينبوع الأزلى لحكمته الحقيقية. فإذا كان الينبوع أزليا وجب أن تكون الحكمة كذلك أزلية. لأنه بها كان كل شئ كما يغنى داود «لقد صنعتها جميعا بحكمتك» (٧) وقال سليمان «الرب بالحكمة أسس الأرض، وأقام السموات بالفهم» (٨) هذه الحكمة هى الكلمة، وبه ـ كما قال يوحنا ـ «كان كل شئ وبغيره لم يكن شئ مما كان» (٩) وهو المسيح «هناك إله واحد، الآب الذى منه (تجئ) جميع الأشياء، ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح، الذى به جميع الأشياء. ونحن به» (١٠). فإذا «كانت به جميع الأشياء فليس هو معدودا بين (جميع الأشياء)»، لأنه من يجرؤ على القول بأن من كانت به جميع الأشياء هو من بين تلك الأشياء. لابد وأن يتصور على هذا النحو أيضا، الله الذى منه جميع الأشياء، لكن إذا كان كل إنسان يرى هذا أمرا غير معقول إذ أن الله متميز عن جميع الأشياء، فكذلك الابن الوحيد القائم فى جوهر الآب، لابد أن يكون متميزا عن جميع الأشياء. فإذا لم يكن من بين جميع الأشياء، فليس صحيحا أن يقال: إنه كان ثمت وقت لم يكن الابن فيه موجودا، وانه لم يكن موجودا قبل أن يولد: لأن مثل هذه الأقوال تصدق

---

(١) أرميا ٢ : ١٣.
(٢) أرميا ١٧ : ١٢، ١٣.
(٣) باروخ ٣ : ١٢.
(٤) يوحنا ١٤ : ٦.
(٥) أمثال ٨ : ١٢.
(٦) أشعياء ٥٨ : ١١.
(٧) مزمور ١٠٤ : ٢٤.
(٨) أمثال ٣ : ١٩.
(٩) يوحنا ١ : ٣.
(١٠) ١ . كورنثوس ٨ : ٦.

على المخلوقات، **لكن الابن يصدق عليه ما على الآب وهو ابن جوهره، وهو الكلمة وهو الحكمة**، هذا ما يختص بالابن باعتبار العلاقة القائمة بينه وبين الآب، وهو ما يظهر الآب على الحقيقة، **حيث أنه لا يمكن القول بأن الله كان وقتا ما بغير كلمته، أو أن الابن لم يكن وقتا ما موجودا، لأنه كيف يكون هو الابن إذا لم يكن من الآب؟ وكيف يكون هو الكلمة وهو الحكمة إذا لم يكن كائنا معه كل حين منذ الأزل وإلى الأبد؟**

٢٠ - **ومتى كان الله موجودا من دون أن يكون معه الابن الحقيقى؟** أو كيف يمكن أن يعتبر الابن الحقيقى غريبا ومن جوهر مخالف؟ لأن كل ما يماثل الأشياء المخلوقة ليست بينه وبين خالقه أية مشابهة، لكنه قد خلق بفعل خارج عن ذاته بفعل الكلمة وبفضله وإرادته، وعلى ذلك يمكن أن يتوقف عن الوجود فى أية لحظة إذا شاء خالقه ذلك: هذه هى طبيعة المخلوقات أما ما يختص بذات الآب، وهو كما بينا انه الابن كيف لا يحسب تهورا وتجديفا أن يقال أنه صار إلى الوجود من العدم، وأنه لم يكن موجودا قبل أن يولد، لكنه من حيث أنه قد وجد فيمكن ألا يبقى فى أية لحظة؟ فيجب ألا يكون هناك من يرى نقصا فى كمال جوهر الابن عن جوهر الآب. والواقع أن كل أحد يمكن أن يرى جليا خطأ هذه الهرطقة إذا فطن إلى أن الابن «صورة الآب» و «بهاؤه» و «رسمه» وأنه «الحق»: فالنور كائن إذا كان هو صورته وبهاؤه والجوهر قائم إذا كان هو رسمه الكامل، والآب كائن إذا كان الابن هو الحق، حتى إن من يتأملون معنى «الصورة» وصورة اللاهوت، يتحقق فى أية هوة سقط (الهراطقة) لأنه إذا لم يكن الابن موجودا قبل أن يولد فالحق لم يكن قائما فى الله كل حين لكن هذا محال، **فإن الآب كائن والحق كان دائما كائنا فيه**. والابن هو الذى يقول «أنا هو الحق»(١) **وحيث أن الجوهر كائن فيلزم أن يكون رسمه وصورته كائنا فى كل حين** : إن «الصورة» لم تكون خارجا عن الله، لكن الله ذاته هو الذى ولدها، وإذ يرى نفسه فيها، وجد لذته فيها كما يقول الابن نفسه «كنت لذته» (٢). فمتى لم يرى الآب نفسه فى صورته؟ أو متى لم يجد لذته فيها، حتى يجرؤ قوم على القول أن الصورة جاءت من العدم، وأن الآب لم يجد لذة فى ذاته قبل أن توجد الصورة؟ وكيف يرى الصانع والخالق ذاته فى جوهر مخلوق ومصنوع؟ لأنه يلزم أن تكون الصورة قائمة مع أبيه.

٢١ - وإذن ... فلنتأمل أيضا من له علاقة بالآب حتى نتحقق أيضا إذا كانت الصورة هى صورته. الآب أزلى، خالد، قوى، نور، ملك، قادر على كل شئ، الله، الرب، خالق، مبدع. ينبغى أن يوجد كل هذا أيضا فى الصورة حتى أنه بحق «إن من رأى الابن يرى الآب

---

(١) يوحنا ١٤ : ٦.
(٢) أمثال ٨ : ٣٠.

أيضا،(١) . فإذا لم يكن ذلك كذلك، وإذا كان ـ على ما يريد الأريوسيين ـ الابن مخلوقا وليس أزليا، فليس هو إذن الصورة الحقيقية للآب. والآن إذ قد تجردوا من كل حياء فانهم لا يضيفون إلا أن حقيقة كون أن الابن سمى صورة لا تعد بعد برهانا على المماثلة فى الجوهر، لكنها مجرد اسم أعطى للابن لكن حتى فى هذه الحال، ياعدّو المسيح، ليس هناك صورة ولا رسم، فكيف يكتب إن من جاء من العدم هو نظير الخالق الذى يخلق من العدم إلى الوجود؟ أو كيف يمكن أن يكون العدم مساويا لمن هو كائن؟ إنه ينقصه إنه لم يكن موجودا دائما، وإنه ينتسب إلى الأشياء التى كان لها إبتداء. والأريوسيون الذين يريدون للابن أن يكون هكذا يخترعون لهذا أسبابا، ويقولون إذا كان الابن إبنا مولودا من الآب، وهو صورته، وإذا كان شبيها بالآب فى كل شئ، فالابن نفسه الذى ولد ينبغى هو أيضا أن يكون أبا لابن، ثم هذا الأخير أيضا ينبغى أيضا أن يلد، وهكذا إلى ما لانهاية: وهذا يبين أن من يولد يشابه الوالد الذى ولده. حقا إنكم «مبتدعون تجاديف» (٢)، وأعداء لله، الذين لكى لا يعترفوا أن الابن صورة الآب، يتصورون الآب على نحو ما يتصورون الكائنات الجسدية والترابية، ويفترون عليه فينسبون إليه الشقوق، والفيوض، والورودات. فإذا كان الابن مثله مثل إنسان، أى يمكن أن يأتى كما يأتى الانسان عن كائن مخلوق، حتى يصير الابن أيضا أبا لابن آخر، وهكذا دواليك فتزداد سلسلة التتابع، حسب زعم الأريوسيين إلى جمهور من الآلهة. لكن إذا لم يكن الله نظير الإنسان، ولا هو إنسانا، **فيجب أن لا نتصور الله على نحو ما نتصور الناس.** لأن البهائم والناس تتكاثر بالتتابع بعضها مع البعض الآخر، وبالتالى من مبدأ خالق، فمن ولد، وولد من أب مولود، يصبح هو أيضا أبا لآخر، ويملك فى نفسه هذه القوة التى ولد هو بها. وعلى ذلك، فإنهم لا يعرفون أبا بمعنى الكلمة، ولا إبنا بمعنى الكلمة، وصفة الآب وصفة الابن ليست مستقرة عندهم. فمن هو ابن، هو نفسه يصبح آبا، ومن هو ابن لهذا الآب يصبح أبا للمولود منه. **وليس الأمر كذلك بالنسبة للاهوت. ليس الله نظير الإنسان.** لأن الآب لم يأت من أب، وإذن فلا يلد آبا فيما بعد. والابن لم يأت من فيض عن الآب، ولم يولد من أب مولود، وعلى ذلك فلم يولد ولن يلد بقصد الايلاد. **فمن ثم، فإنه بالنسبة للاهوت وحده الآب هو آب بالمعنى الحقيقى والثابت بالنسبة لهما وحدهما أن الآب هو دائما آب، والابن دائما ابن.**

٢٢ ـ على ذلك، فإن من يبحث لم لا يكون الابن علة لابن، يبحث لم لم يكن للآب آب، لكن هاتين الفكرتين مستحيلتان، ومفعمتان كل كفر. **والواقع أيضا أن الآب هو دائما آب ولن يكون أبدا ابنا، وبالمثل الابن هو دائما ابن ولن يكون أبدا آبا.** وهكذا يتضح بأكثر جلاء أن الابن رسم الآب وصورته. دائم طالما هو كائن، ولا يتغير لكنه ثابت على الدوام. كما أن أباه ثابت، فإنه إذا تحول الآب، تتحول صورته كذلك : فما يحدث للآب، يحدث بالمثل

---

(١) يوحنا ١٤ : ٩. (٢) رومية ١ : ٣٠.

لصورته وبهائه، لكن إذا كان الآب لا يتغير ويبقى كما هو، فبالضرورة أن الصورة أيضا تبقى كما هى، ولا يدركها تغير. إن الابن هو من الآب: **فلن يكون هناك غير الابن، من هو من جوهر الآب.** وعلى ذلك فليس هناك مبرر عند هؤلاء الأغبياء (الأريوسيين) لاختلاق تلك الحجة، حتى ينزعوا عن الآب صورته ليسووا بين الابن وبين المخلوقات، إنهم جعلوا الابن فى عداد هذه الأشياء، وتصوروه على نحو ما يتصورون الأشياء التى هو خلقها، فهم على قول يوسيفوس قد أقصوا أنفسهم عن الحق. لقد ألفوا عبارات صغيرة مليئة بالخبث، نشروها فى المبدأ عندما أنشأوا هذه الهرطقة ـ ولا زال قوم منهم حتى اليوم يصنعون هذا، يتصلون بالأطفال فى السوق ويوجهون إليهم أسئلة، ليست موافقة للكتب المقدسة، وكأنها قئ خارج من «فضلة قلبهم»: هل يخلق من هو كائن ممن لم يكن أو ممن كان لم يزل موجودا؟ ومن يستطيع أن يخلق أمن كان ولا يزال موجودا أو من لم يكن موجودا؟ ثم إن المولود واحد أو أنهما إثنان فى واحد، والابن له حرية إرادته، وهو لا يتغير بفعل إرادته الخاصة حيث أن له طبيعة متغيرة. لأنه ليس كما لو كان حجرا، يبقى فى ذاته غير متحرك، بل إنهم قد تغلغلوا فى أوساط النساء، يكلموهن بلغة نسائية شريرة: هل ولدت ولدا قبل أن تولدى؟ وكما إنك لم تلدى قبل أن تولدى كذلك ابن الله لم يكن موجودا قبل أن يولد. هذه هى أقوال هؤلاء البهلوانات، وألاعيب هؤلاء الأردياء الذين يسوون بين الله والناس. ولكننا نعلن أننا مسيحيون أما هم فأبدلوا صورة الله «بشبه صورة الناس الذين يفنون» (١)

٢٣ ـ كان يليق بنا أن لا نرد بشئ على مثل هذه الأقوال الغبية شديدة الغباء، والخالية تماما من كل صواب ولكن لئلا يظن أن فى هرطقتهم شيئا من الحقيقة، يجب، تمشيا على الأقل مع ما فعلناه ونفعله أن نفحصهم فى هذه النقطة أيضا لاسيما بسبب النساء اللائى يخدعونهن بسهولة. وحيث أنهم يتكلمون على هذا النحو كان يجب أن يسألوا بنّاء. هل يمكنك أن تبنى بغير مواد البناء؟ إذا كان ذلك لا يمكنك فالله أيضا ما كان يمكنه أن يخلق جميع الأشياء بدون أن تكون المادة تحت أمره. كذلك ينبغى أن يسألوا كل إنسان. هل يمكن أن توجد من غير مكان؟ إذا كان ذلك لا يمكنك فالله أيضا كائن فى مكان. حتى على الأقل يخجلهم الذين يسمعونهم يتكلمون على هذا النحو. أو لماذا إذا قيل لهم أن لله ابنا يحولون أنظارهم إلى بعضهم بعضا وينكرون الابن، بينما لو قيل لهم أنه يخلق ويعمل ألا يثيرون إعتراضا خاصا بالأعمال الإنسانية؟ كان ينبغى أن يتصوروا الناس فى الخليقة أيضا، وأن يتصوروا المادة تحت أمر الله حتى ينكروا أن الله هو الخالق ومن ثم يتمرغون فى أوحال المانوية. لكن إذا كانت فكرتنا عن الله تتجاوز فكرتنا عن الأشياء البشرية، فإنه يكفى أن نفهم ونعتقد ونعلم **أن الكلمة ليس مثلنا لكنه مثل الله وأنه يخلق ليس كما يخلق الناس، لكنه يخلق كما يخلق الله.** فمن الواضح أنه لا

---

(١) رومية ١ : ٢٣.

يلد كما يلد الناس لكنه يلد كما يلد الله لأن الله لا يحاكى الإنسان، بل بالحرى أن الناس بسبب أن الله هو الآب الذى هو وحده الآب الحقيقى للابن الحقيقى، يسمون هم أيضا أباء لأولادهم، والواقع أن «منه تسمى كل عشيرة فى السموات وعلى الأرض» (١)، فإن لم نمتحن أقوالهم توهموا أنهم قالوا شيئا ذا معنى. لكننا عندما نفحصها منطقيا، يتبين لنا أنهم بما ينطقون يثيرون الضحك والسخرية.

٢٤ ـ لأن السؤال الأول الذى يضعونه، سؤال غبى ومبهم: فهم لا يبنون على أى أساس وضعوه حتى يتمكن من يسألونه من أن يجيب عليهم لكنهم يقولون بكل بساطة، من هو كائن، من ليس بكائن. فمن هو الكائن، ومن هو غير الكائن؟ هلموا فأجيبوا أيها الأريوسيون. أو بالحرى من هو هذا الكائن؟ وبماذا يسمى الكائن أو غير الكائن؟ لأنه يمكن أيضا أن من هو كائن يصنع من ليس بكائن ويصنع من هو كائن ومن كان لم يزل كائنا: البناء والصائغ والخزاف يصنعون، كل منهم حسب مهنته، مادة كانت بالفعل موجودة قبلهم، فيصنعون بها الأشياء التى يريدون صنعها. كذلك الله نفسه، إله جميع الكائنات أخذ ترابا من الأرض كان موجودا وقد خلقه، وخلق منه الإنسان، الأرض نفسها لم تكن موجودة أولا، ولكن الله خلقها بعد ذلك بواسطة كلمته الحقيقى. فإذا كانوا يصيغون سؤالهم هكذا فمن الواضح أن الخليقة لم تكن موجودة قبل أن تخلق، بينما أن البشر يستخدمون مادة موجودة، فبرهنتهم تبدو واهية ذلك لأن ما يحصل هو أحيانا ما هو كائن، وأحيانا ما ليس بكائن كما قلنا. أما إذا كانوا يتكلمون عن الله وعن كلمته، فيجب أن يضيفوا إلى سؤالهم ما ينقصه، ويضعونه على هذا الوضع: هل كان الله وهو كائن، وقتا ما بدون كلمة، ومن هو نور، هل كان بدون نور، وبالأحرى هل كان دائما الآب للكلمة؟ وأيضا هذا السؤال: الآب الذى هو كائن، هل خلق الكلمة الذى لم يكن موجودا أو بالحرى هل الكلمة وهو الابن الحقيقى لجوهر الآب، كائن مع الآب كل حين؟.

فمن يحتمل قولهم إن الله كان وقتا ما بغير كلمته؟... فليس ثمة إنسان يقبل أن يصغى إليهم وهم يناقشون قائلين إن الله لم يكن دائما آبا لكنه أصبح أبا فيما بعد، حتى يخترعوا القول أيضا أنه كان هناك وقت لم يكن الكلمة فيه موجودا، لكن زيادة على كل حججهم التى سبق فعارضناها يقول يوحنا «فى البدء كان الكلمة» (٢) وبولس يقول «الذى وهو بهاء مجده» (٣) و «الذى هو كائن على الكل، إلها مباركا إلى الأبد آمين» (٤).

٢٥ ـ كان يحسن بهم أن يصمتوا. لكن حيث أنهم لا يصمتون، فلكى نجيب على سؤالهم الوقح فلنمض الآن فى جرأة ندرس السؤال أريد أن أضعه. إنهم رأوا المحالات المترتبة على

---

(١) أفسس ٣ : ١٥.
(٢) يوحنا ١ : ١.
(٣) عبرانيين ١ : ٣.
(٤) رومية ٩ : ٥.

أقوالهم فافحموا، أنهم عدلوا عن مقاومتهم للحقيقة. والآن بعد الابتهال إلى الله أولا، فلنقترب منهم بهذه العبارات:

سؤال :

الله الذى هو كائن ألم يكن موجودا من قبل وهل جاء إلى الوجود، أو هل كان موجودا قبل أن يصدر إلى الوجود؟ هل صنع نفسه، أو لم يوجده شخص؟ وهل وجد من دون شخص سابق عليه؟ وهل ظهر مباغتة؟ هذا السؤال غير معقول. نعم غير معقول وليس سؤالا تجديفيا فقط لكنه سؤال شبيه بسؤالهم... إنهم مشحونون كفرا كاملا... فإذا كان من التجديف والكفر أن يوضع **مثل هذا السؤال فيما يختص بالله. فإنه كذلك من التجديف أن يوضع مثل هذا السؤال فيما يختص بكلمته.** ومع ذلك ينبغى أن يقال، للرد على سؤالهم المملوء جهلا وحماقة على هذا النحو: **إن الله كائن، وموجود وجودا أزليا وكما أن الآب كائن دائما فبهاؤه كذلك كائن وأزلى كذلك، وهو كلمته.** وأيضا إن الله الذى هو كائن عنده ومنه الكلمة الذى هو كائن أيضا، **والكلمة لم يصبح شيئا لم يكن هو عليه أولا، ولا كان الآب بدون الكلمة لحظة ما...**

فسؤالهم ليس قائما وليس ذلك بلا علة: لأنهم إذ ينكرون العقل ليس لهم هم عقل ولا فى سؤالهم عقل. كما لو أن واحدا وهو يرى الشمس يستعلم عن بهائها ويسأل: هل ما هو كائن انتج مالم يكن كائنا، أو لعله أنتج فيما كان كائنا بالفعل؟... إن من يسأل سؤالا كهذا يعد كأنه ليس له فكر ذكى، بل قد ضرب فى الغباء، لأن من صدر مباشرة عن مصدر النور يتصور النور خارجا ويسأل عنه «متى» «أين» «عندما» «إذا» حصل ذلك. بالمثل من يتصور الابن والآب على هذا النحو، ويضع فيما يتصل بالآب والابن أمثال هذه الأسئلة التى تدعو إلى الاحتقار، لأن الكلمة المولود من الآب، قد أدخل على الآب من الخارج وليس هو إبنا له بالطبيعة... وكأنهم يتكلمون عن مخلوق، إنه لم يكن موجودا قبل أن يولد. مع ذلك فليفهموا أن هناك جوابا على سؤالهم.

«**إن الآب الكائن قد ولد الابن الذى كان ولم يزل موجودا لأن الكلمة صار** جسدا، والله قد خلق من هذا الذى كان ابنه، ابن الإنسان فى أواخر الدهور، على شرط ألا **يقولوا مع بولس الساموساطى إنه لم يكن موجودا قبل أن يصير إنسانا**»

(هكذا يكفى من جانبنا إجابة على سؤالهم الأول)

الأبوليناريوسية

بدعة أبوليناريوس

يبدو أن الكنيسة لم تكن قد توصلت إلى تحديد واضح لمعنى كلمة اقنوم فى الثالوث المقدس، ولهذا كان عليها أن تعانى مرحلة جديدة من مراحل النزاع الكنسى، حول مفهوم الأقانيم الإلهية وتمايزها عن بعضها فى الصفات والخواص. هذه المرحلة هى التى شغلتها بدعة أبوليناريوس.

وإذا كان للهرطقات من نفع للكنيسة فإنها أفادت فى إثارة أذهان الآباء الملهمين بالروح القدس، لتحديد قواعد الإيمان فيما يختص الثالوث القدوس وبشخص فادينا. فهو كامل الألوهة التامة كما أنه كامل الناسوتية التامة، ولئن كان مفهوما ومستقراً أن اللاهوت اتحد فى المسيح بناسوته اتحادا كاملاً تاماً، لكن يظهر أن مفهوم هذا الاتحاد بين اللاهوت والناسوت كان يعوقه شىء من الغموض فى أذهان البعض على الأقل، وكذلك مفهوم كلمة (طبيعة) وكلمة (أقنوم) . وهذا سر النقاش والجدل الذى أثير حول هذه المفاهيم فى القرن الخامس، والذى لعب أبوليناريوس فيه دوراً كبيراً.

كان أبوليناريوس أسقف لاوديكيا Laodicea فى النصف الأخير من القرن الرابع، وكان ابنا لناظر مدرسة Gramatista بيريتوس Berytus الذى أصبح فيما بعد قسيساً للاوديكيا.

وقد قام الأب بتأليف بعض الكتب المسيحية محاكاة للتواليف القديمة، عندما أصدر يوليانس Julian قوانين تربوية منعت المسيحيين من دراسة الأدب اليونانى واللاتينى القديم ومن تدريسه، وقد ساعد الابن أباه فى هذا العمل، وكتب يدافع عن المسيحية ضد يوليانس وبورفوريوس Porphyry وضد الهراطقة من أمثال أريوس ومارسيليوس Marcellus ، كما كتب تفاسير للكتب المقدسة ووضع أيضاً كتباً أخرى لم يبق منها غير شذرات أوردها فى إجاباته غريغوريوس النزينزى (رسالة ١٠١، ١٠٢) إلى كليدونيوس. ثم غريغوريوس النيسى.

Intirrheticus adv. A poll. and Ep. ad Theophilum. adv . A Poll., and Theodoret.

قارن أيضاً ابيفانيوس ضد الهراطقة Adv. Haer. 77 اثناسيوس : ضد ابوليناريوس contra Apoll. (الترجمة الإنجليزية ـ Bright, later treatises of st. Athanasius ويحتمل أنها لا تكون من تأليف أثناسيوس، انظر

Draseke, Zeitschriff. Wiss. scheft. Theologie 1895 pp.254 ff

ولكنها كتبت وقت أن كان الجدل فى أشد قوته، انظر أيضاً.

Theodoret fabuloe Hear IV U, vg II

ثم باسيليوس رسالة ٢٦٣ (وهي غامضة جدا) وكان ايرونيموس من بين تلاميذه فى سنة ٣٧٤، وكان فى مبدأ الأمر على اتفاق وعلى صداقة حارة مع أثناسيوس وباسيليوس، وذلك بسبب سعة علمه وتأييده للفريق المؤيد لمجمع نيقية بالنسبة للنزاع الأريوسى.

وقد حكم على تعليم أبوليناريوس، أو على تعليم يشبهه، فى مجمع عقد بالأسكندرية سنة ٣٦٢، ومع ذلك يبدو أن تعليم أبوليناريوس لم ينتشر أو يعرف على نطاق واسع إلا حوالى سنة ٣٧١، ولم يحرم أبوليناريوس من الكنيسة قبل سنة ٣٧٥، وقد تجدد حرمه فى عدة مجامع عقدت فى روما برياسة داماسوس فى ٣٧٧ ـ ٣٧٨، وفى المجمع المسكونى الثانى الذى انعقد فى القسطنطينية فى سنة ٣٨١م. وقد صدرت عدة مراسيم امبراطورية فى منع مذهب أبوليناريوس وصلواته العامة من ٣٨٨ ـ ٤٢٨م إلى أن قضى عليه نهائيا. وقد مات أبوليناريوس نحو سنة ٣٩٢م، انظر .P. Schaff Art., Appollinarius

هذا، ومن المحتمل أيضا أن يكون بعض تواليف أبوليناريوس، قد نسبها أتباعه عمدا إلى آباء الكنيسة الأرثوذكسية، بقصد ذيوعها وانتشارها، ومن آيات ذلك، رسالة نقدية من أقدم الرسائل النقدية الأدبية التى ظهرت فى هذا الصدد، كتبها ليونتيوس البيزنطى Leontius (٤٨٥ ـ ٥٤٣) وهو معاصر للامبراطور يوستنيان، وردت فى مجموعة Migne ٢/٨٦ ص ١٩٤٨، وهى دراسة نقدية للمؤلف الحقيقى للكتابات المنسوبة إلى غريغوريوس العجائبى ويوليوس وأثناسيوس، إذ أنها تحتوى على تعاليم مخالفة، وقد ذهب مؤلف الرسالة إلى أن هناك عبارا ت اشتملت عليها هذه الكتب وهى لأبوليناريوس بدليل أن تلاميذه دائما يستشهدون بها.

نقطة البدء فى بدعة أبوليناريوس ونظرياته الدينية

كان أبوليناريوس من أشد خصوم الأريوسية وأكثرهم حماسا لقانون الإيمان النيقاوى، ولعله ابتدع نظريته أو بدعته دفاعا عن الحقيقة الأرثوذكسية ضد الهرطقة الأريوسية وقد ساقه إلى ذلك باعثان:

الأول:

تعليم أريوس الذى نادى بامكانية التغير الأخلاقى عند المسيح، وأنه لهذا كان الكلمة قابل للنمو أو التطور الخلقى، وأنه عندما كان يفعل الخير كان يصنعه بإرادة حرة، كان يمكنها أيضا أن تختار فعل الشر، وعلى ذلك يكون الخلاص الذى صنعه المسيح عملا قام به كائن محدود، أقام ذاته مخلصا بفعل إرادته الحرة، ومن ثم فلا تكون كفارته خلاصا للجنس البشرى كله، إلا من قبيل إظهار إمكانية كسب هذا الخلاص. وليست هناك نفس بشرية واحدة يمكن أن تكون بريئة كل البراءة من وصمة الضعف البشرى.

هذا التعليم الذى نادى به أريوس وأتباعه كان مهينا للاهوت السيد المسيح، لهذا اندفع أبوليناريوس فى غيرة ملتهبة لتوكيد ألوهة المسيح الكاملة، وطهارته التامة من الخطيئة وذلك بمحض طبيعته الذاتية.

الثانى :

هو الخلط بين مدلولات الألفاظ من الوجهة اللاهوتية، رأى أبوليناريوس أن كلمة (طبيعة) وكلمة (اقنوم) بمعنى واحد. فإذا كان فى المسيح طبيعة لاهوتية كاملة وطبيعة ناسوتية كاملة اجتمعتا معا، فمعناه أن اقنومين اجتمعا معا فى المسيح. فإذا اجتمع فى المسيح لاهوت كامل، واجتمع فيه كل مكونات الناسوت، فان هاتين الطبيعتين الكاملتين يكونان اقنومين، إذ لايمكن أن يتألف أقنوم واحد من طبيعتين، وعلى ذلك يرى أبوليناريوس أن الرأى القائل باتحاد اللاهوت كاملاً بالناسوت كاملا، كلين فى كل واحد، رأى مستحيل. هذان هما الباعثان اللذان دفعا أبوليناريوس إلى نظريته التى قصد بها إبعاد المخاوف التى خلقتها البدعة الأريوسية.

لقد نادى أريوس بأنه كان فى المسيح إمكانية لإختيار الخير أو الشر، وحرية الإختيار تقوم فى العقل أو الروح أو النفس الإنسانية الناطقة العاقلة. والنفس الناطقة العاقلة هى العنصر الهام المسيطر على الطبيعة البشرية، المغروس فيها بالضرورة القدرة على عمل الشر، وبفضلها يكون النمو فى الخير أو الشر ممكنا. وزيادة على ذلك فإن هذه النفس هى التى بها يتميز شخص عن غيره، فهى مقر أو مركز قوة تقرير المصير، وهى القوة التى تتميز بها الشخصية الحقيقية لكل إنسان والتى تتكون بها شخصيته المستقلة عن كل إنسان آخر...

ولذلك رأى أبوليناريوس أنه إذا لم يكن للمسيح نفس إنسانية، فلا يكون ثمة مجال لممارسة حرية الإختيار لديه، ولا تكون له شخصية بشرية أو اقنوم بشرى ليتحد بالأقنوم الإلهى، بل يكون هناك الكلمة الإلهى وحده وهى القوة الوحيدة المسيطرة فى أقنوم المسيح المتجسد، وقد وجد أبوليناريوس فى هذا التفسير المخرج الوحيد من كل الصعوبات السابقة. قال أن المسيح بالحقيقة هو الله المتجسد. ولا يمكن أن يتم اتحاد حقيقى بين اللوغوس والنفس الإنسانية الناطقة، لأنه إما أن تحتفظ الطبيعة البشرية المتحدة بالطبيعة الإلهية بارادتها الخاصة واضحة متميزة، وفى هذه الحالة لايكون هناك اتحاد حقيقى بين اللاهوت والناسوت، أو أن تفقد النفس الناطقة حريتها وكأنها قد امتصت فى الطبيعة الإلهية، لذلك يرى أبوليناريوس أن اللوغوس يحتل مكان النفس الناطقة العاقلة، وقد اتخذ له جسما بشريا ونفسا حيوانية، وصار هو القوة المسيطرة والمبدأ السائد فى المسيح، وهو الذى يملأه، وهو الذى يحرك العناصر الإنسانية ويحييها بالحياة العليا الإلهية،

وبهذا حفظت الوحدة فى الاقنوم ولو أن الاقنوم لم يكن كله إلها ولا كان كله إنسانا بل مزيج(١) من الله والانسان.

οὔτε ἄγθρωπος ὃλος, ουτε θεὃς , ἄλλά
θεοὔ καὶ ανορωπου μιξις

وهذا يؤيد ما يقوله الكتاب المقدس أن (الكلمة صار جسدا)، وأن (الله ظهر فى الجسد) وقد قال القديس غريغوريوس النزينزى (رسالة ١٠١) أن الجسد هنا معناه الطبيعة البشرية من قبيل إطلاق الجزء على الكل. وعلى ذلك فان كلمة تجسد ἓνσδρκωσις
تعنى بالحقيقة تأنس ἓνανθρώπησις

ومما تجدر ملاحظته أن أبوليناريوس قد أنكر اقنومية الطبيعة الإنسانية ونادي بأن مركز الاقنومية هو فى الكلمة، ولذلك فإنه عندما قال هذه العبارة التى رددها البابا كيرلس الأول فيما بعد ونسبها أيضا إلى أثناسيوس الرسولى، «طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة».

μὶα φὔσις τοὔ θεοὔ λὂγου σεσαρκωμὲνη

فإنما كان يعنى الجسد باعتباره جزءا من الطبيعة التى وصفت بأنها واحدة، وربما كانت الطبيعة كما فهمها أبوليناريوس طبيعة جديدة، ومؤلفة بطريقة فريدة فى نوعها، بينما أن البابا كيرلس استعمل العبارة السالفة من دون أن يعنى بذلك طبيعة أخرى جديدة، لأنه يقول فى موضع آخر طبيعة واحدة من طبيعتين. ἓκ δὔο, φὔσἓὤν

(١) ان لفظ μἳξις بمعنى مزيج أو خليط كان مستعملاً من زمن طويل عند بعض آباء الكنيسة ومنهم ترتليانس Apol. 21 يقول انسان ممتزج بالله home des mixtus وكبريانوس de idol. II Vanit يقول الله ممتزج بالإنسان Deus comhomine miscetur ولاكتانتيوس Deus est et homo, ex utroque genere permixlus I net. iv. 13 وتكلم اورجينوس فى كتابه الرد على كلسس contro cels عن اتحاد الطبيعتين كأنه منسوج أو محبوك συνυφαὶνεσθαι ثم θκρἆσις أو ἄνἄκρασις قارن ايضاً كتابه (المبادىء ٢ : ٦٣).

وكذلك ايريناوس فى كتابه الرد على الهراطقة ك ٣ ف ١٩ : ١ (edv. Haer 111, 19:1) وغيره إلى زمن اغريغوريوس النزينزى واغريغوريوس النيسى اللذين استعمل كل منهما σΰγκρἆσις ثم ἄνἄκρασι ς وهما يفيدان معنى يقترب من فكرة تحول الطبيعة الإنسانية إلى الإلهية (اوريجينوس فى نفس الموضع) ولو أنهما عبرا بصراحة عن ثنائية الطبيعتين (الله والإنسان).

θεὃς και ἄνθρωπὃς

وحتى اوغسطينوس أيضا قال (إن الإنسان موصول) وبعبارة أخرى (ممزوج) Commixtus بكلمة الله ليتمم وحدة الاقنوم. (de Trin. v30)

والخلاصة أن الذين عارضوا أبوليناريوس لم يستطيعوا أن يشرحوا كيفية الاتحاد (entirety) شرحا وافيا ولو أنهم قالوا بكمال اللاهوت والناسوت معا.

الإعتراضات على النظرية الأبوليناريوسية

وردود أبوليناريوس عليها

إن أهم ما يعترض به على أبوليناريوس أن النفس هى أهم عنصر فى الطبيعة البشرية، فأبوليناريوس بإنكاره وجود نفس بشرية فى اقنوم المسيح، قد سلب التجسد الالهى معناه وقيمته وجعله خيالاً لا حقيقة له، وإذا كان صحيحاً ما يقوله أبوليناريوس فستصبح أعظم المعتقدات المسيحية خطراً، وأعمقها أثراً، فى نفوس المسيحيين خيالات وأوهاماً، ولا يكون الله قد تجسد بالحقيقة وإنما يكون قد خلع لباس الجسد θεος σαρκοφορος (الله لبس جسداً) تماماً كما قال نسطور فيما بعد أن المسيح هو حامل الإله ἄνθρωπος θεοφὸρος ولو أن القديس اغناطيوس قد استعمل هو أيضاً عبارة المسيح لابس الجسد. σαρκοφὸρος (رسالته إلى ازمير) ثم أن الروح أو النفس التى كانت على قول أبوليناريوس مركز الخطيئة، هى فى حاجة إلى الفداء كحاجة النفس الدنيا فى الإنسان والبدن سواء بسواء. لأن الذى خطىء هو الذى يحتاج إلى الخلاص أكبر احتياج (١) يقول القديس غريغوريوس النزينزى فى رده المفحم على أبوليناريوس فى رسالته ١٠١ (إذا كان نصف آدم فقط هو الذى خطىء، فيمكن إذن أن يكون المسيح أيضاً قد اتخذ هذا النصف ليخلصه) وإذا لم يستطع المسيح أن يتخذ نفساً إنسانية بحجة أن النفس هى (تحت الحكم) بسبب الخطيئة، فبالأولى أن لا يكون المسيح قادراً على أن يتخذ جسماً بشرياً أيضاً، وبهذا يحرم النفس والجسم معا من الفداء، ويقول القديس غريغوريوس أيضاً فى رسالته ١٠٢ (أن أولئك الذين يلغون الناسوت والصورة التى فيه ينظفون خوارجنا فقط عن طريق اقنومهم الخيالى الجديد)...

غير أن أبوليناريوس كان يؤمن من دون شك أن الاقنوم يتألف من عنصر إلهى ومن عنصر إنسانى، ولكن حيث أن اللوغوس كان هو نفسه النموذج الأعلى Archetype لجميع النفوس البشرية، فلا محل للاعتراض على نظريته. إن اللوغوس، تبعاً لرأى أبوليناريوس لم يحتل مكاناً خارجياً أو بعيداً بالنسبة إلى الإنسان، وإنما كان هو الطبيعة البشرية فى ذاتها وحقيقتها، فجميع النفوس البشرية كانت على نوع ما ظلالاً للوغوس، ولهذا فعندما صار اللوغوس نفسه موجوداً فى جسم إنسانى تحققت أعلى وأصدق صورة للوجود الإنسانى.

ومهما يكن من أمر، فإن أبوليناريوس أنكر وجود نفس إنسانية فى المسيح، وكان لابد للكنيسة من أن تعترض على هذا التعليم الذى شق ناسوت المسيح وألغى منه النفس الإنسانية لأن الكنيسة تعلم أن التجسد قد صار باتخاذ الكلمة طبيعة بشرية كاملة.

---

(١) انظر مثلاً ما يقوله أثناسيوس فى الرد على أبوليناريوس ١:١٩ .contra Appoll

أما كيف جمع السيد المسيح بين ناسوتيه كاملة وبين كونه بلا خطيئة، فقد تكلم عنه القديس أثناسيوس تفصيلاً فى رده على أبوليناريوس كتاب contre. Apoll 2. وخلاصته أن الطبيعة البشرية التى اتخذها السيد المسيح هى الطبيعة التى صنعها الله وهى من دون خطيئة لأن الخطيئة من صنع الشيطان، قارن أيضاً ما يقوله غريغوريوس النيسى فى رسالته إلى أبوليناريوس Ep. adv. Apoll ولو أنه صار خطيئة ولعنة من أجلنا... ولبس ضعفنا إلا أنه لم يدع الخطيئة واللعنة والضعف المحيطة به من غير شفاء.. فكل ما هو ضعيف فى طبيعتنا، وقابل للموت، قد امتزج باللاهوت وأصبح على نحو اللاهوت) ...

ولقد أتهم أبوليناريوس، اتهمه غريغوريوس النزينزى وغريغوريوس النيسى(١) بأنه كان يعلم فعلاً بأن جسد الرب يسوع المسيح كان موجوداً من قبل التجسد، وتبعاً لذلك فإن جسد المسيح من جوهر سمائى، وأنه لم يتكون من العذراء مريم بل هو جزء من الجوهر الإلهى لبس المادة قال الرب (ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء) (يو ٣: ١٣)، وقد قيل أن أبوليناريوس فسر هذه الآية بأن المسيح كان هو ابن البشر قبل أن ينزل من السماء. وقد نزل من السماء، بجسده الذى كان له فى السماء وبذلك يكون جسد الرب يسوع فى نظر أبوليناريوس أزلياً، وهو مساو له فى الجوهر، وهذا التعليم فى الواقع هو بعينه التعليم القديم الذى نادى به الظاهريون Docetism وليس غير إحياء للتصوف الشرقى الذى ينكر أن يكون المسيح قد جاء فى الجسد (٢).

ولكن أبوليناريوس كتب بقلمه إلى الإمبراطور jovian يضحد بقوة التعليم الذى ينادى بأن جسد المسيح مساو لله فى الجوهر (وأنه نزل من السماء) وأنه لم يؤخذ حقيقة من العذراء، ويحرم هذا التعليم بشدة ويصفه بأنه تعليم غير سليم.

---

(١) لا يزال الأرمن المسيحيون يستعملون قانوناً للإيمان يلاحظ فيه أنه ينفى الأبوليناريوسية بعبارات واضحة جلية (نزل من السماء وتجسد، وتأنس، وولد من العذراء القديسة مريم بالروح القدس كاملاً. فقد اتخذ جسداً ونفساً وعقلاً وكل ما فى الإنسان (أو كل ما يكوّن الإنسان) بالحقيقة وليس ظاهراً... وصعد إلى السماء بذات الجسد، وجلس عن يمين الآب وسيأتى بذات الجسد، وقد أورد halm قانون الإيمان هذا باللغة اليونانية ص ١٥١ ومايليها.

- قارن أيضاً ص ١٣٧ وتكلم عنه hart فى كتابه Two Dissertation ص ١١٦ وما يليها باعتباره قانون إيمان كبادوكيا فى القرن الرابع للميلاد، وضع ربما نحو ٣٦٦ - ٣٦٩ فى طرسوس (حيث عرف تعليم أبوليناريوس فى لاوديكيا قبل أى مكان أخر بمعرفة Silvanus (معلم باسيليوس وديودروس) وأدخله باسيليوس فى كنائس كبادوكيا ومنها إلى كنائس أرمنيا (التى كان يكرس بطاركتها فى قيصرية عاصمة كبادوكيا إلى نهاية القرن الرابع حيث أن الكنيسة هناك تدين بنشأتها إلى كبادوكيا فى أوائل القرن الرابع)
- ولمعرفة الآراء الأخرى الخاصة لهذا القانون راجع. Hahn Appendix p. 154

(٢) انظر غريغوريوس النزينزى رسالة ١٠١، ٢٠٢، ثم St Bright, st leo on the Incarnation ص ٥١٨ .

وعلى ذلك فلابد. أن تكون هذه النظرية المنسوبة إليه استنتاجاً غير صحيح عن مذهبه الحقيقى، وربما يكون من خلق أتباعه الذين ذهبوا إلى أبعد مما ذهب معلمهم، وطبقوا على الطبيعة الجسدية بأسرها ما قاله أبوليناريوس عن الروح فقط (١)، ولربما كان هذا الاستنتاج هو مستنبطا من أراء أبوليناريوس نفسه وهو أن جسد الرب يسوع المسيح، ولو أنه مأخوذ حقاً من السيدة العذراء، إلا أنه يمكن أن يدعى مساوياً للكلمة فى الجوهر، وذلك بسبب اتحاده الوثيق به، مستنبطاً أيضاً من الاتصال الوثيق الذى أصر عليه أبوليناريوس، بين الطبيعة البشرية كلها، وبين اللوغوس الذى كان الواسطة التى بها خلقت أصلا، ومستنبطاً أيضاً من العبارات التى كان أبوليناريوس يستعملها من أمثال (الله ولد) و(الله مات).. (إلهنا قد صلب)(٢).

إن أمثال هذه العبارات وبالمعنى الذى استعملها فيه أبوليناريوس أثارت على الخصوص نظرة ديدورس Diodorus الطرسوسى وثيودوروسTheadorus. وهما قائدا الفكر الدينى فى مدرسة انطاكية فى نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس للميلاد، ولقد أثار هذان بدورهما ثائرة

---

(١) ومما تجدر ملاحظته على كل حال أن هيلارى Hilary of poitiers لم يتردد أن يستعمل فى رسالته عن التثليث de Trinitate (وكتبت نحو ٣٥٦ - ٣٥٩ فى آسيا الصغرى يشرح فيها تعليم الكنيسة ضد الأريوسية) عبارة الجسم السمائى corpus coeleste ويعنى بذلك جسم المسيح، وأن يقول عن جسده أنه من السماء caro illa de corlis est فصل ١٥، ١٠: ٧٣ ويقول أن خلق النفس الإنسانية فى المسيح كان بالحقيقة من صنع اللوغوس (ويؤمن هيلارى بنظرية الخلق creationism فى نشأة النفوس) وأن مادة الجسم هى وحدها التى أخذها من أمه، لكن المادة هى فى مبدأ الأمر، كتلة لا شكل لها ولا تصبح جسماً إلا بفعل النفس الحية التى تعطى للمادة شكلها، وهذه النفس هى فى الحقيقة من خلقه، بحيث أنه كان هو الصانع conditor لجسده ipse corporis sui origo est ولهذا فإن أصله من السماء (وعلى كل حال فإنه يقول بكل وضوح أن مادة الجسم الأرضية أخذت من العذراء..)

- انظر الترجمة الإنجليزية لكتاب Dorner D.P.C. جزء ١ ف ٢ ص ٤٠٢ وما يليها...

(٢) ولعله بالنسبة إلى مثل هذه التعبيرات قد تكون المبدأ اللاهوتى المعروف.

Sommunicotis Idumatum ولو أن فكرة المبدأ عرض لها القديس أثناسيوس الرسولى، وشرحها شرحا وافياً فى كتابه (الخطب فى الرد على الأريوسيين) الخطبة ٣ ف ٣١ وكذلك تكلم عنها ترتليانس، وذلك قبل أبوليناريوس بزمن، ولقد رفض خصوم أبوليناريوس أن يربطوا آلام المسيح بطبيعته الإلهية، لذلك قال أتباع أبوليناريوس أن خصومهم يرون أن الذى صلب، ليس فى طبيعته شىء من اللاهوت، وعلى ذلك فإن رفضهم أن يربطوا آلام المسيح بالطبيعة الإلهية يتضمن القول بأقنومين ، أحدهما إنسانى والآخر إلهى، أحدهما هو الإنسان الذى يتألم ، والآخر هو الإله الذى لا يمكن أن يتألم على أن هذا الاستنتاج قد رفض على التو وتقررت العقيدة فى وضوح، أن فى المسيح اقنوماً واحداً جاز مختلف الخبرات والتجارب، بفضل طبيعته التى جمعت صفات اللاهوت والناسوت معا (انظر على الخصوص رد أثناسيوس على أبوليناريوس واغريغوريوس النيسى ٢٧، ٥٢، ٥٤).

الكنيسة، لجدل طويل دام سنوات عدة، وانتهى بالحكم الذى أصدره مجمع خلقدونية.

وقد قلنا من قبل أن خصوم أبوليناريوس، لم يستطيعوا أن يشرحوا جيداً كيفية الاتحاد بين اللاهوت والناسوت فى المسيح، فنحن نرى مثلاً غريغوريوس النيسى على الخصوص، كثيراً ما يستخدم عبارات تتضمن امتصاص الناسوت فى اللاهوت ، وملاشاة الصفات الخاصة بالطبيعة الإنسانية، فهو يقول فى رسالة له إلى أبوليناريوس(١).

«إن بكور الطبيعة البشرية التى اتخذها اللاهوت القادر على كل شيء، وكأنها على سبيل المثال نقطة من الخل امتزجت بالمحيط الذى لا نهاية له، هذه البكور التى للطبيعة البشرية هى فى اللاهوت، ولكن ليست لها صفاتها الخاصة بها، لأنه لو كان الأمر كذلك، لترتب عليه أن نتصور وجود إبنين. وإذا كان ذلك كذلك فقد انبنى عليه أن نتصور فى لاهوت الابن الذى لازمه، نتج عنه وجود طبيعة من نوع آخر لها خصائصها المميزة لها، وعلى هذا يكون ذلك الجزء ضعيفا أو قليل ، (حقير) أو فانيا أو زمنياً، أما الجزء الآخر فقوى وعظيم وغير قابل للفناء، وأزلى وأبدى...» معناه أن الطبيعة البشرية قد قهرتها الطبيعة الإلهية، حتى أنها لم تعد عنصراً ذا شأن فى كيان أقنوم الابن المتجسد. لاشك أن الكلمة اتخذ له طبيعة بشرية كاملة، ولكن الاتحاد بالمعنى الذى شرحه غريغوريوس هنا فى عبارته السالفة، لا يتفق مطلقاً مع أى وجود حقيقى للطبيعة البشرية وإلا فما هو الدور الذى يمكن أن تلعبه هذه الطبيعة البشرية فى هذه الخبرات ؟؟

وعلى كل حال، فإن عبارات لاهوتى عظيم كاغريغوريوس النيسى، كتلك التى أوردناها، ترينا إلى أى مدى كان يلزم أن تجتاز الكنيسة مرحلة أو مراحل من الصراع الفكرى، قبل أن تتوصل إلى تحديد دقيق للعقيدة الدينية، يمكن أن ينقل فى أمانة تامة الرأى القويم فيما يتصل بالسيد المسيح، ولابد أن نشير هنا إلى أن لغريغوريوس نفسه عبارات أخرى، يصحح بها تعبيراته التى أوردناها فى الفقرة التى اقتبسناها منه، والتى يظهر فيها غريغوريوس وكأنه أوطاخى قبل أوطاخى نفسه، ذلك مثلاً حين يسخر غريغوريوس النيسى بأبوليناريوس الذى ينسب للاهوت كل خبرات الاقنوم المتجسد، وحيث يعرف كلمة (مزيج) μιξις التى يستعملها أبوليناريوس بأنها تعنى (كل الأشياء المفترقة فى الطبيعة)، ولذلك يبدو أنه كان لابد من ظهور نسطور ليلعب دورا فى هذا الموضوع، ولكى يثير اعتراضاته على أمثال هذه التعبيرات حتى تتوصل الكنيسة نهائياً - إلى حل حاسم وسليم فيما يتصل بالتعبير الدقيق الذى يترجم عن الاتحاد التام بين لاهوت المسيح وناسوته.

---

(١) مجموعة منى Migne مجلد ٤٥ صـ ١٢٧٦ Ep. adv. Apoll Migne xiv p.1276.

النفس الإنسانية فى المسيح

إذا كان لابد أن يكون للتجسد معناه وقيمته، وإذا كان لابد من أن نؤمن بأنه كان لمخلصنا لاهوت كامل وناسوت كامل، فواضح أنه لابد أن يكون للمخلص نفس إنسانية، وكما لابد أن يكون له جسد كامل، إذا كان يقصد بالنفس كما هو الحال فيما نحن بصدده، ومن دون حاجة إلى تعريف أكثر دقة بحسب معلوماتنا الحديثة، العنصر الأسمى فى الطبيعة البشرية الذى يضبط ويحكم الأفكار والأفعال الإنسانية، هو العقل والفكر والروح والإرادة، بدونه تصبح طبيعة الإنسان كالحيوان سواء بسواء، والغريب أن واحدا من المعاصرين للسيد المسيح أو من خدام الإنجيل الأوائل لم يتطرق إليه أدنى شك فى هذه الحقيقة، ولكن بعض المفكرين فى العصور التالية تأملوا... فإذا الشر فى المادة وفى كل ما يتصل بالبدن، فوضعوا نظريات فى شخص المسيح تنفى عنه الطبيعة البشرية نفيا باتا، ومن ثم كان لابد لغيرهم ممن أرادوا أن يدافعوا عن حقيقة التجسد، من أن يوجهوا أكثر همهم إلى إبراز حقيقة الجسم الإنسانى وأعماله الطاهرة، وهذا الموقف أثار خصوما لهم وهم الغنوسيون الذين اعتقدوا بوجود النفس الإنسانية فى المسيح، ولكنهم أنكروا حقيقة الجسم البشرى، على أنه يبدو أنهم لم يفكروا فى التمييز بين النفس والبدن فى هذا الصدد (انظر Tert. de carne christi ف ١٠).

وقال الكتاب (والكلمة صار جسداً) يو ١ : ١٤ وهذه العبارة تناولها بالتفسير كل الذين اهتموا أن يشرحوا «سر التجسد» والعناصر التى يتألف منها السيد المسيح.. ورأوا فيها أبسط تعبير كتابى عن حقيقة التجسد، ثم التمايز القائم بين اللاهوت والناسوت فى المسيح و(الكلمة) تعبر عن اللاهوت و(الجسد) يعبر عن الناسوت. لأنه من الجسد تنشأ كل الصفات والخصائص الإنسانية فى المسيح، فالجسد يعبر فى نظر الذين يميلون إلى ابراز الطبيعة الناسوتية، مصدر أو علة جميع المشاعر والإحساسات والخبرات الإنسانية، ولذلك فإن الجسد هنا يكنى به عن الطبيعة البشرية بصفة عامة.

ولعل أول من تكلم بوضوح من آباء الكنيسة، عن وجود النفس الناطقة فى المسيح هو : ترتليانس. كان يقول ترتليانس أن الطبيعة الإنسانية تتألف من جسد ومن نفس عاقلة هى مبدأ الحياة والحركة فى الإنسان (١). هذه النفس هى جوهر الإنسان الحقيقى، فإن كان المسيح هو مخلص البشر فلابد أن يكون قد اتخذ نفساً من ذات النوع الخاص بالإنسان (٢).

وأما العلامة أوريجينوس فله نظرية فى الموضوع. فيقول فى كتاب المبادىء (٣). يستحيل على طبيعة الله أن تمتزج بجسم من دون وسيلة متوسطة (والنفس واسطة بين الله والجسد) على

---

(١) راجع كتابه فى النفس De A nima ٢٧، ٥١

(٢) قارن كتابه De canne christi ١١ وما يليها

(٣) المبادىء جز ٢ ف ٦ ف ٣، ٥.

أن النفس الإنسانية التى اتحد بها اللوغوس، هى النفس الوحيدة التى ظلت نقية وطاهرة كل الطهارة، وذلك بحرية اختيارها التى مارستها فى وجودها السابق على وجود البدن، ومهما يكن من خطأ نظرية أوريجينوس التى أخذها عن أفلاطون فى وجود النفس وجودا سابقاً على وجود العوالم فى بدء الخليقة، فإن أوريجينوس كان من أوائل المفكرين المسيحيين الذين تكلموا بوضوح عن أهمية الاعتراف بوجود نفس إنسانية فى المسيح. ولقد أبان أوريجينوس فى الفقرة المشار إليها من كتاب المبادىء، أن طبيعة النفس الناطقة فى المسيح هى من ذات طبيعة جميع النفوس الأخرى، وكان فى مقدورها أن تختار بين الخير والشر. غير أنها ملتصقة بالبر إلتصاقا شديداً من دون تحول أو افتراق، حتى أنها لا يمكن أن تتحول عنه أو تتغير.

إلا أن الأريوسيين أقروا بوجود نفس حيوانية فى المسيح ψυχη ἄλογος وانكروا النفس الناطقة (νοῦς πνεῦμα) واعتقدوا أن اللوغوس حل محل النفس الناطقة وبهذا نادوا بالنظرية التى قال بها أبوليناريوس فيما بعد. ولهذا فضل الأريوسيون أن يقال عن المسيح فى قانون الإيمان، تجسد (σαρκῶθεντα) من أن يقال عنه تأنس εναvθρώπησαντα وهو التعبير الذى أصر عليه الأرثوذكسيين، لأنهم رأوا أن كلمة (تأنس) تضطرهم إلى الاعتراف بوجود نفس عاقلة فى المسيح، إذ هم لا يستطيعون إنكار وجود نفس عاقلة فى الإنسان، يتميز بها عن سائر المخلوقات الأرضية، وقد أخذ أبوليناريوس عن الأريوسيين نظريتهم ودافع عنها فأصبحت نظريته هو أيضاً التى اشتهر بها بين الهراطقة.

المشيئة الإنسانية فى المسيح

لعل أعظم الفوائد التى جنتها الكنيسة الأرثوذكسية من وراء بدعة أبوليناريوس، هو وضوح الاعتقاد بكمال ناسوت المسيح، واشتمال هذا الناسوت على نفس إنسانية ناطقة عاقلة، على أن الاعتقاد بنفس إنسانية فى المسيح ينطوى أيضاً على الاعتقاد بمشيئة إنسانية فى المسيح، وإذا كانت للمسيح مشيئة بشرية، فمعناه أن المسيح كان عرضة للامتحان والتجربة من الناحية الأخلاقية، ولذلك كان ممكنا له أن يتقدم وينمو فى النعمة والفضيلة من جهة طبيعته الإنسانية. ولكن أبوليناريوس رأى فى الاعتراف بمشيئة إنسانية فى المسيح ما يعوق اتحاد اللوغوس اتحاداً شخصياً بالناسوت، لأنه من غير الممكن حسب قوله أن مشيئتين كاملتين موجودان معا.

أما آباء الكنيسة فيرون أن فى إنكار مشيئة أو إرادة إنسانية حرة فى المسيح، يقود إلى صعوبات ومشكلات لا يسهل التغلب عليها. يقول غريغوريوس النيسى (١)، إذا لم

---

(١) فى كتابه Antirrhet ص ٤٥.

تكن للنفس الإنسانية فى المسيح إرادة حرة للاختيار ولتقرير المصير، فلا تكون حياة السيد المسيح مثلاً أعلى، أو نموذجا أخلاقياً لنا، بل ولا يكون منها نفع للجنس البشرى.

ويرى غريغوريوس النزينزى (رسالة ١٠١: ٩) أن هناك بعض النقص فى العقل البشرى بالنسبة إلى العقل الإلهى، فعقلنا على ما يقول. كلّ كامل Tἔλειον وتحكمه قوة ذات سلطة سامية أى أن فيه قوة ذات سلطة سامية ἡ γεμογικὸν تحكم النفس الحيوانية والبدن، هذه القوة هى بالنسبة لسائر القوى التى فينا، كاملة وذات سلطان، لكنها ليست كذلك بصفة مطلقة لأنها خادمة لله وخاضعة له، وهى بالنسبة له ناقصة بل وتابعة له، (فالتل مثلاً كامل فى ذاته لكنه ناقص بالنسبة إلى الجبل، وحبة الخردل كذلك بالنسبة إلى حبة الفاصوليا ولو أنها قد تكبر من حبة أخرى من نفس النوع) هكذا النفس الإنسانية أو العقل الإنسانى ناقص بالنسبة للاهوت المسيح، وبهذا تبطل مشكلة وجود كلّين كاملين معا فى اقنوم المسيح (العقل الإنسانى والإلهى) فالإرادتان أو المشيئتان يمكن أن يوجدا من دون أن تلغى إحداهما وجود الأخرى).

ولكن المسألة يجب أن تعالج لا بالنظر إلى وحدة الاقنوم فقط، بل وأيضاً بالنسبة إلى براءة الاقنوم من الخطيئة، فهى مشكلة أخلاقية وميتافيزيقية. هل يمكن أن يكون للسيد المسيح نفس إنسانية لها مشيئة إنسانية ومع ذلك يكون السيد المسيح بلا خطيئة. (χωρισ αναρτῖας)

وكيف يمكن أن يكون المسيح إنسانا كاملا وبدون خطيئة ؟؟؟

درس القديس أثناسيوس هذه المسألة دراسة وافية فى رده على أبوليناريوسAdv. A pool (٢٢ ف ٦ وما يليها ف١: ١٧) قال: (إذا كان المسيح قد اتخذ طبيعة بشرية كاملة، فلابد أن كانت له أفكار بشرية، ولكن من المستحيل أن لا تكون هناك خطيئة فى الأفكار البشرية، فكيف يكون المسيح إذن بلا خطيئة ؟؟؟) والجواب الأرثوذكسى على هذا السؤال هو : أن الله ليس هو خالق الأفكار التى تقود إلى الخطيئة، والمسيح لا يربط ذاته إلا بما يصنعه هو.. لقد خلق آدم ناطقاً عاقلاً بطبيعته، حراً فى تفكيره بلا خبرة فى الشر لا يعرف إلا الخير، ولقد كان قادرا على أن يسقط فى الخطيئة لكنه كان مزودا بقوة لمقاومتها، والواقع أنه كان بريئاً منها، لكن الشيطان هو الذى بذر فى طبيعة الإنسان العاقلة الناطقة الأفكار التى تقود إلى الخطيئة، ومن ثم فقد أسس فى طبيعة الإنسان شريعة الخطيئة والموت معاً، لتسيطرا بسبب الفعل الخاطىء، وعلى هذا النحو أصبح مستحيلاً على تلك الطبيعة، وقد أخطأت بإرادتها وتعرضت لحكم الموت، أن ترتد إلى الحرية، لهذا فإن ابن الله اتخذ طبيعة الإنسان الداخلية كلها لا جزءا منها (إذ أن الخطيئة ليست جزءا منها، وإنما هى ميل نفثه الشيطان فيها)، وبطهارته المطلقة حرر طبيعة الإنسان من الخطيئة..

ولم يقنع الأريوسيون بهذا الجواب، بل قالوا أن الطبيعة التى اعتادت على الخطيئة وصارت تنتقل إليها الخطيئة، لا يمكن أن تكون بلا خطيئة وبعبارة أخرى قالوا: أن الطبيعة البشرية تلطخت بالخطيئة فطبيعة الإنسان الناطقة صارت عاجزة عن أن تتجنب الخطيئة، وعلى ذلك فلم تكن ثمة طبيعة إنسانية بريئة من الخطيئة يتخذها المسيح له. لقد صار فيها الميل إلى الخطيئة ولم يكن فى مقدور طبيعة المسيح الإنسانية أن تتجنب الخطيئة إلا بواسطة قوة اللاهوت القاهرة التى ألزمتها بذلك، هذه القوة القاهرة التى أبطلت فى الواقع حرية إراداتها.

والحق أن الخطيئة ليست من جوهر الناسوت، وأنه قد تحقق النصر على الخطيئة بواسطة الطبيعة البشرية عينها، التى انهزمت مرة بالخطيئة، لقد اجتاز المخلص جميع ألوان وأشكال التجارب، لأنه اتخذ لنفسه كل ما يجعله عرضة للتجارب، وقد انهزم الشيطان من أمامه، لا بفعل اللاهوت فقد كان الشيطان يجهل اللاهوت الذى فيه، ولكن بعمل الناسوت الذى طالما أغراه الشيطان ووجه إليه كل أعماله وحاربه فلم يجد الشيطان فيه الزرع القديم الذى زرع فى الإنسان. إن الذى اتخذه الكلمة هو شكل الإنسان كما خلق أولاً: جسد بدون شهوات جسدية وأفكار إنسانية، وعلى ذلك فالإرادة هى إرادة اللاهوت فقط ولقد كان للمسيح إرادة بشرية، ولكن جميع رغبات الطبيعة البشرية فى المسيح كانت فى إنسجام ووفاق مع إرادة الطبيعة الإلهية...

ومهما يكن من أمر، فإن أتباع أبوليناريوس قد أخطأوا إذ قالوا: أنه من المستحيل على الطبيعة البشرية التى قد استعبدت مرة أن تعتق من العبودية، لأنهم بهذا القول قد نسبوا العجز إلى الله والقوة إلى الشيطان...

وثمة سؤال آخر: إذا كانت الطبيعة الإنسانية التى اتخذها الكلمة لم تكن طبيعة ساقطة قادرة على أن تخطأ، حتى لو ظلت بريئة من الخطأ، فكيف يمكن للتجسد وللطاعة الكاملة من جانب الابن المتجسد، أن يحققا فداء الناس الساقطين؟؟ أفهل استطاعت أن تفعل شيئاً أكثر من أن تقدم مثالاً للإنسان قبل السقوط أو كما (يكون) لو لم يكن هناك سقوط؟ وكيف يمكن لمجرد مثل للإنسانية الطاهرة، مصونا تماماً من الخطيئة بسبب الاتحاد باللاهوت، كيف يمكن أن يخلص الناس الذين أصبحت طبيعتهم خاطئة بالفعل؟

يقول غريغوريوس النيسى(١): لأننا نقول أن الله الذى هو فى جوهره خال من المادة لا يرى كما أنه غير جسدانى، عندما اقترب زمن إتمام كل الأشياء، وذلك بفعل تدبير خاص تدبير حب نحو الناس، عندما بلغ الشر إلى أقصى مداه، حينئذ، لكى يحطم الخطيئة، امتزج معه الإنسانية، مثله مثل الشمس إذا سكنت فى كهف مظلم، فحضورها يبدد الظلام بفعل ضيائها، لأنه وإن كان قد وضع قذارتنا على نفسه، لكنه هو نفسه لم يتنجس بالدنس، وإنما هو ذاته يطهر

---

(١) فى كتاب Antirrhet ٢٦ مجموعة Migne مجلد ٤٥ ص ١١٨٠.

القذر، لأنه قيل أن النور أضاء فى الظلمة، لكن الظلمة لم تغلبه (١)، وهذا ما يحدث بالضبط فى حالة العلاج، عندما يؤتى بالدواء الشافى ليحمل على المرض، فإن المرض يستسلم ثم يزول، لكنه لا يتحول إلى فن العلاج.

ويقول غريغوريوس النيسى: أن طبيعة المسيح الناسوتية كانت تتقدم تحت تأثير الحكمة الإلهية المتحدة بها. ويذهب فى تفسير لوقا ٢٢ : ٤٢ (لتكن لا إرادتى بل إرادتك) إلى أنه كان فى المسيح إرادة بشرية، تجفل من الألم، وإرادة إلهية (ولو أن الإرادة الإلهية دائماً غالبة) وأن فيه الضعف البشرى كما فيه القوة الإلهية، فالرب يسوع قد اتخذ لنفسه (ضعفات الخوف البشرى) وبرهن على امتلاكه طبيعتنا وذلك بمشاركته فى إحساساتها (٢) .. ويقول غريغوريوس النيسى أيضاً: (أنه عظيم احتملنا طول أناته فلم يمنع طبيعتنا من مشاركته، مع أنها قد سقطت كنتيجة للخطيئة، ولكنه قبلها إليه ليعطيها حياة من جديد).

وهذا معناه أن الإرادة الإنسانية مع أنها قد سقطت، إلا أنها تستطيع بالاتحاد بالطبيعة الإلهية أن تبلغ إلى قوتها الحقيقية، وبهذا يمكن أن تحل المشكلة التى أثرناها فى مطلع هذا الفصل..

قانون الإيمان الأثناسيوسى(٢)

يظهر فى هذا القانون إهتمام واضح بالرد على بدعة أبوليناريوس، كما يتبين من بعض فقراته، فيما يلى نورد ما يفيدنا منها لمعالجة ما نحن بصدده، (نؤمن ونعترف بأن ربنا يسوع المسيح ابن الله)، هو إله وإنسان...

إله من جوهرالآب، مولود قبل كل الدهور، وإنسان من جوهر أمه، ولد فى العالم...

إله تام، وإنسان تام: من نفس ناطقة وجسد بشرى باق...

مساو للآب، من حيث لاهوته: وأقل من الآب من حيث ناسوته... الذى مع أنه إله وإنسان لكنه ليس مسيحين بل مسيح واحد..

واحد، لا بتحول اللاهوت إلى جسد، بل باتخاذ اللاهوت له ناسوتا (الناسوت واحد بالتمام، لا بخلط الجواهر بل بوحدة الأقنوم)...

---

(١) يبدو أن غريغوريوس النيسى قد فهم على هذا النحو الآية الواردة فى يو ١ : ٥ بينما استعمل كلمة (تغلبه) ἀναλαμβάνω بدلاً من (لم تدركه) الواردة فى النص الإنجيلى. κατέλαβεν

(٢) قارن ما يقوله أثناسيوس فى تجسد الكلمة ورده على الأريوسيين ف ٢١.

(٢) هناك اعتقاد عام بين المؤرخين إلى أن هذا القانون ظهر أولاً فى جنوب بلاد الغال، وأنه عرف أولاً فى دير ليرينوم Lerinum الذى أسسه Honoratus ومن أبرز أعضائه Faustus و Vincent ثم Hi-lary اسقف أرليس.. Arles.

إذ كما أن النفس الناطقة والجسد إنسان واحد، هكذا الله والإنسان مسيح واحد.

ومما تجدر ملاحظته أن قانون الإيمان الأثناسيوسى:

أولاً: يعارض استحالة اللاهوت إلى الناسوت كما يعارض الخلط فى الجوهر (ومعناه خلط بين الله والإنسان) ولاشك أن المقصود هو الرد على أبوليناريوس وأتباعه الذين قالوا بذلك رغبة منهم فى تجنب القول باقنومين...

ثانياً : ينادى القانون بكمال اللاهوت والناسوت (الأول جوهره من نفس جوهر الآب، والثانى جوهره من نفس جوهر الأم). كما ينادى باتحاد اللاهوت للناسوت بحيث لا يكون ثمة اقنومان وإنما اقنوم واحد وطبيعة واحدة، هو الكائن الواحد بعينه، وهو الله وهو إنسان أيضاً، وبعبارة أخرى هو الإله المتجسد.

فالهدف الأساسى من قانون الإيمان الأثناسيوسى كما يبدو، هو إعلان الإعتقاد بجوهرين كاملين، اتحدا فى اقنوم واحد وطبيعة واحدة، وفى هذا رد واضح على بدعة أبوليناريوس.

الروح الإنسانية فى المسيح

- فللوقت شعر يسوع بروحه إنهم يفكرون هكذا فى نفوسهم (مرقس ٢ : ٨).

- فتنهد (يسوع) بروحه. وقال : لماذا يطلب هذا الجيل آية (مرقس ٨ : ١٢).

- فلما رآها يسوع تبكى .. انزعج بالروح واضطرب (حرك نفسه) (يوحنا ١١ : ٣٣).

- ولما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق أقول لكم أن واحداً منكم سيسلمنى. (يوحنا ١٣ : ٢١).

- ونادى يسوع بصوت عظيم، وقال: يا أبتاه فى يديك استودع روحى. ولما قال هذا أسلم الروح (لوقا ٢٣ : ٤٦).

- ونكس روحه وأسلم الروح (يوحنا ١٩ : ٣٠).

- فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح (متى ٢٧ : ٥٠).

- فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح (مرقس ١٥ : ٣٧).

هرطقة بيلاجيوس

هرطقة بيلاجيوس

لم يظهر فى تاريخ المعتقدات المسيحية نظريات أشد تعارضا فيما بينها، من تلك النظريات التى نشأت فى القرن الخامس فيما يتصل بطبيعة الإنسان، والخطيئة والنعمة، وكان التعارض بينها فى أمور جوهرية وأساسية. ويبدو أن مرجع الإختلاف فيما بينها إلى إختلاف فى وجوه النظر، يرتد بدوره إلى إختلافات فردية بين المفكرين فى المزاج والخبرة وما إلى ذلك، فبعض الناس تميل بطبيعتها إلى التأويلات الطبيعية، والبعض الآخر يميل إلى التأويلات العالية عن الطبيعة، بعضهم يعلق أهمية كبرى على قدرة الإنسان الخيرة، والآخر يعلق هذه الأهمية على قدرة الإنسان الشريرة، وعجزه عن أن يحقق الخير بنفسه، هذان الإتجاهان يمكن أن نلاحظهما فى الفلسفات القديمة والديانات القديمة، ولكننا نراهما بوضوح عندما بدأ الناس يواجهون الوقائع التى ساقتهم إليها خبراتهم، على ضوء الكتاب المقدس.

فالإنسان يشعر بالخطيئة وبحاجته إلى قوة ليست منه لتخلصه من نفسه، وفى ذات الوقت يشعر أيضا بأنه يملك فى نفسه قدرة ينبغى عليه أن يستعملها. إنه يشعر بمسئوليته الشخصية، وفى نفس الوقت يشعر أيضا بأن هناك قوى لايمكنه مقاومتها تصطف ضده، فكيف يمكن للمسيحى أن يعبر عن تجربته بتعبير يتفق أو يتمشى مع التعاليم الإلهية التى عرفها؟؟؟

هذه المشكلة لم تعالج معالجة جادة قبل القديس أوغسطينوس، لقد أقر القديس بولس الرسول بوجود هذا التعارض، وذلك فى نصيحته التى وجهها إلى المسيحيين فى فيلبى (تمموا خلاصكم بخوف ورعدة لأن الله هو العامل فيكم)(١). لكن هذه العبارة لم تكن موضوعا لبحث أو مناقشة نظرية، ومع ذلك كان المسيحيون يؤمنون بحرية الإرادة وإرشاد النعمة جنبا إلى جنب، ليس من الناحية النظرية التفكرية فقط، بل ومن ناحية الحياة العملية أيضا. فكتبة العهد الجديد يقرون بوضوح أولا مقاصد النعمة الإلهية من جهة، وثانيا مقدرة الإنسان على أن يتمم مقاصد الله أو أن يخيبها من جهة أخرى. ولكن يحدث أحيانا أن يوجه معلموا الكنيسة إنتباها خاصا إلى فساد الطبيعة البشرية، وإلى التعارض بين النعمة والطبيعة، وإلى حاجتنا التامة وافتقارنا المطلق إلى النعمة الإلهية، وفى أحيان أخرى يميلون إلى مقاومة الذين يغالون فى إعطاء الأهمية كلها إلى النعمة الإلهية العالية عن الطبيعة. ومن هنا فإن علماء الكنيسة يعطون الأهمية خاصة للحرية البشرية، ولمقدرة الإنسان على أن يخلص نفسه، ولكنهم لم يوضحوا العلاقة بين حرية الإرادة وبين النعمة، ولم يبينوا حقيقة الخطيئة فى الفرد وطبيعتها وأصلها. فالمشكلة لم تكن لتثير إهتمام الكنيسة الجامعة، ولم تصبح ذات خطر يدعو إلى فصل حاسم من أصحاب السلطة الكنائسية، ولكن كانت هناك أراء فردية متنوعة، أبديت لحل بعض المسائل التى تتصل عن قريب بالمشكلة التى نحن بصددها. ومنها مسألة أصل النفس وآثار أو نتائج السقوط وما إلى ذلك... وربما يكون

---

(١) فى ٢: ١٢، ١٣.

من الخير أن نعرض فى إيجاز للتفكير أو التعليم الذى كان منتشرا فى الكنيسة الأولى، خاصا بهذه الموضوعات قبل أن نخوض بالتفصيل فى المشكلة التى أثارها بيلاجيوس والتى عنى بها القديس أوغسطينوس عناية خاصة.

وكانت فى الكنيسة الأولى ثلاث نظريات فى أصل النفس وهى: نظرية وجود النفس، وجودا سابقا قبل حلولها فى البدن، ونظرية الخلق، ثم نظرية ولادة النفس مع الجسم.

والنظرية الأولى: نظرية وجود النفس وجودا سابقا قبل البدن... علم بها أوريجينوس قال: (إن جميع النفوس خلقت فى بدء الخليقة قبل خليقة العوالم، شأنها فى ذلك شأن الأرواح الملائكية، ثم أخطأت هذه النفوس إلا نفسا واحدة وهى النفس التى اتخذها الكلمة المتجسد، فقد ظلت طاهرة بريئة من الخطأ، ولذلك هبطت إلى الأجسام المادية عقابا لها على ضلالها، وعلى ذلك فهذا الوجود عملية تأديبية، إذا أتمتها النفس وعاشت متنقلة بين أجسام مادية كثيرة، عادت إلى حالتها الأصلية، أما الأجسام فتظهر فى الوجود عن طريق التكاثر الطبيعى الذى يجرى فى الطبيعة بالإسلوب العادى المألوف...

ويبدو أن هذه النظرية تحمل معها نظرية التناسخ أو التقمص μετεμψύχωσις (انتقال النفس من موجود إلى موجود آخر بعد الموت) ولكن فى دائرة الكائنات البشرية، كما تحمل معها نظرية التذكر، ἀνάμνησις ولكن أوريجينوس لم يستخدم أية نظرية من النظريتين الأخيرتين، ومهما يكن من أمر فمما لا شك فيه أنه أخذ نظريته الأساسية، نظرية وجود النفس وجودا سابقا على البدن، من أفلاطون، ولو أنه لايقول ذلك بل يسوق آيات الكتاب المقدس لتبريرها. ومن ذلك مثلا، ما جاء فى إنجيل القديس يوحنا (يا معلم من أخطأ، هذا أم أبواه حتى ولد أعمى؟)(١) ثم رواية سفر التكوين عن سقوط الروح المحدود والموجود مسبقا، من المجال الأعلى إلى المجال الأسفل، وهى فى نظر أوريجينوس رواية رمزية، وكذلك توقع التجديد المشار إليه فى رسالة مار بولس إلى رومية، وبالأخص فى قوله (لأن إنتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله)(٢)، هذا، وأوريجينوس يفسر اختيار يعقوب وتفضيله على عيسو، فى بعض مواضع من كتبه، بأن ذلك كان نتيجة لاستحقاق حصل عليه يعقوب فى مرحلة وجود سابق (٣).

فإذا أردنا أن نُقَيِّم هذه النظرية، نظرية وجود النفس وجودا سابقا على وجود البدن، قلنا، حقا أنها نظرية تكفل المسئولية الفردية، كما أنها تشرح سبب الخطيئة الأصلية، غير أنها تجعل القيمة كلها للنفس، فالنفس فيها هى الإنسان الحقيقى، أما الجسد فهو مجرد سجن مؤقت، وليس عنصرا

---

(١) يو ٩: ٣. (٢) رو ٨: ١٩.

(٣) قارن رومية ٩ ابتداء من آية ١١.

جوهريا من عنصرى بشريتنا، ثم أننا نرى فى هذه النظرية صورة للفردية، فكل نفس وحدة بذاتها، خلقت بأمر إلهى خاص، وليس لها علاقة بالنفوس الأخرى، وإذن، فليس ثمت خلق للجنس البشرى بأكمله، وليس هناك طبيعة بشرية مشتركة بين جميع الناس ولاتماسك فى النوع الإنسانى.

ويظهر من كتب أوريجينوس المتأخرة، التى وضعها فى أثناء وجوده بقيصرية، أنه عدل عن نظرية وجود النفس وجودا سابقا على البدن، واعتنق نظرية الكنيسة الجامعة فى الخطيئة الأصلية، واقتنع بالتالى بوجوب عماد الأطفال، ومما يجدر ذكره أن مجمع القسطنطينية الملتئم عام ٥٤٠م رفض نظرية أوريجينوس وشجبها.

والنظرية الثانية... هى النظرية الخلقية، وكانت هى النظرية السائدة بين الأباء الشرقيين، ونادى بها على الخصوص القديس أيرونيموس وإيلارى. قالوا أن كل نفس تخلق من الله خلقا جديدا ومباشرا من العدم De nihilo وذلك فى وقت الولادة، أو بعبارة أخرى عندما يبدأ وجود الفرد. ثم تتحد النفس بجسم ينحدر من الوالدين بعملية التوالد الطبيعية، ومما كتبه القديس ايرونيموس فى ذلك(١) (ان الله يخلق فى كل يوم نفوسا) مؤيدا قوله بما نطق به المسيح (أبى يعمل حتى الآن، وأنا أعمل)(٢) وبما جاء فى سفر المزامير (المصور قلوبهم جميعا)(٣) وبما قاله النبى زكريا (يقول الرب باسط السموات، مؤسس الأرض، وجامل روح الإنسان فى داخله)(٤). وأورد هذه النظرية أيضا إيلارى فى مقال له عن المزمور ٩٠ (٩١).

وتبعا لهذه النظرية يولد العنصر المادى من كل إنسان، عن طريق الإخصاب والتكاثر من طبيعة الإنسان الأول المادية، التى خلقت منذ بدء الخليقة، وعلى ذلك فإن طبيعة الإنسان الجسمانية واحدة فى جميع الناس وهى تمتد أو ترتد إلى فعل الخلق الأول، أما العنصر الروحى أو النفسى فخلق إلهى جديد. ومن ثم لابد أن يكون طاهرا، وعلى ذلك فمركز الشر هو فى الجسم وحده، ومعنى هذا أن الأطفال كما يقول أوغسطينوس قبل أن يرتكبوا أى خطأ فعلى، هم بلا خطيئة.

والنظرية الثالثة... هى نظرية ولادة النفس مع البدن.... وكانت هذه النظرية المقبولة شرقا وغربا، ومن أهم القائلين بها القديس غريغوريوس النيسى، كما دافع عنها ترتليان بحماس شديد. ومؤداها أن الإنسان الأول كان يحمل معه جرثومة الجنس البشرى كله... وكانت نفسه هى المصدر الأصلى لجميع النفس البشرية، وليست ضروب الإختلاف بين طبائع الناس الفردية غير تكيفات مختلفة لذلك الجوهر الواحد، وأعنى به الجوهر الروحى أو النفسى، فقد تم

---

(١) ad pammachium

(٢) يو ٥: ١٧.

(٣) مز ٣٣: ١٥.

(٤) زكريا ١٢: ١.

عمل الخلق كاملا ونهائيا فى اليوم السادس للخليقة، وكما يولد الجسم من أجسام الوالدين، كذلك تولد النفس من نفوس الوالدين، فالجسد والنفس يتكونان بالتوالد الطبيعي.

وتبْنِى هذه النظرية صرحها على أساس تعليم القديس بولس الرسول، عن صلة الجنس البشرىِ بآدم الأول، وعن أصل الخطيئة كما جاء على الخصوص فى رسالته إلى كنيسة روما(١):

«من أجل ذلك، كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس... إذ أخطأ الجميع... فإنه حتى الناموس كانت الخطيئة فى العالم... لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى، وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدى آدم الذى هو مثال الآتى. ولكن ليس كالخطيئة هكذا أيضا الهبة، لأنه إن كان بخطيئة واحد مات الكثيرون... فبالأولى كثيرا نعمة الله والعطية بالنعمة... لأنه إن كان بخطيئة واحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيرا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر، سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح، فإذن كما بخطيئة واحد صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة ... هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة، لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضا بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبرارا».

وفى رسالته الأولى إلى الكنيسة فى كورنثوس (لأنه كما فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح سيحيا الجميع) (٢)

وفى رسالته إلى الكنيسة فى أفسس (كنا بالطبيعة أبناء الغضب) (٣) وكما جاء أيضا فى المزامير (هأنذا بالإثم صورت، وبالخطية حبلت بى أمى) (٤).

هذه النظرية تفسر وحدة الجنس البشرى وإنتقال الخطية عن طريق الوالدين tradux animae tradux peccati - لقد فسدت الطبيعة البشرية بأسرها بفساد آدم الأول إذ هو أبو الجنس البشرى كله، وورثت الميل إلى الشر، وهذه هى الخطيئة الأصلية vitium originis وهى الوصمة أو الشائبة التى نزلت بالأصل، والتى بالضرورة تؤثر فى الذرية، إذ الكل يولدون وقد تلطخوا بها...

ولكن ثمة اعتراضات على هذه النظرية... منها ... أنها تجعل الإنسان محصلة للظروف السابقة، ولاتتيح مجالا للحرية الفردية، وتهويل النفس أو تجعلها مادية.

والمعروف، أن القديس أوغسطينوس كان أكبر من ساعد على رواج هذه النظرية وإنتشارها، ولو أنه لم يقل بها على نحو قاطع، ويظهر أن تعليمه عن الخطيئة وأصلها وإنتقالها، كان يختص بإنتقالها إلى النفس التى تخطئ، يقول القديس أوغسطينوس فى كتابه فى النفس

---

(١) رو ٥: ١٢ – ١٩. (٢) ١كو ١٠: ١٢.

(٣) أف ٢: ٣. (٤) مز ٥٠ (٥١): ٥ قارن عب ٧: ١٠، تك ٥: ٣.

de Anima الجزء الأول، ردا على كتاب فينسنتيوس فيكتور Vincentius Victor عن النظرية الخلقية أنه ليس ثمة نصوص تؤيد النظرية الخلقية، وكان يلح على القول بأنه ينبغى على كل من يعتقد بهذه النظرية ـ نظرية الخلق ـ أن يتجنب الأخطاء الأربعة التالية:

الأول : أن النفوس عندما تخلص، تصبح خاطئة لا بفعل منها بل بانبثاق ميل خاطئ فيها، فى اللحظة التى يولد الإنسان فيها.

الثانى : أن الأطفال مجردون من الخطيئة الأصلية، ولا حاجة لهم إلى المعمودية.

الثالث : أن النفوس قد أخطأت من قبل، وبهذا تحبس فى جسم خاطئ.

الرابع : أن نفوس الذين يموتون فى طفولتهم لاتعاقب إلا عن الخطايا التى كانت سترتكبها فيما بعد، لو أنها عاشت.

ويقول القديس أوغسطينوس أن جميع نصوص الكتب المقدسة تثبت أن الله هو خالق النفس البشرية وهو مانحها ومشكِّلها، ولكن كيف يكون ذلك؟ أيخلقها خلقا جديدا بنفخة منه أم بولادتها من الوالدين؟ إن النصوص لاتدلنا على رأى قاطع.

وقد تعرضت نظرية ولادة النفس مع البدن لهجوم عنيف فى العصور الوسطى، على أساس أنها تتعارض مع فكرة خلود النفس... ولأنها تهيول النفس أو تجعلها مادية، ولا تتمشى مع الإتجاه السائد فى الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)... وهو أشد ميلا إلى الفكر اليونانى منه إلى الفكر اللاتينى.

هذه النظريات المختلفة تنطوى على مفاهيم مختلفة لعمل الكفارة أو الفداء. فالشر بحسب النظرية الأولى .... نظرية وجود النفس وجودا سابقا على وجود البدن.... هو سقطة من مرتبة الوجود الأعلى إلى مرتبة الوجود الأدنى، والكفارة فى هذه الحالة روحية... لكنها فردية شخصية، وهى تخليص النفوس الفردية... من أجسادها المادية التى حبست فيها. والشر بحسب النظرية الثانية... وهى النظرية الخلقية... مادى والكفارة تتعلق بالطبيعة الجسمانية وحدها، إلا إذا نظرنا إلى النفس على أنها هى أيضا قد فسدت لاتحادها بالبدن... وأما بحسب النظرية الثالثة... نظرية ولادة النفس مع ولادة البدن... فالشر وراثى فى الجسم والنفس على السواء، والكفارة فى هذه الحالة عمل خارق، وهو الخلق من جديد.

ومما هو جدير بالملاحظة أن النظرية الولادية، هى النظرية الوحيدة التى تؤيدها معلوماتنا الحديثة فى علم البيولوجيا، إذ يبدو مستحيلا أن نقسم الإنسان، فى أى مرحلة من مراحل وجوده إلى جسم ونفس، كما أنه يستحيل أيضا، أن نحدد اللحظة التى تبدأ فيها النفس وجودها.... إنهما واحد منذ إبتداء الحياة، وكلاهما مولود من الوالدين، وبعبارة أخرى: أن الإنسان كله يولد من الوالدين...

النظريات المختلفة فى سقوط الإنسان
ونتائج هذا السقوط

وبالمثل كانت هناك مفاهيم مختلفة منتشرة بين المسيحيين الأولين فيما يتصل بسقوط الإنسان ونتائج هذا السقوط. وعلى العموم، فإنه على الرغم من شدة الإحساس بالتعارض بين الواقع والمثل الأعلى، فقد كان يسود المسيحيين شعور بالتفاؤل بالنسبة إلى طبيعة الإنسان وإمكانياته. ولم يكن ثمة رأى قاطع بشأن الخطيئة وأصلها، حتى أن الغنوسيين، كانوا يردونها إما إلي الصانع Demiurge أو إلى المادة، ومع أن الخطيئة أمرها معروف عند جميع الناس، ولكن الناس لم يتنبهوا لها تنبها تاما إلا بعد أن عرفوا ـ كما هو الحال عند اليهود والمسيحيين ـ أنها إعتداء على قداسة الله، وقد عرفت فكرة الخطيئة على حقيقتها فى الوقت الذى عرفت فكرة الفداء، وفكرة الفداء تنطوى على إحساس بالخلاص من قوة غريبة، كما تنطوى فى نفس الوقت على إحساس بإمكانية البلوغ إلى الحياة الفضلى، التى يقود إليها هذا الخلاص، إنها كذلك تتضمن الاعتراف بفساد الطبيعة البشرية وسقوطها من حالة كان يمكنها فيها البلوغ إلى القداسة، وأنها فى حالتها الراهنة فى حاجة إلى ما يحرك قدراتها الفطرية حتى تتمكن من أن تستعيد الحالة التى فقدتها... وتتحقق بها.

وقصة السقوط كما ترويها أسفار موسى هى الأساس التاريخى الذى نعتمد عليه فى موضوع الخطيئة والفداء، ولكن بعض الآباء من أمثال ترتليانس فسرها تفسيرا حرفيا، وبعضا آخر أمثال أوريجينوس وايريناوس والغنوسيين يفسرها تفسيرا رمزيا، بينما أن القديس أوغسطينوس يفسرها تفسيرا حرفيا ورمزيا معا، فهي واقعة تاريخية ولكنها تنطوى على معانى رمزية، وأيا كان القول فقد اتفقوا جميعا على أن تجربة السقوط نفسها كانت تجربة حقيقية وكانت إغراء للشر، وأن مخالفة الوصية كانت سقوطا من حالة البراءة والطهارة، ترتبت عليه نكبات أحاقت بالجنس البشرى كله، نتيجتها الموت وسائر الشرور الطبيعية (١). ولو أن المعنى الروحى كان مقدما ومفضلا على المعنى الحرفى عند المفسرين من أمثال أوريجينوس الذى كتب على مفتاح أحد الفصول المقدسة هذه العبارة (إنفصال النفس عن الله، الذى نتج بسبب الخطيئة، يسمى الموت)(٢).

ومع ذلك فقد كانت الخطيئة الفردية أو الشخصية، تعد عملا من أعمال الإنسان وقد صدرت عن إرادة حرة. وبعبارة أخرى أنها تكرار و إعادة للخطيئة الآدمية الأولى، وليست نتيجة حتمية

---

(١) قارن ايريناوس فى كتابه (الرد على الهرطقة) جزء ٣ فصل ٢٣ وجزء ٥ فصل ١٥، ١٧، ٢٣.

(٢) أوريجينوس، تفسير رومية جزء ٦ فقرة ٦.

لها أو مجرد نتيجة لميل وراثى. ولا يعتبر سقوط الإنسان الأول نافيا لحرية الإرادة الإنسانية. فقدرة الإنسان على تقرير مصيره - وهى على ما كان ولايزال يعتقد أنها فطرية فى النفس الإنسانية - كانت عند الآباء للدليل على أن الإنسان صورة الله، ويلاحظ أن أباء الكنيسة الأولين والمدافعين عن الدين، حتى زمن ترتليان يشهدون بالاجماع أن الإنسان حر فى أن يختار لنفسه الخير أو الشر، ويقول يوستينوس الشهيد (إذا كان مقدرا على إنسان أن يكون خيرا، وعلى آخر أن يكون شريرا، فلا يكون الأول مستحقا للمديح ولا يكون الثانى مستحقا للوم. ثم إذا لم يكن فى مقدور الجنس البشرى بمحض إختياره، أن يجانب الشر ويختار الخير، فلا يكون مسئولا عن نتائج أفعاله مهما كانت)(١) ... ويقول أثيناغوراس (إن الله لم يخلقنا كالأغنام أو العجماوات، وعلى ذلك فليس من الطبيعى أن نريد الشر)(٢)، ويقول أوريجينوس فى الرد على كلسس (إذا انتفى الاختيار فى الفضيلة انتفت الفضيلة نفسها)(٣). وكما الحال بالنسبة إلى الخطيئة كذلك الحال أيضا بالنسبة إلى عمل الفداء، فللإنسان أن يلعب فيه دورا وأن يمارس حريته فى الاختيار. يقول أكليمنضس الأسكندرى (وكما يقدم الطبيب الصحة لمن يعملون معه من أجل صحتهم، هكذا الله يعطى الخلاص الأبدى لمن يعملون معه من أجل المعرفة والسلوك القويم)(٤). وكان هذا هو الرأى الذى تحمس له آباء الكنيسة، وأعنى به حرية الاختيار التى منحها الله لجميع الناس، ضدا لتعليم الغنوسيين الذين زعموا أن الخلاص من الخطيئة والحرية الأدبية هى لطبقة واحدة من الناس، هم الذين يسميهم الغنوسيين الروحانيين πνἒυματικοἶ وأن إنقسام الإنسان إلى عنصرين كان أمرا ضروريا فى تطور الوجود. وقال الغنوسيون: (إذا كان الإنسان الأول قد خلق كاملا، فكيف أمكنه أن يخطئ؟ وإذا كان قد خلق ناقصا، فالله نفسه هو مصدر الخطيئة) وأجاب اكليمنضس الأسكندرى على هذا الإشكال بأن الإنسان الأول لم يخلق كاملا، وإنما خلق وله مقدرة على أن يفعل الخطيئة.... لكن تهذيب هذه المقدرة يعتمد على الإنسان نفسه)(٥) ... وقال غيره من الآباء بأنه يجب التمييز بين الصورة εικὣν صورة الله التى خلق عليها الإنسان الأول، وهى القدرات والإمكانيات الأصلية التى منحت لآدم وهى لاتفنى، وبين شبه الله ομοἶωσις τοῦ θεοῦ الذى يمكن أن يتحقق الإنسان به إذا استخدم تلك الإمكانيات والقدرات استخداما صحيحا وأحسن تنميتها، فالكمال إذن هو المثل الأعلى الذى يسعى الإنسان الصالح إلى اللحاق به، الإنسان الذى يتمتع بحرية الإرادة

---

(١) الدفاع ١ : ٤٣.
(٢) الدفاع ف ٣١.
(٣) أوريجينوس: الرد على كلسس ف٤، ف ٣.
(٤) اكليمنضس الأسكندرى المتنوعات جز ٧ ف ٧.
(٥) اكليمنضس الأسكندرى: المتنوعات جزء ٦ ف ١٢.

فأصل الشر مرجعه إذن إلى إرادة الإنسان، أو إلى عجز الإنسان عن أن يبلغ بامكانياته الفطرية إلى تحقيق المثل الأعلى، ويرى أكثر الآباء أنه يلزم لتحقيق المثل الأعلى مبدأ ثالث، وهو فى نوعه يفوق الطبيعة، وأعنى به الشركة مع الله، وبدون هذه الشركة أو هذا التعاون بين الإنسان وبين الله لايمكن للإنسان أن يدرك الكمال.

وترتليان هو أول من عالج مشكلة الخطيئة من خلال النظرة أو النظرية الولادية، نظرية ولادة النفس مع البدن، وهو أول من استخدم عبارة (الخطيئة الأصلية) Vitium originis ليصف بها الوصمة أو اللطخة أو الشائبة التى لحقت بطبيعة الإنسان منذ سقوطه الأول. فبينما أن طبيعته الحقيقية أو الأصلية خيرة، أمسى الشر له طبيعة ثانية، ولكن ترتليان لايرى أن الخطيئة الأصلية تنطوى على إثم أو ذنب. وفيما يتكلم عن وجوب إرجاء المعمودية يتساءل قائلا: (أى حاجة عند الأطفال الأبرياء إلى التعجيل بغفران الخطايا) (١) ومع أن ترتليانس يلح على فساد الإنسان الأخلاقى، نتيجة للخطيئة الموروثة وعلى حاجة الإنسان إلى نعمة الله ليحصل على خلاصه وفدائه، إلا أنه يعلِّم بوضوح عن مقدرة النفس الفطرية على عشرة الله وشركته بفعل طبيعتها الخاصة) (٢).

أما أوريجينوس فتبعا لنظريته فى أصل النفوس البشرية. وأنها قد تلطخت بالإثم فى مرحلة من الوجود سابقة على وجودها فى العالم الحاضر. لاغرابة إذا كان يؤثر نظرية الخطيئة الأصلية ويؤيدها(٣)، ولكنه يؤيد حرية الاختيار أو حرية الإرادة، ويرى أن الإثم لاينشأ إلا عندما يسلم الإنسان نفسه للميول الشريرة(٤).

وقد يكون أن قوى الإنسان وقدراته الأخلاقية قد وهنت، ولكن جميع الآباء إلى زمن القديس أوغسطينوس اتفقوا على أن هذه القوى أو القدرات لم تفن. وبهذا علم أيضا القديس يوحنا ذهبى الفم....

ويرى القديس غريغوريوس النيسى: أن نعمة الإيمان لاَتحلُ على جميع الناس بالسواء، وذلك مرده إلى حرية الإرادة فى الإنسان، فهى وحدها التى تفسر لنا هذه الحقيقة الواقعة. إن دعوة الله كما يقول القديس غريغوريوس(٥)، توجه إلى جميع الناس بدلالة واحدة، ولاتفرق بينهم كما

---

(١) ترتليانس: فى المعمودية de baptisme : ١٨.

(٢) راجع مثلا كتاب ترتليانس: فى النفس de Anima ٤٠، ٤١.

(٣) راجع كتابه فى المبادئ de principiis جزء ٣ ف ٥ ف ٤.

(٤) للمرجع السابق جزء ٣ ف ٢ ف ٢، جزء ٣ ف ٤، قارن أيضا القديس باسيليوس Hexhaem جزء ٣ ف ٥ بأجزاء ٦ ف ٧.

(٥) غريغوريوس النيسى: ٣، ٣١، قارن: ٢٩ (مجموعة) جزء ١٤ ص ١١٨٨.

حصل مثلا ـ بالنسبة إلى موهبة الأنسنة ـ لكن ضابط الكل (بسبب فرط عنايته بالإنسان، سمح بأن يجعل أمرا تحت سلطتنا، بحيث فى مقدور كل واحد منا أن يسيطر عليه وهو الإرادة προαιρεσις وهو شئ لايمكن أن يستعبد، له القدرة على تقرير المصير من حيث هى متربعة فى حرية الفكر والعقل διάνοια . فإذا استخدمت القوة انعدم الاستحقاق وإذا ظلت الإرادة بغير مقدرة على الفعل، اختفت الفضيلة بالضرورة إذ تكون قد تكبلت بشلل ακινησια الإرادة .....) ومهما قيل فى أهمية الحاجة إلى إدخال مبدأ جديد فى الطبيعة البشرية، فهذا دليل عند القديس أوغسطينوس على أن الإنسان عاجز حتى أن يريد الخير والحق...

ويقول القديس أثناسيوس فى كتابه (فى تجسد الكلمة)، لقد سمح الإنسان للفساد أن ينفذ إلى طبيعته ووجوده، وقد انتقل إلى حالة الموت الأدبى أو الأخلاقى، فكان من الضرورى إذن أن يتحد عدم الفساد والحياة بتلك الطبيعة حتى يمكنها أن تشفى...

ويقول القديس أوغسطينوس: (إن كنيسة المسيح كانت تعلم دائما بالتعاليم التى علم بها، فإذا كان هناك قول من أقوال الآباء يبدو أنه يؤيد مفاهيم البدعة البلاجية، فلابد أن يكون قولا عابرا obiter dicta، ومن ثم يجب أن يرفض على التو النتائج التى يستخلصها البيلاجيون منها...).

pelagianis nondum litigantibus securius Loquebantur

تعليم القديس أوغسطينوس

الحق، أن القديس أوغسطينوس، هو أول من عالج بالبحث المسائل اللاهوتية الخاصة بالإنسان، وهى ما يسمونه فى علم اللاهوت (الأنثربولوجيا)، وقد توسع فيها بعد ذلك آباء الكنيسة نتيجة للخبرات والحاجات العملية. ونحن نرى أن فكرة الفداء تتضمن أول ما تتضمن الإحساس بالنقص الأخلاقى، والإحساس بالحرية الأخلاقية من جانب أولئك الذين يسعون فى أثر الخلاص، الحرية التى تقر أولا بذنبها وبأنها وسائط الفداء. وتبعا لقوة هذا الإحساس أو ذاك تبدو الديانة المسيحية إما على أنها خليقة جديدة أو عنصر جديد من عناصر الحياة، تغير الحياة بأسرها وتسمو بها، وإما على أنها قوة عليا تنادى بأفضل ما فى الطبيعة البشرية، وبتحريرها من العوائق التى تعوق تقدمها المنشود. فالذين يعانون من صدمة مفاجئة أو ينتقلون من شعور عميق بالإثم إلى الإحساس بالغفران والسلام يميلون بالطبع إلى الفكرة الأولى، بينما الذين يبلغون إلى الهدف تدريجيا فهم يؤيدون الفكرة الثانية، نظرا للوقائع التى يعرفونها هم باختباراتهم...

تلكما الفكرتان أو ذانكما الإتجاهان، يتمثلان فى القديس أوغسطينوس والمبتدع بيلاجيوس على التوالى، أما أوغسطينوس فقد وصفه دوبريسنيسيه de pressense بحق فى مقال له قائلا (لم يكن أوغسطينوس يستطيع أن يصنع من الخير نصفه أو من الشر نصفه، لقد إنقلب من شاب خليع إلى ناسك صارم، ومن الحرية الفكرية إلى أبرز صورة للسلطة، وكان أخلص نصل للأرثوذكسية فى زمانه)... وكان شاعرا على الخصوص بصعوبة الجهاد من أجل القداسة، وبالتعارض بين مايصدر عن الطبيعة إذا تركت لنفسها وابتعدت عن الله، وبين نتائج المبدأ الإلهى الجديد الذى تبلغ إليه طبيعة الإنسان عن طريق اتحادها بالمسيح، ومع أنه لايمكننا فى عجالة كهذه أن ننصف آراء مثل هذا المفكر العميق، إلا إننا نكتفى بأن نجمل أهم نقاط اشتملت عليها نظريته فيما يتصل بالطبيعة البشرية، والخطيئة والنعمة الإلهية.

فى الطبيعة البشرية:

أما فيما يتعلق بالطبيعة البشرية، فيعتقد أوغسطينوس أن آدم قد سقط سقوطا كاملا حتى أنه فقد القدرة على عمل الخير الروحى فقدانا تاما... وبعد ذلك لم يصر فى إمكانه أن (يريد) شيئا إلا الشر أو أن (يفعل) شيئا غير الشر، ذلك إذ أن الفعل يتبع دائما أقوى الدوافع، وهذا الدافع يمنح للإنسان إما من الله أو من الطبيعة، أما الطبيعة فقد فسدت، فلابد إذن أن يكون أقوى الدوافع شريرا دائما، ومتفوقا على عطية النعمة الإلهية، ولم تكن السقطة التى تردى فيها آدم مقصورة على آدم وحده، ففى آدم أخطأ الجميع وحكم على الجميع، قال الرسول: (بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت، هكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم خطئوا

فيه)(١) . ويقول القديس أوغسطينوس أن التقليد الكنسى يؤيد أيضا هذا التعليم، إذ أن طقس جحد الشيطان الذى تمارسه الكنيسة للمعمدين، بما فيهم الأطفال الرضعان يثبت اعتقاد الكنيسة الجامعة الرسولية فى انتشار الخطيئة الأصلية فى كل الجنس البشرى بسبب خطيئة آدم الأولى. إن آدم هو أصل الجنس البشرى. وقد تعدى وأفسد جميع ذريته. فالجنس البشرى كله يشاركه جريمته. وليس فى إمكانه مهما بذل من جهد خاص أن يفلت من العقوبة التى استحقها. أنه يشارك آدم فى جريمته لأنه كان موجودا فى آدم بالقوة (أو كان فى صلبه عندما أخطأ) وقد أخطأ الجنس بالفعل عندما أخطأ آدم ومن ثم فقدوا هبة البر الأصلى. ليس يمكن للجنس البشرى أن يسترد هذه الهبة والحياة المقدسة التى كانت له فى آدم قبل السقوط، إلا عن طريق قيامة جديدة حقيقية أو خلقة أخرى جديدة، من قبل النعمة الفائقة الطبيعة.

فى الخطيئة:

وأما فيما يتصل بالخطيئة، فأوغسطينوس يعتقد أن الطبيعة البشرية عندما خلقت أصلا كانت بريئة من الخطيئة. إنها خلقت لتكون فى شركة مع الله وقادرة على أن تتحقق بالغاية من وجودها. ولو أنها كانت قادرة أيضا على أن تخطئ، إن الخطيئة تتعارض مع ناموس الطبيعة البشرية وقانونها... ولكن منذ أن أخطأ الإنسان للمرة الأولى أمست الخطيئة كائنة فى كل إنسان، وأنها مرض يلتهم ويفْنِى الحياة الحقيقية فى كل إنسان. ولا سبيل إلى التغلبِ علىِ هذا المرض إلا بعلاج جوهرى يتناول الطبيعة البشرية نفسها، وبعبارة أخرى لابد من أن يُعْطَى الإنسان حياة جديدة تغرس فيه من جديد.

فى النعمة:

وأما بالنسبة إلى النعمة الإلهية، فيرى أوغسطينوس أن هذه القوة المجددة للحياة، وهى فى الحقيقة هبة جديدة للحياة، هبة الله المجانية التى تجذب الناس إلى المسيح، وليس ثمة قوة بشرية تستطيع أن تخلص الإنسان من فساده الوراثى. إن الإنسان فى هذا كله لايعمل شيئا، مثله مثل الطفل الرضيع فى المعمودية، وعلى نوع ما يمكن أن يقال بحق أن الإرادة الإنسانية لاتلعب فى ذلك دورا على الاطلاق، فليس لها قدرة على أن تبدأ بعمل شئ، فإذا ما أعطيت الهبة الجديدة، فلا تستطيع الإرادة الإنسانية أن تقاوم هذه الهبة، ولكن هذا الكلام يحتاج إلى إيضاح حتى لانخطئ مقصود أوغسطينوس، إن ما يعنيه أوغسطينوس هو هذا: إن النعمة الممنوحة للإنسان

---

(١) رو ٥: ١٢، يلاحظ أن الترجمة البيروتية البروتستانتية قد أوردت هذا النص مبتورا فقالت: (وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع) ولكن النص اليونانى يؤيد الترجمة التى أوردناها نحن فى متن الموضوع.

هى عطية جديدة، وهى تجدد الإرادة الإنسانية، بكيفية تنطلق معها الإرادة حرة، لتختار لنفسها الخير وتتبعه من دون إنحراف... ثم إن النعمة الممنوحة لاتقاوم، بمعنى أن الإرادة وقد استردت حريتها الحقيقية، لم تعد لها رغبة فى مقاومة الخير.

بهذا المعنى يمكن أن نفهم صلاة أوغسطينوس أو مناجاته، التى دونها فى (إعترافاته)، والتى انزعج لها بيلاجيوس.

(ليس لى أبدا رجاء، إلا فى عظيم رحمتك، فامنح ما تأمر به، ومر بما تريد، إنك تتطلب منا العفة، وقد قال أحدهم «عندما علمت أنه لايمكن لأحد أن يكون عفيفا إلا إذا منحه الله العفة، كان هذا نفسه جزءا من الحكمة أن أعرف من الذى منح هذه العطية(١)»، حقا إن العفة هى التى تربطنا معا وتردنا مرة أخرى إلى تلك الوحدة التى تشتتنا عنها إلى التعدد، لأن من أحب شيئا آخر معك فقد أحبك حبا قليلا جدا، وكذلك من أحب وليس من أجلك. أيها الحب الذى يضطرم دائما ولاينطفى مطلقا، أيتها المحبة، يا إلهى، اضرمنى، لقد أمرت بالعفة، فامنح ما تأمر به، ومر بما ترد) (٢).

ويقول أوغسطينوس فى مجال آخر:

(ونحن من جانبنا نؤكد أن إرادة الإنسان يسندها الله فى عمل البر، ففضلا عن أن الإنسان قد خلق مزودا بإرادة حرة، وفضلا عن التعليم الذى يوجهه إلى كيف ينبغى أن يعيش، فإنه أيضا ينال الروح القدس الذى به يتولد فى قلبه سرور وحب بذاك ولذلك الخير الأقصى الذى لايتغير، وأعنى به الله، وأنه لايزال يتولد إلى الآن، بينما هو يسير بالإيمان لا بالعيان، حتى أنه بهذه الحرارة وهى هبة مجانية يشتعل شوقا إلى الالتصاق بصانعه، ويحترق حنينا إلى أن ينال نصيبا من ذلك النور الحقيقى، حتى أنه من ذاك الذى أخذ عنه الوجود يمكنه أيضا أن يستقى سعادته، إن إرادة الإنسان الحرة لاتصلح إلا لأن تقوده إلى الخطيئة، إذا كان طريق الحق مختفيا عنه، فإذا اتضح له ما يجب أن يفعل وإلى أى شئ ينبغى أن يشتاق، بل وحتى فى هذه الحالة، إذا لم يشعر بالسرور والحب فى هذا، فلا يؤدى واجبه ولايتكفل به ولايدرك الحياة الصالحة، فلكى نبلغ إلى هذه الغاية ونحس بهذا الشعور تنسكب محبة الله فى قلوبنا، لا بفعل إرادتنا الحرة التى تنبثق من نفوسنا... ولكن .... بالروح القدس الذى أعطى لنا...)(٣).

ولسنا نجد بين أخص أفكار القديس أوغسطينوس ما هو أعظم وأخطر من فكرته عن الحرية الحقيقية، وأنها تفيد عدم المقدرة على الخطيئة، إن الإنسان لايكون حرا بالحقيقة إلا عندما

---

(١) سفر الحكمة ٨: ٢١. (٢) الاعترافات جزء ١٠: ٤٠.

(٣) الروح والحرف.

لايكون ثمة شئ مما يمكن أن يؤذيه وأعلى مراتب الفضيلة هى أن يصبح الخير للإنسان عادة مستقرة، وذلك عندما يشعر أنه لايشتهى الخطيئة، ولايقدر أن يصنعها، عند ذلك، وعند ذلك فقط يتمتع الإنسان بحرية الإرادة الحقيقية، ولعل أدق تعبير عبر به أوغسطينوس عن هذه الفكرة، جاء فى معرض حديثه عن السعادة الأبدية والسبت (الراحة) الدائم فى مدينة الله عندما يفقد الشر كل قوة على الإغراء.

ليس (لا) يلزم من هذا (١) أنه سوف لاتكون لهم حرية إرادة(٢) لأن الخطايا سوف لاتكون لها قوة على إغرائهم... كلا... إن الإرادة سيكون لها نصيب أكبر من الحرية الحقة، عندما تتحرر من متعة الخطيئة لتستمتع بالمتعة الباقية، متعة عدم الخطأ، لأن حرية الإرادة الأولى التى منحت للإنسان عندما خلق أولا مستقيما جعلته قادرا على أن لايخطئ، وقادرا أيضا على أن يخطئ، ومع ذلك فالإرادة الحرة الجديدة ستصبح قوية تماما، أكثر جدا مما كانت أولا، ذلك لأنها سوف لاتكون قادرة على أن تخطئ، وليس هذا بفضل إمكانيتها الطبيعية المجردة من معونة الله، بل بفضل عطية الله، لأن الله ذاته شئ، والشركة مع الله شئ آخر. إن الله بطبيعته لايستطيع أن يخطئ، لكن الذى يكون فى شركة مع الله ينال منه عدم القدرة على أن يخطئ... ولأن طبيعة الإنسان قد أخطأت عندما كان فى مقدورها أن تخطئ، فقد تحررت بفعل العطية من قبل النعمة، أوفر غنى من قبل، لتبلغ بها إلى تلك الحرية التى فيها لايمكنها أن تخطئ، وكما أن الخلود الأول الذى فقده آدم بالخطيئة، كان هو المقدرة على الإفلات من الموت، أو هو القدرة على عدم الموت Posse non mori وأما الخلود الجديد فسيكون عدم المقدرة على الموت non posse mori كذلك حرية الإرادة الأولى كانت هى المقدرة على اجتناب الخطيئة، أو هى القدرة على عدم الخطأ Posse non pecoare وأما الحرية الجديدة فهى عدم المقدرة على الخطأ non posse peccare.

وكما لايمكن أن نفقد الرغبة فى التقوى والاستقامة. حقا إننا عندما أخطأنا لم نحصل لا على التقوى ولا على السعادة... ولكننا عندما فقدنا السعادة لم نفقد الرغبة فيها... ولذلك اعتقد أنه لايصح أن يقال: أن الله نفسه ليس له إرادة حرة لأنه لايستطيع أن يخطئ (مدينة الله de Civitate dei جزء ٢٢ فصل ٣٠).

---

(١) السعادة الأبدية فى مدينة الله.

(٢) ليس معنى الحرية عند القديس أوغسطينوس حرية الاختيار المسئولة، وإنما حرية الفعل، بدون مانع أنه دائما يتكلم عن حرية الاختيار Liberum arbitrium ولكنه يعنى بها حرية الإرادة Libera volutas

ويضيف القديس أوغسطينوس إلى عطية (عدم المقدرة على عمل الخطيئة) التى وهبت للمؤمنين المبررين فى العهد الجديد، أننا أيضا منحنا (عطية الثبات فى حالة البرارة) ويقول فى مؤلفه (فى الفساد والنعمة) De cerreptione et gratia ف ٣٤ – ٣٨

(لقد خلق الإنسان مستقيما، فى حالة من الصلاح، وقد منح القدرة على عدم الخطأ posse non peccare والمقدرة على عدم الموت posse non mori والمقدرة على أن لايفقد تلك الحالة من الصلاح) ثم أنه بالإضافة إلى هذا منح أيضا (نعمة الثبات) ... لكنه، فى الواقع، لايثبت بفضل تلك المساعدة بل لأنه بدونها لايستطيع أن يثبت باختياره وإرادته، ومن جهة أخرى، فإن هبة الثبات التى منحت للقديسين المعينين (تعيينا سابقا) لملكوت الله من قبل نعمة الله. ليست هى الهبة التى منحت للإنسان الأول، إنها ذلك النوع من الهبات التى يجلب عطية المثابرة بالفعل ... والتى بدونها لايمكن للقديسين أن يثبتوا...

ولما كانوا فى الواقع لايثبتون إلا إذا كانوا (يقدرون) و (يريدون) أيضا، فإن إرادتهم تضطرم بالروح القدس حتى أنهم (يقدرون) ... فقط لأنهم (يريدون)، و(يريدون) لأن (الله يعمل فيهم حتى يريدوا) ... لأنهم إذا كانوا فى هذا الضعف الشديد فى الحياة الأخلاقية (وهو ضعف لابد منه... لكى تكمل القوة فى الضعف) وإذا تركوا فى هذا الضعف بدون عون من الله، الذى بدونه لايمكنهم أن يثبتوا، وإذا لم يعمل الله فيهم لكى (يريدوا) وهم فى وسط هذه الضعفات الكثيرة والشديدة، فإن إرادتهم نفسها تخور، ولايمكنهم أن يثبتوا.... فهم إما أن يفشلوا فى أن (يريدوا) بسبب ضعفهم، وإما أن إرادتهم تكون من الضعف بحيث لاتكفل لنفسها التحقق بشئ.

لذلك فقد منح ضعف الإرادة عونا حتى يمكن لإرادة الإنسان، أن تتأثر بفعل النعمة الإلهية بصورة ثابتة لاتقاوم، وحتى لاتفشل بسبب ضعفها أو يغلبها عدوا أيا كان، فإذا كانت إرادة الإنسان قد ضعفت وأصبحت لا قوة لها، وبالتالى فى حالة متواضعة من الصلاح، لكنها لاتزال ثابتة بقوة الله على تلك الحالة من الصلاح، بينما أن إرادة الإنسان الأول مع أنها كانت قوية وسليمة وقادرة على الاختيار وفى حالة من الصلاح أعظم. إلا أنها لم تثبت فى ذلك الصلاح، والسبب فى ذلك، أنه ولو أن معونة الله لم تكن معدومة، إلا أنها لم تكن تلك المعونة التى بدونها لايمكن للإرادة أن تثبت حتى ولو أرادت غير ذلك، ولم تكن تلك المعونة التى بها يعمل الله فى الإنسان حتى يريد (الخير). ولا شك أن الله منح الأقوياء أن يفعلوا مايريد هو، ولكنه احتفظ للضعفاء بعطية بها يريدون الخير ويرفضون تركه فيصرون على ذلك أعظم إصرار...

ويكتب القديس أوغسطينوس فى رسالته إلى هيلاريوس Hilarius عن تعليمه فى الحرية والنعمة قائلا:

٥ ـ «إن حرية الإرادة تفيد فى القيام بالأعمال الصالحة إذا نالت معونة من الله... وهذا يتأتى بالصلاة، وبالعمل بروح الاتضاع، أما إذا كان الإنسان محروما من النعمة الإلهية، وليس له معرفة عميقة بالشريعة، فلا يكون أبدا ثابتا وراسخا فى البر، بل يكون مضروبا بنفخة الكبرياء الوقحة المميتة ـ والصلاة الربية نفسها تعلمنا هذا، لأنه من العبث أن نصلى إلى الله ونقول (لاتدخلنا فى تجربة) إذا كان فى مقدورنا أن نحصل على مرغوبنا بدون عون منه».

٨ ـ «وكلما كانت هذه الإرادة الحرة Libera volutas صحيحة، كانت أكثر حرية، وكلما كانت خاضعة للرحمة الإلهية والنعمة الإلهية، كانت أكثر صحة، لأن الإرادة تصلى من أجل نفسها وتقول: قَوِّم خطواتى كقولك، ولايتسلط عليٍ أى إثم»(١).

فكيف يمكن أن تكون الإرادة حرة إذا كانت تحت سلطان الإثم؟؟!! ولتلاحظ من الذى تبتهل إليه (النفس) من أجل أن تنجو من ذلك السلطان، إنها لاتقول (قوم خطواتى بحسب حرية الإختيار...الخ ولكن بحسب قولك...) وهذا القول صلاة لا وعد، اعتراف لا اعتقاد... إنه رغبة فى كمال الحرية، وليس زهوا بالمقدرة الشخصية.

١٠ـ «ولذلك لم تبطل حرية الإرادة voluntas لأنها أعينت... بل بالحرى أنها أعينت لأنها لم تبطل، لأن الذى يقول لله، (كن معينى) يقر بأنه يريد أن ينفذ ما أمره الله به، ولكنه يسأل العون ممن أمر حتى تكون له القدرة على تنفيذ هذا الأمر. فالإنسان (عندما علم أنه لايمكن لأحد أن يكون عفيفا، إلا إذا منحه الله العفة(٢). اقترب إلى الله وصلى إليه) ولاشك أنه اقترب إلى الله برغبته، وصلى إليه برغبته، وإلا فما كان ليصلى لو لم تكن له إرادة للصلاة. ولكن إذا لم يكن قد صلى... فهل كان لإرادته أن تأخذ قوة؟؟ وقد تكون له قوة قبل أن يصلى، ولكن بماذا تنفعه إذا لم يقدم الشكر نتيجة لتلك القوة ـ إلى ذاك الذى منه يطلب القوة التى لم ينلها بعد؟؟

إن النعمة سوف تساعدنا إذا لم نتكبر بسبب فضائلنا (غير مهتمين بالأمور العالية بل منقادين إلى المتضعين)(٣) إذا قدمنا شكرا من أجل مانقدر على عمله بالفعل، بينما نبتهل إلى الله برغبة شديدة (إرادة voluntas) من أجل تِلكِ الأشياء التى ليس لنا قدرة عليها، وإذا أيدنا صلواتنا بأعمال الخير المثمرة، فنعطِى حتى نعطَى ونغفر حتى يغفر لنا...

ولنا أن نتساءل بعد هذا، إذا كان الإنسان قد فقد القدرة على إصلاح النفس وتقرير المصير فقدانا تاما، وإذا كان الخلاص يعتمد إعتمادا كليا على هبة الله المجانية، فما الذى يفصل أو يحكم فى تصريف هذه الهبة؟؟

---

(١) مز ١١٨ و ١١٩ و١٣٣.

(٢) سفر الحكمة ٨: ٢١

(٣) رو ١٢: ١٦ Humilibus consentientes

وأجاب أوغسطينوس على هذا السؤال... بأن الاختلاف بين الناس فى نيلهم للنعمة الإلهية، يتوقف على أمر الله وتعيينه السابق الذى يحدد عدد المختارين الذين يحلون محل الملائكة الذين سقطوا، فإرادة الله ودعوته هى وحدها التى تفصل فى هذه المسألة، ذلك أن جميع الناس خطاة ومديونون، ولله الحق فى أن يتجاوز عن بعض الديون، ويطالب بوفاء بعضها الآخر، ونحن لانعرف سبب إختياره، لماذا تعطى هبة النعمة... وهى المبدأ الجديد الذى يسترد للناس حرية إرادتهم... لماذا تعطى هذه الهبة للبعض وتمنع عن غيرهم...

إنه بأمر الله.... وبدون اعتبار المستقبل أو للسلوك، يختار البعض كآنية رحمة Vasa misericordiae لينالوا الفداء (وهذا هو الانتخاب السابق praedestinatio ، ويترك الآخرون للدينونة كآنية هلاك Vasa irae وهذا هو الرذل Reprobatio ، ولعل أوغسطينوس هنا يفسر أقوال القديس بولس الرسول فى رسالته إلى الكنيسة فى رومية (الإصحاح التاسع) فالأخيرون يهملون. أما الأولون فيبقون مؤمنين... بفعل عطية أخرى وهى هبة المثابرة والتى ينالون عن طريقها فيضا جديدا من النعمة... ومرة أخرى، إن هذا كله فوق متناول الإدراك البشرى... (لماذا يعطى لتقى من إثنين أن يثابر إلى النهاية... بينما لايعطى هذا للآخر، إنه أمر لايعرف لغير مشورات الله الخفية، ومع ذلك يجب على المؤمنين أن يوقنوا أن أحدهما من عداد من عينوا سابقا (للحياة) وليس كذلك الثانى... فالمشورات الإلهية عميقة، ومن المستحيل على الإنسان الجاهل أن يسبر غورها، ومهما يكن من أمر فليس فى أعمال الله وتدبيراته تعسف أو ظلم، فكل مايصدر عن الله فهو يصدر عن عدل وعن حب، وتحكمه مقاصد الله الأزلية...

وقد شرح القديس أوغسطينوس نظريته عن التعيين، وعن النعمة، فى رسالة له إلى سيكتوس sixtus القسيس الرومانى، يرجع تاريخها إلى سنة ٤١٧م أو سنة ٤١٨م، وفيها يقول أوغسطينوس: (إن هناك إرادة مطلقة... وهذه الإرادة المطلقة قد انتخبت من بين مجموعة من النفوس تستحق كلها الهلاك Massa Perditionis بسبب الخطيئة الأصلية (فضلا عن خطاياها التى ارتكبتها بالفعل) انتخبت عددا قليلا منها لتكون آنية للرحمة... بينما تركت الغالبية الكبرى لتكون آنية للغضب بغض النظر عن سلوكهم... إن مقاصد الله لايمكن أن تخيب، والنعمة، التى يمنحها لايمكن أن تقاوم ولايمكن أن تزول. إنها لابد أن تصل إلى غايتها ولايمكن أن تخيب... أما إقرار القديس بولس (أن الله يريد جميع الناس يخلصون) فيفسره القديس أوغسطينوس بمعنى أن الله لايحابى بالوجوه، وأن جميع الطبقات وجميع الأعمار وجميع أحوال النوع البشرى موجودة بين المختارين.

ويقول القديس أوغسطينوس فى (هبة الثبات De dono Perseverantiae ف:٣٥...

(هل يجرؤ أحد على القول بأن الله لم يسبق فيعلم بأولئك الذين يمنحهم الإيمان؟ وإذا كان قد سبق فعلم بذلك، فلا بد أنه سبق فعلم بجوده الذى تنازل به لخلاصنا. إن هذا ولا شئ غير هذا، هو سبق علم الله بالمصير المحتوم للقديسين، وأعنى به: علم الله السابق وتدبير جوده الذى يتحتم به خلاص كل من يخلص. أما الباقون فأين يتركهم قضاء الله العادل إلا بين جمهور الهالكين حيث ترك أهل صور وصيدا؟... ثم إنهم قد كانوا يؤمنون لو أنهم رأوا معجزات المسيح العجيبة، ولكنه لم يعط لهم أن يؤمنوا. ولهذا منعت عنهم وسائط الإيمان. من هذا يتضح أن بعض الناس يملكون فى عقولهم هبة الفهم وهى هبة إلهية بطبيعتها... يتقدمون بها نحو الإيمان، إذا سمعوا الكلمات أو رأوا العلامات التى تناسب أفهامهم، أما إذا لم يكونوا مفروزين - فى قضاء الله الأعلى - عن جمهور الهالكين، وذلك بفضل سبق اختيار النعمة فإنه لاتوافقهم تلك الكلمات أو تلك الأفعال... ومن جهة أخرى فقد ترك اليهود بين جمهور الهالكين نفسه لأنهم لم يستطيعوا أن يؤمنوا بالمعجزات التى أجريت أمام عيونهم... (أنه أعمى عيونهم وقسى قلوبهم حتى لاينظروا بعيونهم ويفهموا بقلوبهم، ويهتدوا فأشفيهم)(١) ... ولكن أهل صور وصيدا لم تعم عيونهم، ولا قسيت قلوبهم، فقد كان يمكن أن يؤمنوا لو أنهم رأوا العجائب كما رآها اليهود، لكن مقدرتهم على الإيمان لم تنفعهم بشئ لأنهم لم ينتخبوا سابقا بمعرفة ذاك الذى لاتفهم أحكامه ولايمكن أن تعرف سبله.

ويعالج القديس أوغسطينوس العلاقة بين حرية الإرادة، والنعمة فى رسالة له إلى فيتاليس Vitalis(٢)

ولا سيما فى الفصل السادس منها حيث يلح على القول بأن النعمة لاتبطل حرية الإرادة، لأن النعمة هى التى تجعل الإرادة حرة لأن تختار وأن تفعل الصلاح والخير....

---

(١) أش ٦: ١٠، يو ١٢: ٤٠.

(٢) وهى الرسالة رقم ٢١٧ ووردت فى مجموعة منى مجلد ٣٣ ص ٩٧٨ وما بعدها.

النزاع البيلاجى

تعد هرطقة بيلاجيوس، رد فعل لمذهب أوغسطينوس، وللاتجاه الذى يمثله أوغسطينوس، فخبرات بيلاجيوس فى كل ظروف حياته كانت مختلفة تمام الإختلاف عن خبرات القديس أوغسطينوس... بل ويرى بيلاجيوس أن آراء أوغسطينوس مخالفة للكتاب المقدس ومضادة للأخلاق القويمة... وقيل... أن بيلاجيوس قد صدم صدمة عنيفة عندما اقتبس له أحد الأساقفة من كتاب الاعترافات الذى كان قد وضعه أوغسطينوس منذ زمن قصير، الصلاة المشهورة التى يقول أوغسطينوس فى مطلعها... هب ما أمرت، ومر بما تريد Da quod Jubes et Jube quod vis والتى يبدو أنها تلغى نصيب الإنسان فى شأن خلاصه... ولا شك أن وجهة نظر أوغسطينوس تختلف عن ذلك تماما. فما قصده القديس أوغسطينوس هو أن وصية الله الأساسية هى أن يؤمن الإنسان به... وأن الإيمان بالله هبة منه تعالى.. وأن الله بنعمته يستطيع أن يغير إرادات الناس حتى لو كانت مضادة لإرادته بالفعل، ويردها إلى الإيمان الذى يتطلبه تعالى.

وكان بيلاجيوس راهبا بريطانيا تقيا، وناسكا مدققا فى حياته الأخلاقية، فقد عاش كل حياته فى سلام وهدوء فى عزلة تامة فى ديره، حياة رتيبة منظمة فى داخل أسوار الدير، وقد مرت نفسه بتطور هادئ، من دون أن يجتاز بالجوانب المظلمة فى الحياة الإنسانية، ومن دون أن يغوص إلى أعماق الشر التى يمكن أن تنحط إليها الطبيعة البشرية، ولعله لم يدخل أيضا إلى تلك المصارعات والمجاهدات التى مر بها أوغسطينوس قبل أن يصبح قديسا، فبيلاجيوس يبنى أخلاقياته فى الواقع على خبرته وتجربته الخاصة، وهى خبرة أو تجربة يسودها التعقل والفطنة والاتزان، ولو أنه كان ينقصه أن يتجاوب ويتحاسس مع الإنفعالات البشرية التى يبدو وكأنه لم يشترك فيها، أما عن علمه وجده فقد بلغ فيهما شأوا بعيدا...

وهناك مسألة جديرة بالنظر... ذلك أن الإنتصار على الخطايا الجزئية شئ، وأما الإنتصار على الخطيئة نفسها فشئ آخر، والجهاد ضد الخطيئة الجزئية يقتضي اليقظة الدائمة، ومراقبة النفس مراقبة مستمرة، ثم أن ظهور الدوافع الشريرة يقتضى هذه المراقبة وتلك اليقظة... وليس أثر المثل الأخلاقية العليا واحدا على جميع الناس على اختلاف أمزجتهم وميولهم، فمن الناس من تقوده هذه المثل إلى فحص النفس فحصا عميقا، وإلى الحياة الروحية الباطنية، وإلى تحليل التعارض بين المثل الأعلي من الخارج وبين الواقع الداخلى تحليلا كاملا... فهم يشعرون بما يدعوهم إلى أن يزيلوا هذا التعارض وإلى إنكار نفوسهم، ليحققوا أنهم فى حاجة إلى قوة ليست منهم، وأما الآخرون فيشعرون بالنصر الذى أحرزوه على إغراءات الحواس، وبالنجاح الذى حققوه بالفعل فى ذلك الصراع الروحى... ولذلك قد يقودهم هذا إلى أن يثقوا فى مجهوداتهم الأخلاقية الخاصة، وإلى أن يظنوا أنهم قد وصلوا إلى نتائج خطيرة، بينما لايكون الشر قد استئصل من نفوسهم فعلا بالمعنى الصحيح...

أهم المبادئ التى نادى بها بيلاجيوس

لم يكن بيلاجيوس يرغب فى أن يؤلف مذهبا جديدا، وإنما يبدو أنه كان مهتما على الخصوص بمقاومة بعض الأخطاء العملية السائدة فى زمانه، لاسيما الميل إلى الروح العالمية وكانت خاصية بارزة فى حياة المسيحيين فى ذلك العصر... ولا شك أنه كان للحياة التى يحياها بيلاجيوس أكبر الأثر على تفكيره وآرائه.

ولعل أهم المبادئ التى نادى بها بيلاجيوس مبدآن:

أولا: أن الكمال ممكن للناس:

نادى بيلاجيوس بالتمييز بين ما هو ضرورى ومحتم praecepta ، وبين ماهو منسوب إليه ومنصوح به فقط Consilia من أجل البلوغ إلى الكمال الأعلى... فبالامتناع عما هو محلل أو جائز يمكنك أن تصبح أهلا لجزاء أعظم... هناك درجات مختلفة للاستحقاق وللكمال المسيحى...

وقد أبدى بيلاجيوس عناية شديدة بدراسة الكتاب المقدس، وكان يصر ما أمكن على التفسير الحرفى للنصوص المقدسة... يقول: (إذا آثرت أن تفهم الوصايا الإلهية على أنها مجازية وأن تفرغها من كل قوتها، فإنك (بذلك تفتح للناس جميعا سبيلا للخطيئة).

إن السيد المسيح يوصينا بالكمال بقوله (فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل)(١) وهذا يكفى لأن يبرهن لنا على أن الكمال ممكن للناس، لأن الرب يعنى مايقول. وإذا كان قد أعطانا وصية فلابد أنه قبل أن يعطى الوصية أعطى القدرة على إتمامها... كذلك صرح الرسول القديس بولس للمسيحيين فى كولوسى بأن الغرض الذى قصد الله إليه من تدبير المصالحة بين الله وبينهم، (أن يحضرهم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه)(٢) ولايمكن أن نتصور أن الرسول فرض على أهل كولوسى أمرا مستحيلا...

ومن هنا أخذ بيلاجيوس ينتقد شرور عصره... وقد كان أكثر المسيحيين فى تلك الأيام يحيون حياة عالمية على ما أسلفنا، لقد استغلوا التمييز بين ماهو روحانى وما هو دنيوى لتبرير المستوى الأخلاقى الوضيع الذى انحطوا إليه، كما استغلوا فساد الطبيعة البشرية وضعفها بمثابة إعتذار عن حياة الخلاعة.

يقول بيلاجيوس فى رسالة له إلى ديمتريا: Ep ad Demetriademف١٦(٣):
(..بدلا من أن نعتبر وصايا ملكنا العظيم ميزة... نصرخ إلى الله عن كسل واستخفاف فى قلوبنا

---

(١) مت ٥: ٤٨. (٢) كو ١: ٢٢.
(٣) مجموعة الآباء اللاتين مجلد ٣٣.

ونقول (هذا صعب جدا أو عسير، لانستطيع عمله... نحن لسنا إلا بشرا، ويعوقنا ضعف بشريتنا)... أنه حمق أعمى وتجديف وقح، وكأننا ننسب إلى إله المعرفة جريمة جهل مضاعف، جهل بخليقته التى خلقها... وجهل بوصاياه التى أوصى بها... كما لو أنه نسى ضعف البشر مع أنهم خليقته... ووضع عليهم وصايا لايستطيعون إحتمالها، وكأننا فى نفس الوقت (غفر الله لنا!!) ننسب إلى الواحد البار الإثم، وإلى القدوس القسوة... أما أولا فلأننا نظن أنه سيدين الإنسان عن أمور لايستطيع الإنسان حيالها شيئا، وكأننا (وهنا التجديف).. نرى الله ينشد تعذيبنا ولاينشد خلاصنا... وليس أحد يعرف مدى قوتنا أكثر ممن أعطانا تلك القوة... إنه لم يشأ أن يأمر بشئ مستحيل لأنه بار (وعادل). وهو لايدين إنسانا عن أمر ليس فى مقدوره، لأنه قدوس)...

ويمضى بيلاجيوس فيلح على أن الكتاب المقدس لايقبل عذر الذين يخطئون بزعم أنهم لايستطيعون أن يساعدوا نفوسهم، وإنما يتنصلون من المسئولية بحجة نقص أو إنعدام إرادتهم.

peccantes ubique crimine voluntatis gravant, non excusant necessitate naturae

إن الكتاب المقدس يتكلم دائما عن الخير والشر على السواء، باعتبار أنهما إختياريان، وقد أوضح بيلاجيوس أن إهتمامه بالدفاع عن صلاح الطبيعة البشرية يرجع إلى رغبته فى محاربة الفكرة القائلة أننا مسوقون نحو الشر بسبب نقص طبيعتنا، بينما أننا فى الواقع لانفعل الخير أو الشر....

هذه هى نظرية بيلاجيوس فى حرية الإرادة... إننا نملك القدرة على إختيار الخير أو الشر فى أية لحظة، وفى أى إتجاه نقصد إليه...

وفى أقواله فى الحرية: (إننا نميز بين أمور ثلاثة، ونسلكها فى ترتيب معين. فنضع القدرة أو الاستطاعة Posse فى المكان الأول، وحرية الإختيار velle فى المكان الثانى، والأمر الواقع esse فى المكان الثالث... أما القدرة أو الاستطاعة فننسبها إلى الطبيعة، وأما حرية الإختيار فننسبها إلى الإرادة، والأمر الواقع ننسبه إلى التحقيق الفعلى، أما الأولى، وأعنى بها القدرة أو الاستطاعة posse فتنسب بحق إلى الله الذى أنعم بها على خلقه، بينما إن حرية الاختيار vellle والأمر الواقع esse فيختصان بالإنسان لأن مصدرهما هو إرادته، لهذا فإن مدح الإنسان يقوم على إرادته فى العمل الصالح، وعلى قيامه فعلا بهذا العمل، أو بالحرى أن هذا المدح يختص بالإنسان وبالله معا، لأن الله هو الذى منح الإنسان (القدرة) على أن يريد وعلى أن يعمل... كما أنه بفضل نعمته يساعد هذه (القدرة) نفسها. فإلى الله وحده يعزى أن تكون للإنسان هذه (القدرة) على أن يريد، وعلى أن يصنع أى عمل صالح... لهذا السبب - وهذا يلزم أن يقال مرارا... عندما نقول أنه فى قدرة الإنسان أن يكون بغير خطيئة فنحن حتى فى هذه

الحالة نحمد الله باقرارنا بفضله علينا، نتكلم عن الله وحده لأن المسألة لاتختص بحرية الاختيار Velle أو بالحاصل بالفعل esse ولكن بالقدرة posse وحدها فقط...

لقد كان جل إهتمام بيلاجيوس أن يقنع الناس، بأنه لا تنقصهم أية قوة لازمة لتتميم الشريعة الإلهية، وكان من رأيه أن أهم هدف، ينبغى أن تتجه إليه جميع المواعظ الأخلاقية، هو أن توضح للناس أنهم فى غير حاجة إلى قوى خارجه عن قدراتهم لتنفيذ وصايا الله، وأن تجعلهم يؤمنون بالقوة التى أنعم بها الخالق عليهم للوصول إلى جميع الغايات...

ويقول بيلاجيوس أنه هو شخصيا، كان يتبع هذا المنهج فى مواعظه... وكان دائما يستشهد بأمثلة من الفضيلة التى ظهرت بين الوثنيين، ليبرهن على كم تستطيع الطبيعة البشرية فى ذاتها وبدون عون من خارج أن تفعل من الصلاح والخير !! فإذا صنع الإنسان الشر، فلا تلام طبيعته على ذلك، بل الأحرى أن تلام إرادته... إن فى إمكان الإنسان أن يبلغ الكمال إذا أراد ذلك، وإذا استخدم قواه التى يملكها والتى منحه الله إياها. على أن المسيحيين يتمتعون فضلا عن المواهب الطبيعية التى يتمتع بها الناس جميعا... بمواهب خاصة... يمكن للطبيعة البشرية أن تحقق بها أعمالا أكثر صلاحا وخيرا.

والخلاصة... أن بيلاجيوس يعَلِّم بحرية الإرادة، وقدرة الإنسان على الإختيار وتقرير المصير لنفسه، وهو فى هذا يعارض التعليم القائل بالنعمة الإلهية التى لا يمكن مقاومة فعلها، ويسبق علم الله بالمصير المحتوم... ويرى أن الإنسان يملك قوى ومواهب طبيعية منحه الله إياها، كافية بذاتها وبدون حاجة إلى النعمة أو إلى قوى تأتيه من خارج، لأن يبلغ بها إلى الكمال، الذى يتطلبه الله منه، وأن حرية الإرادة واستخدام الإنسان لقواه ومواهبه الطبيعية هو الذى يحدد مدى مسئوليته فى استسلامه لإغراءات الخطيئة أو إنتصاره عليها...

ثانياً : إنكار فساد الطبيعة البشرية بفعل انتشار خطيئة آدم الأولى إلى كل ذريته بالوراثة :

قاوم بيلاجيوس الإعتقاد بأن إنحطاط الإنسان الأخلاقى مرجعه إلى قضاء الله المحتوم، وكان يقول إن هذا الاعتقاد يشجع الفساد ويزيد رخاوة الإنسان وكسله عن عمل الفضيلة (ليست الخطيئة ولا الفضيلة مفطورة فينا... وإنما هذه وتلك تنمو باستخدام الحرية، ويحاسب عنها من يباشر هذه الحرية وحده...) كل ما هو صالح وكل ما هو شر (يفعل بنا) ولا يولد معنا، نحن لا نولد فى طور الكمال، وإنما نولد ولنا قدرة على الخير والشر، نولد بلا فضيلة ولا رذيلة أيضا، وليس فينا قبل عمل إرادتنا الخاصة غير ما أودعه الله فينا، وكل فرد شخصية أخلاقية فى ذاته بمعزل عن غيره... وقد زوده الخالق بالعقل والإرادة الحرة، والعلاقة الوحيدة التى تربط خطيئة آدم بخطيئة الناس هى العلاقة بين المثال ومحاكاته.

فبيلاجيوس لا يسلم بالخطيئة التى تنتشر أو تنتقل بالولادة Peccatum excatraduce ولكن النفس عنده تخلق من الله خلقا جديدا، فى نفس الوقت الذى يخلق فيه الجسد، ثم أنها طاهرة ولا تتدنس، ولقد منح الله جميع الناس المقدرة على أن يبلغوا إلى الكمال، كل ما هنالك أن عليهم أن يريدوا الكمال ويعملوا على تحقيقه، وإن انتشار الخطيئة فى العالم يرجع إلى التربية وإلى القدوة.

أما القديس أوغسطينوس فكان يعتقد إعتقادا قويا بترابط الجنس البشرى، ولذلك فإن خطيئة آدم قد أحدثت فى آدم تغييرا كبيرا شمل كل ذريته البشرية...

ويرى بيلاجيوس أن الأعمال هى نتائج إرادة Volition الإنسان، فالإنسان إذن مسئول عن هذه الأعمال فقط، وعلى ذلك فالخطيئة الوراثية مستحيلة، وعلى العكس من ذلك يقول القديس أوغسطينوس بترابط الجنس البشرى، ويرى أنه منذ سقوط الإنسان الأول أصبحت الخطيئة كائنة فى ميوله وطبيعته، بحيث تسبق كل فعل شعورى، لقد حدث التعدى الإرادى مرة واحدة، وذلك فى آدم، ولكن كل إنسان قد ورث منذ ذلك الوقت ميلا شريرا، وعلى ذلك فأفعاله لابد أن تكون بالضرورة شريرة. إن الخطيئة لم تنفصل أصلا عن الإرادة، ومع أن إرادة الفرد أمست معيبة ومقيدة بمعصية الإنسان الأول، إلا أن كل فرد مسئول مع ذلك عن خطيئته وعن فعله، وعلى ذلك فالأفعال الشريرة تصدر عن الميول، أو عن الطبيعة التى أمست شريرة بالفعل.

وإذن فقد أنكر بيلاجيوس حقيقتين :

أولا : أنكر ضرورة النعمة فائقة الطبيعة، التى تأتى مباشرة لمساعدة الإنسان فى أية خدمة حقيقية لله يقوم بها الإنسان.

ثانياً : أنكر إنتقال خطأ الطبيعة وفسادها، وإنتقال الموت الطبيعى إلى ذرية الإنسان الأول نتيجة لتعديه...

وهذا كله يتضح من التفاسير التى وضعها بيلاجيوس عن رسائل القديس بولس، وقد لفتت إنتباه الناس فى الفترة التى زار فيها روما، أى فى السنوات الأولى من القرن الخامس للميلاد(١).

مراحل النزاع البيلاجى

لم يكن بيلاجيوس ميالا إلى الجدل، ولكنه عندما كان فى روما قاد إلى الرهبانية محاميا يسمى كولستيوس Coelestius واعتنق كولستيوس آراء بيلاجيوس فى حماس شديد، ورغب فى الدفاع عنها والعمل على ذيوعها، والواقع أن كولستيوس لا بيلاجيوس هو السبب فى نشوب النزاع المعروف بالنزاع البيلاجى...

---

(١) انظر مجموعة ملى للآباء الذين كتبوا باللاتينية مجلد ٣٠ ص ٦٤٥ – ٩٠٢

هذا النزاع البيلاجى مر بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : (فى قرطاجنة) :

بدأت المرحلة الأولى للنزاع فى أفريقيا، كان بيلاجيوس يقوم برحلة إلى الشرق، وقد ترك روما ومعه كولستيوس سنة ٤٠٩م وبعد أن مكث وقتا فى جزيرة صقلية ذهب إلى قرطاجنة فى سنة ٤١١م، ولما غادر بيلاجيوس قرطاجنة بقى بها كولستيوس راغبا فى أن يسام قسيسا، ولكن سرت الشائعات بأن له آراء غريبة عقد بسببها مجمع فى قرطاجنة سنة ٤١٢م (وربما فى السنة السابقة عليها) وقد أتهم كولستيوس بست قضايا هرطقية...

مزاعم كولستيوس الهرطقية :

أولا : أن آدم خلق فانيا، وأنه كان سيموت سواء أخطأ أو لم يخطئ.

ثانياً : أن خطيئة آدم أضرته هو وحده، ولم تضر الجنس البشرى.

ثالثاً : أن الأطفال الصغار الذين يولدون فى العالم، يولدون فى الحالة التى كان عليها آدم الأول قبل السقوط.

رابعاً : أنه ليس بموت آدم أو سقوطه يموت الجنس البشرى كله، وليس بقيامة المسيح يقوم الجنس البشرى كله.

خامساً : أن الناموس كالإنجيل يؤدى إلى ملكوت السموات.

سادساً : أنه حتى قبل مجئ الرب يسوع، كان يوجد إناس أطهار من الخطيئة...

وفى بعض الروايات تدمج القضية الخامسة مع السادسة ويضاف بدلا من السادسة قضية جديدة، أن الأطفال الصغار ينعمون بالحياة الأبدية (إذا ماتوا) ولو كانوا غير معمدين...

كما ينسب إلى كولستيوس أنه نادى بقضايا أخرى منها :

- أنه يمكن للإنسان أن يكون بلا خطيئة، إذا شاء هو ذلك.

- أن الأغنياء الذين قبلوا العماد لا يطمأن إليهم فى عمل شئ من الخير يبدو أنهم قاموا به، إلا إذا كانوا قد تركوا كل ما يملكون، فبدون ذلك لا يستطيعون أن يدخلوا ملكوت السموات.

ولعل أهم هذه القضايا الست وأخطرها شأنا إثنتان :

الأولى : أن خطيئة آدم أضرت به وحده، ولم تضر الجنس البشرى.

ثانياً : أن الأطفال يولدون فى نفس الحالة التى كان عليها آدم قبل السقوط.

وقد رد كولستيوس على الإتهام الذى وجه إليه، بأن الأرثوذكس أنفسهم ليسوا على رأى فيما يتصل بولادة النفس، وما إذا كانت الخطيئة تورث أم لا، إن هذه المسألة ليست من قضايا الإيمان، ولذلك يجوز فيها النظر، وهى مفتوحة للمناقشة فى الكنيسة، ويكفى أنه قال بضرورة المعمودية، لكن أساقفة الكنيسة لم يقروا كولستيوس على دفاعه، ولما لم يشأن أن يرجع عن الآراء المنسوبة إليه، قُطع من شركة الكنيسة، فلم يذعن كولستيوس لهذا الحكم واستغاث بكنيسته الوطنية، وذهب إلى أفسس وهناك رسم قسيسا كما أراد، وحدث بعد هذا مباشرة أن اطّلعَ القديس أوغسطينوس على كتاب بيلاجيوس (فى الطبيعة de Natura ورد عليه أوغسطينوس فى مقالة أو نبذة عن الطبيعة والنعمة de Nature et Gratia وهى تحتوى على كل ما بقى من كتاب بيلاجيوس (فى الطبيعة) وكان أوغسطينوس قد وضع قبل هذا نبذته عن (الروح والحرف) de spiritu et litera

المرحلة الثانية : (فى فلسطين) :

وظهرت المرحلة الثانية من النزاع البيلاجى فى فلسطين، التى نزح إليها بيلاجيوس، وهناك وجد بيلاجيوس خصما عنيدا فى ايرونيموس الذى كان يؤيد القديس أوغسطينوس، وقد كتب يرد على البيلاجية (١) كما قاومها أيضا هناك أورسيوس Orosius القسيس الأسبانى الذى أرسلَه أوغسطينوس إلى بيت لحم ليصد تقدم المذهب البيلاجى، وفى عام ٤١٥ عقد مجمع فى أورشليم برياسة الأسقف يوحنا، استدعى فيه بيلاجيوس وسئل عن تعليمه، وروى أوروسيوس ما حدث فى مدينة قرطاجنة، وقال أن بيلاجيوس علم بأن الإنسان يمكنه إذا شاء أن يحيا بلا خطيئة، ويطيع الأوامر الإلهية، وأقر بيلاجيوس ولم ينكر أنه علّم هذا التعليم... واستشهد بأمر الله إلى ابراهيم «وقال له أنا الله القدير اسلك أمامى وكن كاملا» وهذا يفترض افتراضا سابقا أن الكمال ممكن للإنسان، على أن بيلاجيوس صرح فى ردوده على الأسئلة التى كانت توجه إليه، بأنه لا ينفى معونة الله، ولكنه يؤمن بأن كل إنسان يسعى إلى التحقق بالكمال ينال من الله القوة بحيث يمكن أن يصير بدون أدنى خطيئة... كل ما هنالك أن بيلاجيوس يرى أن نعمة الله هى عون ضرورى للإنسان، لكنها مدد من خارج يساند الجهود التى يبذلها الإنسان بفعل إرادته هو، بينما أن النعمة كما علم بها القديس أوغسطينوس هى مبدأ للحياة خالق وفعال، وهى الخير المقيم فى طبيعة الإنسان، والذى يولد فيه حرية الإرادة التى فقدت فى الإنسان الطبيعى فقدانا تاما، فبيلاجيوس يرى أن النعمة ليست إنارة روحية باطنية، بل بالحرى أنها مجرد منبه خارجى يثير القوى الطبيعية فى الإنسان.

---

(١) من ذلك رسالته الموسومة adctes iphontem رساله ١٣٣ فى مجموعة Migne للآباء اللاتين مجلد ٢٢ ص ١١٤٧ وكذلك كتابه Dialogus Contra Pelagianos مجموعة Migne للآباء اللاتين، مجلد ٢٣ ص ٤٩٥ – ٥١٠).

وبعد عدة شهور أخرى من نفس السنة (٤١٥م) مثل بيلاجيوس أمام مجمع أخر فى ديوسبوليس Diospolis أوليدا (اللد) Lydda بفلسطين، ليرد على قائمة إتهامات إتهمه بها أسقفان من غالا وفرنسا سافرا إلى فلسطين... وقد استطاع بيلاجيوس أن يدافع عن نفسه فى المجمع، وأن يجيب على كثير من الإتهامات إجابات مرضية مقنعة، كما نفى عن نفسه بعض الإتهامات وقال إنها إتهامات لا أساس لها، لأنه لم يعلِّم بتلك التعاليم التى نسبت إليه. وزاد على ذلك بالقول بأنه يستنكر تلك التعاليم ويحرم كل من يعارض تعاليم الكنيسة الجامعة الرسولية.

وقال بيلاجيوس أنه يقر ويعترف بكل من النعمة الإلهية والحرية الإنسانية، وأنه إذ يقول (إن الإنسان يمكنه إذا شاء أن يصير بلا أدنى خطيئة...) فقوله هذا ينطبق على الإنسان التائب، إذ التائب يمكنه أن يحيا بلا خطيئة بفضل جهاده وبفضل نعمة الله، ولو أنه لا يخلو من إغراءات الخطيئة، فلما سمع منه المجمع هذا الإقرار رده إلى شركة الكنيسة.

المرحلة الثالثة : (الإلتجاء إلى روما) :

ولم تقف المسألة البيلاجية عند هذا الحد، ولم يقنع خصوم بيلاجيوس بقرار مجمع ديوسبوليس بفلسطين، وخصوصا خصومه فى شمال أفريقيا، وعقد مجمعان فى السنة التالية فى سنة ٤١٦، أحدهما فى قرطاجنه وكان مجمعا محليا، لم يحضره القديس أوغسطينوس، والآخر فى ميليف Mileve أو ميليوم Milewm حضره القديس أوغسطينوس (١)، وجدد كل من المجمعين الحكم على بيلاجيوس، وأبلغت القرارات إلى اينوسنت الأول Innocent أسقف روما، برجاء المعاونة فى وقف انتشار البدعة البيلاجية وتعاليمها الفاسدة، فأيد أسقف روما موقف المجمعين المحليين السالفين، وحكم أيضا بحرم بيلاجيوس وكولستيوس، ثم مات اينوسنت الأول مباشرة بعد ذلك، وخلفه زوسيموس Zosimus وشرح كولستوس إيمانه لزوسيموس شفاها، كما كتب بيلاجيوس إليه رسالة، هى فى الواقع رسالته إلى اينوسنت الأول أخذ يسرد فيها بالتفصيل إيمانه فى كل بند من بنود الإيمان، راجيا اسقف روما أن يتفضل فيصحح كل ما يراه مفتقرا فيها إلى التعبير السليم الدقيق، ومن بين ما قاله فى إعترافه (أننا نعترف أن لنا حرية إرادة، بمعنى أننا دائما فى حاجة إلى معونة الله، وقد خطئ الذين قالوا أن الإنسان لا يمكنه أن يتجنب الخطيئة، كما خطئ الذين قالوا أن الإنسان لا يمكنه أن يخطئ... لأن هؤلاء وأولئك ينفون حرية الإرادة، على السواء. وأيا كان القول، فنحن نقرر أن الإنسان يمكنه أن يخطئ، ويمكنه أيضا أن لا يخطئ (يقدر على أن يخطئ، ويقدر أيضا على أن لا يخطئ) ونعترف على الدوام أننا نملك حرية الإرادة، ولما وقف زوسيموس على اعتراف كل من كولستوس وبيلاجيوس رأى أنهما

---

(١) انظر الرسائل المجمعية فى رسائل القديس أوغسطينوس ١٧٥، ١٧٦ - مجموعة منى Migne مجلد ٣٣ ص ٧٥٨ وما بعدها.

سليما الإيمان، وكتب إلى أساقفة أفريقيا يلومهم على تسرعهم فى إدانة بيلاجيوس وكولستيوس (وكان ذلك فى سبتمبر سنة ٤١٧) ووصف زوسيموس خصوم بيلاجيوس وكولستيوس بأنهم مفترون وأشرار.

المرحلة الرابعة: الحكم النهائى فى مجامع عقدت بأفريقيا وروما:

وأسرع أساقفة أفريقيا إلى عقد مجمع فى أواخر سنة ٤١٧ أو أوائل سنة٤١٨، واحتجوا على موقف زوسيموس أسقف روما، وقالوا أن زوسيموس فهم المشكلة على غير وضعها الصحيح، وأنه كان يجب عليه أن يتمسك بالحكم الذى أصدره اينوسنت الأول، ضد كل من بيلاجيوس وكلستيوس حتى يعترف كل منهما اعترافا واضحا، بأننا نفتقر إلى عون من نعمة الله بيسوع المسيح فى أى عمل صالح، لا لندرك فقط ماهو صواب بل ولكى نقوم به بالفعل، حتى أننا بدون (هذا العون من نعمة الله) لا يمكننا أن نملك أى شئ صالح بالحقيقة أو مقدس، ولا أن نفكر فيه أو نتكلم عنه، فأجاب زوسيموس بأنه فحص الأمر فحصا تاما، ورد الوثائق إلى أساقفة أفريقيا ليتداولوا معا ويصلوا إلى إتفاق فيها، فعقد أساقفة أفريقيا مجمعا من ٢٠٠ أسقف فى قرطاجنة فى أبريل سنة ٤١٨، وأصدروا تسعة قوانين ضدا لتعليم بيلاجيوس، واجهوا فيها جميع الصيغ والتحديدات التى قال بها بيلاجيوس، وناقشوها بتفصيل وأصدروا بشأنها حروما، وقد نصوا فى قراراتهم على ضرورة المعمودية ضرورة تامة لتحقيق الميلاد الثانى، ولكى تلاشى فساد الطبيعة ووصمة الخطيئة المغروسة فيها، كما نصوا على وهنية (أو ضعف) الإرادة الإنسانية إذا كانت بغير عون من نعمة الله، وأننا فى حاجة أساسية وحيوية إلى النعمة، لنتمكن بها من إتمام وصايا الله، وبعد أن أصدر المجمع قراره وقوانينه، وأحكامه لم يستطع أحد من أصدقاء بيلاجيوس، أن يقاوم الأثر الذى أحدثه صدور هذه القرارات ضد بيلاجيوس وبدعته، بل وقد أمكن الحصول على أوامر إمبراطورية من قبل هونوريوس Honorius وثيئودوسيوس Theodosius ضد البيلاجيين بنفى بيلاجيوس وكولستيوس وأتباعهما، وقد اضطر أسقف روما أيضا أن يستأنف القضية من جديد، فاستدعى بيلاجيوس وكولستيوس، ولما لم يلبيا الدعوة حكم عليهما غيابيا وأصدر منشورا دوريا epistola tractoria يعلن فيه تأييده لرأى الأساقفة الأفريقيين، يأمر جميع الأساقفة الخاضعين لإدارته أن يوقعوا عليه. ورفض ثمانية عشر أسقفا منهم أن يوقعوا، فجردوا من وظائفهم ونفوا من كراسيهم، ولكن الأغلبية العظمى وقعت على هذا المنشور بتأييده...

ولما انعقد المجمع المسكونى الثالث، وهو مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م، أيد المجمع قرار الحرمان الذى وقع على بيلاجيوس، فى الوقت الذى أصدر قرارا بحرمان نسطوريوس، وسجل الحرمان على بيلاجيوس فى رسالة مجمعية إلى كوليستين Coelestine أسقف روما قال فيها المجمع، أن المجمع قرأ الحكم على بيلاجيوس وكولستيوس وأتباعهما وهو يصادق بالاجماع على هذا الحكم.

ولا نعرف بعد ذلك غير القليل عن بيلاجيوس بعد الحكم عليه بالحرمان، ويقال أنه مات فى فلسطين عندما بلغ السبعين من عمره أى نحو سنة ٤٤٠م. ولا نكاد نعرف شيئا يذكر أكثر مما ذكرنا عن كولستيوس.

قوانين مجمع قرطاجنة عام ٤١٧م

١ ـ من قال بأن آدم الإنسان الأول قد خلق قابلا للموت، سواء أخطأ أو لم يخطئ، وأنه كان سيموت بأسباب طبيعية لا بسبب الخطيئة، فليكن محروما.

٢ ـ من قال أن الأطفال المولودين حديثا لا يحتاجون إلى المعمودية، وأنهم يتعمدون لمغفرة الخطايا، ولكن ليس هناك خطيئة أصلية موروثة من آدم تغسل فى جرن المعمودية، وأن صيغة العماد التى تنص على (مغفرة الخطايا) تستعمل فى حالتهم بمعنى وهمى، لا بمعنى حقيقى، فليكن محروما...

٣ ـ من قال أن هناك فى ملكوت السموات، أو فى أى مكان آخر، موضعا متوسطا يحيا فيه سعداء الأطفال الذين يفارقون هذه الحياة غير معمدين، فليكن محروما.

٤ ـ من قال أن نعمة الله التى بها يتبرر الإنسان بواسطة يسوع المسيح ربنا، لا تفيد إلا فى غفران الخطايا التى ارتكبت بالفعل، وأنها لا تعين فى منع ارتكاب الخطايا، فليكن محروما.

٥ ـ من قال بأن هذه النعمة... تعيننا فقط لكى نتجنب الخطيئة على هذا النحو، وأن بها قد أعطينا عن طريق الوحى فهما لوصايا الله، حتى نتعلم ما يجب أن نجاهد من أجله وما يجب أن نتجنبه، ولكنها لا تمنحنا أيضا اللذة فى فعل ما عرفنا أنه خير، ولا القوة لفعله، فليكن محروما.

٦ ـ من قال أن نعمة التبرير، أعطيت لنا حتى يمكن أن نفعل بالنعمة ما أمرنا بفعله، بواسطة حرية الاختيار الممنوحة لنا، ولكن فى أكثر سهولة وأنه كان يمكننا أن نتمم تلك الوصايا بدون هبة النعمة ولو أنه ليس بتلك السهولة، فليكن محروما...

٧ ـ من قال أن كلمات الرسول القديس يوحنا (إن قلنا أن ليس فينا خطيئة فإنما نضل أنفسنا وليس الحق فينا) (١) يجب أن تؤخذ بمعنى أنه يجب أن نقول أننا خطاة عن اتضاع، وليس لأن ذلك حقيقى، فليكن محروما...

٨ ـ من قال أن القديسين إذ يرددون فى الصلاة الربية القول (اغفر لنا ما علينا) لا يقولون ذلك عن أنفسهم، لأن هذه الصلاة ليست ضرورية لهم، ولكنهم يقولونها عن آخرين من بين أهلهم من الخطاة، فليكن محروما.

٩ ـ من قال أن القديسين يقولون هذه الكلمات عن اتضاع لا لأنها حقيقية، فليكن محروما.

---

(١) ١. يوحنا ١: ٨.

حاول فريق من الباحثين أن يقف موقفا وسطا بين أطراف، وأن يضع نظرية تختص بالطبيعة البشرية والخطيئة والنعمة، بحيث تكون أكثر تمشيا مع المفهومات الدينية المستقرة من المذهب البيلاجى، ولذلك سموا بأنصاف البيلاجيين ومنهم يوحنا كاسيان Casian ثم فاستوس Faustus of Rhegium وهما يمثلان عددا كبيرا من اكليروس بلاد الغال.

يوحنا كاسيان CASIAN

قضى كاسيان أكبر جزء من حياته فى دير، وذلك منذ أيام صباه، وكان صديقا حميما لذهبى الفم، وكان أحد المعجبين به، قضى سنوات فى القسطنطينية، وبعد ذلك أرسل نحو سنة ٤٠٥ فى بعثة إلى روما لينال تأييد اينوسنت، وربما بقى فى روما وقابل هناك بيلاجيوس، وقد عاد عند غزو القوطيين، واستقر نهائيا بالقرب من ماسيليا Massilia (الآن مارسيليا) حيث أسس هناك ديرين (للرجال والنساء) وربما صار رئيسا لأحدهما، وقد كرس هناك حياته للدرس والتأليف لسنوات طويلة، ووضع نظما وقوانين للرهبنة، كان لها أثر بعيد المدى على الرهبنة الغربية، دام مدة كبيرة، وقد اعتبرت مؤلفاته والمثل التى خطها للرهبان أعظم اعتبار فى كل العصور الوسطى، حتى صارت فى متناول الرهبان للاستعمال اليومى فى حياتهم الديرية، وقد تبع كثيرون مذهبه الذى كان يعلم به ويعرف بمذهب أنصاف البيلاجيين، وهو يقف فى منتصف الطريق بين الرأى الكنسى الأرثوذكسى وبين مذهب البيلاجيين بالمعنى الدقيق، ومما هو جدير بالذكر أن مذهب أنصاف البيلاجيين ينكر أهم الآراء البيلاجية.

كان كاسيان مدفوعا أولا وقبل كل شئ، بعاطفة روحية حارة واحساس عميق بمحبة الله، وكان دائما ينصح رهبانه بأنه لا قيمة على الاطلاق للطاعة الظاهرية للقانون بدون طهارة النية وتقديس الحياة الباطنية، وكان يعتقد أن لا سبيل إلى معرفة تعليم النعمة وفهمه إلا بإختيار حياة الطهارة.

وقد رفض يوحنا كاسيان مزاعم بيلاجيوس (التى وصفها بأنها فاسدة وضد الدين) كما رفض أيضا آراء أوغسطينوس، من ذلك أنه نادى ضدا لمذهب بيلاجيوس بفساد الطبيعة البشرية نتيجة للمعصية الأولى التى سقط فيها أبو الجنس البشرى، واقتنع بتعليم القديس أوغسطينوس فى النعمة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد كان كاسيان يعارض تمام المعارضة فى إنكار حرية الإرادة وقدرة الإنسان على أن يتصرف، ويفصل فى المشاكل التى تعرض أمامه فى الحياة، ويقول كاسيان هناك عاملان أساسيان فى تحديد الإرادة البشرية هما : إرادة الإنسان ذاتها ثم الروح القدس، وليس فى الإمكان تحديد العلاقة تماما بين الإرادة الحرة وبين النعمة، فليست ثمة قاعدة عامة يمكن تطبيقها فى كل الأحوال، وعلى جميع الناس، فأحيانا تكون الخطوة الأولى من جانب الإنسان، وأحيانا تكون من جانب الله، وقد تأخذ الطبيعة البشرية

الخطوة الأولى من جانبها هى، نحو إصلاحها ومن دون عون النعمة، فإذا لم تفعل كانت المواعظ وضروب الزجر والتوبيخ باطلة أو ظالمة، أما القول بالقضاء والقدر أو التعيين السابق، فينكره يوحنا كاسيان ويعتبره كفرا شنيعا أن يظن أحد أن الله لا يريد خلاص الكل (١).

فقرة (٨) :

(عندما يرى هو (الله) فينا أى بادرة لإرادة صالحة، ففى الحال ينيرها ويقويها ويثيرها للخلاص، وينمى تلك الإرادة الصالحة التى زرعها هو بنفسه أو يرى أنها انبثقت بمجهودنا الشخصى)..

فقرة (٩) :

(يشهد الرسول قائلا (لأن الإرادة حاضرة عندى، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد) (٢) وذلك حتى يبين لنا بأجلى وضوح، أن بوادر الرغبات الصالحة (الإرادة الصالحة) تنشأ أحيانا بفضل تلك الطبيعة الطيبة nuturae bonum المفطورة فينا بعطية الخالق، ومع ذلك فإن هذه البوادر لا تبلغ إلى أعمال الفضيلة إلا إذا كان الرب يوجهها) إن أقصى ما يمكن أن يقال بحق، هو أن الله يعرف من قبل من الذى سيخلص praescientia وهنا يختلف يوحنا كاسيان عن أوغسطينوس إختلافا بعيدا، لأن كاسيان يربط فكرة النعمة بقصد ثابت لحب إلهى يمتد إلى جميع الناس، ويريد خلاص الجميع، بينما يرى أوغسطينوس أن الإنتخاب والرذل فعلان إلهيان(٣) غير مشروطين بشرط فى مقدور الأفراد المنتخبين أو المروذولين.

فقرة (١١) :

(إذا كنا نقول أن بوادر الإرادة الخيرة تنبت دائما بفضل نعمة الله، فماذا نقول عن إيمان زكا وتقوى اللص المصلوب اللذين اندفعا بقوة نحو ملكوت السموات مدفوعين برغبتهما الشديدة، ولقد سبقا تنبيهات الدعوة الخاصة التى وجهت إليهم ؟؟)

---

(١)جاء فى كتاب Collationes (وهو مجموعة مشاورات لرهبان مصريين عن النسك الحقيقى) كتبت نحو ٤٢٥ – ٤٢٨م، الثالثة منها ـ والثالثة عشر عن النعمة والإرادة الحرة، وقد اعترض عليها أوغسطينوس وبروسبير Prosper

De gratia dei et liber libero arbitrio contra collatorem

مجموعة Migne للآباء اللاتين مجلد ٥١ ص ٢١٣)، المحاضرة ١٣ ف ٧

Quomodo sine ingenti sacrilegio putandus est (Deus) non universaliter cmmnos sed quosdam salvos fieri velle pro omnibus

(٢) رو ٧ : ١٨

(٣) قارن Augustimus, de praedestinatione sanatorum de done perseverantiae

فاوستوس (أسقف ريجيوم)
FAUSTUS

علَّم فاوستوس بمثل ما علَّم به يوحنا كاسيان، وهو من أعظم رهبان وأساقفة جنوب الغال، ولد فى بريطونى Britony أو ربما بريطانيا فى أوائل القرن الخامس، وترهب بدير ليرينوم Ler-inum وحاليا Lerins وأصبح ابتداء من نحو ٤٣٣م رئيسا له، وبعد ذلك أسقفا لريجيوم، وهى الآن ريز Riez فى بروفنس Provence وكانت له مكانة كبيرة نظرا لعلمه، وحياة النسك والقداسة التى كان يحياها، وأعماله التى تدل على تضحية بنفسه ونشاطه فى فعل الخير، وبلغ من شهرته فى تقواه أنه كان يدعى بلقب قديس، وصار له عيد يحتفل به على الرغم من نفوذ أوغسطينوس، وفى الوقت الحاضر يرفض المؤرخون الينسنيون Jansenists تلقيبه بالقديس، ولو أن اليسوعيين يدافعون عن حقه فى هذا اللقب، ومات فاوستوس فى نهاية القرن الخامس...

وكان فاوستوس نصيرا قويا لإيمان مجمع نيقية، ضدا للأريوسية، وهى ديانة الـ Visigoths الذين وقعت إيبارشيته تحت سلطانهم، ولهذا طرد من كرسيه، ومع ذلك لم يسلم من نقد بعض معاصريه له بسبب تعاليمه الخاصة بالإنسان، ومن نقد أشد منه وجهه إليه اللاهوتيين من الجيل الثانى، يرى فاوستوس أنه لا بيلاجيوس ولا أوغسطينوس علم التعليم الصحيح، فهو يحكم على بيلاجيوس بشدة ويعتبره هرطوقيا، وفى الوقت نفسه يبدى تخوفه من التعليم الذى ينكر أن يكون فى مقدور الإنسان أن يكون حرا فاعلا، فيصبح لذلك تعليما بالجبرية، ويحرم فاوستوس كل من يقول أن (إناء الغضب) لا يمكن أبدا أن يصير (إناء للكرامة)، أو أن المسيح لم يمت من أجل جميع الناس، أو أنه لا يريد أن جميع الناس يخلصون، أو يقول أن كل من هلك (سواء كان معمدا أو وثنيا كان يمكن أن يؤمن ولكنه لم يؤمن) سوف لا تتاح له فرصة للخلاص، وينادى فاوستوس بأنه لابد من الجهد البشرى، ولابد من تعاونه مع النعمة الإلهية (من له يعطى)، إن له القدرة، فينبغى أن يستخدمها، وأما التعليم بالقضاء، والقدر أو التعيين السابق فيعترض عليه فاوستوس بكل شدة وينكر غاية النكر الزعم بأى نوع من النعمة الخاصة أو الشخصية Gratia specialis personalis وهو الزعم الذى تنطوى عليه نظرية أوغسطينوس فى التعيين السابق أو القضاء والقدر، ولو أنه يتكلم فى نفس الوقت عن نعمة سابقة ذات طابع عام (١). ويبدو أنه لم يقصد بالقول بهذه النعمة السابقة أن يبين الحاجة إلى نعمة معينة تسبق فتعد القلب نحو التوبة وطلب الخلاص على نحو ما يقول أوغسطينوس، وكأنها شئ خارج بالكلية عن إرادة الإنسان، ولكنه يقصد بالأحرى نوعا من إيقاد الإرادة حتى يمكن أن تتعاون مع عمل الخلاص الذى لا يمكن إتمامه بنجاح إلا للنعمة الإلهية..

---

(١) أنظر رسالته إلى ليوسيداس Lucidus مجموعة منى Migne للآباء اللاتين مجلد ٥٣ ص٢٨٣.

وحدث أن قسيسا فى بلاد الغال اسمه ليوسيدس Lucidus أثارإشكالا بدفاعه عن النعمة السابقة وغيرها من آراء أوغسطينوس، فطلب ليونتيوس رئيس أساقفة ارلس Arles من فاوستوس أن يكتب فى هذا الموضوع، فكتب أولا رسالة إلى ليوسيدس وبعد ذلك كتب أيضا بحثا لنفس الغرض بعنوان (١)

"De gratia Dei et humanae mentis libero arbitrio"

ولما عقد مجمع أرلس Arles فى عام ٤٧٢ (٤٧٣) وصودق رسميا على كتاباته، ووقع عليها الأساقفة الحاضرون فى ذلك المجمع، كما وافقوا على ستة حروم ضد التعليم المتطرف من أى جانب من الجانبيين، وفى هذه الحروم يظهر التعليم المعروف بتعليم أنصاف البيلاجيين (٢)، فهم يحرمون آراء البيلاجيين الذين يزعمون أن الإنسان يولد بلا خطيئة، وأنه يمكنه أن يخلص بمجهوداته الخاصة وحدها من دون نعمة الله، ومن آرائهم المعارضة لمذهب البيلاجيين قولهم إذا استحق إنسان العماد، ودخل الإيمان الحقيقى بالمسيح، ثم سقط فى إغراءات الخطيئة وشهوات العالم فذلك مرجعة إلى ميل الخطيئة الأصلية، كذلك يرفضون حتى رأى المعتدلين القائلين بأن معرفة الله السابقة وليس تعيينه السابق ذات أثر على أفعاله وتصرفاته، ويؤكدون فى تصميم وفى قوة أن معرفة الله السابقة ليس لها أدنى أثر على انحدار الإنسان فى طريق الموت.

---

(١) أنظر مجموعة منى للآباء اللاتين - مجلد ٥٨ ص ٧٨٣، ومايليها.

(٢) أنظر كتاب Migne ص ٢١٧.

النعمة السابقة

«من فقرة فى رسالة القديس أوغسطينوس إلى فيتاليس Vitalis رسالة رقم ٣١٧ (٤٢٧)»

٣٠ ـ .... إذا كنتم ـ كما أميل إلى الاعتقاد فيكم ـ توافقوننا على احتساب أننا نؤدى واجبنا حينما نصلى إلى الله كما هى عادتنا ـ من أجل أولئك الذين يرفضون الإيمان حتى يرغبوا فى أن يؤمنوا، ومن أجل أولئك الذين يقاومون ويعارضون شريعته وتعاليمه حتى يؤمنوا به ويتبعوه... إذا وافقتمونا على الاعتقاد بأننا نؤدى واجباتنا حينما نقدم الشكر لله ـ كعادتنا ـ من أجل هؤلاء الناس عندما يهتدون... فأنتم لاشك مضطرون إلى الاعتراف بأن نعمة الله تسبق إرادات الناس Voluntates hominum dei gratia praeveniri وأن الله هو الذى يجعلهم يريدون الخير الذى كانوا يرفضونه، لأننا من الله نطلب هذا، ونحن نعلم أنه حق وعدل أن نشكر الله على صنيعه هذا...

قوانين مجمع أرليس ARLES (١)
نحو عام ٤٧٣م

حكم مجمع أرليس المنعقد نحو عام ٤٧٣م للنظر فى آراء أنصاف البيلاجيين من أمثال يوحنا كاسيان وفاوستوس أسقف ريجيوم، ببطلان القضايا الآتية:

١ ـ أن عمل الطاعة البشرية لا يقترن بنعمة الله.

٢ ـ أنه بعد سقوط الإنسان الأول قد زالت نهائيا حرية الإختيار ARBITRIUM VOLUNTATIS

٣ ـ أن المسيح لم يذق الموت لخلاص جميع الناس.

٤ ـ أن معرفة الله السابقة تسوق الإنسان قهرا نحو الموت... أو أن أولئك الذين يهلكون، يهلكون طبقا لإرادة voluntas الله.

٥ ـ أن أى إنسان يخطئ بعد نيله المعمودية شرعا، يموت فى آدم (أى بالخطيئة الأصلية).

٦ ـ أنه من آدم إلى المسيح لم يخلص أحد من الأمم عند مجئ المسيح in adventum christi بنعمة الله الأولى (أى بقانون الطبيعة) وأنهم فقدوا حريتهم فى الإختيار فى أبيهم الأول.

٧ ـ أن البطاركة والأنبياء أو جميع أعاظم القديسين عاشوا فى الفردوس حتى قبل أزمنة الفداء.

وأصدر المجمع التصريح التالى:

«لابد من أن يقترن عمل الإنسان وسعية بنعمة الله، إن حرية الإرادة Libertatem voluntatis عند الإنسان لم تفن، ولكنها وهنت وضعفت، إن من خلص هو فى خطر، ومن هلك يمكن أن يخلص».

تاريخ مذهب أنصاف البيلاجيين فى الأزمنة الأخيرة:

لقد ساد مذهب أنصاف البيلاجيين فى بلاد الغال بعض الوقت، ولكن لما انعقد مجمع أورانج Arausio Orango برياسة قيصريوس Caesarius أسقف أرليس Arles الذى كان رئيسا لدير ليرينوم Lerinum، ومجمع فالنس Valence سنة ٥٢٩(٢)، حكما بتأييد تعليم القديس

(١) مراجع: FAUSTUS OF RHEGIUM Ep. ad Lucidum, (473) P.L., vol, 1111, 683.
MANSI, J.D., Sacrorum Conciliorum nova et amplissima collectia - Venice, 1759, Vll. 1010.
BETTENSEN (HENRY), Documents of the Christian Church, oxford 1946. pp. 84,85.

(٢) يذكر أرنولد Arnold فى كتاب Caesarius von Arelato ص ٣٤٨ ملاحظة ١١٢٩ مجمع فالنس قبل مجمع أرليس.

أوغسطينوس باستثناء القول بالتعيين السابق نحو الشر، فلم يؤيداه (والحق أن القديس أوغسطينوس نفسه لم يعلّم به لفظا على الأقل)، وأيدا أيضا بعض القوانين التى أصدرتها روما وفقا لتعليم الكتب المقدسة، وآباء الكنيسة الأوائل (١)، ومن بينها أنهم يصرون بشدة على القول بأن الطبيعة البشرية عاجزة عن أن تبدر منها بادرة من أى نوع نحو الإيمان أو الصلاح، أو حتى أن تطلب العون الإلهى من دون نعمة الله، فمنح النعمة وقبولها أيضا يعتمد فقط على الخطوة الأولى من جانب الله، وقد أيّد بونيفاس Boniface أسقف روما قرارات مجمعى أورانج وفالنس فى السنة التالية أى فى سنة ٥٣٠م، وقد انتشرت مبادئ أنصاف البيلاجيين فى الغرب، ومنها نظرية الخطيئة الموروثة والشر الموروث. والقبول غير المؤكد نوعا ما لضرورة النعمة، كخطوة سابقة للحركات الأولى الطيبة فى الإنسان، والإيمان بمقدرة الإنسان على أن يساعد فى عمل النعمة الإلهية فى داخل النفس (التجديد المشترك، الانسان يشترك مع الله) - وقد أثيرت هذه المسألة فى العصور الوسطى مع شخصيات من أمثال بيده Bede وانسلم وبرنارد Bernard وهم يمثلون الإتجاه الأوغسطينى، وقد تجددت إثارتها فى أحدث صورة لها مع كلفن، وقد كان لوثر نفسه أوغسطينيا إلى حد ما، وكان يؤمن أن سقطة الإنسان غيّرت قداسته الأصلية إلى فساد مطلق... وقد تعرض الجنس البشرى كله للدينونة، لكن النعمة الإلهية التى لابد منها للتوبة، قد قدمت لجميع الناس بدون تفريق، ويمكن أيضا أن ترفض منهم، وحرية العمل مكفولة للإنسان ولذلك فهو مسئول، والتعيين السابق الوحيد الذى يمكن أن يقال به، يبنى على معرفة الله السابقة بالإيمان وطاعة الناس، ولهذا فإن الأوامر الإلهية بشرطية، ولا شك أن مجمع ترنت Trent لم يقرر تعليم أوغسطينوس، قرر مجمع ترنت أن إرادة الإنسان الحرة لاتكفى وحدها، وأنه بدون النعمة السابقة لايمكن أن يتبرر الإنسان، وبدون إلهامها ومساعدتها لا يستطيع أن يكون له إيمان أو رجاء أو محبة أو توبة، وقرر المجمع أيضا فى وضوح كاف، أن الإنسان نفسه يمكنه أن يشارك فى عملية الخلاص، يمكنه أن يقبل وأن يرفض إلهام الروح القدس وإرشاده، وأنه يفعل ذلك بحسب ميله الخاص وتعاونه.

لقد سببت سقطة الإنسان فقدانه لعطية النعمة الإلهية، التى منحت له أصلا وكان من نتيجتها الضعف والنقص، فضعفت حرية إرادته وانحرفت ولكنها لم تفقد ولم تفن... وعلى ذلك يعترف المجمع بالنعمة الواقية السابقة gratia praeveniens وبنعمة التعاون gratia co-operans وبمقدرة الإنسان على تقرير المصير.

وقرر مجمع ترنت أيضا، بعمومية النعمة وشمولها، وهذا ضد تعليم القضاء والقدر، وعندما حاول اليانسينت Jansenist أن يحيوا تعاليم القديس أوغسطينوس، رفضوا بكل شدة القول بالقضاء والقدر أو التعيين السابق.

---

(١) انظر قوانين مجمع أورانج فى كتاب Hahn ص ٢٢٠ - ٢٢٧ خصوصا قانون ٢٥ ص ٢٢٧.

مجمع أورانج ORANGE

عام ٥٢٩م

أصدر هذا المجمع ٢٥ قانونا وقد قبل معظم تعليم أوغسطينوس، بل واستعاد الكثير جدا من كلماته وتعبيراته، أما سبق التعيين بالشر (وهو التعليم الذى لم يصرح به أوغسطينوس، ولو أنه يبدو متضمنا فى كثير من تعاليمه، وقد ألح عليه كثير من أتباعه) فقد حرمه المجمع.

لقد رفض المجمع القضايا الآتية :

قانون (١) :

أن بذنب معصية آدم لم ينحط الإنسان كله (أى بالنظر إلى الجسم والنفس) وأن حرية نفسه ظلت كما هى، ولم يصبها ضرر، ولكن جسده فقط هو الذى خضع للفساد (١).

قانون (٢) :

إن مخالفة آدم أضرته هو فقط، ولم تضر بذريته وأن موت الجسد فقط وجريرة الخطيئة هى التى انتقلت من الإنسان الأول إلى جميع الجنس البشرى، وليست الخطيئة أيضا وموت النفس(٢).

قانون (٣) :

إن نعمة الله يمكن أن توهب استجابة لدعاء الإنسان، ولكن النعمة التى تأتى ليست هى بعينها النعمة التى طلبناها (٣).

قانون (٤) :

أنه لكى نتطهر من الخطيئة، يلزم أن إرادتنا Voluncas تسبق (إرادة) الله، وأنه ليس عن طريق انسكاب الروح القدس وعمله فينا، أننا نرغب فى أن نتطهر (من الخطيئة) (٤).

قانون (٥) :

إن ابتداء الإيمان وكذلك نموه بل ونفس الرغبة فى الاعتقاد... ليست عن طريق هبة النعمة... ولكنها هى (موجودة) فينا بالطبيعة (٥).

---

(١) حز ١٨ : ٢٠ ، رو ٦ : ١٦ ، ٢. بط ٢ : ١٩. (٢) رو ٥ : ١٢.

(٣) رو ١٠ : ٢٠ ، أش ٦٥ : ١

(٤) أمثال ٨ : ٣٥ (إن الإرادة مهيأة من قبل الرب) ـ الترجمة السبعينية فيلبى ٢ : ١٣.

(٥) فيلبى ١ : ٦ ، ٢٩ ، أفسس ٢ : ٨

قانون (٦) :

إن الرحمة تمنح من السماء لنا نحن الذين بدون نعمة الله، نؤمن ونريد ونرغب، وإنه ليس عن طريق فعل الروح القدس أننا نؤمن ونرغب كما ينبغى (١).

قانون (٧) :

أنه بقوة الطبيعة نستطيع بحق أن نفكر وأن نختار كل ماهو خير... بدون إنارة الروح القدس(٢).

قانون (٨) :

إن بعض الناس يمكنهم أن ينالوا نعمة المعمودية عن طريق الرحمة، أما الآخرون فعن طريق حرية الإختيار (والتى لا شك أنها فسدت فى جميع الناس منذ السقوط)(٣).

وهناك قوانين أخرى أقل أهمية :

قانون (١٢) :

إن الله يحبنا على ما سنصير إليه بنعمته، ولا يحبنا كما نحن باستحقاقنا...

قانون (٢٥) :

حقا حقا إن هبة الله هى أن نحب الله... ولقد منحنا إياها حتى يكون محبوبا، وهو الذى يحب عندما لا يكون هو محبوبا، فلقد أحبنا عندما لم نكن نرضيه لكى يتولد فينا ما نرضيه(٤).

وهذه هى القضايا الإيجابية التى أصدرها مجمع أورانج :

أنه عن طريق خطيئة الإنسان الأول، إلتوت حرية الإختيار وضعفت، حتى لم يعد أى إنسان بعد ذلك قادرا على أن يحب الله كما ينبغى، أو يؤمن بالله أو يصنع شيئا صالحا من أجل الله، إلا إذا سبقته Praeveniret نعمة (٥) (رحمة الله) (٦).

ونحن نؤمن أيضا، وفقا لإيمان الكنيسة الجامعة، أن جميع المعمدين ـ بعد أن ينالوا النعمة عن طريق المعمودية ـ تكون لهم بمعونة المسيح ومعاضدته القوة والإلزام لتتميم كل ما يتصل بخلاص النفس إذا كانوا سيجاهدون بأمانة.

ونحن لسنا فقط لا نؤمن بأن بعض الناس قدر عليهم سابقا أن يصنعوا الشر بقوة الله، ولكننا نقول لهم بكل مقت:

«إذا كان هناك من يعتقد مثل هذا الإعتقاد... أنتم محرومون».

---

(١) ١. كورنثوس ٤ :٧.

(٢) يو ١٥ :٢ – ٥ ، ٢. كو ٣ :٥.

(٣) يو ٦ :٤ ، مت ١٦ :٢٧ ، ١. كو ١٢ :١٣.

(٤) رو ٥ :٥.

(٥) وتسمى لذلك (بالنعمة السابقة) ويقصد بها تلك الحركات العاملة، التى تتولد فينا بفعل الله دون فعلنا والتى تحركنا إلى عمل الخير، وأحيانا تسمى (بالنعمة العاملة) أو (النعمة المحركة).

(٦) فيلبى ١ :٦ ، ٢٩ ، أفسس ٢ :٨ ، ١. كو ٤ :٧ ، ١. كو ٧ :٢٥ ، يعقوب ١ :١٧ ، يو ٣ :٢٧.

النســـطوريـــة

المدارس اللاهوتية

فى الأسكندرية وأنطاكية

المدارس اللاهوتية فى الأسكندرية وأنطاكيـــــــة

لاشك أن هناك عوامل ثانوية الأهمية، إلى جانب العوامل الأساسية فى الخلافات العقيدية الإيمانية، يكون لها أثر فى تعقيد العلاقات وإساءتها بين الأطراف المتنازعة، ومن بين هذه العوامل الثانوية الخلافات الشخصية والكنسية التى تلعب دورها فى زيادة شقة الخلاف العقيدى، ثم الاختلافات فى الإتجاهات الفكرية الثابتة بين رجال من مدارس فكرية مختلفة، مما يطبع أثره على النزاع العقيدى القائم بين فريقين من رجال الدين.

ومن ذلك أن الطابع العام الذى أصبح يميز الإتجاه الفكرى فى الأسكندرية ومدرستها هو النظرة الصوفية، بينما أن إتجاه مدرسة انطاكية وأتباعها كان إتجاها عقليا ومنطقيا، ففى مسألة طبيعة السيد المسيح كان تفكير لاهوتيى مدرسة الأسكندرية متركزا بالأكثر فى لاهوت المسيح مع توكيد حقيقة الاتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته اتحادا تاما، وقد عَرّفوا هذا الاتحاد بأنه اتحاد سرى ولا يمكن إدراكه، بينما كان تفكير لاهوتيى مدرسة أنطاكية على العكس متركزا بالأكثر فى ناسوت المسيح أولا، فقد اهتموا كل الإهتمام بابراز كمال ناسوت المسيح.

وفى هذا السبيل مالوا إلى الفصل بين طبيعتين فى السيد المسيح، ولئن أقروا بالوحدة بينهما، لكنهم كانوا يلّحون على فكرة الإثنينية.

فكيرلس عمود الدين كان يقول عن المسيح أنه كائن مركب من الله والإنسان، ومع ذلك فهو أقنو م واحد بل وطبيعة واحدة.

وعلى العكس من ذلك نسطور كان يمثل إتجاه مدرسة أنطاكية فكان يرى فى المسيح إنسانا حمل طبيعة إلهية، أو هو اللوغوس مقترنا بطبيعة إنسانية - وبعبارة أخرى هو أقنومان وطبيعتان.

ديودورس وثيئودوروس

يمكن أن يقال أن الذى أنشأ تقاليد المدرسة الأنطاكية وثبتها هو العالم الكبير ديودوروس Dio-dorus الطرسوسى (توفى سنة ٣٩٤م)، وتلميذه الأشهر ثيودوروس، وهو بدوره أستاذ نسطور وربما كان هو المؤسس الحقيقى للمذهب النسطورى، وقد مثل فى حياته كما فى تعليمه روح المدرسة الانطاكية أحسن ما يكون التمثيل. ولد فى انطاكية من أسرة مشهورة سنة ٣٥٠م.

وكان تلميذا أيضا لفيلسوف سوفوسطائى مشهور هو ليبانوس Libanus (وهو من انطاكية أيضا)، وفى أثناء مدة تلمذته نشأت وترعرعت صداقته الطويلة مع تلميذ آخر لليبانوس، كسب

بفضل فصاحته وبلاغته لقب ذهبى الفم (وهو يوحنا الذى كان لابد أن يخلف أستاذه ليبانوس «لو لم يسرقه المسيحيون») وقد اندفع ثيودوروس فى حماس بالغ نحو الرهبنة وترك أستاذه ليبانوس إلى حياة النسك والمجاهدة فى الدير، ولكن لم تلبث حماسته أن بردت وحرارته أن فترت، فعاد فطمع فى الوظيفة وفى أمجاد الحياة العامة، بل ورغب أيضا فى الزواج، ولكن القديس يوحنا ذهبى الفم نجح فى إقناعه بالعدول عن ذلك، ورسم قسيسا فى الخامسة والثلاثين من عمره سنة ٣٨٣ بيد فلافيانوس Flavian أسقف انطاكية فكرس نفسه لمدة عشر سنوات لأعمال الرعاية التى تقتضيها وظيفته، مثابرا على التعليم والتأليف فى انطاكية أولا، ثم فى طرسوس Torsus بعد ذلك (نحو ٣٨٣ ـ ٣٩٣)، وفى هذه الأثناء كان قد بلغ شهرة عظيمة حتى أنه اختير أسقفا لموبسوستيا Mopsuestia فى كيليكيا Cilicia وقد أخذت شهرته كعالم ترتفع تدريجيا منذ هذا الوقت، إلى أن مات نحو سنة ٤٢٨م، «فى سلام الكنيسة وفى أعلى درجات الشهرة «متمتعا إلى النهاية بأحر عواطف الذهبى فمه، وأعظم تقدير واعتبار من جانب الامبراطور، وان عالما ممتازا كثيودورس بلغ شهرة بعيدة فى أيامه، حتى اعتبر عمودا للحق وشارحا للكتب المقدسة (١) مكرما كأسقف ورجل إدارى، يمكن لهذا كله أن يعد ممثلا محترما للفكر اللاهوتى فى الكنيسة الشرقية فى نهاية القرن الرابع. والملاحظ فى كتاباته وكانت موضع تقدير العلماء فى زمانه، باستثناء بعض منها، أنها تظهر مدى التطور الذى بلغه التعليم الخاص بشخص السيد المسيح. وقد تناول المجمع المسكونى هذه الكتابات بعد وفاة ثيودوروس، وحكم على تعليمه بالحرمان ولم يحكم عليه هو، كما حكم على تلميذه نسطور ـ الذى كان قد اختير بطريركا للقسطنطينية فى نفس السنة التى مات فيها ثيودوروس ـ لأنه عبر عن نفس الآراء التى نادى بها ثيودوروس أو ما يشبهها، ولكن بعد وفاته بنحو مائة عام حكم عليه كهيراطيقى وخارج على تعليم الكنيسة الجامعة الرسولية، وذلك فى مجمع عام عقد بالقسطنطينية فى سنة ٥٥٣. ومما يذكر أن قسيسا فى فيلادلفيا philadelphia قدم لمجمع أفسس سنة ٤٣١م صورة لإيمان

---

(١) قيل أنه وضع شروحا وتفاسير لسفر المزامير (تمتاز بأبحاثها الحرة فيما يتصل بالكاتب وتاريخ كتابة السفر) وأسفار أخرى من العهد القديم والعهد الجديد، لا يزال بعضها باقيا فى الترجمات السريانية واللاتينية إن لم يكن بأصلها باليونانى «ولكن لم يبق من الكثير منها إلا شذرات قليلة» (وقد أصبح ثيودوروس عند الكنيسة النسطورية السريانية الشرقية أعظم شارح وناقد للكتب المقدسة وقد ترجمت كتبه فورا إلى السريانية).

وإلى جانب هذه الشروح والتفاسير كتب عددا كبيرا من الرسائل العقيدية والجدلية، وكتب على الخصوص رسالة منها عن التجسد On the Incarnation بقيت منها شذرات (وقد كتب أحد خصومه بعد قرن من الزمان ردا عليها) انظر مجموعة Migne الآباء اليونانيين مجلد ٦٦ و ٨٦ ثم Leontius c. Nest et Eu-tych.iii 43. Swete, H.B. Swete,Theodore of Mopsuestia on the Minor Epistles on St. Paul, Appendix A. vol. ii pp. 293 ff.

واعتراف ثيئودوروس وقال إن النساطرة فى القسطنطينية أرسلوها إلى بعض الهراطقة فى ليديا Lydia ممن كانوا يرغبون فى الرجوع إلى الكنيسة الجامعة الرسولية، فقادوهم إلى أخطاء أشنع من تلك التى أرادوا أن يرتدوا عنها. انظر كتاب Hahn ٣٠٢ ـ ٣٠٨ وهذا الاعتراف اعتبره البابا كيرلس الأول ثم ماريوس ميركاتور Marius Mercator (مجموعة منى Migne للآباء اللاتين مجلد ٤٨ ص ٨٧٧) الاعتراف الرسمى للإيمان النسطورى.

ويمكن معرفة آراء ثيئودوروس الخاصة مما تبقى لدينا من شذرات من كتابه «فى التجسد» ففى أطول شذره من تلك الشذرات (١) يدرس ثيئودوروس طبيعة سكنى أو حلول الله فى المسيح، يقول إنه من الواضح أن الله لا يحل فى جميع الناس لأنه قد وعد بهذا كامتياز للقديسين (لاويين ٢٦ : ١٢) . وقد رأى البعض أن السكنى المقصودة هنا هى سكنى «وجود» الله. فإذا كان ذلك كذلك فقد ترتب عليه أن يكون وجود الله محصورا فى دائرة من قال أنه يسكن فيهم، فإذا كان لهذه السكنى أو هذا الحلول أى دلالة خاصة، فيكون الله خارجا عن أى كائن آخر. وعلى كل حال فهذا مستحيل حيث أن الله غير متناه، حاضر فى كل مكان، ولا يمكن أن يحده مكان، فإذا كنا نقر أنه موجود فى كل مكان، فإننا باستخدام تعبير «الموجود» بهذا المعنى، يلزم أن نحول لكل شئ نصيبا من هذا الحلول أو هذه السكنى أيضا : لكل شئ وليس للناس فقط، بل وحتى للكائنات غير الناطقة، ولكل شئ ليست له نفس أو حياة. ولكن هذا محال، وعلى ذلك فمن الواضح أنه ينبغى أن لا نتكلم عن الحلول كما عن وجود الله. وآخرون وصفوا الحلول بأنه حلول النشاط أو القوة الفاعلة، قوة الله العاملة، لكن هذا الافتراض يثير أمامنا نفس الإشكال السابق. والسبيل الوحيد للتعبير عن الحقيقة هو استخدام لفظ المسِّرة أو اللذة الصالحة أو الرضى، فسكنى الله هو سكنى الرضى الإلهى، إن الله يسر باتجاه بعض الناس، ولمسرته بهم وفيهم ولرضاه عليهم يسكن فيهم. أما بطبيعته فكما قلنا لا يمكن أن يحد أو يحصر، لأنه حاضر فى كل مكان. ولا ينطبق عليه أنه «قريب» أو «بعيد» أما بالمعنى الأخلاقى فيمكن أن يقال أنه قريب من البعض وبعيد من البعض الآخر، إنه مبتعد ومفترق من أولئك الذين ليست لهم علاقة بالطبيعة الإلهية.

والسكنى الإلهية تقوم فى أولئك الجديرين بها بسبب سجاياهم ومشاربهم الأخلاقية، وهناك درجات لهذه السكنى : فعند بعض الناس تكون أشد قربا من غيرهم، تبعا لشدة علاقتهم أو قلتها به. والسكنى فى الرسل هى تماما كالسكنى فى المسيح. لكن ثيئودوروس يستنكر الفكرة القائلة بأن السكنى فى المسيح، يمكن مقارنتها فى درجتها بالسكنى فى القديسين، ويعد هذه الفكرة أقصى

---

(١) الشذرات الباقية جمعها وطبعها فريتش o.f. fritzsch سنة ١٨٤٧م ثم سويت H.B.Swete وهذه الفقرة مأخوذه من الجزء السابع من كتاب «فى التجسد» واقتبسها ليونتيوس Leontius (٤٨٥ ـ ٥٤٣) فى Nest.et Eutych ٣ : ٤٣ ـ (راجع مجموعة منى Migne للآباء اليونانيين مجلد ٨٦ ص ١٢٦٧ ـ ١٣٩٦ .

درجة فى الجنون لأنه أولا، كما يقول ثيودوروس، هو ابن الله وهذه الحقيقة ترفعه إلى مستوى آخر. ومعناها أن الله قد وحد معه تماما الإنسان الذى اتخذه، وأعده لينال معه كل الكرامة التى يشاركه فيها من يسكن فيه وهو ابنه بالطبيعة. وهكذا فان بنوة المسيح لله تدنيه إلى علاقة وثيقة بالله لا يشاركه فيها أحد آخر، لأنه يسكن فيه بدرجة فريدة لا نظير لها، وثانيا لأن هذه السكنى أيضا بدأت، تبعا لسبق علم الله، منذ بدء تكّون الناسوت فى رحم العذراء، وظهرت فى سرعة تمييزه بين الخير والشر، وإيثاره الخير دائما وكرهه للشر(١)، وفى كل هذا كان يلقى التعاون من جانب الكلمة الإلهى بحسب درجة ميله الطبيعى. (أما فى حالة القديسين فيجب أن يبرهنوا أولا على استحقاقهم لسكنى الله فيهم).

وهكذا ارتفع المسيح إلى أسمى درجة فى الفضيلة الكاملة، فقدم لنا فى شخصه المثل الأعلى الذى يجب أن نحتذ به للبلوغ إلى تلك الغاية، وثم ثالثا لأن الاتحاد الذى يتمتع به المسيح مع الله اتحاد لا يقبل الإنفكاك أو الإنحلال.

وهكذا يشرح ثيودوروس العلاقة بين اللاهوت والناسوت فى المسيح. ويتلخص مذهبه فى هذه النقطة كما يعرضه فى تفاسيره لرسائل القديس بولس فى العبارات الآتية :

«الكلمة الذى لايرى، ابن الله الوحيد أظهر نفسه فى يسوع الناصرى، ساكنا فى الإنسان واتحد به بغير انفصال. وعلى ذلك فالإنسان المسيح هو الصورة المنظورة للاهوت غير المنظور، وهو أيضا بسبب اتحاده بابن الله الحقيقى، له امتيازات البنوة الوحيدة حتى أنه يختص به أيضا لقب «ابن الله»... ولكن إذا سئلنا، بأى معنى سكن الله فى الإنسان، ينبغى أن نجيب بأن ذلك قد تم بناء على إتجاه خاص نحوه، من إتجاه المسرة الكاملة. إن الله يملأ الكون بطبيعته غير المحدودة وجوهره غير المحصور بل هو الكل فى الكل، وهو فى المسيح يسكن فى اقنوم الكلمة، وذلك باتحاد أخلاقى كامل لانظير له، حتى أن الكلمة الإلهى والناسوت الذى اتخذه يعتبران دائما اقنوما واحدا.

وعلى ذلك فالإنسان الذى أصبح مسكنا لله الكلمة، قبل عند عماده سكنا آخر هو سكن الله

---

(١) ومع أن ثيودوروس كان يعارض أبوليناريوس فى إنكاره للحرية الأخلاقية فى المسيح، لكنه لم يكن يشأ أن تفهم الحرية على أنها حرية الاختيار، وإنما الحرية العليا عنده تقوم على الانسجام الذى لا يمكن تغيره بين الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية وهى نوع من الحرية تنفى عمليا كل خطيئة.

(أنظر Hefele, Councils مجلد ٣ صفحة ٥) (قارن ذلك برأى أوغسطينوس فى الإرادة الحرة بمعنى الحرية لعمله دائماً ما هو صواب).

الروح القدس، الذى بقوته صنع المعجزات، وبلغ إلى الكمال الأخلاقى، وتمم كل ما كان ضروريا لخلاص النوع البشرى (١).

أما فيما يتصل بالاتحاد بين اللاهوت والناسوت فلم يحجم ثيودوروس عن استخدام لفظ «توحيد واتحاد». ἕνωσις ولو أنه كثيرا ماكان يستعمل لفظا آخر يعنى «اتصال» أو «اقتران» συνάφεια أكثر مما يعنى «اتحاد». وكان يقول أنه مما لايليق على الاطلاق أن نتكلم عن امتزاج الطبيعتين، لأن كل منهما تحتفظ بخصائصها من غير انفكاك. «فالاتحاد» هو التعبير الدقيق الذى يعبر عن اجتماع الطبيعتين معا لتكّونا اقنوما واحدا، حتى أنه يمكن أن نقول صوابا عن اتحاد الطبيعتين «ليس هما بعد اقنومين وإنما اقنوم واحد» كما قال الرب فى حالة الرجل والمرأة «ليس هما بعد جسد واحد» ولا شك أن الطبيعتين متميزتان. لأنه كما فى حالة الزواج، كونه قد قيل عنهما جسد واحد لا يمنع أنهما إثنان بالعدد (فواضح أنهما واحد بأى معنى) هكذا فى الحالة التى نحن بصددها، وحدة الأُقنوم لاتمنع اختلاف الطبيعتين (فكون الاقنوم واحدا لايمنع أن تكون الطبيعتين مختلفتين).

فهذا هو الواضح عندما ننظر إلى الطبيعتين كل على حدة، نقول أن طبيعة الكلمة الإلهى كاملة والأقنوم كامل، لأننا لا نستطيع أن نتكلم عن وجود متميز ὑπόστασις كأنه لاشخصية له.

ونقول أن الطبيعة الإنسانية كاملة، والاقنوم كامل كذلك، أما عندما ننظر إلى اقتران الأثنين فحينئذ نقول أن هناك اقنوما واحدا.

ولربما كان مفهوم الشخصية غير محدد على وجه دقيق، وربما كان الاختلاف بين كلمة «طبيعة» وكلمة «اقنوم» غير واضح أو غير حاسم، ولكن لاشك أن ثيودوروس يعنى أن ينادى بوجود طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية فى المسيح، وبوحدة اقنومه. أى أن الاقنوم الواحد يتألف

---

(١) Dr. Swote, Theodore of Mopsuestia on the Minor Epistles of st. Paul vol.1. p.p. 81 ff.

ويرى ثيودوروس أيضاً أنه بالنظر إلى شر الخطية ليس ما يدعو إلى تجسد فعلى للكلمة الأزلى، فإن إتحاد إنسان بالله اتحاداً لا يقبل الانفكاك بواسطة سكنى الكلمة سكنى دائماً يكفى للانتصار على الموت (نفس المرجع ص ٨٧). وهذا ما دعا ماريوس ميركاتور Marius Mercator إلى اتهام ثيودوروس بأنه كان من مؤسسى البدعة البيلاجية، وأنه قبل إليه يوليان وأساقفة إيطاليين آخرين كان قد نفاهم Zosimus من كراسيهم فى سنة ٤١٨م بسبب رفضهم الحكم على بيلاجيوس وكولستيوس ومع ذلك فإن ثيودوروس أذعن بعد ذلك للحكم على يوليان.

من الكلمة الإلهى (الله الكلمة) ومن الناسوت، وكل منهما كامل. والاقنوم الناتج من اتحاد الإثنين هو واحد.

ولما علم ثيودوروس أن بعض الناس ظنوا أن تعليمه يتضمن القول بابنين (فعنصر الناسوت فى المسيح هو ابن بمعنى، وعنصر اللاهوت - الله الكلمة - بالمعنى الدقيق).

استنكر ثيودوروس بصراحة هذا الاستنتاج، وأبان أن كل مقصوده هو القول بنمو وتقدم أخلاقى حر فى ناسوت المخلص، وأن يتفادى أخطاء البدعة الأبوليناريوسية.

ومن جملة تعاليمه قول (ثيودوروس) «واحد هو الإله الكلمة، وآخر هو المسيح الذى يتأثر بالأهواء النفسية والشهوات البدنية، ثم انفصل عن الشرور شيئا فشيئا. وبعد أن تبرر بأعماله وصار بلا لوم اعتمد كإنسان محض باسم الآب والابن والروح القدس فاقتبل فى عماده نعمة الروح القدس واستحق موهبة البنوة. فيسجد له - بمساواة الصورة الملكية - فى شخص الإله الكلمة. وبعد قيامته سار كاملا لا يخطئ».

وفى تفسيره للرسائل البولسية يقارن المسيح بأفلاطون ومانى وابيقورس ومرقيون، ويقول «فكما أن كلا من أولئك حين أعلن مبدأه جعل أتباعه يسمون باسمه «افلاطونيين» و «مانويين» ، «ابيقوريين» و «مرقيونيين» كذلك المسيح حين أعلن عقيدته دعى أتباعه مسيحيين (تاريخ ميخائيل الكبير ص ٢٣٧).

انظر كتاب تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية. تأليف سويريوس الجزء الثانى - بيروت ١٩٥٧ صفحة ٣٣.

نشأة النزاع النسطـــــورى

نسطــور فى القسطنطينيـــة

تلك كانت التقاليد اللاهوتية التى نشأ فيها نسطور. والوسط الذى عاش فيه ومنه أخذ ثقافته. وقد ترهب فى دير يوبريبوس Euprepius بالقرب من انطاكية، وهناك اكتسب شهرة كبيرة بسبب فصاحته وزهده، حتى اختير بطريركا للقسطنطينية، فذهب إليها فى سنة ٤٢٨م ومعه قسيسه أناستاسيوس Anastasius، وكان قسيسا بأنطاكية وهو من أتباع ثيودوروس والمعتنقين لنظرياته الدينية. وفى القسطنطينية بدأ نسطور يحمل حملة كبيرة على الهراطقة مما أثار عداوتهم له. ولكن يبدو أن قسيسه أناستاسيوس هو الذى أشعل الفتيل، على ما يقول المؤرخ سقراط(١). إذ أخذ يندد فى مواعظه بتلقيب مريم العذراء بوالدة الإله (٢) θεοτὸκος ولم يكن هذا اللقب أمرا جديدا فى الكنيسة، فقد نص عليه فى الكتاب المقدس بعهديه. قال النبى أشعياء «لأنه يولد لنا ولد... ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا(٣)»، وما دام المولود إلها فوالدته تدعى بحق والدة الإله. وقالت اليصابات عند لقاء العذراء مريم، من أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ» (٤) وأم الرب ووالدة الإله بمعنى واحد. ثم أن مريم العذراء دعيت فى مواضع كثيرة من العهد الجديد أم يسوع (٥). وليس ثمة فرق بين أم يسوع ووالدة الإله، مادام يسوع هو الله الظاهر فى الجسد (٦). وقد عرفت مريم بوالدة الإله فى الليتورجيات القديمة، كما ذكرها بهذا اللقب آباء الكنيسة الأوائل ومنهم أوريجينوس، والكسندر بابا الأسكندرية التاسع عشر، ويوسبيوس المؤرخ(٧)، والقديس أثناسيوس الرسولى(٨)، والقديس كيرلس الأول الملقب بعمود الدين(٩) وغيرهم. ومع ذلك نهــض أناستــاسـيوس يعارض هذا الإجماع على هذه الحقيقة

---

(١) فى كتابه تاريخ الكنيسة ٧ : ٣٢. Genetrix.

(٢) وباليونانية θεοτôκος وباللاتينية deipara die genetrix ويترجمونها بوالدة الإله وأحيانا بأم الله، ولكن الترجمة الأولى أدق وأصح، لأن الكلمة اليونانية تعنى حرفيا «التى ولدت الله»، وهذا هو الفرق بينهما وبين μητηρ θεοῦ ومعناها «أم الله».

(٣) أش ٩ : ٦.

(٤) لوقا ١ : ٤٣.

(٥) أع ١ : ١٤، مرقس ٣ : ٣١ - ٣٢، يو ١٩ : ٢٥، ٢٦.

(٦) ١ تيمو ٣ : ١٦.

(٧) فى كتابه تاريخ الكنيسة جزء ٥ ف٣.

(٨) فى خطبة ضد الأريوسيين خطبة ٣ف٣٣.

(٩) فى كتابة Cat. ١٠ - ١٩.

اللاهوتيـــة الواضحـــة، ويقـول فـــى خطبــة «لا يجوز لأحد أن يدعو مــريم والـدة الالــه (θεοτὸκος) لأن مريم لم تكن إلا إمرأة، ومن المستحيل أن يولد الله من إمرأة، فأثار بأقواله هذه مشاعر المؤمنين، ومن ثم أصبح هذا اللقب شعارا يميز المؤمنين من الهراطقة.

وأيـــد نســطــور حملـــة(١) قسيســه أنــاســتاسيــوس وقــال إن لقــب والــدة الإلـــه (θεοτὸκος) له مذاق وثنى وهو يتعارض مع التعبيرات الواردة فى الكتب المقدسة، مثل «بلا أب ولا أم» ἀπάτωρ ἀμὴτωρ الواردة فى الرسالة إلى العبرانيين ٧ : ٣ ويقــول نســطور أيضــا لقــد كانت مريم أماً للطبيعة الناسوتية فقط. إنما الله وحده هو ثيوتوكوس θεοτόκος وكل ما يمكن أن يقال عن مريم بحق أنها كانت مستودعا لله وأنها ولدت المسيح، فهى : θεοδὸχος أو والـــــدة المسيـــــح χριστότὸκος فلقد كانت الطبيعتان الإلهيـة والإنســانية مفترقتين بكل وضوح. إنما كان هناك اقتران أومصاحبه συνάφεια بينهما أو سكنى للاهوت فى الإنسان، نتج عنها اتحاد أخلاقى أو أدبى أو مشاركة عاطفية. ويقول نسطور صراحة «إنى أفصل بين الطبيعتين، أما الاحترام الذى أقدمه لهما فمتصل Separo naturas, sed conjugo reverention

ويتضح مما سبق أن الاتحاد الذى يقول به نسطور، هو اتحاد يمكن أن يوصف بحق بأنه اتحاد ميكانيكى، جمع فيه بين طبيعتين غير متجانستين ولا متوافقتين فى جوهرهما، وذلك بفعل قوة إلهية جبارة، فهو إذن ارتباط صناعى أكثر منه اتحاد حقيقى حى.

---

(١) لنسطور عظات لاتزال باقية فى الترجمة اللاتينية فى مؤلفات ماريوس ميركاتور Marius Mercator وهو إغريقى أرثوذكسى مدنى (علمانى) كان فى القسطنطينية فى زمن نسطور، وكان مهتما إهتماما بالغا بالنزاع القائم حول هذه الموضوعات. خمس من هذه العظات ضد تلقيب مريم بوالدة الإله adv. dei genetricem Mariam وأربع منها ضد هرطقة بيلاجيوس adv. haeresim pelagianam أما مؤلفات نسطور الأخرى فقد أبيدت، ولم يبق منها غير شذرات وردت كإقتباسات فى كتابات معارضية، مثلا فى أعمال مجمع أفسس وفى كتابات كيرلس الأسكندرى، خاصة كتبه الخمسة التى كتبها ضد تجديف نسطور، أما الأثنى عشر حرما التى كتبها نسطور ردا على حروم كيرلس الأول فلم تبق إلا فى ترجمة ماريوس السالف الذكر.

لقب والدة الإله θεοτȭκος

إن تلقيب مريم بوالدة الإله هو تكريم لها هى جديرة به، وهو على ما أسلفنا يطابق نصوص الكتب المقدسة وأقوال الأباء. ولكن رفض نسطور لهذا اللقب ليس هو مجرد إهانة لمريم العذراء، أو سحب كرامة منها، وإنما يحمل معنى أبعد من هذا، ذلك أن لقب والدة الإله كما يظهر من التعبير اليونانى (θεοτȭκος) يركز الإنتباه أولا على لاهوت المولود من العذراء أكثر مما يوجه النظر إلى كرامة العذراء نفسها، وهذا معناه أن المولود من مريم هو الإله المتأنس، وأن ابن الله لم يفقد بتأنسه شيئا من اللاهوت الذى كان له منذ الأزل، ثم إن هذا التعبير «والدة الإله θεοτȭκος يوضح حقيقة أخرى، أن المولود من مريم لابد أن يكون له كل ما للإنسان. فناسوته حقيقى، وليس خيالا، وقد ولد وهو الإله المتأنس ولادة حقيقية، ولم تكن ولادته خيالية أو ظاهرية.

ولئن سميت مريم العذراء بأم الله μητὴρ θεοῦ وأم النور الحقيقى، كما جاء فى مقدمة قانون الإيمان النيقاوى، إلا أن التعبير «والدة الإله θεοτȭκος ، أكثرها وضوحا فى بيان أن العذراء مريم حملت فى أحشائها الله المتأنس، وأنها ولدته أو خرج من بطنها، فهى إذن ليست أصلا للاهوت أو مصدرا له حاشا : إذ هى مخلوقة به، لكنها حملته ثم ولدته فهى بحق تدعى والدة الإله بهذا المعنى. وبهذا المعنى عينه تفهم الألقاب الأخرى مثل «أم الله» و «أم النور الحقيقى» وما إلى ذلك.

كيرلس الأسكندرى

ورفضه تعليم نسطـــــــور

لم يكن إذن رفض نسطور تلقيب العذراء بوالدة الإله إلا نتيجة لسوء إعتقاده فى السيد المسيح. ولو كان يعتقد فى المسيح أنه الإله المتأنس لما كان يعترض على لقب «والدة الإله» وهذا هو ماقاله البابا كيرلس الأول البابا الرابع والعشرون من باباوات الأسكندرية، أعظم لاهوتى زمانه، وهو أكبر خصوم نسطور والنسطورية، ولذلك لقب بكيرلس عمود الدين. وقال القديس كيرلس أن بعض الرهبان رفضوا أن يقولوا عن المسيح أنه هو الله، واعتبروه أداة أو واسطة للاهوت فقط، واتهم نسطور بأنه أنكر لاهوت المسيح. وفى عيد الفصح عام ٤٢٩م أصدر البابا كيرلس عرضا مفصلا لهذه المسألة، مظهرا مدى شر المذهب النسطورى، وأثار ثائرة الرهبان المصريين ورجال الإكليروس فى القسطنطينية، وسيدات البلاط الامبراطورى، وأخذ يكتب لنسطور برسائل تلتهب حمية وحرارة، يخطئه فيها لذهابه مذهبه الفاسد فى فهم طبيعة السيد المسيح، وفى أغسطس عام ٤٣١ عقد كلستينوس أسقف روما مجمعا أدان فيه نسطور كما عقد كيرلس بابا الأسكندرية مجمعا فى الأسكندرية أيّد فيه حكم مجمع روما، وأرسل القرار إلى القسطنطينية فى شهر نوفمبر من تلك السنة ٤٣١، مع رسالة مستفيضة وإثنى عشر حرما، وفيها حمل البابا كيرلس حملة كبيرة على المدرسة الأنطاكية بأسرها. عرفت هذه الرسالة بالرسالة الثالثة إلى نسطور(١)، كما عرفت أيضا بالرسالة المجمعية Epistola synodica وهى رسالة بالغة الأهمية فى عرض العقيدة الأرثوذكسية، وهى الأساس الذى تقوم عليه الحروم الإثنى عشر. وقد ردّ نسطور على الحروم بإثنى عشر حرما من قبله (٢).

حروم البابا كيرلس وردود نسطور عليها

هذه الحروم من كلا الطرفين تكشف بما فيه الكفاية من الوضوح عن نقط الخلاف بينهما :

١ ـ يؤكد البابا كيرلس أن عمانوئيل (الابن المتجسد) هو الإله بالحقيقة، ولهذا فإن القديسة العذراء هى والدة الاله θεοτόκος لأنها ولدت (باسلوب جسدى) كلمة الله الذى صار جسدا.

---

(١) وقد نشرها هيرتلى Heurtley فى كتابه de, Fide et symbolo ونشرها هن Hahn الحروم الإثنى عشر مع الترجمة اللاتينية التى نشرها ماريوس ميركاتو Marius Mercator ص ٣١٢ ـ ٣١٦ (وأما الترجمة الانجليزية فتوجد فى كتاب Hefele councils الجزء ٢ص ٣١ وما يليها.

(٢) لم تبق حروم نسطور الإثنى عشر إلا فى الترجمة اللاتينية التى نشرها ماريوس ميركاتور Marius Mercator كما نشرها أيضا Hahn فى كتابه صفحات ٣١٦ ـ ٣١٨.

ويجيب نسطور أن عمانوئيل يجوز أن يسمى الله الكلمة، بل بالأحرى «الله معنا» بمعنى أنه باتحاده بمكوناتنا التى أخذها من العذراء، سكن فى الطبيعة التى تشبه طبيعتنا، ولا يجوز للقديسة العذراء أن تسمى أم الله الكلمة، بل أم الذى هو عمانوئيل، ولا أن يقال عن الله الكلمة نفسه أنه تحول إلى الجسد الذى اتخذه لغرض إظهار لاهوته حتى يصير مولودا كإنسان.

٢ ـ ويؤكد البابا كيرلس أن كلمة الله الآب قد اتحد اقنوميا بالجسد، وهو مع جسده مسيح واحد ـ إله واحد بعينه وإنسان معا.

ويجيب نسطور بأن يحرم من يقول «فى شأن الاتصال الذى حدث بين كلمة الله والجسد، أن هناك إنتقالا قد حدث للجوهر الإلهى من مكان إلى مكان، وأن الجسد أصبح قادرا أن يحتوى الطبيعة الإلهية، وأن الطبيعة الإلهية اتحدت جزئيا بالجسد، أو من ينسب إلى الجسد امتدادا لانهائيا، حتى أنه يمكن أن يحتوى أو يقتبل الله، مع أن الطبيعة الإلهية لايمكن أن تحتويها حدود الجسد، ويقول أن الطبيعة نفسها هى الله والإنسان معا.

٣ ـ يحرم البابا كيرلس رأى أولئك الذين يقسمون المسيح الواحد إلى أقنومين بعد الاتحاد، ولايصلون بينهما إلا بنوع من اتصال مشرف أو بفعل قاهر من سلطة أو قوة، وليس بالحرى نتيجة توافق أو تركيب ينجم عنه اتحاد طبيعى.

ولكن نسطور يصر على أن المسيح الذى هو عمانوئيل لايجوز أن يدعى واحدا بالنظر إلى طبيعته، وإنما بالنظر إلى الاتصال بين الطبيعتين، وعلى أن هناك مركبا واحدا تألف من الجوهرين (جوهر الله الكلمة وجوهر الإنسان الذى اتخذه)، هو الابن، وأن الجوهرين لا يزالان يحتفظان بهذا التركيب من غير «اختلاط».

٤ ـ تشتمل الكتب المقدسة على أقوال قالها المسيح عن نفسه، وقالها آخرون عنه، بعضها على ما يظهر تنطبق عليه كإنسان، وبعضها ينطبق عليه باعتباره الكلمة. والبابا كيرلس يحرم منهج التفسير الذى يفصل هذه الأقوال إلى نوعين، وينسب كل نوع منها إلى شخص أو اقنوم كأنه مستقل أو منفصل عن الآخر.

أما نسطور فيجيب بأن المسيح من طبيعتين وإذا فهمنا هذه الأقوال كما لو كانت قد كتبت عن طبيعة واحدة، فكأننا ننسب إلى كلمة الله إحساسات وأهواء بشرية.

٥، ٦، ٧، ٨ ـ يعترض البابا كيرلس على تسمية المسيح بأنه إنسان حامل الله θεοφορος ἄνθρωπος بدلا من تسميته بالله الحقيقى والابن الواحد بالطبيعة، كما يعترض على تسمية الكلمة بإله المسيح أو رب المسيح. وينكر قول القائلين أن الكلمة الإلهى كان يعمل فى يسوع بصفته إنسانا، وأن مجد الابن الوحيد كان ينسب إليه كشئ غريب عنه،

كما يحرم من يقول أن الإنسان الذى اتخذه الكلمة الإلهى يجب أن يعبد ويمجد مع الكلمة الإلهى، وأنه مع الكلمة الإلهى يدعى الله، كأنه متميز عنه (ومختلف عما هو كائن فيه) ولكنه يقول أننا يجب أن نقدم لعمانوئيل عبادة واحدة وتمجيدا واحدا.

أما نسطور فيحرم من يقول أن ابن الله بعد اتخاذه الإنسان، صار واحدا بالطبيعة أو بالطبع. أو من يقول أن أحدا غير المسيح بعد التجسد يمكن أن يسمى باسم الله الكلمة. أو من يقول أن «صورة العبد» التى كانت مع الله الكلمة لم يكن لها ابتداء، أو أنها كانت غير مخلوقة شأنها شأن الله الكلمة بدلا من أن يقر أنها مخلوقة بواسطة الله الكلمة، باعتبار أنه ربها وخالقها وإلهها بالطبيعة.

ويقول نسطور أيضا لا يجوز لنا أن نقول أن الإنسان الذى خلق من العذراء هو الابن الوحيد الذى ولد من الآب قبل نجمة الصبح، ولو أنه معروف بلقب الابن الوحيد بسبب اتحاده بمن هو بحسب طبيعته الابن الوحيد للآب، وفيما يتصل بمسألة العبادة يجيب نسطور قائلا أن العبادة لا يمكن أن تقدم «لصورة العبد» ذاتها لأن «صورة العبد» لا تحترم إلا بفضل الشركة التى تصل بها وتربطها مع طبيعة الابن الوحيد التى هى مقدسة وسامية بطبيعتها.

٩ ـ يستنكر القديس كيرلس التعليم القائل أن الرب الواحد يسوع المسيح قَبِلَ مجدا من الروح واستخدم القوة التى له بواسطة الروح، باعتبارها ليست له وخارجة عنه، كما قَبِل أو أخذ من الروح قوة الفعل لإخراج الأرواح النجسة وصنع المعجزات على الناس، وينادى القديس كيرلس أن الروح التى بواسطتها صنع الرب يسوع المسيح هذه العلامات كانت روحه هو (وهذا ضد تعليم المدرسة الأنطاكية فيما يتصل بالروح القدس، وخاصة تعليم ثيودوروس).

أما نسطور فيحرم القائلين بأن الروح القدس مساو فى الجوهر «لصورة العبد» ولا يفسرون معجزات الشفاء وقوة إخراج الشياطين عن طريق الاتصال والاقتران الذى يوجد بين الروح والله الكلمة من نفس تصوّره.

١٠ ـ يحرم البابا كيرلس الرأى القائل بأنه لم يكن كلمة الله نفسه الذى أصبح رئيس كهنتنا ورسولنا وإنما «الإنسان الذى ولد من إمرأة» الذى ينظر إليه على إنفراد متميزا من «الكلمة» كما يحرم الرأى القائل بأن كلمة الله قَدَّم الذبيحة عن نفسه وعنا.

أما نسطور فيقول أن رياسة الكهنوت والرسولية هى لعمانوئيل وليست للكلمة، وأن أجزاء القربان كان ينبغى أن تنسب إلى الذى وحّد كل على حدة، معينا ما لله لله ومالإنسان للإنسان، وهذا معناه فيما يبدو أن اللوغوس هو الذى يوحّد وأنه يقدم ذبيحة الناسوت الذى اتحد.

١١، ١٢ ـ وفى الختام يطلب القديس كيرلس الاعتراف بأن جسد الرب محيى، وأنه يختص

بكلمة الله الآب. ولا يجوز أن يعتبر الجسد خاصا بأحد آخر ممن يقترن به فقط أو يتمتع بالسكنى الإلهية. إن جسد الرب محيى من حيث أنه أصبح جسد الكلمة، الذى له القدرة على أن يحيى جميع الكائنات، ويجب أن نعترف بأن كلمة الله تألم فى الجسد، وأنه صلب فى الجسد، وذاق الموت فى الجسد وأصبح البكر من بين الأموات.

أما نسطور فيصر على أن الجسد الذى اتحد مع كلمة الله، ليس محييا بأية خاصية فى طبيعته، وأن الله الكلمة لم يصر جسدا فيما يختص بجوهره، وأن آلام الجسد ينبغى ألا تنسب إلى كلمة الله والجسد الذى اتحد به، بدون تمييز بين درجات الشرف التى تتعلق بالطبائع المختلفة.

قيمة تلك الحروم

من الواضح فيما يتصل بجميع النقاط تقريبا التى تضمنتها تلك الحروم، أن كل فريق قد وضع فى صورة قائمة كل النتائج التى يمكن استخلاصها من تعليم الفريق الآخر، ولم يكن نسطور يجيب على حروم البابا كيرلس بالنفى المباشر إلا نادرا. كان دائما يتصور فى باطن كل فكرة سببا لرفضها على أنها فكرة باطلة، ولهذا كان يستنكرها. وكذلك الأمر فيما يتصل بحروم البابا كيرلس إذ يبدو أنها كانت تنصب على ما يمكن أن يستنبط من تعليم نسطور، أكثر مما كانت تنصب على تعبيرات نسطور نفسها. على أن حروم البابا كيرلس لاقت قبولا إجماعيا، ولو أن بعض هذه الحروم اتهم بالأبوليناريوسية، ولاسيما من جانب المدرسة الأنطاكية ولهذا عارضها على الخصوص يوحنا الأنطاكى وثيودوريت. وقد قرئت هذه الحروم مع الرسالة التى ذيلت فيها، فى مجمع أفسس، وصودق عليها ولكن لم يلتفت إليها فى مجمع خلقيدونيا.

رسالة البابا كيرلس

نسب إلى الرسالة الثانية للبابا كيرلس كثير من الاعتبار، وهى الرسالة المعروفة بالرسالة العقيدية، كتبها فى الشهور الأولى لسنة ٤٣٠م (١) وقد صادق عليها المجمعان. وفيها أخذ القديس كيرلس على نفسه مهمة شرح قانون الإيمان، وماذا يعنيه من أن كلمة الله تجسد وتأنس ومالا يعنيه.

أنه لايعنى أن هناك تغيرا فى طبيعة الكلمة، أو أنها تغيرت إلى إنسان ككل (جسدا ونفسا) وإنما بالحرى أن الكلمة وحّد نفسه أقنوميا مع جسد ذى نفس ناطقة، وقد صار إنسانا بصورة لاتوصف ولايمكن إدراكها، ودعى «ابن الإنسان» ليس لمجرد أنه أراد ذلك أو سر به ولا بمعنى

---

(١) وقد نشرها هيرتلى Heurtley كاملة فى كتابة De fide et symbolo ص ١٨٢ وما يليها، كما نشر الجزء الأكبر منها فى كتاب Hahn ص ٣١٠.

أنه قد لعب دورا فقط، ولكن بينما أن الطبيعتين اللتين اجتمعتا معا لتؤلفا وحدة، هما مختلفتان، تكّون منهما مسيح واحد وابن واحد. لكن الإختلاف بين الطبيعتين لم يزل بسبب الاتحاد، بل بالحرى أن اللاهوت والناسوت قد تلاقيا بصورة غريبة لا يعبر عنها ليؤلفا منهما اتحادا، وفعلا قد نتج لنا من اتحادهما الرب الواحد والابن الواحد يسوع المسيح. إنه بهذا المعنى قيل عنه أنه ولو أنه كائن قبل الدهور ومولود من الآب منذ الأزل إلا أن له مع هذا ميلادا بالجسد، حيث أنه من أجلنا ومن أجل خلاصنا قد اتخذ له طبيعة بشرية واتحد بها كاقنوم، وولد من إمرأة. وليس هذا معناه «أن إنسان عاديا ولد أولا من القديسة العذراء، وبعد ذلك نزل الكلمة عليه» ولكن معناه «حيث أن الاتحاد قد تم فى رحم العذراء نفسه»، فقد قيل أنه ولد جسديا حيث أنه قد جعل ميلاد جسده ميلادا له».

وبالمثل يمكن أن نفسر كيف تألم وقام من بين الأموات، إن اللاهوت لايمكن أن يتألم من حيث أنه غير جسداني. والكلمة الإلهى لم يقبل فى طبيعته (الإلهية)، الضرب أو ثقب المسامير، أو الجراحات الأخرى «ولكن حيث أن الجسد الذى أصبح جسده هو الذى احتمل هذه الأمور، فلذلك قيل انه هو نفسه قد تألم عنا. لأن الذى لا يمكن أن يتألم كان فى الجسد الذى كان يتألم «وعلى هذا النحو نقول أن كلمة الله بطبيعته خالد وغير فان، وهو الحياة وواهب الحياة». ولكن من حيث أن جسده هو الذى بنعمة الله قد ذاق الموت عن كل واحد، قيل عنه أنه هو نفسه قد احتمل ذلك الموت عنا، غير أنه طبعا لم يذق الموت فى طبيعته ـ فمن الجنون أن نقول بهذا أو حتى أن نفتكر فى هذا ـ ولكن (بمعنى) أن جسده قد ذاق الموت، وبالمثل فإن جسده هو الذى قام ولهذا قيل أن القيامة هى قيامته هو.

ولما كان اللوغوس واحدا تماما مع اللحم والبدن اللذين له، لهذا فنحن نعترف بمسيح واحد ورب واحد. ونعبده لأنه الواحد بعينه (وليس كما لو أننا نعبد إنسانا مع اللوغوس) ولا نجعل أى تفريق فى هذا الخصوص بين اللوغوس والناسوت، وإذا اعترض أحد على هذا الاتحاد الاقنومى وقال أنه لايمكن إدراكه أو أنه غير مستساغ، فإنه لا يستطيع أن يفلت من خطأ الكلام من «ابنين»، ولكن لايجوز أن يقسم الرب الواحد يسوع المسيح إلى ابنين، ثم أنه لامصلحة لنا فى الكلام بطريقة تشاؤمية عن اتحاد «أشخاص»، لأن الكتاب المقدس لم يقل أن اللوغوس قد وحد معه شخص الإنسان، بل قال أنه صار جسدا، وقوله أن الكلمة صار جسدا هو تماما القول بأنه أخذ دما ولحما كما نحن، أى أن الناسوت الذى أخذه كان غير شخص، أما كيفية الاتحاد ونتيجته فقد كانت شخصية ثم أنه ظل الله دائما، وولادته البشرية فى الزمان لم تنقص من ولادته الإلهية منذ الأزل، أنه جعل جسدنا جسده وولد من إمرأة كإنسان، ولم يفقد بهذا كونه هو الله وكونه مولودا من الله أبيه، فمع أنه اتخذ له جسدا لكنه ظل كما كان.

«ويقول القديس كيرلس أن الإيمان الذى علَّم ويعلم به هو الإيمان الذى علمت وتعلم به الكنيسة دائما. فتعليمه هو تعليم الكنيسة بكل تدقيق. ويختم البابا كيرلس رسالته بشرح لاستعمال تعبير» والدة الإله θεοτὸκος بهذا المعنى جرؤ الآباء القديسون على أن يتكلموا عن القديسة العذراء ويصفوها بأنها «والدة الإله» θεοτὸκος لابمعنى أن طبيعة اللوغوس أو لاهوته قد قبل من القديسة العذراء ابتداء وجوده، ولكن بمعنى أن الجسد المقدس قد ولد فيها واتخذ نفسا ناطقة.

وحيث أن اللوغوس قد اتحد بهذا الجسد اتحادا اقنوميا، فقد قيل أن اللوغوس قد ولد جسديا، ومعنى هذا أن العذراء هى والدة الإله لأنها ولدت الإله المتأنس، لا لأنها أصل اللاهوت أو مصدرا له.

تعليم الآباء القديم في الكنيسة
خاصة بهذا الموضوع

لاشك أن القديس كيرلس كان محقا كل الحق في استناده في تعليمه إلى آباء الكنيسة، فقد كان يستعمل أحيانا ذات الألفاظ التي استعملها السابقون عليه من الآباء، من أمثال ترتليانس وأوريجينوس، وأثناسيوس الرسولي وهو أعظم معلمي الكنيسة بلا منازع.

فترتليانس في رسالة له ضد براكسياس Praxeas يقول أن الله أزلي لايقبل التغير، ولا يمكن أن يتحول. فإن قبوله للتحول معناه أن يتوقف عن أن يكون إلها، لكن اللوغوس لم يتوقف عن أن يكون ماكانه قبلا، فإذا كان اللوغوس أصبح بالحقيقة جسدا بأية عملية من عمليات التشكل أو تغير الجوهر، فإن يسوع يصير على هذا جوهرا جديدا تكون من جوهرين، وكأنه نوع من مزيج أو خليط، فهو جوهر ثالث، ولكن ليس هناك في الواقع نوع من المزج أو الخلط، إذ أن كل جوهر لازال محتفظا بخواصه، فمن كان ابن الله بالنظر إلى اللاهوت كان إنسانا وابن إنسان نظرا إلى الناسوت.

ويقول العلامة أوريجينوس «أن اللوغوس صار جسدا ومع ذلك بقى إلها كما كان»(١) ثم «إن ابن الله الذي به خلقت جميع الأشياء يسمى يسوع المسيح وابن الإنسان. فابن الله قيل أنه مات، ولكن بالنظر إلى تلك الطبيعة التي يمكن أن تقبل الموت، والذي أعلن عنه أنه يزمع أن يأتي في مجد الله الآب مع الملائكة القديسين يسمى ابن الإنسان. ولهذا السبب، فإنه في كل الكتب المقدسة تطبق المحمولات الإنسانية على الطبيعة الإلهية بل والطبيعة الإنسانية تزين بألقاب الكرامة الإلهية» (٢). ويقول أوريجينوس أيضا في تفسيره للرسالة إلى الرومانيين Commentary on the Epistte to the Romans «أنه بسبب الاتحاد الذي لاينفك بين الكلمة والجسد، كل شئ يختص بالجسد ينسب أيضا إلى الكلمة وكل ما يختص بالكلمة يحمل على الجسد» (٣).

وكتب القديس أثناسيوس الرسولي فيما يختص بالآلام وسائر تجارب الطبيعة البشرية يقول: «لهذا السبب فإن صفات الجسد الخاصة كالجوع والعطش والتعب وما إليها مما هو في إمكان الجسد تحمل عليه (أو توصف كأنها له) لأنه هو كان فيها، بينما من جهة أخرى، إن الأعمال الخاصة باللوغوس نفسه كإقامة الموتى، ورد البصر إلى الأعمى وشفاء المرأة النازفة الدم، قد صنعها بجسده. وقد احتمل اللوغوس ضعفات الجسد كأنها ضعفاته هو لأن الجسد كان جسده.

---

(١) كتاب المبادئ لأوريجينوس المقدمة ف٤.
(٢) كتاب المبادئ لأوريجينوس جزء ٢ ف ٦ ف ١٣.
(٣) أورد هذا النص المؤرخ هيفليه Hefele في كتابه المجامع Councils جزء ٣ ص ٨.

والجسد خدم أعمال اللاهوت لأن اللاهوت كان فيه، إذ أن الجسد كان جسد الله، وعندما تألم الجسد لم يكن اللوغوس خارجا عنه، ولهذا فإن الآلام كانت آلامه هو، وعندما اجترح باسلوب إلهى أعمال ابيه لم يكن الجسد خارجا عنه. ولكن الرب صنعها فى الجسد نفسه (١).

ويقول فى موضع آخر «لأنه هو نفسه يسمح أن تحمل عليه الصفات الخاصة بالجسد، حتى يتبين أن الجسد لم يكن جسد غيره بل جسده هو عينه» (٢).

---

(١) أثناسيوس : الخطب ضد الأريوسيين : خطبة ٣ف ٣١ ـ ٣٣ قارن أيضا خطبة ٤ف ٦,٧.

(٢) De sent - Dionys : ٢٦ قارن أيضا. Epiphantus Ancorat 36 & 95.

Epiphanius, adu. Haer. 69:24, 42 ; 72 ; 23.

مجمع أفسس سنة ٤٣١
وانتصار البابا كيرلس

وقع الأمبراطور ثيئودوسيوس تحت تأثير نسطور، فاتهم القديس كيرلس بأنه يعمل على تعكير السلام وإثارة الشغب، فدعا باتفاق الأساقفة إلى مجمع مسكونى لمعالجة المسائل المختلف عليها، فانعقد فى أفسس فى أيام الخمسين المقدسة من السنة التالية أى فى سنة ٤٣١م.

وقد وصل إلى أفسس نسطور ومعه أساقفته، كما وصل إليها البابا كيرلس ومعه نحو خمسين أسقفا من أساقفته، وصلوا جميعا قبل الموعد المحدد لإنعقاد المجمع. وبعد بضعة أيام من عيد العنصرة كان قد وصل معظم الذين وجهت إليهم الدعوة للإجتماع. ومع ذلك لم تكن وصلت بعض الشخصيات الهامة : منهم يوحنا مطران انطاكية وأساقفة ايبارشيته فقد تأخروا فى الطريق، وكانوا قد أرسلوا كلمة أنهم قادمون على وجه السرعة ما أمكنهم ذلك. ويقال كما ذكر هيفيلية فى كتابه المجامع (١) . أن إثنين من الأساقفة من إيبارشية أنطاكية رويا أن يوحنا أمرهما أن يبلغا البابا كيرلس أن يعقد المجمع ولا ينتظر حضوره، مما دعا البعض إلى الإعتقاد أن المطران يوحنا لم يشأ أن يكون حاضرا إدانة نسطور، وهو قسيسه السابق وصديقه. ومع ذلك فإن الأسقفين الآنفى الذكر قد وقّعا بعد ذلك على احتجاج ضد أعمال البابا كيرلس فى مجمع أفسس، ومهما يكن من أمر، فالمعروف أن البابا كيرلس انتظر أياما كثيرة حتى يصل يوحنا وأساقفته فلم يصلوا، فاعتزم أن يفتتح المجمع، وفعلا عقد أول جلسة للمجمع فى صباح يوم ٢٢ يونيو سنة ٤٣١، على الرغم من اعتراض مندوب الأمبراطور ونحو سبعين أسقفا (منهم ثيودوريت Theodoret of cyrrhus) وعلى الرغم من رفض نسطور الظهور أمام المجمع. وقد دام انعقاد تلك الجلسة فى ذلك اليوم الأول من الصباح إلى المساء، استصدر المجمع فيها قرارا إجماعيا من مائتى أسقف بحرم نسطور. وقد تعرّض نسطور وأصدقاؤه لبعض أعمال العنف من جانب شعب مدينة «أفسس» ولكن حرس المندوب الأمبراطورى كانوا فى حماية نسطور وأتباعه، فأوقفوا امتداد وسائل العنف التى قام بها شعب المدينة، وحدث بعد ذلك بأيام أن وصل يوحنا الأنطاكى يصحبه أربعون أسقفا سوريا.

وفى الحال عقد مجمعا حكم فيه بتجريد البابا كيرلس وميمنون Memnon أسقف أفسس من درجاتهما الكهنوتية، بحجة عدم قانونية الاجراءات التى مضيا فيها. ولكن المجمع برياسة البابا كيرلس أخذ يوالى عقد جلساته، وحاول يوحنا الأنطاكى وأتباعه أن يكسبوا تأييد الأمبراطور لقرارهم، واتهموا البابا كيرلس بالآبوليناريوسية وبأعمال العنف والظلم. فقرر الأمبراطور اعتماد قرارى الفريقين. وعلى ذلك أمر باعتقال البابا كيرلس وميمنون أسقف أفسس ثم نسطور أيضا، وسجنهم جميعا وتم ذلك فى أوائل أغسطس من تلك السنة. وعاد الأمبراطور فاطلق سراح البابا كيرلس وميمنون الأفسسى، أما نسطور فظل حبيسا فى ديره القديم، دير يوبريبوس Euprepius وحل محله فى كرسيه أسقف جديد.

---

(١) مجلد ٣ ص ٤٥.

شروط الاتفاق بين البابا كيرلس والأنطاكيين

وثيقة الاتحاد

لم يقنع الأنطاكيون بما صارت إليه الأمور، وتدخل بعض الراغبين فى السلام للوصول إلى اتفاق بين الطرفين. وبعد بحث طويل اتفق على أن يرسل إلى الأسكندرية رسول يحمل معه صيغة لقانون إيمان جديد لعلها تنال رضى القديس كيرلس واستحسانه. وفعلا جاء الرسول إلى الأسكندرية وهو بولس أسقف ايميسا Emesa، وكان ذلك فى عام ٤٣٣ . وقد اشتملت الصيغة الجديدة على ما يأتى :

«لذلك نعترف بربنا يسوح المسيح ابن الله، الابن الوحيد. الإله التام والإنسان التام، وهو ذو نفس عاقلة وجسم : وهو مولود من أبيه من حيث لاهوته قبل الأجيال. ولكنه ولد فى الأيام الأخيرة من أجلنا ومن أجل خلاصنا، من مريم العذراء من حيث ناسوته : وهو مساو للآب فى الجوهر من حيث لاهوته، ومساو لنا من حيث ناسوته، فإنه قد تم اتحاد بين الطبيعتين، لهذا فنحن نعترف بمسيح واحد، ابن واحد، رب واحد، وتبعا لهذا الإعتقاد بالاتحاد من غير اختلاط، نعترف بالقديسة العذراء أنها والده الإله θεοτὸκος ، لأن الله الكلمة قد تجسد وتأنس، وبنفس الاعتقاد قد وحّد مع ذاته الهيكل الذى قبله منها (من العذراء) ونحن نعلم، أن اللاهوتيين ينسبون بعض تعبيرات الإنجيليين والرسل فيما يختص بالرب، كأنها تشير بصفة عامة إلى أقنوم «شخص» واحد، ويخصصون تعبيرات أخرى بأنها تشير إلى طبيعتين، فما كان منها ذا طابع إلهى يشير إلى لاهوت المسيح، وأما الوضيعة منها فتشير إلى ناسوته».

والملاحظ فى هذه الصيغة الجديدة أنها توافق الأنطاكيين أكثر مما توافق رأى الأسكندرية، ولكنها اعترفت صراحة بتلقيب العذراء بوالدة الإله، كما استخدمت لفظة الاتحاد بدلا من اتصال أو اقتران أو مصاحبة وما إليها من تعبيرات.

وقبل البابا كيرلس هذه الصيغة وأدرجها فى جوابه، وقبل يوحنا الأنطاكى من جانبه الحكم الذى صدر بحرم نسطور، كما وافق على حرم «تعاليم نسطور الفاسدة» وزاد البابا كيرلس فدافع عن نفسه فى رسالته ضد الذين أساءوا فهم موقفه، أو تفهم عبارته، وقد سأل يوحنا الأنطاكى مساعدته فى منع الأفكار العقيمة القائلة بالخلط أو المزج بين اللوغوس والجسد، أو بأى نوع من التغير على الاطلاق فى الطبيعة الإلهية «إذ أن الطبيعة الإلهية تبقى دائما على ما كانت، ولايمكن أن تتغير».

عدم رضى الفريقين بهذه التحديدات

على أن ذلك الاتحاد لم يكن مرضيا لكل من الفريقين، وذهب بعض أتباع البابا كيرلس إلى

أنه قد أقر الأخطاء النسطورية، وآخرون أساءوا فهم المصطلحات والتعبيرات التى عبر بها كيرلس، ولكن آخرين ذهبوا إلى أبعد من هذا، فأنكروا صراحة التعليم الذى علم به كيرلس. أما البابا كيرلس فقد كتب عدة رسائل يشرح فيها معنى الاتحاد الذى يقول به بين اللاهوت والناسوت(١)، وقال إن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت اتحاد كامل من غير اختلاط بينهما. والخطأ الذى وقع فيه النساطرة هو أنهم لم يعترفوا باتحاد حقيقى بين اللاهوت والناسوت. ويقول كيرلس أننا لانجيز الفصل بين الطبيعتين، ونعلم فقط بالتمييز بينهما تمييزا ذهنيا. وفيما يتصل بالأفعال المنسوبة إلى السيد المسيح فى الكتب المقدسة، لانقول أن بعضها يختص فقط بكلمة الله وبعضها الآخر يختص فقط بابن الانسان، وإنما نقول أن بعضها يختص فقط باللاهوت والبعض الآخر يختص فقط بالناسوت. وهذه وتلك على السواء تنتسب إلى الابن الواحد بعينة.

فالبابا كيرلس يقر بكل وضوح بالتمييز بين اللاهوت والناسوت، ويصر على أنه ليس ثمة أى نوع من الاختلاط أو المزج بين اللاهوت والناسوت. ولو أنه يعود إلى التوكيد بأن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت اتحاد كامل تام، بحيث أن التمييز فى المسيح المتجسد بين لاهوته وناسوته تمييز ذهنى لا واقعى، وتمييز فى أذهاننا نحن لا فى شخص المسيح وأقنومه. وأن مركز الشخصية فى المسيح كان هو الكلمة الذى «ظل دائما على ما كان عليه» قبل التجسد.

هذا التعليم الذى علم به كيرلس ماكان للنساطرة أن يقبلوه، وظنوه تعليما يتعارض مع الاعتراف الكامل بناسوت المسيح.

مناحى القوة ومناحى الضعف
فى البدعة النسطورية

لعل قوة المذهب النسطورى تبدو أوضح ماتكون فى ادراكها الواضح لحقيقة ناسوت السيد المسيح. قالوا أن مخلص البشر اجتاز تجارب الحياة التى يجب أن يجتاز بها أى إنسان عادى، وإذن فلقد أدت النسطورية للكنيسة خدمة جلّى فى هذا السبيل، إذ أكدت كمال ناسوت الفادى، فقطعت الطريق أمام كل نظرية تنفى عمليا ناسوت المسيح وتهدم عمل الفداء من أساسه.

ولكن ما أعطته النسطورية بإحدى يديها انتزعته باليد الأخرى، ذلك أنها فشلت فشلا كاملا فى بيان أن لاهوت المسيح وناسوته قد اجتمعا معا فى اتحاد كامل من غير اختلاط ولا امتزاج

---

(١) منها رسالة إلى اكاكيوس وهى الرسالة رقم ٤٠ ورسالة إلى يولوجيوس Eulogius وهى الرسالة رقم ٤٤، ورسالة إلى فاليريان وهى الرسالة رقم ٥٠، والرسالة إلى سكسسوس Successus وهى الرسالة رقم ٤٥، راجع مجموعة منى Migne مجلد ٧٧ ص ١٨١ وما يليها ثم المجامع الهيفيلية جزء ٣ ص ٢٤٠ وما يليها.

ولا تغيير، اتحاد حيٌ دائم لايقبل الانفكاك أو الانحلال. إن النسطورية قالت بنوع من الاتحاد، أو هو فى الحقيقة على حد تعبير نسطور هو اقتران أو مصاحبة أو ازدواج، وإذا كان يمكن أن يسمى اتحادا فهو اتحادا أدبى أو أخلاقى، أو بالحرى هو اتحاد خارجى، وليس اتحادا حقيقيا حيا ثابتا، هو اتحاد أقرب ما يكون إلى نوع من التآلف بين كائنين متميزين فى طبيعتهما وجوهرهما. ومن هنا فإن النسطورية قد أساءت إلى حقيقة التجسد وبالتالى إلى حقيقة الكفارة والفداء، فجعلت التجسد بلا معنى، وأفرغته من كل قيمته ومعناه. وإذا كان هدف التجسد هو الفداء، فقد جعلت الفداء أيضا بلا ثمر. لأن قيمة الفداء هى فى أن الذى مات عن البشر هو الإله المتأنس، ولاتصير له هذه القيمة إلا على أساس الاتحاد الكامل الحقيقى بين اللاهوت والناسوت، لقد قال النساطرة أن المسيح كان إلها وإنسانا معا. وكانت له خبرات الطبيعتين فآمنوا بطبيعتين فى المسيح اجتمعتا معا فى نوع من الازدراج كما قلنا. وبذلك فشلوا تماما فى إدراك فكرة أن الله صار إنسانا، وهو المعنى الذى أوضحه الإنجيل وفهمته الكنيسة الجامعة الرسولية، أن الله تنازل ليولد كإنسان، إتضع ليتخذ طبيعة بشرية، ويحيا حياة بشرية، ومن دون أن يفقد شيئا من ألوهيته. وفى هذا ينحصر معنى الاتحاد الحقيقى الذى لايقبل بحال ما نوعا من الإنحلال، بينما أن النساطرة فهموا المسألة منذ الابتداء على أساس استبعاد إمكانية الاتحاد بالمعنى الحقيقى، فلم يبلغوا أبدا إلى فهم حقيقى لمعنى التجسد.

هذا وإن إعتقاد النساطرة فى ربنا يسوع إعتقاد مهين للاهوته. ذلك أن المسيح عندهم هو فى الحقيقة «إنسان لابس الله» أو «إنسان ملتحف بالله». (ἄνθρωπος θεοφὸρος) ذلك أن النساطرة يلحون دائما على ناسوت المسيح، ويعتبرون الناسوت هو نقطة البداية فى نظريتهم، فهم يعتبرون المسيح إنسانا اقترن الله به بطريقة أخرى غير الاتحاد الحقيقى، وبلغة أخرى هى اتصال أو مصاحبة συνάφεια وليست اتحادا ἕνωσις .

وعلى ذلك فأقنوم المسيح اقنوم مركب إنسان وإله. ابن الإنسان وابن الله، أى أن هناك ابنين فى أقنوم المسيح. فالمسيح الذى يعلمون به ليس هو الله اللابس الناسوت θεὸς ἄνθρωπο φὸρος بل بالحرى الإنسان اللابس الله.

ἄνθρωπος θεοφὸρος θὲοφορος ἄνθρωπος

وفى هذه الحالة يكون المسيح فى نظر النساطرة إنسانا أولا، ثم نال نعمة خاصة من الله، فسَر «الله به، وسكن فيه، فهو إنسان سكن الله فيه. ويمكن تفسير معتقدهم أيضا فى المسيح أنه θεοφὸρος ανθρωπος بمعنى أنه الإنسان المحمول بالله أو الملهم بالله، ولو أن المعروف أن النساطرة فهموها بالمعنى الأول. وسواء فسرت العبارة بالمعنى الأول أو بالمعنى

الأخير، فالمسيح عندهم ليس هو الله المتأنس، وإنما هو إنسان ملتحف بالله أو ملهم بالله. فهو والحالة هذه لا يكاد يفترق كثيرا عن إنسان تقي أو قديس. ومن عبارات نسطور الكفرية والتى اقتبسها البابا كيرلس فى مهاجمته للنسطورية قوله (١)، إنى من أجل الذى حمل أُوقِر المحمول، ومن أجل غير المرئى أعبد المرئى، . وقوله (٢)، إن الذى رفع يسمى الله (يشارك فى اسم الله) بمصاحبة الذى رفعه، .

ومن هاتين العبارتين يتضح أنه ليس للمسيح فى نظر النساطرة إلا دور سلبى، والفعل كله منسوب لله، مما يتبين معه أن المسيح فى عقيدتهم ليس هو الله عينه.

ثم أن النساطرة وقعوا فى خطأ جسيم لأنهم اعتقدوا أن اللوغوس اتخذ إنسانا، وفى هذه الحالة لا يكون العمل الكفارى للمسيح خلاصا للجنس البشرى بأسره، وإنما يصير الخلاص لفرد واحد فقط.

وهذه هى النتيجة الوخيمة التى تسلم إليها بدعة نسطور وتعليمه الفاسد.

وهذا يقودنا إلى نقطة أخرى ذلك أن النساطرة يقولون بالجمع بين اللوغوس وإنسان فى ثنائية صريحة، وهم على قول البابا كيرلس يقولون بأقنومين وبإبنين فى مركب هو أقرب إلى مزيج أى خليط منه إلى اتحاد بالمعنى الدقيق.

بينما ينكر الأرثوذكسيون هذه الثنائية وينادون بالاتحاد بين اللاهوت والناسوت فى أقنوم واحد وطبيعة واحدة، جمعت بين صفات وخصائص اللاهوت والناسوت معا على أن مركز الشخصية أو الأقنومية فى الكلمة الذى كان هو الله وصار إنسانا هو فى اللاهوت، لأن الناسوت غير مشخص، وعلى ذلك فالاقنوم الذى اتخذ أحوال الحياة الإنسانية وقبل الحد من حياته الإلهية لسبب تلك الأحوال الإنسانية، هو اقنوم اللاهوت الذى اتخذ الأحوال والخبرات والصفات الإنسانية فصارت أيضا أحواله وخبراته وصفاته.

---

(١) διά τὸν φοροῦντα, τὸν φορούμενον σέβομαι διά

(٢) τον ἄὸρατον προσκυνῶ τὸν ὁρώμενον
ὁ ληφθεις τῷ λαβόντι συγχρηματιζει θεὸς

قمع النسطورية وإخمادها فى نطاق الأمبراطورية

يبدو أن بطريرك أنطاكية رأى أنه لامفر من الإستعانة بالقوة المدنية لقهر النسطورية، وعلى ذلك نقل نسطور فى سنة ٤٣٥ من ديره ونفى إلى بترا Petra فى شبه جزيرة العرب، وبعد قليل نفى إلى بتوليمايس Ptolemais التى كان يرسل إليها أشر المجرمين، ويبدو أن نسطور كان لايزال حيا فى سنة ٤٣٩ عندما كتب سقراط كتابه، ويروى مخطوط قبطى عن حياة البابا ديوسقورس أن نسطور دعى لحضور مجمع خلقيدونيا فى سنة ٤٥١. ولانعلم على وجه الدقة متى وأين مات.

وقد أمر الأمبراطور بحرق جميع مؤلفاته، ولكن أتباعه عملوا بالأكثر على نشر مؤلفات ديودورس وثيودوروس، وترجموها إلى لغات أخرى (كالسريانية والأرمنية والفارسية) وخلع عدد كبير من أساقفتهم ونفوا من كراسيهم. وكانت نتيجة للإجراءات المشددة التى اتخذت مع النساطرة. أن قمعت البدعة النسطورية فى كل أنحاء الأمبراطورية، وقد وجدت وقتا ما ملجأ لها فى مدرسة أدسا Edessa ولكن لما أغلق الأمبراطور زينون هذه المدرسة اللاهوتية المشهورة فى سنة ٤٨٩ فقدت النسطورية آخر معقل لها فى الأمبراطورية.

الكنيسة النسطورية
(الســـــريانية الشرقيـــــــة)

وضع الأساقفة النسطوريون المنفيون من كراسيهم أساس الكنيسة السريانية الشرقية كما سميت. وقد وجد النساطرة ملجأ لهم فى مدرسة أدسا Edessa التى امتدت شهرتها العظيمة أجيالا، واعتبرت أنها أعظم مركز أدبى للديانة المسيحية فى بلاد أرمينيا وسوريا وخالديا والفرس وكان رئيسها فى وقت انعقاد مجمع أفسس أى سنة ٤٣١م، هو ايباس Ibas وهو فارسي الجنس وتلميذ مخلص لثيودوروس اسقف موبسويستا Mopsuesta وبعد مجمع أفسس طرده الأسقف رابولاس Rabulas من وظيفته (علماً أن رابولاس هذا كان هو نفسه نسطوريا قبل ذلك)، فنشر ترجمة مؤلفات ثيودوروس بين المسيحيين فى بلاد الفرس، وفى سنة ٤٣٥ اختير أيباس أسقفا لأديسا خلفا لرابولاس، فانتعشت النسطورية وازدهرت كثيرا، وأخيرا أغلق الأمبراطور زينون Zeno مدرسة أديسا فى سنة ٤٨٩م، ولكنها انتقلت إلى نيسيبيس Nisibis فازدهرت أكثر من أى وقت مضى، ذلك أن برسوماس Barsumas أسس هناك فى نيسيبيس مدرسة نسطورية، وقد نال النساطرة وحدهم دون جميع المسيحيين مساندة ملك الفرس. وعلى الرغم مما عاناه النساطرة من اضطهاد من وقت إلى آخر، فقد انتشرت مدارسهم وإرسالياتهم انتشارا سريعا فى بلاد الفرس والهند بل ووصلوا حتى إلى الصين، (حيث عثر اليسوعيون فى سينجانفو Singanfu على نقش مكتوب باللغتين الصينية والسريانية يروى قصة إرسالية نسطورية كانت تعمل هناك إلى سنة ٦٣٦م) وأخذت الكنيسة النسطورية تمتد فى نشاطها وقوتها إلى أن صارت فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر أكبر كنيسة مسيحية فى العالم، فكانت هى الكنيسة المسيحية فى الشرق الأقصى. وذلك يرجع إلى نشاطهم التربوى والتبشيرى، ولهم رئيس روحى هو البطريرك أو الكاثوليكوس وكان يقيم سابقا فى سلوكيا كتسيفون Seleucia ctephon وأصبح بعد ذلك يقيم فى بغداد ويخضع لرياسته نحو خمسة وعشرين مطرانا، وظل النساطرة يتمتعون بحماية الخلفاء لهم فى بغداد، وكانوا يشغلون المناصب الهامة فى الدولة، ولكن لما صار التتار فى الحكم، عانى النساطرة اضطهادا شديدا حتى غزا تيمورلنك البلاد فى القرن الرابع عشر فساد فيها الدمار، ومحا الكنيسة هناك تقريبا، ولم يبق منها إلا نفر قليل.

وعلى الرغم من الاضطهادات المريرة والآلام التى لاتصدق التى عاناها النساطرة، فلا يزال عدد منهم باقيا فى جبال كوردستان Kurdistan وسهولها (جزء منهم فى تركيا وجزء آخر فى ايران) ولم يكن الغربيون يعلمون عنهم شيئا قبل بعثة وادى الفرات سنة ١٨٣٥م.

وفى أوائل يناير (كانون الثانى) عام ١٩٥٨ أبدى بضعة آلاف من النساطرة بالعراق،

رغبتهم فى الإنضمام إلى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية برياسة غبطة ماراغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية. وسائر الشرق للسريان الأرثوذكس، وأعادوا الكرة فى ٢٩ أغسطس من تلك السنة، وكتبوا مضبطة رسمية موقعا عليها من زعمائهم، قدموها إلى نيافة مطران السريان الأرثوذكس فى الموصل بالعراق، كما قدموا صورة منها إلى وزارة الداخلية العراقية، وأخرى إلى متصرفة لواء الموصل يعلنون فيها حقيقة إنضمامهم إلى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، وبعد أن كتب غبطة البطريرك السريانى إلى إخوته المطارنة يستشيرهم فى الأمر، قرر قبول أولئك النساطرة فى شركة الكنيسة، وأسس لهم إيبارشية خاصة بهم فى العراق، ورسم لهم مرشحهم شاليطا بن زيا مطرانا عليهم باسم إيثاوس شاليطا، وكان ذلك فى صباح الأحد ٢٣ نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩٥٨.

ويقدر عدد النساطرة الذين إنضموا الى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية بخمسة عشر ألفا.

الأوطاخية

الأوطاخية

كان رجل يسمى أوطاخى أو بوطيخا εὔτυχη وهو راهب ممن كان يشغل منصب أرشيمندريت ἀρχιμανδρίτης أى رئيس دير خارج مدينة القسطنطينية، وكان يتمتع بمكانة كبيرة عند الامبراطور، شغل أوطاخى بالمشكلة اللاهوتية القائمة بين الأرثوذكسية من جانب، والنسطورية من جانب آخر. وكان هو نفسه عدوا لدودا للنسطورية أخذ يقاومها فى عنف، وفى غيرة جامحة حتى أدت به مقالاته فى مهاجمة النسطورية إلى أن يسقط هو فى بدعة جديدة على نقيض البدعة النسطورية، هذه البدعة الجديدة هى التى عرفت فى تاريخ الكنيسة بالبدعة الأوطاخية نسبة إلى أوطاخى.

أوطاخى أمام مجمع القسطنطينية المحلى (أو الإقليمى)

تحمس أوطاخى للبابا كيرلس بشدة، وتمسك فى قوة بعبارته المشهورة : (طبيعة واحدة بعد الاتحاد).

وكان يتهم بالنسطورية كل من يتحدث عن طبيعتين فى السيد المسيح. لذلك اتهمه يوسابيوس أسقف دوريليوم بأنه له ميولا أبوليناريوسية مع أن يوسابيوس كان صديقا حميما لأوطاخى وحليفا له فى الحرب ضد النسطورية. وقد انعقد مجمع فى القسطنطينية فى نوفمبر سنة ٤٤٨ من إثنين وثلاثين أسقفا، لمحاكمة أوطاخى لأنه مزج الطبيعتين، وقال باندماج الطبيعة الناسوتية فى الطبيعة اللاهوتية، فأثر بذلك على كثيرين من المؤمنين بتعليمه الفاسد. ورفض أوطاخى المرة تلو المرة أن يظهر أمام المجمع. وكان يجيب على الرسل الذين بعث بهم المجمع لدعوته إلى المثول أمامه بإجابات ملتوية، ولكنه امتثل أخيرا. فسأله المجمع (هل تقر بوجود طبيعتين حتى بعد التجسد، وأن المسيح مطابع لنا فى الجسد؟) فحاول أوطاخى أن يتملص من الإجابة على هذا السؤال إجابة مباشرة، ولكنه عاد وصرح أخيرا بأنه لم يسبق له قبل هذا الوقت أن استعمل مثل هذا التعبير، ولو أنه يسلم بأن العذراء التى أخذ منها السيد المسيح جسده مطابعة لنا، لكنه مع ذلك لايمانع فى أن يعتقد الأمر عينه فيما يتصل بجسد السيد المسيح إذا كان المجمع يطلب منه هذا الإقرار. على أن أوطاخى كان يعتقد فى الواقع بأن اللوغوس قد استوعب الطبيعة الناسوتية وابتلعها وحولها وألهها معه. وكأن الطبيعة الناسوتية بالنسبة إلى الطبيعة اللاهوتية بمثابة نقطة من الخل امتصها المحيط. ونقطة الخل فى هذا التشبيه هى كالناسوت، والمحيط يشبه اللاهوت، وعلى ذلك لم يعد جسد المسيح مطابعا لجسدنا، أى لم تعد طبيعته من طبيعة أجسادنا، بل أصبح جسده جسدا إلهيا، وأخيرا اضطر أوطاخى إلى أن يعترف

بأنه يعتقد بأن السيد المسيح من طبيعتين قبل الاتحاد، لكنه أصبح طبيعة واحدة بعد الاتحاد وهذه هى عبارته : (أقر بأن ربنا ولد من طبيعتين قبل الاتحاد، وأما بعد الاتحاد فاعترف بطبيعة واحدة).

ἒκ δΰο φΰσεως ρο τὴς ἐνὥσεως μία φΰσις μετά τὴν ἔνωσιν

ولما طلب المجمع من أوطاخى أن يحرم وينكر جميع الآراء التى تعارض رأى المجمع، وهو (أن جسد المسيح مطابع لأجسادنا، وأنه من طبيعتين) أجاب أوطاخى بأنه فى إمكانه أن ينزل على إرادة المجمع، لكنه لم يجد عبارة المجمع هذه لا فى الكتب المقدسة ولا فى أقوال الآباء. ولذلك فإنه لا يستطيع أن ينطق بحرم ويحكم به بالحرمان على آباء الكنيسة أنفسهم. وأخذ أوطاخى يؤيد تعليمه بكتابات القديس أثناسيوس الرسولى، وكتابات القديس كيرلس عمود الدين قائلا : (إنهما يتكلمان عن طبيعتين قبل الاتحاد، أما بعد الاتحاد فيتكلمان عن طبيعة واحدة) ولكن من دون أن تتغير أو تتحول إحدى الطبيعتين إلى الأخرى... وبعد مناقشة طويلة تبين للمجمع أن أوطاخى يراوغه، وأنه لا يعتقد فى السيد المسيح الإعتقاد الأرثوذكسى الصحيح، وبناء على ذلك حكم المجمع بتجريد أوطاخى وإنزاله من درجته وحرمانه من الكنيسة...

ولم يرضخ أوطاخى لحكم المجمع بل تمسك برأيه وأصر على موقفه فى عناد... واستغل عطف الامبراطور عليه، وكتب إلى ليون أسقف روما فى عبارات التودد والاستعطاف ليكون إلى جانبه، فتريث ليون حتى يسمع الطرف الآخر، وبعد ذلك كتب أسقف روما كتابا إلى فلافيانوس أسقف القسطنطينية أثبت فيه إعتراضه على إنكار أوطاخى، ووعد بأنه سيكتب بتوجيهاته فى هذا الموضوع كاملة فيما بعد... أما الامبراطور فناصر أوطاخى، وطلب من فلافيانوس أن يكتب ردا على أوطاخى، فرد فلافيانوس على الامبراطور بكتاب فى ربيع ٤٤٩ يشرح فيه إعتقاده بميلادين للسيد المسيح ويقول : أنه (إله كامل وإنسان كامل .... واحد فى الجوهر مع الآب من حيث لاهوته وواحد فى الجوهر مع أمه من حيث ناسوته... لأنه بينما نعتقد فى المسيح أن له طبيعتين بعد التجسد من القديسة العذراء (مريم) وأنه منها تأنس نعترف بمسيح واحد وابن واحد (لله) ورب واحد، فى كيان واحد وأقنوم واحد، ونحن لا نرفض أن نتحدث عن طبيعة واحدة لله الكلمة، إذا كان المقصود بها طبيعة واحدة متجسدة ومتأنسة، بما أن ربنا يسوع المسيح هو الأقنوم الواحد بعينه من طبيعتين)... ويلاحظ هنا، أن فلافيانوس قد استخدم عبارة (طبيعة واحدة) مضيفا إليها ما أضافه البابا كيرلس نفسه بقوله : (طبيعة واحدة متجسدة)...

في مجمع أفسس المسكوني الثاني

بعد هذا دعا الامبراطور ثيودوسيوس الثاني على عقد مجمع في مدينة أفسس، ولم يكن ليون أسقف روما أو فلافيانوس أسقف القسطنطينية يرغبان في عقد هذا المجمع، ومع ذلك فكان ليون يؤمل أنه سيكون في إمكانه على الأقل أن يوجه قرارات المجمع، ولذلك أسرع فكتب خطابه الذي وعد به فلافيانوس من قبل، وهو الخطاب المشهور في التاريخ بكتاب طوموس Tomoc ليون. أرخ ليون كتابه هذا في ١٣ يونيو سنة ٤٤٩. وانعقد مجمع أفسس في أغسطس من تلك السنة، برياسة البابا ديوسقورس وهو الخامس والعشرون من باباوات الأسكندرية، ومعه ١٣٥ من أساقفة المسكونة، ولم يحضر أسقف روما ولكنه أناب عنه ثلاثة من الكهنة، ولم يضع المجمع قواعد للإيمان، واكتفى بتثبيت قرارات المجامع المسكونية الثلاثة : نيقية والقسطنطينية وأفسس الأول، ومثل أوطاخي أمام المجمع وأقر بإيمان الكنيسة الجامعة الرسولية فأعاده المجمع إلى رتبته. ورفض المجمع أن يقرأ كتاب ليون وقرر حرمان فلافيانوس وآخرين وإعتبارهم نساطرة، فأغضب هذا التصرف أساقفة سوريا وبنطس وآسيا الصغرى، وأيدهم أسقف روما الذي سعى إلى عقد مجمع جديد. ولكنه لم ينجح في ذلك إلا بعد أن توفي الامبراطور ثيئودوسيوس في يوليو سنة ٤٥٠ وخلفه في الحكم مرقيانوس وزوجته بوبخاريا...

مجمع خلقيدونية

وعقد المجمع الجديد في خلقيدونية من ٦٣٠ أسقفا في الفترة بين ٨ أكتوبر وأول نوفمبر سنة ٤٥١ م. وحضر البابا ديوسقوروس هذا المجمع لكن نواب أسقف روما اعترضوا على حضوره. فقاده مندوبو الامبراطور المسئولين عن حفظ النظام إلى مكان منعزل فجلس بعيدا عن الباقين. وقرأ المجمع ما تيسر قراءته من الوثائق والرسائل. ولما عرضوا لأحداث مجمع أفسس الثاني احتدم النقاش طويلا، وحدث بعد ذلك أن تنكر كثير من الأساقفة الذين وقعوا على قرارات مجمع أفسس الثاني لتوقيعاتهم ورجعوا عن آرائهم، واعترض ديوسقوروس قائلا : أن فلافيانوس قد حكم عليه مجمع أفسس بعدل، لأنه قال بطبيعتين بعد الاتحاد، بينما أن أقوال الآباء أثناسيوس واغريغوريوس وكيرلس تؤيد أننا لا نستطيع أن نتحدث بعد الاتحاد إلا عن طبيعة واحدة متجسدة للكلمة. ثم صاح ديوسقورس في المجمع (لقد رفضت ورفض معي الآباء، ولكنني أحامي عن اعتقاد الآباء ولن أحيد عنه بحال)، وقال أنه يوافق على القول بأن السيد المسيح (من طبيعتين) ولا يوافق على أنه (طبيعتان) بعد الاتحاد، حيث أنه لا يمكن التحدث عن طبيعتين بعد الاتحاد.

وعقد مجمع خلقيدونية نحو ١٥ جلسة على قول بعض المؤرخين، وانتهى فى جلسته الأولى إلى إعادة فلافيانوس إلى كرسيه، وإلى إنزال ديوسقورس من درجته، وفى الجلسة الثانية ثبت المجمع قرارات مجمعى نيقية والقسطنطينية، وقرأ رسالة البابا كيرلس الثانية إلى نسطور، ورسالته إلى يوحنا الأنطاكى وأثبت تأييده لما جاء فيهما. ثم قرأ كتاب ليون أسقف روما إلى فلافيانوس فى ترجمته اليونانية، ومما تجدر ملاحظته أن الخطاب الأخير قوطع فى أكثر من موضع لأن بعض عباراته بدت لبعض الأساقفة أنها نسطورية، بينما صاح غيرهم أنها تعبيرات عن (إيمان الآباء والرسل) ... وفى الجلسة الثالثة وكانت بتاريخ ١٣ أكتوبر أعلن الحكم على ديوسقوروس وفى الجلسة الرابعة أعلن الحكم على أوطاخى والأوطاخيين، وفى الجلسة الخامسة وكانت بتاريخ ٢٢ أكتوبر اتفق المجمع على وضع صيغة للإيمان أنكر فيها آراء كل من البدعتين النسطورية والأوطاخية...

وقال المجمع فى مطلع قانونه أن فى قوانين مجمعى نيقية والقسطنطينية الكفاية، لولا أن قوما حاولوا أن يمحوا كرازةالحق وأن يفسدوا سر تجسد الرب... وأنكروا أن تلقب العذراء بوالدة الإله. ثم أن قوما آخرين قالوا بالامتزاج والاختلاط بين الطبيعتين، وباندماج الطبيعة الناسوتية فى الطبيعة اللاهوتية. لهذا فإن المجمع (يناهض أولئك الذين شقوا سر التجسد إلى إثنين، وينفى من شركة الأسرار المقدسة (أو من شركة محفل الكنيسة) الذين يجرؤون على القول بأن لاهوت الابن الوحيد قابلة للألم. ويقاوم الذين يتصورون أن هناك إختلاطا أو إمتزاجا بين الطبيعتين فى السيد المسيح، ويطرد الذين يعتقدون فى جهلهم أن شكل العبد الذى اتخذه المسيح منا هو من جوهر سمائى، أو من جوهر آخر غير جوهر طبيعتنا، ويحرم الذين يزعمون أن للرب طبيعتين قبل الاتحاد، وواحدة فقط بعد الاتحاد.

التعليم الذى علم به مجمع خلقيدونية

عرف هذا التعليم إصطلاحيا بالعبارة التالية :

ἄντιδὂσις τῶν Ιδιωμἄτων

Communicatio idiomatun

ومعناه حرفيا (تبادل الصفات).

ومؤداه إصطلاحيا : فى المسيح أقنوم واحد، وطبيعتان، ومع أن : هاتين الطبيعتين قد اتحدتا بالحقيقة إتحادا سريا فى أقنوم واحد، لكنهما ظلتا متميزتين، وكل منهما احتفظت بخصائصها. وخصائص كل طبيعة منهما تختص بذات الأقنوم الواحد وتنسب بحق إليه... إنه يوجد فى نفس الوقت فى الطبيعة الإلهية وفى الطبيعة الإنسانية، إنه يحيا دائما فى الدائرتين معا. فالخبرات

الإلهية على وجه الدقة ... والخبرات الإنسانية على وجه الدقة : هى جميعا خبراته ... وهى خبراته بفضل طبيعتيه المختلفتين ... مجموعة الخبرات الأولى هى خبراته لأنه أقنوم إلهى، ومجموعة الخبرات الثانية : هى كذلك خبراته لأنه أقنوم إنسانى ... ثم أن الأقنوم الواحد بعينه له تسميات مختلفة تبعا للطبيعتين المختلفتين ... فهو ابن الله بفضل الطبيعة الإلهية، وهو ابن الإنسان بفضل الطبيعة البشرية، وليس مهما الاسم الذى يدعى لأنه هو الأقنوم الواحد عينه الذى يشار إليه ... ولذلك فإن الخبرات التى يتعرض لها الأقنوم الواحد بفضل طبيعته الإلهية يمكن أن تنسب إلى ابن الإنسان، وبالمثل الخبرات التى يتعرض لها بسبب طبيعته الإنسانية يمكن أن تنسب إلى ابن الله.

وعلى ذلك فالأقنوم الواحد بعينه يتصف بأسماء الطبيعتين وخصائصهما وخبراتهما.

وقد جاء فى تحديدات مجمع خلقيدونية ما نصه :

وعلى ذلك، فنحن - اقتفاء بالآباء القديسين - نعترف ونعلم بالإجماع، بالابن الواحد بعينه، ربنا يسوع المسيح، وهو كامل (تام) فى لاهوته، وفى وقت واحد كامل (تام) فى ناسوته، إله حقيقى وإنسان حقيقى، ثم هو ذو نفس ناطقة وبدن، وهو من ذات جوهر الآب من حيث لاهوته، وفى نفس الوقت من ذات جوهرنا من حيث ناسوته، وهو يشبهنا فى كل شئ ماعدا الخطيئة وحدها، وهو من حيث لاهوته، مولود من الآب قبل الدهور (الأجيال) . ولكن من حيث ناسوته، من أجلنا ومن أجل خلاصنا، ولد فى الأيام الأخيرة من مريم العذراء والدة الإله، وهو بعينه المسيح بذاته، وابن (الله)، والرب، والابن الوحيد، الذى ينادى به فى طبيعتين بدون اختلاط ولا تغيير، ولا انقسام، ولا انفصال وأن الاختلاف بين الطبيعتين لم يتلاشى بسبب الاتحاد بحال ما ... بل بالحرى أن الصفات الخاصة بكل طبيعة على حدة باقية ومجتمعة معا فى شخص واحد وأقنوم واحد - وليست كما لو كان منفصلا أو منقسما إلى طبيعتين. إنما هو ابن (الله) الواحد بذاته، والابن الوحيد، الله الكلمة، والرب، يسوع المسيح، كما علمنا (بذلك) أنبياء العهد القديم، و (كما علمنا) الرب يسوع المسيح، فيما يختص به، وكما سلم إلينا قانون الآباء.

بهذه العبارات، حدد مجمع خلقيدونية الإيمان المسيحى فى طبيعة السيد المسيح، مبينا فى قوة وصراحة رفضه التام للبدعة النسطورية والبدعة الأوطاخية. ولكنه وجه إهتمامه الأكبر نحو هدم البدعة الأوطاخية بالذات ... فأوطاخى لم يقنع بالنصح الذى أسدى إليه بالعدول عن آرائه الفاسدة، ولم يحترم إيمان الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة الرسولية فى إخلاص وتقوى، ولكنه راوغ وتملص مرة أخرى من عهوده التى قطعها أمام مجمع أفسس المسكونى الثانى، وعاود سيرته الأولى مصرا على تعليمه الذى أزعج كنيسة المسيح.

كان أوطاخى يتذرع باستخدام عبارة البابا كيرلس : (طبيعة واحدة للكلمة متجسدة) .

μὶα φῦσις τοῦ θεοῦ Λὸγου σεσαρκωμὲνη

ولكنه كان يحذف منها اللفظة الأخيرة (متجسدة) σεσαρκωμὲνη وهى اللفظة التى كان يلح عليها البابا كيرلس ترسيما لحقيقة ناسوت المسيح، فما يعلم به يوطيخا فى الواقع هو أن الطبيعة الناسوتية قد امتصت فى الطبيعة اللاهوتية وامتزجت بها، فهو يقول بامتزاج ισὺγχυσις الطبيعتين.

وعلى ذلك، فإن كان يوطيخا قد رفض الإذعان أمام مجمع القسطنطينية الإقليمى بأن المسيح واحد مثلا فى الجوهر (أو مساو لنا فى الجوهر ὁμοουσιος ηων من حيث ناسوته، فقد كان رفضه هذا من قبيل تحصيل الحاصل... لآنه فى الواقع كان ينكر حقيقة ناسوت سيدنا ودوامه... إنه أنكر بالفعل أن يكون ابن الله قد اتخذ طبيعتنا فى الحقيقة... وليس الاتحاد ἕνωσις إذن إرتقاء أو إعلاء لطبيعتنا الإنسانية، بل بالحرى أنه تغيير لها بالفعل، ويوطيخا (لم يزعم أنه أدرك سر التجسد، بل الأصح أنه كان يتباهى بمناداته بأنه سر لا يمكن إدراكه) ... ولذلك لم يستطع أن يكون له رأى واضح فى تكوين أقنوم السيد المسيح، وقد تطرف فى فهمه لمكانة لاهوت السيد، وحجب عنه ظل الطبيعة الناسوتية تماما، لدرجة أن هذه الطبيعة قد تكمشت فى نظره فأمست عدما أو بالحرى أنها اختفت إختفاءً تاما. وحتى لو اعترف لها يوطيخا بوجود بعد أن اتخذها اللوغوس، فلم ينظر إليها باعتبار أنها مطابعة لنا، وبعبارة أخرى فان جسد المسيح كما يراه يوطيخا ليس (جسد إنسان) ισὺμα

ولو أنه يمكن أن يسمى (جسدا إنسانيا) αγθςυπου σμηχιαθρῦ λνον بمعنى أن جوهر الناسوت قد توقف عن وجوده فى الكلمة الذى صار جسدا.

طوموس (أو مدرج) ليون
١٣ يونيو سنة ٤٤٩

لما كان لمدرج ليون أسقف روما أهمية تاريخية خاصة، لذلك رأينا أن نأتى هنا بأهم فقراته:

١ ـ (أنه (= يوطيخا) لم يتوصل إلى الاعتقاد الصحيح فيما يتعلق بتجسد كلمة الله، ولم تكن له الرغبة فى أن يطلب نور المعرفة بدراسة الكتاب المقدس دراسة دقيقة وشاملة. لكنه سمع على الأقل، وبآذن صاغية، هذا الإعتراف الشائع والعام الذى يقر به كل جمهور المؤمنين إعتقادهم

بالله الآب القادر على كل شئ، وبيسوع المسيح ابنه الوحيد ربنا الذى ولد من الروح القدس ومن العذراء مريم، إذ أن هذه القضايا الثلاث تهدم جميع اختراعات الهراطقة على العموم. فالكل يؤمن أن الله قادر على كل شئ، إذ هو مولود، إله من إله، قادر على كل شئ من قادر على كل شئ، أزلى من أزلى، لا متأخرا عنه فى الزمان ولا أقل منه فى القدرة، ولا مغاير له فى المجد، ولا منقسم فى الجوهر، هذا الابن الوحيد عينه، الابن الأزلى من الآب الأزلى، ولد من الروح القدس ومن مريم العذراء، لكن هذا الميلاد الزمنى (= الذى تم فى الزمان) لم ينقص من الميلاد الأزلى الإلهى شيئا، ولم يضف إليه شيئا. إنه منح ذاته بالتمام لتجديد الإنسان الذى ضل، حتى ينتصر على الموت، وبقوته يهزم الشيطان الذى كان له سلطان الموت. إذ ما كنا (نحن) نستطيع أن نغلب منشئ الخطيئة والموت مالم يأخذ (ابن الله) طبيعتنا ويجعلها طبيعته، هذا الذى لم تقدر الخطيئة أن تدنسه ولا الموت أن يحتجزه تحت سلطانه، حيث أنه حبل به من الروح القدس فى رحم أمه العذراء التى احتفظت ببكارتها كاملة فى ميلاده كما فى حبلها به... هذا الميلاد المدهش الفريد، والفريد فى إدهاشه يجب ألا يفهم بمعنى أنه يبطل الخصائص المميزة للنوع (= لنوع الإنسان أو الجنس البشرى) بسبب هذا الأسلوب الجديد فى الخلق، لأنه حقا أن الروح القدس هو الذى أعطى القدسية للعذراء ولكنه أخذ من جسدها جسدا حقيقيا ذا نفس عاقلة.

٢ ـ وعلى ذلك فإن خواص كل طبيعة، وكل جوهر، ظلت محفوظة بكمالها واتحدت معا لتكون أقنوما (= شخصا) واحدا. لقد اتخذت (أو لبست) العظمة والاتضاع، والقوة والضعف، والأزلية والفداء. ولكى يوفى الدين الذى جلبناه على أنفسنا اتحدت الطبيعة التى لا تنتهك الطبيعة التى يمكن أن تتألم، حتى تنفذ شروط خلاصنا. فالإنسان يسوع المسيح وهو الوسيط الوحيد بعينه بين الله والناس، أمكنه أن يموت بالنسبة للواحد، ولن يمكنه أن يموت بالنسبة إلى الآخر.

وعلى ذلك، فقد ولد إله حقيقى فى طبيعة إنسان حقيقى، طبيعة كاملة وتامة، كاملة فى خواصه هو، وكاملة فى خواصنا نحن Touts in sius, totus in وأعنى بخواصنا تلك الخواص التى أوجدها الخالق فينا منذ الابتداء، والتى اتخذها هو لنفسه من أجل أن يحددها. إذ لم يكن فى المخلص أى أثر لتلك الخواص التى جلبها المخادع على طبيعتنا، وسمح لها الإنسان المخدوع أن تدخل إليه. ولا يظن أحد أنه باشتراكه فى ضعفاتنا البشرية أصبح شريكا لنا فى خطايانا. لقد اتخذ صورة عبد (ولكن) بدون وصمة الإثم، فشرف الخواص الإنسانية من دون أن ينتقص من الخواص الإلهية، لأنه (إذ أخلى نفسه) فقد جعل غير المرئى نفسه مرئيا، وأراد خالق الكل ورب

الكل أن يصير من بين الفانين، وكان هذا منه تنازلا صادرا عن حنان وليس عن عجز فى القدرة. وبناء على ذلك. فإن الذى تأنس ولم يزل فى صورة الله، صار إنسانا فى صورة العبد. فكل طبيعة احتفظت بخصائصها بلا نقصان. وكما أن صورة الله لم تبطل صورة العبد، فكذلك صورة العبد Firme servi لم تتلف صورة الله fara Dei

لقد اعتز الشيطان لأن الإنسان وقد خدع بمكره، قد حُرم من المواهب الإلهية وتجرد من عربون الخلود، فجلب على نفسه الحكم الصارم، حكم الموت، وقد وجد الشيطان لنفسه بعض العزاء فى محنته عندما صار له زميل فى الخطيئة، وقد اعتز الشيطان أيضا لأن الله غير مقاصده بالنسبة إلى الإنسان الذى كان قد خلقه فى حال من المجد والكرامة - فالعدل الإلهى يتطلب هذا التغيير - لهذا كانت الحاجة إلى تدبير من الله لتنفيذ خطته الخفية، ولتتميم قصده الأول، لمحبته لنا، بسر أشد خفاء. لأن الله لا يتغير ولا يمكن لإرادته أن تتجرد من الرحمة، ثم أن الإنسان الذى دُفع إلى الشر دفعا بحيلة الشيطان الشريرة، لا يمكن أن يهلك ضدا لمقاصد الله.

٣ - لذلك فإن ابن الله نزل من عرشه فى السماء ولكن من دون أن يترك مجد أبيه، ودخل إلى هذا العالم السفلى، وولد على نظام جديد، وبكيفية جديدة للميلاد، على نظام جديد لأنه وهو غير منظور فى طبيعته قد صار منظورا فى طبيعتنا، إنه لا يمكن إدراكه ولكنه أراد أن يكون مدركا، وهو كائن منذ الأزل وقبل الزمان لكنه بدأ أن يوجد فى الزمان... وبكيفية جديدة للميلاد حيث أن البكارة التى لم تنثلم، والتى لم تعرف شهوة الجسد هى التى قدمت مادة الجسد، فمن أمه أخذ الرب طبيعة ولم يأخذ خطيئة، لقد ولد يسوع المسيح من رحم عذراء بميلاد معجز، ومع ذلك فطبيعته ليست لذلك مغايرة لطبيعتنا لأنه هو إله حقيقى. وليس ثمت زيف فى هذه الوحدة حيث أن اتضاع الناسوت وعظمة اللاهوت تتناوبان (أو تتبادلان invicem sunt) وكما أن اللاهوت لم يتغير بسبب رحمته، كذلك الناسوت لم يبتلع بسبب جلال اللاهوت، وكل طبيعة (صورة الله وصورة العبد) تقوم بوظائفها الخاصة بها بالاشتراك مع الأخرى. فالكلمة يقوم بما يتصل بالكلمة، والجسد يقوم بما يتصل بالجسد. الواحدة متلألئة بالمعجزات والأخرى قابلة للإهانات، والكلمة لا ينقص عن مساواته الآب فى مجده. والجسد لا يتخلى عن طبيعة جنسنا. لأنه هو الأقنوم الواحد بعينه وهذه حقيقة ينبغى أن نصر عليها دائما - هو ابن الله بالحقيقة، وهو ابن الإنسان بالحقيقة... وعلى ذلك فالطبيعة التى تقول (أنا والآب واحد) لا تتصل بالطبيعة التى تقول (والآب أعظم منى)، فمع أن فى الرب يسوع المسيح أقنوما واحدا لإله وإنسان، لكن أصل الاحتقار الذى يشتركان فيه معا متميز عن أصل المجد الذى يشاركان فيه أيضا. لأنه منا أخذ الناسوت دون الآب، ومن الآب أخذ اللاهوت مساويا للآب...

تلك أهم العبارات التى اشتمل عليها طوموس ليون أسقف روما، ومنها نفهم، إصرار ليون على القول بأن فى المسيح طبيعتين متميزتين من بعد الاتحاد، وأن لكل طبيعة وظائفها الخاصة بها، والتى تعمل بالتناول أو بالتبادل مع الطبيعة الأخرى، كل منها طبقا لناموسها الخاص، والأقنوم هو مركز الشعور والفعل فى كائن هو إله وإنسان معا..

ويبدو أن مجمع خلقيدونية، أيد طوموس ليون فصادق فى قانونه الذى وضعه، على وجود طبيعتين فى المسيح بعد الاتحاد، وأنه له المجد إله تام وإنسان تام، وزاد المجمع حرم القائلين بطبيعة واحدة بعد الاتحاد...

أما الكنيسة المرقسية الأرثوذكسية فى أفريقيا وأسيا، وكذلك الكنائس السريانية الأرثوذكسية والأرمنية الأرثوذكسية، فلا تقر بطوموس ليون أسقف روما، ولا بما جاء فيه خاصا بطبيعة السيد المسيح، كما أنها لا تعترف بمجمع خلقيدونية ولا بما أصدره هذا المجمع من صيغ إيمانية. فسواء طوموس ليون أو مجمع خلقيدونية يقران بطبيعتين فى السيد المسيح، ويؤكد أن وجود الطبيعتين متميزتين بصفاتهما وخواصهما، وإنما تقومان بوظائفهما بالتبادل. ولكن الكنائس الأرثوذكسية المشار إليها لا تعترف هذا الاعتراف ولا تقر بطبيعتين بعد الاتحاد. وهى ترى أن فى القول بطبيعتين تعبيرا جريئا وخطيرا يقترب من تعبير الهراطقة النسطوريين. لأنه إذا كان ثمت اتحاد حقيقى فلا يمكن أن يكون هناك مجال للتحدث عن طبيعتين فى السيد المسيح.

ثم أن الكنائس الأرثوذكسية المذكورة آنفا، تنكر على أصحاب الطبيعتين قولهم بأن المسيح إله كامل وإنسان كامل معا، وترى أن هذا التعبير يسلم إلى القول بشخصين أو أقنومين فى السيد المسيح، وكذلك فإنها ترفض أمثال هذه التعبيرات المنحرفة، وتلتزم القول بأن السيد المسيح إله متأنس، وهى تذكر ولا تشاء أن تنسى عبارة الكتاب المقدس (والكلمة صار جسدا) (يو ١ : ١٤) أو (والكلمة تأنس) وهو تعبير واضح على أن الاتحاد الشريف ليس مجرد إجتماع لطبيعتين حتى ولو سمى هذا الإجتماع إتحادا عند الغربيين... فما دام القوم يصرون على القول بطبيعتين بعد الاتحاد، وعلى القول بأن السيد المسيح إله تام وإنسان تام معا، فهذه كلها تعبيرات تنكرها الكنيسة المرقسية الأسكندرية والكنائس السريانية والأرمنية الأرثوذكسية وتعتبر منطوية على ميول نسطورية.

على أننا، وإن قلنا بطبيعة واحدة فى السيد المسيح كما قال القديس أثناسيوس والقديس بولس، والقديس ثيئودوسيوس والقديس ساويرس الأنطاكى وغيرهم من علماء الكنيسة الأرثوذكسية، لكنها طبيعة واحدة جمعت صفات الطبيعتين معا، بغير إختلاط ولا إمتزاج ولا إستحالة أو تغيير، فلا اللاهوت اختلط بالناسوت أو امتزج به أو تحول إليه، ولا الناسوت اختلط باللاهوت أو امتزج به أو تحول إليه. وإنما هو نوع من الاتحاد العجيب الذى تفوق حقيقته كل تعبير إنسانى وكل تصور بشرى، وربما كان أقرب تمثيل أو تشبيه لهذا الاتحاد هو التشبيه الذى قدمه القديس

كيرلس، وهو اتحاد النار بالحديد أو الفحم. ففى هذا الاتحاد يلاحظ أن صفات النار باقية وصفات الحديد أو الفحم باقية، ولم يتبدل أيهما إلى الآخر... ولاشك أن هذا الاتحاد أفاد شيئا جديدا لم تفده النار بمفردها ولا الحديد أو الفحم بمفرده، وكذلك كانت الحاجة إلى أن يتأنس ابن الله من أجل عمل الفداء، الذى رأى الله بتدبيره أنه السبيل الأوحد للخلاص العجيب... وأما التشبيه باتحاد النفس والبدن فينبغى أن يؤخذ بحذر لأنه وإن كان يفيد معنى قيام الطبيعة البشرية الواحدة من جوهرين متميزين بطبعهما، لكنه تشبيه ناقص من حيث أن الاتحاد بين النفس والجسد ليس فى قوة الاتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته، لأن اتحاد النفس والبدن قابل للانفصام بالموت، أما الاتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته فاتحاد بلا مفارقة لحظة واحدة ولا طرفة عين، وسيظل كذلك إلى الأبد، إذ أن موت السيد المسيح بالجسد لم يقدر على أن يفصل بين لاهوته وناسوته لحظة واحدة، أو طرفة عين.

وعلى ذلك، فلا يعتذر أصحاب الطبيعتين عن تعبير الطبيعة الواحدة بزعم أن هذا التعبير تعبير يوطيخى، كلا فإنه أولا هو تعبير الآباء القديسين المعتبرين أعمدة من أمثال أثناسيوس وكيرلس ومن إليهما... ثم ما أبعد الفرق بين الطبيعة الواحدة كما تعلم بها الكنائس الشرقية وبين الطبيعة الواحدة كما يقول بها يوطيخا : فبينما يقول يوطيخا بإندماج الطبيعة الناسوتية وتلاشيها فى الطبيعة اللاهوتية، تقول كنيستنا بطبيعة واحدة لها صفات الطبيعتين، وتنكر أن يكون قد حدث بين اللاهوت والناسوت إختلاط أو امتزاج أو إستحالة أو تغيير.

ولا يعتذر اصحاب الطبيعتين عن تعبير الطبيعة الواحدة بزعم أن القول بطبيعة واحدة لها صفات الطبيعتين معناه القول بطبيعة ثالثة، كلا، فنحن ننكر القول بطبيعة ثالثة، لأن هذا القول يتضمن الاعتقاد بالامتزاج أو الاختلاط، ولكننا نؤكد أن هناك أمرا جديدا قد نجم عن الاتحاد الشريف لم يكن حادثا من قبل هو لقب الإله المتأنس أو هو السيد المسيح، فهذا اللقب الجديد لا يصح إطلاقه على الكلمة قبل التجسد بل هو اللقب الذى عرف به منذ يوم التجسد فقط...

وقصارى الكلام، أننا وإن كنا نؤمن بأن هناك أسبابا تاريخية قد باعدت بين الكنيستين الشرقية وشقيقتها الغربية بصدد هذا الموضوع، وأن كل فريق كان شديد الحذر من استعمال تعبير الفريق الآخر، خوفا من الوقوع فى هرطقة النساطرة من جانب أو هرطقة اليوطاخيين من جانب آخر، وهما هرطقتان على طرفى نقيض، وإن كنا نقر أيضا بأن هناك عوامل شخصية كان لها أثر لا ينكر فى تفاقم الخلاف، زيادة على حب الزعامة والرياسة الذى بدأ الرومانيين منذ زمن ليون أسقف روما المذكور سابقا، يروجون له بخلق تبريرات للرياسة الرومانية، وإلى هذا كله أضف تدخلات السلطة الحاكمة ولم تكن هذه السلطة فى هذا الخلاف على الحياد، بل كانت تتدخل بحسب الأحوال لتنصر فريقا على فريق، إما حرصا على استقرار الأمن فى اتحاد الأمبراطورية أو تشجيعا لشخص وإنتقاما من آخر..

وأخيرا وليس بآخر! لا ينسى ما ترتب على إثارة حفيظة بعض رجال الدين الذين أسقطوا من مراكزهم الكهنوتية حقا أو ظلما، سواء كانوا من الهراطقة أو من أتباعهم أو من ظن بهم ذلك، وقد انضم إلى هؤلاء وأولئك أناس من رجال الدين أو الدولة إنتصارا لقوم دون قوم، سواء عن حق أو عن باطل، عن إخلاص أو عن خبث، عن علم أو عن جهل...

على أننا، وإن أقررنا بهذا كله، لكننا لا نستطيع أن نعيد التاريخ من جديد، ولا أن نحيا الأحداث التي عاشها أجدادنا، ولا نزعم أننا يمكن أن نفكر بذات تفكيرهم أو نشعر بشعورهم، مهما بلغ من وقوفنا على مادة الخلاف وأسبابه اللاهوتية أو التاريخية...

فالخلاف عادة لا يقوم على أفكار مجردة من ظروفها وملابساتها، ولا يمكن أن يفهم على حقيقته بعيدا عن الجو الذى نشب فيه الخلاف، والأشخاص الذين لعبوا دورا فيه، ودرجة حرارتهم واستعدادهم للتفاهم والتلاقى، وعلى ذلك فنحن على الرغم من كل شئ نقدر الأسباب التى حدت بكل فريق إلى أن يتمسك بالتعبير الذى رآه صوابا، ولم يتسامح فى التحول عنه أو فى قبول غيره حرصا على الأمانة المسلمة، وحذرا من السقوط فى تعليم مغاير للتعليم الأرثوذكسى القويم.. وأما اليوم فقد أصبح كل فريق أكثر استعدادا من أى وقت مضى للاقتراب من الآخر، بعد أن تخلص الخلاف من جوه القديم وأصبح اليوم مجرد التعبير عن فكرة لاهوتية مجردة.

فصل فى معنى إخلاء المسيح ذاته

κἒνωσις

قال الرسول مار بولس «فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضا الذى أنه إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله، لكنه أخلى نفسه ἒαυτον εκἒν ωσεν آخذا صورة عبد صائرا فى شبه الناس، وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب». في ٢ : ٥ – ٨.

وقال الرسول أيضا : (فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غنى επτώχευσεν πλούσιος ὤν لكى تستغنوا أنتم بفقره) «٢. كو ٨ : ٩». قارن «رو ٨ : ٣».

لاشك أن فكرة (الإخلاء) هنا تشير إلى ما تم فى سر التجسد : من كان هو الله صار إنسانا، غير المحدود وغير المتناهى تنازل ليصير محدودا على نوع ما، وليدخل إلى دائرة الحياة البشرية والخبرات البشرية. وبهذا يتنحى بمعنى ما، عن مباشرة لاهوته مباشرة كاملة تامة فى الوقت الذى لم يفارقه اللاهوت، وهى الحقيقة التى اشتملت عليها كل أسفار العهد الجديد، وإن كان مار بولس هو الذى يعزى إليه تعبير (الإخلاء) كما ورد فى رسالته إلى فيلبى «٢ : ٧».

فى هذا النص، يصرح مار بولس أن المسيح هو الله من حيث أصله وجوهره، وأحواله التى كان عليها كقوله (كان فى صورة الله) μορφη θεοῦ معادلا لله، ولكنه أراد أن يتنحى عن هذه الحياة لهذا أخلى نفسه واتخذ حياة الخدمة بكل ظروفها μορφήν δούλου λαβών وصار فى شبه البشر. وهذا عمل هام من أعمال الإخلاء، تتلوه مرحلة أخرى، لأنه إذ دخل فى الأحوال الخارجية للحياة البشرية καί σχήαχτι ἒυρεθεις ὢς ανθρωπος أذل نفسه، وصار عرضة للموت، الموت على الصليب، ومهما يكن معنى كلمة صورة μορφή على وجه الدقة، فالواضح أن العبارة تتضمن أن (صورة الله) μορφή ὃεοῦ هنا قد تركت، لكى تتخذ (صورة العبد) μορφή δοῦλου ولكى يحيا المسيح حياة إنسانية. ويختار بإرادته أن يصير محدودا، ويقبل هذه الحالة ثم يذل نفسه ويضعها إلى أقل مستوى، وذلك بالموت، وهو أمر معيب يبعث على الخجل فى عيون الناس...

ولم يقل ماربولس شيئاً عن طبيعة حصر الله لنفسه، ومدى هذا الحصر أو التحديد، ولكن من البين أن مار بولس يعتبر (الإخلاء) فعلا أخلاقيا من جانب الله. فعلا بإرادة حرة، إذلالا إراديا، وتسليما بالذات يبلغ مداه فى الموت عنى الصليب.

يقول إيريناوس فى كتابه الرد على الهرطقات (١) (لأنه كما صار إنسانا حتى يمكن أن يجرب، كذلك تماما كان هو الكلمة حتى يتمجد. فبينما كان يجرب ويصلب ويموت ظل اللوغوس ساكنا ήσυχά ζοντος τοϋ Λόγου وعندما كان غالبا ومحتملا وصانعا أعمال الرحمة وقائما (من بين الأموات) وصاعدا كان اللوغوس يساعد الناموس.

وهذا تعبير واضح صريح عن تصور اللاهوت أنه كان فى حالة سكون، أو توقف عن العمل أثناء الأعمال التى يقوم بها الناسوت والتجارب التى يجتازها. فإذا سمح للناسوت بالعمل امتنع اللاهوت عن مباشرة وظائفه، ولكنه فى الوقت نفسه موجود...

ويقول أوريجينوس فى كتابه الرد على كلسس (٢) أنه ولو أن الإخلاء مشروط بمحبة الله العظمى للبشر، لكن الغرض الخاص من الإخلاء هو تمكين البشر من إدراك المجد الإلهى، فالتجسد إذن هو إضعاف وإظلام للمجد الالهى.

ويقول (أن الذى نزل إلى البشر كان أصلا فى صورة الله ـ كان موجودا فى البدء كإله. ونظرا لحبه للبشر أخلى نفسه εν μορφή θεοϋ, έαυτόν έκενωσεν حتى يمكن أن يدركه البشر ΰπάνορμ ζυνδυνηθ وقد أذل نفسه وتنازل، صار جسدا وهو الذى لا يمكن التطلع إلى بهاء لاهوته، الذى يبهر البصر صار الكلام عنه فى صورة جسدية، حتى يمكن للذين يقبلونه على هذا النحو وبعد أن يسمو الكلمة بهم شيئا فشيئا يصبحون قادرين أيضا على أن يتألموا، ما يمكن أن أسميه باللاهوت الفطرى مشيرا إلى ما فى صورة الله السابقة الذكر..

Τήν προηγουμένην ὲν μορφή Θεώ ΰπηρχε

فى هاتين الجملتين تكلم أوريجينوس عن الإخلاء، ولكن الفصل الذى جاءت فيه هاتان الجملتان، كان ردا على اعتراض كلسس القائل أن التجسد يتضمن تغيرا فى كيان الله ويجعله عرضة للألم Πάθος ولذلك فإن أوريجينوس يرد على هذا الإعتراض بالإلحاح على استمرار وجود اللاهوت على الرغم من (الإخلاء) فعندما اتخذ الكلمة الإلهى الذى لا يموت جسدا فانيا ونفسا إنسانية لم يتعرض لأى تغيير أو تحول μεταπλασσω أو أى إنتقال من خير إلى شر أو من الطوباوية إلى عكسها، وإنما (ظل فى جوهره Τη οὺσῖα هو الكلمة ولذلك لم يتأثر بشئ مما يتأثر به الجسم والنفس)، وحتى الطبيب يمكن أن يلتقى بأمور مريعة وغير سارة ويتأثر بها، ولكن بينما أن الطبيب يقع فريسة للمرض، نجد أنه هو نفسه (أى الكلمة) لا يتأثر بالمرض بل يشفى جراحات نفوسنا...

---

(١) Adv. Haer جزء ٣ ف ١٩ ف ٣

(٢) Contra Cotsam جزء ٤ ف ١٥ ص ٢٦٢

ويبين هيلارى (١) فى كتابه (فى التثليث) كيف أنه أمكن لمن هو الله منذ البدء، ولا يتوقف عن أن يكون هو (الله)، أن يتخذ (صورة العبد) التى بها أطاع حتى الموت، فمن هو (فى صورة العبد) هو ذاته الشخص الذى هو (فى صورة الله). إن اتخاذ صورة العبد شئ، والبقاء فى صورة الله شئ آخر. الصورة الأولى : لا تتفق مع الصورة الثانية. والذى يبقى فى صورة الله لا يمكن أن يتخذ صورة العبد إلا بفعل رذله لنفسه Pur evacuationam suam (صورة الله تنفى الطاعة حتى الموت، وصورة العبد تنفى صورة الله).

فمن الواضح أنه هو بعينه ذات الأقنوم أو الشخص الذى أخلى ainanivit نفسه والذى اتخذ صورة العبد.

لذلك فان نبذ evacuatio الصورة أو الشكل لا يتضمن إلغاء الطبيعة لأن الذى ينبذ نفسه لا يفقد وجوده non caret esse والذى يتخذ صورة أخرى لا يزال موجودا manet فهو هو نفسه فى حالة النبذ وحالة الأخذ، لابد أن هناك سرا Sacramentum ولكن ليس هناك ما يمنع استمراره فى الوجود، عندما يرذل صورة ما، أو يمنع وجوده عندما يتخذ صورة أخرى. وعلى ذلك فإن ترك صورة الله غايته أن صورة العبد ممكنة. وليس غايته أن يجعل المسيح الذى كان فى صورة الله أن يتوقف عن أن يكون هو المسيح، لأنه ليس أحدا غير المسيح اتخذ صورة العبد. وتغيير الشكل habitus وهو (المنظر الخارجى) الذى يدل عليه الجسم، واتخاذ الناسوت لم يبطل اللاهوت الذى لازال باقيا...

وأما القديس كيرلس فيقول (٢) : (الابن الوحيد كلمة الله نفسه، الذى ولد من ذات جوهر الآب... الذى به كان كل شئ... نزل من أجل خلاصنا، وأذل نفسه إلى أن أنكر ذاته) εαυτον εἰς κενωσιν ولكنه يضيف قائلا : وولد إنسانا من إمرأة من دون أن يخلع (أو يفقد) ما كان عليه Οὔχὂμερ ην ἄποβεβληκιυς ومع أنه جاء مشاركا فى اللحم والدم إلا أنه ظل مع ذلك على ما كان عليه، Καιουτω μεμενηκυ κυςoπερην أى الله فى طبيعته وحقيقته... لأنه لا يقبل التغير أو التبدل ويبقى دائما على ما هو، كما جاء فى الكنيسة المقدسة. وبينما كان منظورا وطفلا فى الأقماط، ومازال فى حضن العذراء التى ولدته، كان يملأ كل الخليقة، باعتباره الله، وجالس عن يمين الله الذى ولده (٣).

---

(١) de Trinitate lx 14, xi 48, 49 xii 6 Dorner, Doctrof the person of Christ Eng. Tr, div. l i i p. 405 f f.

(٢) فى رسالته ٣ إلى نسطور ad Nestorium

(٣) قارن أيضا خطاب كيرلس إلى يوحنا الانطاكى فى كتاب Hewrtly ص ٢١٢.

القديـــس بطـــرس الرســـول

والحبر الرومانى

فى الكتاب المقدس، وتاريخ الكنيسة،

والمجامع المسكونية

THE ECUMENICAL COUNCIL
and
THE MINISTRY OF PETER.

القديس بطرس الرسول والحبر الرومانى

أولاً: هل كان القديس بطرس رئيساً للرسل؟

القديس بطرس أحد رسل المسيح الإثنى عشر. ولم يكن للرسل رئيساً.

وليس فى كلمات المسيح له المجد نص صريح أو ضمنى يخول للقديس بطرس أن يكون رئيساً للرسل.

أما إعتراف القديس بطرس المشهور «أنت هو المسيح ابن الله الحى» (متى ١٦ : ١٦)، فقد سبقه إليه يوحنا المعمدان (يوحنا ١ : ٣٤)، كما سبقه إليه نثنائيل الذى أصبح القديس برثولماوس أحد الإثنى عشر (يوحنا ١ : ٤٩).

ثم أن إعتراف القديس بطرس لم ينفرد به هو، وإنما شاركه فيه سائر التلاميذ.. بل وآخرون من غير الإثنى عشر... من بينهم قائد المائة الذى أشرف على تنفيذ الحكم بالصلب (متى ٢٧ : ٥٤)، والمولود الأعمى الذى رد إليه المسيح البصر (يوحنا ٩ : ٣٥ ـ ٣٨).

كان القديس بطرس فى إعترافه معبراً عن إيمان سائر التلاميذ وقد تكلم أولاً وقبل الآخرين لأنه كان أكبرهم سناً. ولكبر السن كرامة خصوصاً فى الأزمنة القديمة.

وكان من عادة القديس بطرس أن يتكلم قبل غيره من الرسل الإثنى عشر. وهذا يرجع إما إلى تقاليد المجتمع التى تعطى لكبير السن حق التقدم فى الكلام والإنابة عن الآخرين... وإما إلى صفة خاصة فى الرسول بطرس تتميز بها شخصيته، وهى الإندفاع فى الكلام، وسرعة التصرف... وإما إلى الصفتين معاً.

الاستناد إلى قول المسيح لبطرس «وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يربط فى السماوات، وكل ما تحله على الأرض يحل فى السماوات» (متى ١٦ : ١٩) لا يعطى القديس بطرس إمتيازاً خاصاً، لأن المسيح أعطى نفس هذا السلطان للرسل جميعاً سواء بسواء وبدون تفريق (متى ١٨ : ١٨). وإذن لا يفهم من قول المسيح لبطرس «وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه...» على أنه سلطان ينفرد به القديس بطرس.. وإنما هذا هو سلطان الأسقفية الممنوح من المسيح للأسقف الذى يرعى الكنيسة المبنية على صخرة الإيمان بلاهوت المسيح، وأنه ابن الله الحى، كما صرح به القديس بطرس.

الاستناد إلى قول المسيح للقديس بطرس «وأنت متى إهتديت ثبت أخوتك...» (لو ٢٢ : ٣٢) لا يبرر رياسة بطرس على سائر التلاميذ...

وإنما يشير إلى أن القديس بطرس، عندما يشك فى المسيح ويلعن ويحلف بأنه لا يعرفه... ثم يتوب راجعاً إلى إيمانه... سوف يكون بذلك التصرف وبعودته إلى الإخلاص لمعلمه، سبباً فى

تثبيت إخوته في الإيمان، بدليل قول الرب له قبل ذلك مباشرة «سمعان سمعان هوذا الشيطان قد طلبكم ليغربلكم كما يغربل القمح، ولكنى دعوت لك ألا تفقد إيمانك وأنت متى إهتديت ثبت أخوتك».

الاستناد إلى قول المسيح لبطرس الرسول ثلاث مرات «أرع خرافى» لا يبرر الرياسة للقديس بطرس.. وإنما يشير إلى قبول المسيح لتوبة القديس بطرس، ورده مرة أخرى إلى رتبته الرسولية الأولى بعد أن فقد بإنكاره مركزه كرسول للمسيح بدليل أن المسيح ناداه باسمه القديم الذى كان معروفاً به قبل صيرورته رسولاً، وهو «سمعان بن يونا»... وبدليل الحزن الذى استولى على القديس بطرس عندما كرر المسيح له السؤال «يا سمعان بن يونا اتحبنى أكثر من هؤلاء مذكراً إياه بنكثه بوعده الذى وعد به معلمه قبل الصليب «إن شك فيك الجميع فأنا لن أشك أبداً.. إننى لو اضطررت أن أموت معك فلن أنكرك».. (متى ٢٦ : ٣٣ ـ ٣٥).

الاستناد إلى قول المسيح لبطرس: «أنت بطرس وأنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى» (متى ١٦ : ١٨) لا يستفاد منه أن القديس بطرس كان هو الصخرة التى بنى المسيح عليها كنيسته.

١ ـ لأن بطرس كإنسان لا يمكن أن يكون الصخرة، لأن الكتاب يقرر «ومن هو الصخرة غير إلهنا» (٢ . صموئيل ٢٢ : ٣٢)، (مزمور ١٨ «١٩» : ٣١)، (١ . صموئيل ٢ : ٣)، ويقول ماربولس الرسول «والصخرة كانت المسيح» (١ . كورنثوس ١٠ : ٤).

٢ ـ لأن الصخرة لا تتزعزع، بطرس الرسول تزعزع إيمانه بل وكاد يفقد إيمانه فى سيده حتى قال له «ولكنى دعوت لك ألا تفقد إيمانك» (لوقا ٢٢ : ٣٢) وأنكر سيده.

ثم أنه تردد فى موقفه من قبول المؤمنين من بين الأمم حتى أن القديس بولس نسب إليه خطيئة الرياء فى الإيمان (غلاطية ٢ : ١٣)، كما نسب إليه اللوم وقال «إنى قاومته وجهاً لوجه لأنه كان يستحق اللوم» (غلاطية ٢ : ١١).

٣ ـ إن كلمة بطرس لا تفيد صخرة، بل هى «كيفا» بالسريانية و «كيفا» معناها «حجر» وفرق بين الحجر والصخرة.

وقال الرسول بطرس عن جميع المؤمنين «وكونوا أنتم أيضاً مبنيين كالحجارة الحية» (١ . بطرس ٢ : ٥).

كل ما يمكن أن يقال أن القديس بطرس كان من بين المعتبرين أنهم أعمدة (غلاطية ٢ : ٩، ٢، ٦).

وأنه كان من بين الثلاثة الذين صحبوا معلمهم ليشهدوا إقامته لأبنة يايروس رئيس مجمع اليهود، وصحبوه على جبل التجلى، وكانوا بالقرب منه فى جهاده فى بستان جثيمانى.

لكن هذا لا يمنح القديس بطرس إمتيازه بالرياسة لأنه من بين ثلاثة، كان أحدهم يوحنا وهو يتصف وحده بأنه التلميذ الذى كان يسوع يحبه، وأنه التلميذ الذى كان يتكيء على صدره، وأن القديس بطرس كان يتوسط به لدى معلمه أحياناً، وأنه التلميذ الذى ائتمنه على أمه العذراء مريم، وهو صاحب الرؤيا العظيمة التى كشف بها المسيح عن مستقبل الكنيسة كله.

وإن كان يذكر الأول بين الرسل نظراً لسنه ولأسبقيته فى الدعوة الرسولية، لكن القديس بولس يذكره فى رسالته إلى غلاطية بعد يعقوب (غلاطية ٢ : ٩) مما يدل على أن هذه الأولية ليست إمتيازاً خاصاً بالكرامة، وبالتالى لا تفيد معنى الرياسة بكل ما تقتضيه الرياسة من سلطة، وحق مطلق وثابت ودائم للتقدم.

ثانياً: هل كان القديس بطرس هو المؤسس لكرسى روما:

إن مصادرنا التاريخية تدلنا على أن القديس بطرس ذهب إلى روما فى أواخر أيام حياته.

وأنه أيضاً استشهد فى روما فى عهد الأمبراطور نيرون، وأنه مات مصلوباً هناك.

وكنيستنا الأرثوذكسية تعيد لإستشهاد القديس بطرس والقديس بولس فى يوم واحد.

ومع ذلك فهناك من الأسباب التى تحدو كثيرين من المؤرخين واللاهوتيين إلى إعتبار القديس بولس، لا القديس بطرس، هو المؤسس الحقيقى لكنيسةروما.

والأدلة على ذلك كثيرة من سفر أعمال الرسل الذى يذكر علاقة القديس بولس بروما وأهلها، دون أن يشير إلى القديس بطرس بشىء فى صلته بروما. وعندما ذهب القديس بولس إلى روما فى أخريات أيامه لم يذكر كاتب السفر، القديس بطرس بين الذين استقبلوا القديس بولس فى رحلته الأخيرة إلى روما نحو سنة ٦٠م، ولم يذكر أيضاً شيئاً عن القديس بطرس فى كل المدة التى قضاها القديس بولس فى روما وهى مدة سنتين كاملتين (أعمال الرسل ٢٨ : ٣٠، ٣١). أنظر أيضاً (أعمال الرسل ١٩ : ٢١)، (٢٣ : ١١)، (٢٧ : ٢٣، ٢٤)، (٢٨ : ١٤، ١٦).

وكذلك عندما كتب القديس بولس رسالته إلى رومية - التى يرجعها المؤرخون وعلماء الكتاب المقدس إلى سنة ٥٧ ميلادية - لم يشر فيها بشىء إلى القديس بطرس، لا من قبل ولا من بعد، ولم يذكره لا فى مطلع الرسالة بين من أرسل إليهم رسالته، ولا فى نهاية الرسالة بين الكثيرين الذين ذكر أسماءهم إسماً إسماً وهو يهدى السلام إليهم...، ولم يذكر بتاتاً إسم القديس بطرس فى ثنايا الرسالة لا تصريحاً ولا تضمينا ولم يشر إليه إطلاقاً.

وإذا كنا نعلم أن القديس بولس اتخذ لنفسه مبدءاً فى الخدمة والكرازة وهو على حد تعبيره «وحرصت أن لا أبشر بالإنجيل فى موضع دعى فيه اسم المسيح لئلا أبنى على أساس غيرى» (رومية ١٥: ٢٠).

وأكد نفس المبدأ مرة أخرى فى رسالته الثانية إلى كورنثوس (١٠: ١٣ ـ ١٦) فإنه يصعب تصور أن روما قد بشر فيها القديس بولس قبل سنة ٥٧م.

لذلك نميل إلى الرأى القائل بأن القديس بطرس لم يذهب إلى روما إلا فى أواخر أيام حياته حيث مات هناك مصلوباً «فى أيام نيرون» مع القديس بولس الذى قطعت رأسه بالسيف نحو سنة ٦٢ أو ٦٣ ميلادية.

ثم أن كتابات الآباء فى العصور الأولى، خصوصاً الآباء الرسوليين، لا تشير بوضوح إلى القديس بطرس، كمؤسس لكرسى روما.

من ذلك رسالة اكليمنضس الرومانى إلى كنيسة كورنثوس والتى أُكتشفت فى سنة ٩٦ ميلادية، ففى هذه الرسالة يشار إلى القديس بطرس على أنه تحمل آلام الشهادة وإنتقل إلى المجد، كما يتحدث الكاتب بأكثر تفصيل عن القديس بولس، ولكنه لا يشير صراحة أو ضمناً إلى مركز خاص للقديس بطرس بالنسبة إلى كنيسة روما.

وبالمثل نجد الرسولين يُذْكَرَانِ فى رسالة القديس إغناطيوس إلى أهل رومية من دون أن ينسب إلى القديس بطرس وضع خاص كمؤسس لكرسى روما.

ثالثاً : هل لأسقف روما رياسة أو تقدم على جميع أساقفة العالم المسيحى؟

هذه قضية تفتقر إلى أساس دينى روحى لاهوتى لمساندتها.

يمكن أن يقال أنه نظراً لمكانة المدينة السياسية والثقافية والإجتماعية والدولية يعظم شأن الأسقف القائم بمسئوليتها الرعوية.

وهذه حقيقة تاريخية تأيدت على المستويين، العالمى والمحلى...

أما على المستوى المحلى... فقد أخذ ينمو نفوذ أسقف عاصمة الإقليم فى أى بلد على حساب نفوذ الأساقفة الآخرين فى نفس الإقليم... وذلك تبعاً لأهمية العاصمة المدينة التى يقيم فيها الملك أو الحاكم وأعضاء حكومته، ويدين لها بالخضوع حكام المقاطعات التابعة للإقليم. ولابد لأهمية العاصمة سياسيا وإقتصادياً وإجتماعياً وثقافياً أن يترك أثرها على أهميتها الدينية والروحية، فينمو تبعاً لهذا نفوذ أسقفها أكثر من الأساقفة الآخرين فى كل المقاطعات، وشيئاً فشيئاً يدينون له بالولاء والخضوع إذ يصير بالنسبة للجميع رمز وحدة الكنيسة فى الإقليم.

هكذا أمتد نفوذ أساقفة العواصم واعتبروا مقدمين على غيرهم، وشيئاً فشيئاً نما هذا التقدم فصار رياسة.

هذا إلى أن بعض العواصم أخذت كرامة خاصة، كرامة تاريخية على أساس دينى... فالمدن التى إنطلق إليها الرسل، وصارت من بعدهم كراسى رسولية أخذ نفوذها ينمو على أساس تاريخها وكرامتها الروحية. ولا ننسى هنا أن العواصم التى سميت فى القرون الأربعة الأولى كراسى رسولية كانت لها فى نفس الوقت أهميتها المدنية والسياسية، مثال ذلك أورشليم، وروما، والأسكندرية، وأنطاكية، ولحقت بها بعد ذلك القسطنطينية التى سميت بروما الجديدة بغد أن اتخذها الأمبراطور قسطنطين عاصمة ملكه.

وليس من شك فى أن تقدم أسقف العاصمة على غيره من الأساقفة لا يرجع إلى صفات شخصية، بقدر ما يرجع إلى المركز الذى يشغله باعتباره أسقف العاصمة ... وعلى قدر ما يكون شأن العاصمة من أهمية عالمية، تكون شهرة الأسقف الذى يشغل مركز راعيها، وتقدمه على الآخرين من الأساقفة، على الرغم من أنه قد يكون بين هؤلاء الأساقفة من يفضل أسقف العاصمة روحانية وتقوى وعلماً وحكمة...خاصة وأن أسقف العاصمة لم يكونوا يختارونه من بين الأساقفة، وإنما من بين الرهبان والكهنة والشمامسة كما يختار أى أسقف آخر.

واليوم ينظرون إلى أسقف اسطنبول وهى القسطنطينية القديمة - على أنه مقدم على جميع الأساقفة والبطاركة الذين يرأسون الكنائس الأرثوذكسية التى تتبع الطقس البيزنطى، على الرغم من أن المسيحيين الذين يتبعون البطريرك المسكونى فى اسطنبول لا يزيدون عن عشرة آلاف نسمة، بينما أن بطريرك موسكو وكل روسيا يتبعه نحو ٩٠ مليوناً...

إذن فأهمية البطريرك المسكونى فى اسطنبول، وتقدمه على عدد كبير من البطاركة الأرثوذكسيين الذين يتبعون الطقس البيزنطى، يرجع إلى أهمية اسطنبول أو القسطنطينية التاريخية بإعتبارها عاصمة الأمبراطورية الرومانية الشرقية منذ عهد قسطنطين.

على نفس القياس، نفهم مكانة أسقف روما فى زمن كانت فيه روما عاصمة الدولة الرومانية، أو قل عاصمة العالم بأسره... وظلت روما تتمتع بهذه المكانة قروناً طويلة هى القرون التى شهدت قيام الكنيسة المسيحية وازدهارها وإنتشارها حتى صارت ديانة عالمية إمتد نفوذها الروحى إلى العالم كله.

وحتى القسطنطينية عندما اتخذها قسطنطين قاعدة لملكه، أخذت لقب روما الجديدة مما يدل على أن روما كانت ولا زالت حتى بعد أن صارت القسطنطينية العاصمة الجديدة للأمبراطورية، تتمتع بمكانتها التاريخية وشهرة اسمها، ولذلك فإن القسطنطينية إستعارت اسم روما لعلها بذلك

تحتل شيئاً فشيئاً المكانة التى كانت لروما فى كل التاريخ العريض الذى إمتد مئات السنين.

هذا هو السبب الحقيقى الذى يفسر لنا تقدم أسقف روما على الصعيدين والمستويين العالمى والمحلى.

أما المحلى فلأن روما عاصمة إيطاليا، فكان لابد لأسقفها تبعاً لأهميتها كعاصمة أن يتقدم أساقفة كل إيطاليا ومقاطعاتها، ثم بعد ذلك مستعمراتها، ولذلك أخذ لقب «أسقف روما وبطريرك الغرب».

وأما العالمى، فكان لابد تبعاً لشهرة روما واتساع نفوذها السياسى، وتحكمها فى مصائر الملايين من البشر فى كل المسكونة - أن ينمو نفوذ أسقفها فيصير نفوذاً أدبياً عالمياً حتى لو لم يكن دائماً إدارياً..

يضاف إلى هذا أن أسقف روما، أخذ شيئاً فشيئاً نفوذه ينمو فيصير سلطاناً روحياً، تخضع له حكام وملوك وأباطرة، وفى عصور التقوى والإيمان تطغى قيمة الروح على المادة، وتزداد أهمية السلطة الدينية الروحية عن السلطة المدنية، ويصير الشعب كله بما فيه الحكام والملوك أنفسهم يدينون بالخضوع لسلطان الأسقف دينياً أولاً، ويأخذ نفوذ هذا السلطان فى الامتداد حتى يشمل الحياة الإجتماعية... وشيئاً فشيئاً يتقلص مع الأيام نفوذ السلطة المدنية، حتى يمسى ضئيلاً جداً وفى نطاق محدود. ولا يجد الملك نفسه مناصاً من أن يخضع لهذا السلطان وينحنى أمامه من أجل نجاح نفسه كمؤمن أولاً، ثم لكى ينجح فى حكم شعبه الذى يدين للسلطان الروحى للأسقف.

وتاريخ أوربا والغرب كله حافل بالأحداث والوقائع التى يبرز فيه سلطان بابا روما لا روحياً فقط - فهذا أمر لا جدال فيه - وإنما إجتماعياً ومدنياً أيضاً، حتى شهدت أوربا صراعاً طويلاً بين النفوذ الروحى ممثلاً فى بابا روما، وبين النفوذ المدنى ممثلاً فى أباطرة إيطاليا، والبلاد الأخرى التى تخضع للنفوذ الروحى لبابا روما مثل ألمانيا والنمسا وغيرها من بلاد أوربا... وكان دائماً النفوذ الروحى يقوى على النفوذ المدنى، مما كان يضطر الأباطرة والملوك إلى الخضوع لبابا روما صاغرين، حتى لو كان ذلك على مضض منهم، وكانوا يضطرون أحياناً إلى تصرفات شكلية ظاهرية يبدون فيها خضوعهم لبابا روما، فيها ما فيها من إذلال لهم يكتمونه فى قلوبهم، كالإذلال التاريخى المعروف بإذلال قلعة كانوسا Canossa ، بشمال إيطاليا، تذلل فيه الأمبراطور هنرى الرابع أمبراطور ألمانيا (١٠٥٦ - ١١٠٦) أمام البابا غريغورى السابع لينتزع منه الحل لأن هذا الحل كان ضرورياً ليحفظ ملكه وسيادته فى ألمانيا.

ولا نعتقد أن هناك براهين دينية أصيلة تساند أسقف روما فى أسبقيته وتقدمه على غيره من أساقفة الغرب، أو أساقفة العالم المسيحى.

ولذلك، فإن ما يقال عادة عن رياسة القديس بطرس على سائر التلاميذ، هو من قبيل المحاولات الإنسانية العقلية لتبرير إتجاه إرادة الراغبون فى هذه الرياسة.

لأنه كما قلنا سابقا لا يوجد دليل حاسم صريح أو ضمنى من الكتاب المقدس سواء من الأناجيل أو سفر أعمال الرسل، أو من الرسائل يؤيد هذه الرياسة.

ولو قبل جدلاً أن يكون للقديس بطرس هذه الرياسة وهذا التقدم، فإن هذه الرياسة ترجع إلى صفات القديس بطرس الشخصية أو إلى كرامة سنه، فلماذا تمتد هذه الرياسة إلى خليفة القديس بطرس بالذات؟ ولماذا لا تكون مثلاً لخليفة القديس يوحنا الرسول، وهو الرسول الذى كان يسوع يحبه؟ ولماذا لا تكون للقديس يعقوب الكبير الذى مات شهيداً فى أورشليم مدينة إلهنا؟ ولماذا لا تكون لخليفة القديس يعقوب الصغير المعروف بأنه أخو الرب، والمسمى لعظمة تقواه وزهده بأنه يعقوب البار، ولا سيما أنه هو الذى أصبح أسقف أورشليم، وقد رأس المجمع الرسولى العظيم الذى إنعقد فى أورشليم من الآباء الرسل، وكان رأيه الذى أبداه فى مشكلة قبول الأمم هو القرار الذى اتخذه المجمع الرسولى سنة ٥١ أو ٥٢م.

هل تقر المسيحية وهى ديانة روحانية تصوفية امتيازات روحية على أساس غير روحى؟

ولماذا ينال خليفة القديس بطرس فى روما هذه الإمتيازات، ولا ينالها خليفة القديس بطرس فى أنطاكية؟

لقد قلت أن من المحقق أن يكون القديس بطرس قد مات شهيداً فى روما، وأن قبره فيها، ولكن ما لا يمكن إثباته بدليل قاطع، هو أن يكون القديس بطرس هو مؤسس كرسى روما، بينما أن من الثابت تاريخياً أن القديس بطرس هو مؤسس كرسى أنطاكية، فلماذا يكون خليفته فى روما مقدما على أساقفة العالم، ولا يتمتع خليفته فى أنطاكية بهذه الإمتيازات لو أن أساس هذا الإمتياز هو خلافة القديس بطرس روحياً فقط.

وقيل أيضاً أن القديس بطرس قام بزيارة كورنثوس وبعض المناطق الأخرى وأنه بشر بالإنجيل هناك، فلماذا لا يدعى أسقف كورنثوس أو أثينا أن يكون هو كذلك رئيساً ومقدماً على أساقفة العالم؟

وإذا كان موضوع الخلافة الأسقفية فى المكان هو أساس التقدم بين الأساقفة، فلماذا لا يكون أسقف أورشليم بالذات، هو الأسقف المقدم على جميع أساقفة العالم، لأنه أسقف المدينة المقدسة التى كرز فيها الراعى الصالح الذى بذل نفسه من أجل الخراف، ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع

المسيح، الذى وصفه القديس بطرس للمؤمنين بأنه «راعى نفوسكم وأسقفها» (رسالة القديس بطرس الأولى ٢ : ٢٥) ؟

إن كل ما يقال عن رياسة أسقف روما أساسه مدنى سياسى، وليس له أساس دينى واضح، إلا أن يكون مجرد تبريرات لإتجاه سياسى مدنى يبحث عن تكئة دينية.

فإذا قيل أن هناك أدلة تاريخية تثبت أنه كان لأسقف روما نفوذاً روحياً خارج نطاق إيبارشيته، فيلاحظ عموماً أن هذا النفوذ كان فى بعض الأحيان نفوذاً مشروعاً، وكان فى أحيان أخرى تجاوزا للحدود، وقد وجد هذا التجاوز من يصده ويعتبره خطأ وتعدياً من بابا روما على حدود غيره من الأساقفة.

أما الحالات التى كان نفوذ بابا روما خارج نطاق إيبارشيته، يعد عملاً رعائياً مشروعاً، فهى: ظروف الإضطهاد أو الضيق التى تعانيه كنيسة ما، خصوصاً إذا كان هذا الإضطهاد أو الضيق قد أطاح بأسقفها، فصارت بلا أسقف يرعاها ويهتم بشئون المؤمنين فيها، فالمحبة المسيحية تُملى على أسقف روما كما على غيره من الأساقفة، أنه ينبرى للإهتمام بشئون الكنيسة المضطهدة، مبدياً مشاعر المحبة وما تقتضيه المحبة الصادقة، من تصرفات عملية للأخذ بيد تلك الكنيسة وتشجيعها والإهتمام بمصالحها.

من ذلك رسالة أسقف روما سوتير (١٦٦ ـ ١٧٤) التى وجهها إلى كنيسة كورنثوس، حيث كان المؤمنون يعانون ضيقاً شديداً فى الخنادق، فكتب أسقف روما يشجعهم بكلمات مقوية للإيمان، كما أرسل إليهم مساعدات مادية كان المؤمنون فى كورنثوس فى حاجة إليها.

ومن ذلك أيضاً ما يستفاد من كتاب ديونيسيوس أسقف كورنثوس حوالى ١٧٠م، إلى أهل رومية يمتدح أعمال البر التى صنعوها بإخوتهم، مشيراً إلى هذا التقليد الحميد الذى ساروا عليه بمساعدة كنائس عدة، وتقديم الخير لجميع الأخوة.

ومن هذا القبيل أيضاً، المجهود الذى بذله الأسقف الرومانى فيكتور (١٨٩ ـ ١٩٩) مستغلاً نفوذ صديقه القيصر Commodus Martius لتحرير المسيحيين الذين كانوا يعملون فى خنادق سردينيا، فهو عمل مسيحى يقدم خدمة مسيحية، لقوم هم فى حاجة إليها.

ونحن مدعوون لعمل الخير لجميع الناس لا سيما لأهل الإيمان. إن مثل هذه الأعمال الخيرة لا تخضع لحدود الإيبارشيات، وليست دليلاً على الرياسة بل هى برهان على المحبة العامة لجميع الناس.

وهناك سبب آخر يبيح لأسقف روما ولأى أسقف آخر، أن لا يتقيد بحدود إيبارشيته، وهو عندما يكون الإيمان فى خطر، أو تتهدده هرطقة ما أو إنحراف ما فى أية بقعة من بقاع

الأرض. فى هذه الحالة يمكن لأى أسقف أن يتكلم فى شئون الإيمان ولا يعترضه أحد...

هكذا كان ولا يزال هذا الحق مشروعاً لكل أسقف. من هنا كان تدخل بابا روما فى العصور الأولى، وبمناسبة بعض الهرطقات، تدخلاً مشروعاً تقتضيه واجباته الأسقفية، فالأسقف خليفة للرسل وهو مرسل للعالم بأسر، كما قرر بذلك بحق المجمع الفاتيكانى الثانى.

وبهذا المنطق أجاب البابا كيرلس الأسكندرى فى القرن الخامس للميلاد، على نسطور بطريرك القسطنطينية عندما وجه إليه لوماً، لأنه تعرض فى خطابه الفصحى ٤٢٩م لبدعة نسطور وندد بها وأظهر خطأها، فرد البابا الأسكندرى أنه لا يجوز لأسقف أن يتعدى حدود إيبارشيته إدارياً أو تنظيمياً، أما فى شئون الإيمان والعقيدة فليس للأسقف حدود. ومن حق كل أسقف بل من واجبه أن ينبرى للدفاع عن الإيمان المسيحى لأنه إيمان الكنيسة الجامعة الرسولية.

أما الحالات التى تجاوز فيها بابا روما حدود نطاق إيبارشيته، وكان هذا تجاوز غير مرغوب فيه من أساقفة آخرين، فهناك أمثلة عليها... وفى بعض الأحيان لم تمر هذه التجاوزات بسهولة، فوجدت من بعض الأساقفة رفضاً شديداً واحتجاجاً واضحاً، على الرغم مما كان يتصف به هؤلاء الأساقفة من تقوى وروحانية.

من ذلك ما كان من تصرف البابا فيكتور، الذى أصدر قراراً يلزم كنائس آسيا الصغرى، بتغيير ترتيبها فيما يختص بالإحتفال بعيد القيامة، وزاد على ذلك بمحاولة حرمان الكنائس الشرقية التى لا تخضع لهذا القرار... فقد وجد هذا التصرف معارضة شديدة من بوليكاربوس أسقف أفسس الذى كان يمارس ذلك الترتيب الشرقى، ورد على البابا فيكتور، بأنه وأساقفة آسيا الصغرى يمارسون الإحتفال بعيد القيامة طبقاً للتسليم الرسولى، وأنه هو نفسه أسقف، بل هو ثامن أسقف لمدينة أفسس من أسرة واحدة وأنه قد قرأ الكتاب المقدس كله، وأنه لا يخشى أى تهديد. وقد تدخل القديس إيريناوس أيضاً فى هذا الأمر، وكتب إلى البابا فيكتور يحذره من التدخل فى هذا الأمر... الذى ظل كذلك موضوع نزاع حتى أصدر فيه المجمع المسكونى الأول قراره الذى احترمه الكل. وهذا بينة على أهمية المجامع المسكونية، وأن سلطتها تفوق وتعلو سلطة أى أسقف آخر.

ومن هذا القبيل أيضاً الخلاف بين البابا الرومانى كورنيليوس ونوفاتيان Novatian فقد أحتكم الإثنان إلى البابا الأسكندرى ديونيسيوس، وهذا ذاته بينة على أن أسقف روما كان كغيره من أساقفة العالم، يراسل غيره من الأساقفة ليسأله رأيه فى قضية من قضايا الإيمان، أو فى مشكلة كنائسية دون أن يكون فى ذلك معنى من معانى الرياسة أو السيادة، وإنما طلب المشورة من أخ له نفس المسئولية كأسقف مسئول فى الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية.

وما لم تقتنع الأطراف المعنية كانت المجامع المسكونية هى الحل الأمثل الذى يضع حداً للخلاف، وكان حكمها هو الفيصل فى النزاع، ولم يكن لأسقف ما أن يجادل فى سلطة المجامع المسكونية، كمرجع أعلى يحتكم إليه الجميع على أنه صوت الروح القدس بعينه...

أى أسقف هو الأعظم فى ملكوت السماوات:

فإذا قيل أن الكنيسة الجامعة الرسولية لابد لها من راع واحد، يرأسها ويكون رمز وحدتها ويصير الوكيل عن المسيح فيها.

فإن الرسول بولس يتحدث عن وكلاء لا عن وكيل واحد (رسالة كورنثوس الأولى ٤: ١) وكذلك القديس بطرس (رسالته الأولى ٤: ١٠).

ولكل وكيل عمله ودائرة إختصاصه، فى نطاق الإيمان الواحد للكنيسة الجامعة الرسولية التى تمتد عبر الزمان وعبر المكان، لتكون هى جسد المسيح السوى ورأسها واحد غير منظور هو المسيح... أما الأساقفة فوكلاء عن الرأس الواحد غير المنظور.

فإذا أقتضى الأمر، أن يبت فى مسألة عامة تخص الإيمان كله، وتخص كيان كنيسة الله الواحدة، اجتمع الأساقفة فى مجمع الأساقفة، بحضور الكتاب المقدس كرمز منظور لحضور المسيح السرى بينهم، وإذا تكلموا فالروح القدس هو المتكلم فيهم كما وعدهم (لوقا ١٢: ١٢) على غرار ما فعل الرسل فى أورشليم، فى أول مجمع رسولى عام عرفته الكنيسة المسيحية فى تاريخها، بصدد مشكلة المؤمنين من الأمم وهل يلتزمون بالتهود والختان وحفظ يوم السبت وشريعة العهد القديم...

ولو كان أباؤنا الرسل يعرفون أن القديس بطرس هو الرئيس الأعلى لهم، وأنه رمز وحدتهم الذى يتحدث وحده باسم المسيح، وأنه لو نطق هو لصمت الباقون صاغرين مطيعين لما عقدوا مجمعهم. فإنعقاد المجمع الرسولى فى أورشليم دليل على أن سلطة المجمع هى فوق سلطة القديس بطرس أو غيره من الآباء الرسل، ولذلك فإنهم بعد مناقشات طويلة سجلها الإصحاح الخامس عشر من سفر الأعمال، أصدروا قرارهم الرسولى ونسبته إلى الروح القدس وحده وإلى المجمع كله وكتبوا هكذا.

«فقد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر..» (أعمال ١٥: ٢٨).

والغريب أن قرار المجمع الرسولى، قد حسم مشكلة كان القديس بطرس رأيه متردداً فيها، حتى وصفه القديس بولس بأنه فى ذلك كان مرائياً وقال عنه القديس بولس فى رسالته إلى غلاطية:

«ولكن لما قدم بطرس إلى أنطاكية قاومته وجهاً لوجه، لأنه كان يستحق اللوم، ذلك أنه قبل أن يقدم قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم، فلما قدموا توارى وتنحى خوفاً من أهل الختان. فجاراه سائر اليهود فى ريائه حتى أن برنابا إنقاد أيضاً إلى ريائهم. فلما رأيت أنهم لا يسيرون سيراً مستقيماً كما يقتضى حق الإنجيل قلت، لبطرس أمام الجميع: إن كنت أنت مع كونك يهودياً تعيش كالوثنيين لا كاليهود يتهودوا فكيف تلزم الأمم أن يتهوروا... الخ (غلاطية ٢ : ١١ ـ ٢١).

فإذا كان آباؤنا الرسل وهم أحياء، قد رأوا أن سلطة المجمع هى فوق سلطتهم كأفراد، وفوق سلطة كل منهم على إنفراد... وأن القرار الصادر منهم هو قرار الروح القدس نفسه، وهو حكم الله وأمره وسلطانه وقضاؤه.

«الله قائم فى مجمع الله. فى وسط الآلهة يقضى» (مزمور ٨١ ،٨٢، : ١).

فهذا دليل للكنيسة أنه يوم تنشب مشكلة تتصل بالإيمان، فللمجامع المسكونية من جميع أساقفة العالم وبغير إمتياز لواحد على آخر، حق البت فى المشاكل بسلطان الروح القدس العامل فيهم... ولا تستأنف قرارات المجامع المسكونية لأسقف آخر، لأن سلطة المجامع هى فوق سلطة الأساقفة.

وليس غريباً أن نلاحظ أن القديس بطرس كان عضواً فى المجمع الرسولى العظيم، ولم يكن رئيساً له وكانت الرياسة لأسقف الإقليم هو القديس يعقوب الرسول، والمتأمل يجد أن ما ورد فى نص قرار المجمع، ورد بنصه فى كلمة القديس يعقوب التى ألقاها فى وسط المجمع.

ومن هنا نفهم أنه لم يكن للقديس بطرس فى العصر الرسولى نفسه، أى إمتياز عملى يرفعه فوق الرسل، بل كان واحداً من مجمع الأساقفة أو الرسل... وأن سلطة المجمع هى أعلى سلطة فى الكنيسة... وأن الرياسة للمجامع يمكن أن تكون لأسقف المدينة التى ينعقد فيها المجمع، أو يمكن أن تكون لأحد الأساقفة بإختيار الأساقفة أنفسهم، وتكون رياسته رياسة مؤقتة وبإختيار الأساقفة، ولا تعطيه هذه الرياسة المؤقتة حقوقاً خاصة فى فرض رأية، بل تكون رياسته تدبيراً مجمعياً يقتضيه التنظيم، وتيسير أبحاث المجمع ومناقشاته للوصول إلى رأى حاسم يعبر عن إيمان الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية.

تعليم كنيسة الأسكندرية
وأخواتها الكنائس الأرثوذكسية
الشرقية القديمة
فيما يختص
بطبيعة السيد المسيح

تعليم كنيسة الأسكندرية (١)
وأخواتها الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة
فيما يختص بطبيعة السيد المسيح

ثمة مسألتان جديرتان بالنظر، فيما يختص بكنيستنا القبطية الأرثوذكسية المرقسية الأسكندرية.

الأولى : أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة شديدة المحافظة والاستمساك بالتعاليم المسيحى القديم، والتقليد الرسولى الأول.

يمكن أن يقال بصفة عامة أن شعبنا القبطى من أعرق الشعوب تديناً، إن لم يكن أعرقها بالفعل، على ما يقول المؤرخ اليونانى هيرودوت. هذه الخاصية لازمتنا لامن اليوم الذى اعتنقنا فيه دين المسيح فقط، بل قبل ذلك بقرون طويلة، أعنى منذ بدأت الحضارة الأولى وقبل أن يبدأ التاريخ. فالشعور الدينى موروث فى شعبنا، وحبه يجرى فى عروقنا ودمائنا. ونحن لا نجرؤ على أن نغير فى عقائدنا الدينية كما سلمتها إلينا كنيستنا. ولقد نشأنا وتربينا على المحافظة على تعليمنا المسيحى، وعلى أن نسلمه إلى أولادنا والآتين بعدنا بدون أى تحوير أو تغيير، وعلى أن نتركه وديعة فى أيديهم فى صورته الأولى القديمة، طاهرا من كل زيادة أو نقص، طبقا لأمر ربنا فى سفر الرؤيا «ولكن تمسكوا بما هو عندكم إلى أن أجئ» (٢).

الثانية : أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة روحانية عميقة، أوهى كنيسة صوفية باطنية جوانية.

لقد جابه قادتها الروحانيون الفلسفة والفلاسفة، ومع ذلك عرفوا أن لا يخلطوا الدين بالفلسفة. فليس أخطر على ديانتنا من خلط الدين بالفلسفة. هذا الخلط هو أصل الهرطقة (٣) وإن أكثر الهراطقة (٤) بدأوا رجالا أتقياء ولكنهم خلطوا الدين بفلسفتهم الخاصة فضلوا وهرطقوا. على أن الفلسفة فى ذاتها نافعة، وهى هامة وضرورية لرجال الدين واللاهوتيين.

يجب على رجل الدين أن يدرس الفلسفة ويتعمق فى دراستها ليصبح على علم بأساليب الفلاسفة وطرق تفكيرهم، ومن ثم يكون أقدر على أن ينفذ إلى عقولهم فيقنعهم بحقائق الديانة

---

(١) الكلمة التى ألقاها المؤلف ممثلاً لوجهة نظر كنيسة الأسكندرية، فى المؤتمر العالمى الذى إنعقد بمدينة القدس القديمة فى المدة من ١٢ - ١٥ أبريل ١٩٥٩م (من ٤ - ٧ برمودة ١٦٧٥ ش).

(٢) الرؤيا ٢ : ٢٥

(٣) الهرطقة كلمة دخيلة على اللغة العربية من اللغة اليونانية، وهى تفيد فى أصلها اليونانى (مدرسة فكرية) ولكنها أمست تقال إصطلاحيا على كل مذهب دينى إنحرف عن المذهب الأرثوذكسى.

(٤) الهراطقة هم «الخوارج» على الكنيسة.

المسيحية. ولكن هناك فارق ضخم بين أن يقرأ رجل الدين الفلسفة ويناقش نظرياتها، وبين أن يتحول الدين عنده إلى فلسفة. ولعل من أكبر الأخطاء التى يقع فيها المفكرون أحياناً، أن يظنوا أن المصطلحات والتعبيرات الفلسفية قادرة على أن تنقل نقلا أمينا ودقيقا المعانى اللاهوتية. إن المصطلحات الفلسفية لا تصلح دائما أن تعبر تعبيرا صادقا، عما يريد الفلاسفة أنفسهم أن يبينوه، ولهذا يضطرون أحياناً لضيق اللغة، أن ينحتوا ألفاظا جديدة للتعبير عن المعانى الجديدة التى يقصدونها. وهناك فلاسفة آخرون يكتفون باستعمال الألفاظ المألوفة ولكن بمعانى أخرى جديدة مختلفة بعض الإختلاف، أو بعيدة كل البعد عن المعانى المعروفة. وإذا كان ذلك كذلك فيما يتصل بدائرة الفلسفة، أفلا يكون نفسه فيما يتصل بدائرة الدين والإلهيات؟ بل ألا يكون حرياً بالأكثر فى شئون ديانتنا، أن لا نعتمد فى فهم حقائقها واستيعاب معانيها على مصطلحات فلسفية وتعبيرات إنسانية، لاسيما إذا كانت هذه الحقائق تتعلق بالجوهر الإلهى أو الطبيعة الإلهية؟

إنى أجرؤ على أن أقرر أن الخلاف، كل الخلاف، بين الكاثوليك ومن يقول بقولهم من أصحاب الطبيعتين، كالبروتستانت وبعض الأرثوذكس الذين يعترفون بمجمع خلقيدونية من جانب، وبين القائلين بالطبيعة الواحدة فى السيد المسيح، وممن لا يؤمنون بقانونية مجمع خلقيدونية من جانب آخر ـ أقول إن الخلاف بين هؤلاء وأولئك خلاف فلسفى صرف، يقوم على أساس التعبير الصحيح الذى ينبغى أن يعبر به عن الاتحاد (ἕνωσις) الكائن بين لاهوت السيد المسيح وناسوته.

أما نحن فى الشرق، فإننا نتخوف كل التخوف، من استخدام مصطلحات فلسفية فى تعريف أو تحديد معنى أو حقيقة من الحقائق اللاهوتية. فالكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية (وهى كنيسة الأسكندرية والكنيستان السوريانية والأرمنية) تؤمن بلاهوت المسيح كما تؤمن أيضاً بناسوته. ولكن المسيح عندهم طبيعة واحدة مع ذلك. وقد يبدو فى هذا نوع من التناقض. ولكن على الرغم مما يبدو فى هذا من تناقض منطقى عقلى، إلا أن كنيستنا لا ترى فيه شيئا من التناقض لأنها تنظر إلى طبيعة السيد المسيح نظرة صوفية روحانية، ينحل فيها كل ما يبدو أمام الفكر البشرى أنه متناقض عقلى أو فلسفى. فيها لا يسأل المسيحى لِمَ !؟ أو كيف ؟

إن فى ديانتنا أسراراً نؤمن بها ونقبلها بكل يقين وإيمان، لالشئ إلا لأنها قد أعلنت لنا من الله. ونحن نؤمن بها على الرغم من معارضتها لحواسنا ومناقضتها لعقلنا المادى، لالشئ إلا لأننا أيقنا أنها من الله. وكما نؤمن بوجود الله وأنه قادر على كل شئ، كذلك نؤمن بأسرار ديانتنا من دون أن نكون فى حاجة إلى أن نسأل. لِمَ؟! أو كيف؟ ولا شك أن العقل الفلسفى لا يستطيع أن يقبل هذا الإيمان الصوفى. ولكن العقل الفلسفى ليس فى الواقع عقلا روحيا على الحقيقة. إنه عقل لا يؤمن إلا بقدراته ومقاييسه وحدها. والديانة بالنسبة إلى العقل الفلسفى هى

علم، يمكن أن يوضع على قدم المساواة مع أى فرع آخر من فروع المعرفة الإنسانية. والعقل الفلسفى يحاول أن يخضع الديانة لذات المنهج العلمى الذى تخضع له كل فروع المعرفة المادية. ومن هنا فقد يدخل إلى الدين مناهج التحليل والتصنيف والاستنباط والاستقراء، وما إليها من أجل أن تجعله أكثر إساغة وقبولا للعقل الفلسفى.

ويالللأسف، أننا لا نستطيع بهذا المنهج فى معالجة المسائل الدينية والحقائق اللاهوتية، أن نفهم روح الديانة. فعندما يتدخل العقل، تقف التجربة الروحية الصوفية، بل تختفى. إن لنا أن نستخدم عقولنا إلى حد معين، وحينئذ يجب أن يقف العقل ويسلم قياده للتجربة الروحية الصوفية.

الإيمان الأرثوذكسى فى طبيعة السيد المسيح

إن الإيمان الأرثوذكسى كما نعترف به فى كنيستنا هو أن ربنا يسوع المسيح كامل فى لاهوته، وكامل فى ناسوته. ومع ذلك لانجرؤ على القول إنه إله وإنسان معاً. لأن هذا التعبير ينطوى على معنى الانفصال بين اللاهوت والناسوت. وإنما نقول بالحرى أنه «الإله المتجسد» فاللاهوت والناسوت متحدان فيه اتحاداً تاماً فى الجوهر، وفى الأقنوم، وفى الطبيعة. ليس هناك انفصال أو افتراق بين اللاهوت والناسوت فى ربنا يسوع المسيح. بل أنه منذ اللحظة التى حل كلمة الله فى رحم السيدة العذراء، اتخذ الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس، من دمها، أى من دم العذراء، جسدا بشرياً ذا نفس إنسانية ناطقة عاقلة، واتحد بالناسوت الذى أخذه من القديسة مريم العذراء. فالمولود من القديسة مريم، إذن، هو الإله المتجسد، جوهر واحد، شخص واحد، أقنوم واحد، طبيعة واحدة. أو قل هو طبيعة واحدة من طبيعتين، وبعبارة أخرى يمكن أن نتكلم عن طبيعتين من قبل أن يتم الاتحاد، أما بعد الاتحاد فهناك طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين.

وعلى ذلك فالاتحاد الذى تقول به الكنائس الأرثوذكسية التى لاتعترف بمجمع خلقيدونية يختلف اختلافاً جوهرياً وأساسياً عن نوع الاتحاد الذى يقول به يوطيخا.

يقول يوطيخا إن ربنا يسوع المسيح طبيعة واحدة، ولكن على أساس أن ناسوت المسيح قد تلاشى تماماً فى لاهوته، اختلط به وانعدم فيه، مثله مثل نقطة الخل عندما تختلط بالمحيط. فيوطيخا ينكر فى الحقيقة ناسوت السيد المسيح إنكاراً تاماً.

وتقول الكنائس الأرثوذكسية التى لا تعترف بمجمع خلقيدونية، بأن السيد المسيح طبيعة واحدة تجتمع فيها الصفات والخصائص الإنسانية أو الناسوتية وجميع الصفات والخصائص اللاهوتية، بدون اختلاط، وبدون امتزاج، وبدون تغيير. وهذا هو الإيمان الذى يجهر به الكاهن فى القداس القبطى عندما يتلو الإعتراف الأخير وهو يحمل الصينية المقدسة على يديه، قائلا :

«آمين، آمين، آمين. أؤمن. أؤمن، وأعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، (أخذه) من سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الإله القديسة مريم، وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط، ولا امتزاج، ولا تغيير...

بالحقيقة أؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة أو طرفة عين».

وعلى ذلك فصفات اللاهوت باقية، وصفات الناسوت باقية، ولكن فى طبيعة واحدة.

«المسيح إذن من طبيعتين، ليس هو طبيعتين بعد الاتحاد» كما يقول البابا ديوسقورس. فلا اللاهوت امتزج بالناسوت ولا اختلط به، ولا استحال أحدهما إلى الآخر. إنما اللاهوت والناسوت قد اتحدا. ليس من قبيل الاجتماع أو المصاحبة (συνάφεια)، ولكنه إتحاد بالمعنى الحقيقي لكلمة اتحاد، وإذا كان اللاهوت والناسوت قد اتحدا فقد صارا واحداً، ولا مجال للقول بعد ذلك أن هناك طبيعتين، وإلا فلا يكون الاتحاد صحيحاً أو حقيقياً.

ولكن كيف صار هذا الاتحاد، أو كيف يكون لطبيعة السيد المسيح الواحدة صفات اللاهوت وصفات الناسوت معا بدون اختلاط وبدون امتزاج وبدون تغيير ؟ أو كيف يكون للسيد المسيح صفات الطبيعتين ولا تكون له الطبيعتان؟ هذا ما لا نعرف. إنه من الأسرار الإلهية، لا يمكن أن نفهمه أو نعيه أو نحتويه فى عقولنا. من هنا سمى فى الاصطلاح الكنسى بسر التجسد الإلهى. فنحن نؤمن بنوع من الاتحاد يفوق كل فهم بشرى وكل تصور.

قد تكون هذه مشكلة كبيرة بالنسبة للعقل الفلسفى أو للعقل المادى، وقد يكون فيها تناقض، وقد يكون فيها ما يتعارض مع قوانين العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية. كل هذا قد يكون صحيحاً، ولكننا هنا فى الشرق لانسأل كيف؟ ولماذا ؟، ولكننا نصدق ونؤمن بتجربة باطنية روحية صوفية عالية على كل منطق وعقل أن هذا أمر ممكن، ذلك لأن الله أراده، وإذا أراد الله شيئا فهو ممكن، وحتى لو كان هذا غير معقول للعقل المادى فإنه معقول للعقل الروحانى الذى لايعرف لقدرة الله حدوداً وهذا هو «الإيمان الذى بلا فحص» الذى يصرخ من أجله الكاهن القبطى فى خدمة القداس الإلهى.

قد نتكلم أحيانا عن الطبيعة اللاهوتية والطبيعة الناسوتية، لكن هذه التفرقة تفرقة ذهنية بحتة لا وجود لها فى الواقع بالنسبة للسيد المسيح، الإله المتأنس. ذلك أنه لم يحدث بتاتاً أن الناسوت واللاهوت كانا منفصلين أو مفترقين فى الخارج ثم اتحدا معاً بعد ذلك. إن ما حدث هو هذا : أن الأقنوم الثانى من اللاهوت القدوس نزل وحل فى أحشاء البتول مريم، وأخذ من لحمها ودمها جسداً ذا نفس إنسانية ناطقة عاقلة.

ولهذا أشار القديس يوحنا الإنجيلي بصريح العبارة «والكلمة اتخذ جسداً» ((και ὃ Λὸγος σἄρξ ἐγἐνετο)) (١)

وليست هناك لفظة أقوى دلالة على الاتحاد الحقيقي الكامل من كلمة اتخذ ((ἐγἐνετο)) . أليست هذه الآية وحدها تدل دلالة قاطعة على أن المولود من مريم طبيعة واحدة، هي طبيعة الإله المتجسد ؟ ولو كان هناك معنى آخر، لما استعمل الوحي الإلهي كلمة «اتخذ» ((ἐγἐνετο)) . فليست هناك إذن ثنائية في طبيعة السيد المسيح، بل طبيعة واحدة. وهذا برهان واضح على صحة التعبير الذي تتمسك به الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية : أن هناك طبيعة واحدة للكلمة المتجسد أو للكلمة متجسدة.

(μια φΰσις τοΰ θεοΰ Λογοΰ σεσαρκωμὲνη).

والاتحاد بين اللاهوت والناسوت في السيد المسيح يمكن تشبيهه بالاتحاد القائم بين النفس والبدن. فعلى الرغم من أن للنفس طبيعة مغايرة في صفاتها ومميزاتها لطبيعة الجسم، لكننا نرى أن الإنسان طبيعة واحدة هي التي نسميها «بالطبيعة البشرية» التي تجمع بين صفات روحانية وصفات مادية معاً.

ومع ذلك فهذا التشبيه ناقص لأن النفس تنفصل عن البدن بالموت. أما الاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت فغير قابل للانفصال أو المفارقة لحظة واحدة أو طرفة عين. وقد يشبه الإتحاد بين اللاهوت والناسوت بالاتحاد القائم بين الفحم والنار، في جمرة الفحم. ففي الجمرة صفات الإضاءة والإحراق، وفيها صفات المادية من كتلة ووزن وحجم.. الخ.

ومع ذلك فهذه المشابهات جميعها ناقصة ومعيبة. ولا يمكن مقارنتها بالاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت. إنه سر لا يعبر عنه، يفوق العقول والأفهام البشرية.

ومرة أخرى نكرر القول إننا نؤمن بطبيعة واحدة. هذه الطبيعة ليست هي اللاهوت وحده، وليست هي الناسوت وحده. إنها طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين معاً، وبدون اختلاط وبدون امتزاج وبدون تغيير.

* * *

أما بعد، فيبدو أن الخلاف بين الكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية والكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية، مجرد خلاف في التعبير، ذلك لأن كل فريق يقر بالاتحاد بين اللاهوت والناسوت.

وإني أرى أن هذا صحيح إلى حد بعيد، وأن الخلاف بين الفريقين هو خلاف في الحقيقة على التعبير الصحيح الذي ينبغي أن يعبر به المسيحيون عن إيمانهم بحقيقة الاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت.

---

(١) يوحنا ١ : ١٤

ومع ذلك فلكنيستنا المرقسية الأرثوذكسية وللكنائس الأرثوذكسية الأخرى التى لاتقر بقانونية مجمع خلقيدونية أسباب تحدوها إلى أن تتمسك بالتعبير «طبيعة واحدة للكلمة المتجسد» (μια φΰσις τοΰ θεοΰ Λογοΰ σεσαρκωμἓνη)
أو «طبيعة واحدة من طبيعتين» أو «طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير» . وهى الأسباب عينها التى ترفض من أجلها الإقرار بتعبير الغربيين «طبيعتان متحدتان»

هذه الأسباب يمكن تلخيصها فى النقاط الآتية :

أولا ـ ليس هناك نص إنجيلى واحد يدل بوضوح على أن للسيد المسيح طبيعتين بعد الاتحاد.

على العكس تماماً فان هذه النصوص المقدسة تساند التعبير «طبيعة واحدة لها صفات وخواص الطبيعتين» ونحن هنا نكتفى بإيراد بعض هذه النصوص على سبيل المثال فقط :

قال يوحنا الإنجيلى «والكلمة اتخذ جسداً» (١) ، وهو تعبير كما رأينا (٢) يدل على الوحدة ولايدل على الأثنينية فى طبيعة السيد المسيح.

جاء فى سفر الرؤيا قول السيد عن نفسه «أنا هو الأول والآخر، والحى وقد كنت ميتاً، وها أنا حى إلى دهر الدهور، ولى مفاتيح الموت والجحيم» (٣) . وهنا نلاحظ أن الضمير «أنا» فى هذه الفقرة لا يدل أبداً على الإثنينية، وإنما يدل بالحرى على الاتحاد الحقيقى، والطبيعة الواحدة. فالسيد المسيح هو بعينه الأول والآخر، وهو بعينه الحى. الذى كان ميتاً.

وهذا المعنى عينه يتضح أيضاً من قول السيد المسيح نفسه فى إنجيل يوحنا «ولم يصعد أحد إلى السماء إلا ذاك الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء» (٤) .

فهو إذن بعينه فى السماء، وهو بعينه على الأرض، وهو ابن الله وابن الإنسان. هنا إذن هوية ووحدانية، وليست هنا رائحة الإثنينية، وإنما هو جوهر واحد، وأقنوم واحد، وطبيعة واحدة.

ويقول القديس بولس فى حديثه إلى الكهنة الذين اجتمعوا إليه فى مدينة أفسس «احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه» (٥) .

---

(١)(يوحنا ١ : ١٤)

(٢) أنظر ص ٢٣١

(٣) (الرؤيا ١ : ١٧، ١٨)

(٤) (يوحنا ٣ : ١٣)

(٥) (أعمال ٢٠ : ٢٨)

فكيف أمكن للقديس بولس الرسول أن يقول عن الدم الذى أفتديت به الكنيسة أنه دم الله نفسه إذا كانت هناك ثنائية فى طبيعة السيد المسيح بأى معنى من المعانى ؟

والرسول بولس نفسه يقرر أيضاً فى رسالته الأولى إلى كنيسة الله التى فى كورنثوس قائلا «لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (١).

وعلى ذلك فالمخلص المصلوب هو رب المجد نفسه. مرة أخرى ليس هنا ثنائية فى الطبيعتين. وليست هنا طبيعتان، وإنما هى طبيعة واحدة هى طبيعة الله المتجسد.

وهذه الحقيقة عينها تتضح من نصوص أخرى كثيرة، منها ماورد فى رسالة القديس بولس الأولى إلى تلميذه الأسقف تيموثيئوس «عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد» (٢). «المسيح يسوع... الذى إذ هو الكائن فى صورة الله لم يحسب مساواته لله خلسة أو غنيمة له. لكنه تخلى عن مجده واتخذ صورة العبد وصار فى شبه البشر، وظهر بهيئة إنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، الموت على الصليب» (٣).

وهناك فقرات أخرى كثيرة تؤيد القول بالطبيعة الواحدة نذكر منها (متى ٣: ١٧) ، (لوقا ١: ٤٤) ، (يوحنا ١: ١٨) ، (يوحنا ٣ : ١٦) ، (يوحنا ٨ : ٥٨)، (١. كورنثوس ٨ : ٦) ، (١. كورنثوس ١٠ : ٤ ، ٩) ، (غلاطية ٤: ٤) ، (أفسس ٤ : ٨ - ١١) ، (كولوسى ١: ١٥، ١٦) ، (كولوسى ٢ : ٩) ، (كولوسى ١: ١٥ - ١٦) (كولوسى ٢ : ٩) ، (تيطس ٣ : ١٣) ، (عبرانيين ١: ١ - ٣) ، (عبرانيين ٢: ٩، ١٠) (عبرانيين ١٣ : ٨).

ثانياً - إن التعبير القائل بطبيعتين متحدتين للسيد المسيح - وهو التعبير الذى تقول به الكنيسة الخلقيدونية - تعبير خطر لأنه يشتمل على معانى، أو على الأقل على احتمالات بمعانى، تتعارض مع حقائق ديانتنا المسيحية.

١ - إنه يتضمن الثنائية فى السيد المسيح. والثنائية نوع من الافتراق والإنفصال بين لاهوت السيد المسيح وناسوته. وإلا فلماذا تصر الكنائس الخلقيدونية على القول بطبيعتين متحدتين، ولايقولون بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد؟!

٢ - إن تعبير الكنائس الخلقيدونية القائل «بطبيعتين متحدتين» يحمل التصريح أن هناك طبيعتين للسيد المسيح، كانت مفترقتين ثم اجتمعتا معاً. وهذا يفتح السبيل للمذهب النسطورى بعينه، وهو المذهب الذى ترفضه الكنائس الخلقيدونية، نفسها رفضاً باتاً، وتعتبره هرطقة فاسدة.

---

(١) (١. كورنثوس ٢: ٨) (٢) (١. تيموثيئوس ٣ : ١٦) (٣) (فيلبى ٢: ٦ - ٨)

٣ - إن تعبير (الطبيعتين المتحدتين) تعبير هادم لقضية الفداء والخلاص الذى قام به السيد المسيح من أجل الجنس البشرى.

لأنه إذا كانت للسيد المسيح طبيعتان بعد الاتحاد، فمن المنطقى أن عمل الفداء قام به جسد السيد المسيح، لأنه هو الذى وقع عليه الصلب. وعلى ذلك ففداء المسيح ليست له أى قوة على خلاص الجنس البشرى، إذ يكون الذى مات من أجل العالم هو إنسان فقط، مع أن الفداء يأخذ كل قيمته فى أن الذى صلب عنا هو بعينه الكلمة المتجسد. حقاً إن اللاهوت لم يتألم بآلام الصليب التى وقعت على ناسوت المسيح، ولكن اللاهوت هو الذى أعطى فعل الصلب قيمته اللانهائية لفداء جميع أفراد النوع الإنسانى.

إن التعبير «طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين» تعبير سليم ينقذ قضية الفداء من الإنهيار، بينما أن القول بطبيعتين متحدتين يقبل الإحتمال بأن الصلب كان صلبا لجسد يسوع المسيح فقط، ولم يكن صلباً للمسيح باعتباره الإله المتجسد، وهذا يفقد الخلاص كل قيمته التى يتعلق عليها فداء الجنس البشرى بأسره. وهو معنى تعارضه كل نصوص الكتاب المقدس التى تتكلم عن الفداء. ولسنا فى حاجة إلى أن نكرر مرة أخرى ما قاله الرسول القديس بولس من أن الدم الذى سفك لإفتداء البشرية هو دم الله عينه «كنيسة الله التى افتداها بدمه» (١).

٤ - إن تعبير المتحدتين لا يستطيع أن يفسر إعتقاد الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية، فى أن القديسة مريم والدة الإله ((θεοτὸκος)).

لست أدرى كيف يستطيع الكاثوليك والأرثوذكس الخلقيدونيون، أن ينقذوا أو يبرروا إعتقادهم فى أن السيدة العذراء هى والدة الإله، إذا كانوا يصرون على القول بأن للسيد المسيح طبيعتين متحدتين ؟

أما التعبير القائل بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد، فهو وحده الذى يمكن أن يفسر الإعتقاد فى أن العذراء والده الإله، من حيث أن الذى ولد من مريم هو الإله المتجسد. ولو كان فى المسيح طبيعتان لكانت العذراء **والدة الإنسان يسوع فقط**، ولا يصح تلقيبها بوالدة الإله، لأنها ليست أصلا للاهوت، فالقول بطبيعتين فى المسيح يسلم إلى الإعتقاد النسطورى الذى يؤيده البروتستانت بكافة نحلهم ومذاهبهم، وهو أن العذراء ليست والدة الإله، وإنما هى والدة الإنسان يسوع !!!

وبالإجمال فإن هذه هى أهم الأسباب التى من أجلها تتمسك الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية (وهى الكنيسة المرقسية الأسكندرية فى مصر وأثيوبيا وكل أفريقيا وفى الأردن

---

(١)(أعمال ٢٠ : ٢٨)

وفلسطين، والكنيسة السريانية الأرثوذكسية والكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية) بالتعبير التقليدى «طبيعة واحدة للكلمة المتجسد» (μια φύσις) الذى قال به آباء الكنيسة من أمثال أثناسيوس الرسولى، والبابا كيرلس الأول الملقب بعمود الدين، وترفض القول بطبيعتين متحدتين. وهى الأسباب عينها التى تحدو هذه الكنائس غير الخلقيدونية إلى رفض الإعتراف برسالة أو طوموس (τόμος) ليون أسقف روما، وبتحديدات مجمع خلقيدونية، لأن كلا من تلك الرسالة وهذه التحديدات تشتمل على القول صريحا بأن للسيد المسيح طبيعتين متحدتين، وهو التعبير الذى ينطوى على احتمالات خطيرة من الوجهة اللاهوتية كما أسلفنا.

هذا هو الوضع اليوم. الوضع الصحيح للمشكلة القائمة بين القائلين بالطبيعة الواحدة والقائلين بالطبيعتين، وهى مشكلة التعبير الصحيح الذى يجب أن يعبر به المسيحيون عن إعتقادهم فى لاهوت السيد المسيح وناسوته فى نفس الوقت.

ولاشك أن الكنائس الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية التى تقر بمجمع خلقيدونية ليست نسطورية على الإطلاق. كما أن الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة التى لاتقر بمجمع خلقيدونية ليست بأوطاخية على الإطلاق.

لذلك فإننا لم نفقد الأمل فى أنه سيأتى إن شاء الله اليوم السعيد الذى يوفق فيه المسيحيون إلى التعبير الواحد الذى يترجم عن عقيدتهم فى طبيعة السيد المسيح.

ولاشك فى أننا فى حاجة ماسة إلى مجمع مسكونى عام يضع صيغة هذا التعبير الموحد. ولكن إلى أن تتحقق هذه الأمنية السعيدة يجب أن نرحب بالمؤتمرات، فإنها السبيل الوحيد بين اللاهوتيين فى الوقت الحاضر لتقريب وجوه النظر، وتصحيح الأفكار الخاطئة التى يحملها الغرب على الخصوص عن عقيدة الكنيسة المرقسية الأسكندرية والكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة، وإتهامها بالأوطاخية ذلك الإتهام الظالم الذى ليس له على الإطلاق سند من واقع.

فلنُصلِّ إلى الله من أعماق قلوبنا من أجل وحدة كنيسة المسيح، حتى يمكنها أن تحمل مشعل الحق الإلهى، وتكرز بإنجيل المسيح بغير عثرة، وتهدم صروح الشر، وتقاوم الإلحاد والمادية.

إن وحدة الكنيسة الجامعة الرسولية ليست فقط تطابق إرادة الله المقدسة، ولكنها الشرط الذى اشترطه السيد المسيح من أجل نشر رسالته بين غير المسيحيين، لأنه يقول «ولست أسأل من أجل هؤلاء (التلاميذ) فقط، بل أيضا من أجل الذين يؤمنون بى عن كلامهم، ليكونوا بأجمعهم واحداً كما أنك أنت أيها الآب فىّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا حتى يؤمن العالم أنك أنت أرسلتنى (١)

(١) يوحنا ١٧ : ٢٠، ٢١

الرد على مقال عن الأرثوذكسية (١)
للدكتور مجدى وهبة

كتب السيد الدكتور مجدى وهبة مقالا فى صفحة الرأى بجريدة الأهرام بتاريخ ٨ من أبريل ١٩٦١ مقالا عن الأرثوذكسية تحت عنوان «مفاهيم»، ذهب فيه إلى أن الأرثوذكسية ومعناها الإيمان الصحيح، أصبحت تطلق على الكنائس المسيحية الشرقية التى خرجت على المسيحية الغربية فى القرن الحادى عشر. وبذلك أنكر الدكتور مجدى على الكنائس الشرقية القديمة أرثوذكسيتها، ومن أهمها الكنيسة القبطية المرقسية الأرثوذكسية فى الإقليم المصرى والنوبة والسودان وأثيوبيا وكل أفريقيا والأردن وفلسطين، ومن بينها أيضا الكنيسة السريانية الأرثوذكسية فى الإقليم السورى، وبلاد الهند، ومن بينها كذلك الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية المنتشرة فى أرمينيا وبلاد أخرى كثيرة... علماً بأن هذه الكنائس الشرقية القديمة كانت تسمى أرثوذكسية قرونا طويلة قبل الكنائس الأرثوذكسية الأخرى التى خرجت على المسيحية الغربية فى القرن الحادى عشر وعلى رأسها كنائس القسطنطينية، واليونان وشرق أوربا وروسيا.. فكيف جاز للدكتور مجدى أن ينكر أرثوذكسية الكنيسة القبطية وزميلاتها الكنائس الأرثوذكسية القديمة؟! إنه ما من مؤرخ يستطيع أن يغفل الدور الكبير الذى قامت به كنيسة الأسكندرية (وهى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية) فى قيادة الفكر المسيحى نحو الإستمساك بالتعليم الأرثوذكسى القديم فيما يتصل بطبيعة السيد المسيح. وكان باباواتها بين عمالقة التاريخ من أمثال كيرلس الأسكندرى الأول الملقب بعمود الدين، وديوسقورس العظيم المعروف ببطل الأرثوذكسية، وذلك كان كله فى القرن الخامس لميلاد المسيح. وفى القرن الخامس حدث الإنشقاق الكبير بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية، بسبب مجمع خلقيدونيا الذى عقد عام ٤٥١م، فأصبحت كنائس الشرق تحت قيادة كنيسة الأسكندرية تعرف بالكنائس الأرثوذكسية، وكنائس الغرب تحت قيادة كنيسة روما وتعرف بالكنائس الكاثوليكية، إلى أن جاء القرن الحادى عشر حيث انفصلت كنائس القسطنطينية واليونان وشقيقاتها عن الكنيسة اللاتينية، وأصبحت هى الأخرى تعرف بالكنائس الأرثوذكسية إعلانا عن احتجاجها على تعليم كنيسة روما.

٢ ـ ويبدو جليا أن الدكتور مجدى وهبة قد استقى كل معلوماته فى مقالة عن «الأرثوذكسية» من مصادر غربية كاثوليكية، بدليل أنه عندما تكلم عن القبط والأرمن واليعاقبة (وهم السريان، أو السوريون الأرثوذكسيون) جعلهم سيادته فى صف واحد مع النساطرة!! والنساطرة على مانعلم هم أتباع نسطور الذى عد هرطوقيا وخارجا على التعليم المسيحى. قال سيادته بالحرف الواحد «فوصف المسيحيون الشرقيون أنفسهم بالأرثوذكسية ليميزوا بينهم وبين الكنيسة الغربية

---

(١) نشر بصفحة الرأى بجريدة الأهرام بتاريخ ٨ أبريل عام ١٩٦١

من جهة، والخارجين عليهم من المسيحيين الشرقيين أمثال الأرمن والقبط والنساطرة واليعاقبة من جهة أخرى. وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الطوائف المذكورة لاتزال تصف نفسها بالأرثوذكسية أيضاً!!!

إننا نحيل الدكتور مجدى وهبة على كتب التاريخ كما كتبه الشرقيون أيضا، فليس من الإنصاف للحقيقة أبداً أن يعتمد سيادته على الكتب التى تصور وجهة النظر الغربية وتشوه وجهة نظر الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة.

ومما يجدر ذكره هنا أن الإتجاه السائد الآن عند اللاهوتيين فى الكنائس اليونانية والروسية وشرق أوربا عامة، هو إلى تصحيح وجهة النظر التى عبر عنها الدكتور مجدى وهبة فى مقاله وإعتبارها وجهة نظر ظالمة فيها كثير من الحيف والتجنى على الكنائس الأرثوذكسية القديمة.

وأذكر هنا أيضاً أننى دعيت إلى إحدى المؤتمرات العالمية وقد انعقد بضاحية أبنْجدون Abingdon بالقرب من أوكسفورد بإنجلترا، وكان ذلك فى يوليو ١٩٥٤. وعرضت فى هذا المؤتمر وجهة نظر كنيسة الأسكندرية فى نقطة الخلاف الأساسية بين الكنائس الشرقية والغربية، ورددت فى كلمتى على جميع الأفكار الخاطئة التى اشتملت عليها كتب الغرب، وصححت الكثير من الظنون والأوهام التى يتهمنا بها الغرب. وقد لاقت الكلمة إستحسانا عجيباً وقوبلت بكثير من الدهشة، ووجه المؤتمرون إلى أسئلة وأجبت على جميع أسئلتهم. واعترف الكثيرون منهم بأننى غيرت وجهة نظرهم عن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تغييرا أساسيا وعلق بعضهم تعليقات فيها تأييد وتقدير، ودارت مناقشات كثيرة. وانتهى المؤتمرون إلى أن أفضل طريق للتفريق بين الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة (وعلى رأسها كنيسة الأسكندرية القبطية وأتباعها والكنيسة السريانية الأرثوذكسية والكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية) وبين الكنائس الأرثوذكسية الأخرى (كاليونان والروس وشرق أوربا عامة) هو التفريق بينها على أساس إعترافها أو عدم إعترافها بمجمع خلقيدونيا. وعلى ذلك سميت الكنائس الشرقية القديمة بالكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية، وسميت كنائس اليونان وروسيا بالكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية.

٣ ـ وثمت دليل آخر على أن الدكتور مجدى يمثل وجهة النظر الغربية وهو قوله فى نفس المقال «ونقطة الخلاف تنحصر فى أن هذه الطوائف لا تعتقد بوجود طبيعتين للمسيح، طبيعة إلهية وأخرى بشرية بل له طبيعة إلهية واحدة، خلافاً لما قرره مجمع خلقيدونية لممثلى جميع الكنائس المسيحية سنة ٤٥١م» وهذا خطأ صريح وقع فيه الدكتور مجدى فإن الكنائس الأرثوذكسية الشرقية ـ وهى التى لا تعترف بمجمع خلقيدونية ـ تؤمن بطبيعة واحدة للسيد المسيح لها صفات اللاهوت والناسوت معاً. ليست إذن هذه الطبيعة الواحدة هى الطبيعة الإلهية كما يزعم الدكتور مجدى، لأن الذى يقول بذلك هو يوطيخا Eutyches وليست كنائس القبط والسوريين والأرمن. إن يوطيخا يعد فى نظر هذه الكنائس الأرثوذكسية هرطوقيا وخارجاً على

التعليم الأرثوذكسى لأنه قال بامتصاص الطبيعة الإلهية للناسوت، وملاشاة الناسوت فى اللاهوت كما تتلاشى نقطة من الخل فى المحيط. أما كنائس القبط والسوريين والأرمن ومن إليهم فيقولون بأن اللاهوت قد اتحد بالناسوت اتحاداً جوهرياً أقنومياً طبيعياً، ولكن من دون أن يختلط الناسوت باللاهوت أويمتزج فيه أو يتغير أحدهما إلى الآخر. فالاتحاد قائم بين اللاهوت والناسوت من غير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. لأنه إذا كان هناك اتحاد حقيقى، فلا تكون هناك أثنينية، وإنما هناك طبيعة واحدة وأقنوم واحد فيه أو فيها صفات اللاهوت والناسوت معاً. وهذا هو الفارق الضخم بين العقيدة الأرثوذكسية كما يعلم بها آباء القبط والسريان والأرمن ومن إليهم، وبين المذهب الأوطاخى. وهو الفارق الجوهرى الأساسى الذى يغفله المؤرخون الغربيون لتشويه وجهة نظر الكنائس الأرثوذكسية القديمة. وللأسف فإن الدكتور مجدى وهبه تأثر بمؤلفى الغرب فى التأريخ لمسألة عقيدية دقيقة حساسة من دون أن يرجع إلى كتاب الكنائس الشرقية القديمة وهم أقرب إليه لأنه يحيا معهم فى الشرق.

٤ ـ وأخيراً فليس صحيحا كذلك ماذهب إليه الدكتور مجدى وهبة فى خاتمة مقاله، قال سيادته «وفيما عدا نقطة الخلاف هذه فإن كل الطوائف الأرثوذكسية تدين بنفس معتقدات الكنيسة المسيحية فى صورتها الكاثوليكية إلا فى شئ واحد هو زعامة البابا وعصمته من الخطأ حينما يعظ بوصفه رئيسا للكنيسة». فالواقع أن الأرثوذكسيين بنوعيهم ـ سواء الذين لا يعترفون بمجمع خلقيدونية أو الذين يعترفون به ـ يختلفون مع الكاثوليك فى أمور أخرى غير عصمة بابا روما، ومنها على الخصوص موضوع إنبثاق الروح القدس. كما أن الأرثوذكسيين لا يقرون كذلك رياسة القديس بطرس على سائر التلاميذ، ولا وجود مطهر فى العالم الآخر، ولا بأن السيدة العذراء حبل بها من غير دنس الخطيئة الأصلية، هذا عدا إختلافات كثيرة فى أمور أخرى طقسية تتصل بمباشرات الكنيسة لامحل لذكرها هنا. ونحن نحيل الدكتور مجدى على الكتب اللاهوتية الخاصة بهذه الموضوعات، فإن فيها الإيضاح الوافى.

الكنيسة والمجامع

الكنيسة مؤسسة إلهية وسفارة سماوية

كلمة موجزة عن الكنيسة، أول شئ أحب أقوله عن الكنيسة فى مفهوم رسالتها، أن الكنيسة أولاً مؤسسة إلهية وسفارة سمائية، سفارة السماء إلى الأرض والكنيسة يجب فهم رسالتها على هذا النحو، إنها ليست مؤسسة ولا منظمة من المنظمات الإجتماعية مهما نظرنا إليها من وجهة نظر المجتمع لكنها فى طبيعة رسالتها سفارة السماء...

الكنيسة من فوق وليست من الأرض، الكنيسة أصلاً سفارة، والسفارة لا تنتمى إلى البلد الذى تقيم فيه، وإنما تنتمى إلى البلد الذى تمثله هذه السفارة، فالكنيسة أسسها المسيح الذى أتى من السماء وضم إليها أناساً من الأرض، وأصبحوا بطبيعة هذا الانضمام أعضاء السفارة السمائية، وانفصلوا بهذه التبعية عن الأرض وأصبحوا ملكاً للسماء...

الكنيسة ملكوت السموات على الأرض

وهذا معناه أن الكنيسة تسمى ملكوت السموات على الأرض، هناك الملكوت بمعنى المصير النهائى، الذى وعدنا الله به لو سرنا بحسب وصاياه، والذى يظهر فى قوله «تعالوا إلىّ يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم» (متى ٢٥ : ٣٤)، لكن الكنيسة على الأرض تسمى بملكوت السموات، أى مملكة للسموات على الأرض وذلك حينما يقول مخلصنا «يشبه ملكوت السموات شبكة مطروحة فى البحر، وجامعة من كل نوع، فلما امتلأت أصعدوها على الشاطئ وجلسوا وجمعوا الجياد إلى أوعية، وأما الأردياء فطرحوها خارجاً..» (متى ١٣ : ٤٧، ٤٨).

ولكن لا يعقل أن يكون فى الملكوت السماوى سمكاً رديئاً، لأن السماء لا يدخلها دنس ولا من يصنع رجساً، ولا من يحب الكذب أو يصنعه .. «لا تضلوا فإنه لا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون يرثون ملكوت السموات».. أما قول المسيح له المجد يشبه ملكوت السموات خميرة أو حبة خردل أو لؤلؤة كثيرة الثمن أو شبكة، فالكلام هنا يتجه إلى الكنيسة فهى مملكة السماء على الأرض بمعنى سفارة السماء على الأرض.

والمسيحى عند العماد: يجحد الشيطان... وهذا معناه أن المُعمَد قبل أن ينزل إلى المعمودية يستنكر تبعيته لمملكة الشيطان، ويعلن إنضمامه لمملكة المسيح... والكاهن يستغرق نحو ساعة من الزمن فى الصلوات يصارع فيها من أجل قطع هذا الكائن الجديد من مملكة الشيطان، وينفخ فى المعمد قبل أن ينزل إلى جرن المعمودية ثلاث مرات، ويقول باسم يسوع المسيح آمرك أيها الروح النجس أن تخرج من هذا الإنسان، ويطالب المعمد أن يمد يده اليسرى

ويجحد الشيطان وكل أعماله، ثم يمد يده اليمنى ويتلو قانون الإيمان، ويعلن بذلك إنفصاله عن مملكة الشيطان وإنضمامه لمملكة المسيح، فبالمعمودية يصبح المعمد عضواً فى مملكة المسيح، والمسيح هو ملك هذه المملكة... ونحن من أتباعه. ومملكة المسيح ليست من هذا العالم، ولا تتعارض مع ممالك الأرض بل تسودها، فليس هناك تعارض أو تنازع إختصاصات بين مملكة المسيح وممالك الأرض لأن مملكة المسيح سماوية.. وهذا ليس معناه أننا بتبعيتنا لمملكة المسيح نخرج عن طاعة ملوك الأرض أو رؤسائها، ولكن من الوجهة الروحية قد إنفصلنا عن مملكة الشيطان، وأصبح المسيح لنا ملكاً والصليب لنا علماً ... إننا نرشم الصليب على جباهنا وعلى أيدينا ونرشم الصليب حينما نبدأ عملاً، وحينما نخدمه ونرشمه عند الصلاة وعند الأكل والنوم واليقظة ولبس الملابس لأن الصليب علامة المسيح، ويقول الإنجيل إنه فى اليوم الأخير « تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء » (مت ٢٤ : ٣٠) ومعناها علامة الصليب: **لأن الصليب علامة المسيح وهو بالتالى علامة المسيحى...**

إذن طبيعة الكنيسة إنها ليست منظمة بشرية أو إنسانية أو اجتماعية، مهما نظر الناس إليها من الوجهة المادية الخارجية الجسمانية، فهى فى أصولها منظمة إلهية.. هى شجرة جذورها فى السماء وجزعها وأوراقها وثمارها على الأرض... والكنيسة ليست جذورها من الأرض... أبداً... لأن المسيح جاء من السماء، وغزا الأرض حيث مملكة الشيطان، لأن الأرض صارت مملكة للشيطان ولذلك يقول مخلصنا عن الشيطان أنه «رئيس العالم» وإن الكنيسة سفارة السماء على الأرض وبطبيعة هذا النظام جاء المسيح ليؤسس الكنيسة، وانتزع من الشيطان، من اقتنصهم الشيطان لإرادته، وهذا سر كراهية الشيطان لعلامة الصليب لأن بالصليب تمت هزيمة الشيطان ونصرة المسيح عليه، لأن المسيح «سبا سبيا وأعطى الناس عطايا» (١. تس ٤ : ٨)، وهذا السبى سباه المسيح بالصليب وأصبح للمسيح أتباع وأصبحت الكنيسة عدوة للشيطان. ويقول بولس الرسول «قد صلبت العالم لى وأنا للعالم» (غلا ٦ : ١٤) . وفى اليوم الذى تتنازل الكنيسة عن عبادتها للمسيح، وتبعيتها الصادقة لتعاليم المسيح، يوم ذلك يتلف كيان الكنيسة وتضيع مقوماتها وخصائصها وتفقد وجودها وكيانها الخاص، يوم تصير مهادنة بينها وبين العالم، لأنه كلما كان هناك تعارض بين العالم وبين الكنيسة، كان هذا علامة على صحة موقف الكنيسة كقوة إلهية تقف فى مواجهة الشيطان ومعارضته ... ولكن يوم أن تهادن الكنيسة الشيطان فهنا تعتبر الكنيسة قد فقدت خصائصها ومميزاتها.. إذن الكنيسة لا تحزن من المتاعب أو الاضطهادات بل هذا برهان على قوة الكنيسة وسلامة موقفها، وستقوّى المتاعب الكنيسة كمؤسسة إلهية وسفارة الله على الأرض...

المسيح يقيم عنه نوابا لسياسة الكنيسة وتدبيرها

هذه الكنيسة التى أسسها المسيح لم يطل مقامه معها فى الأرض، ولم يرض المسيح أن يقيم إقامة منظورة مع الكنيسة بل اكتفى أن يسقى الكنيسة من دمه، وأن يجعل المؤمنين والغصون التى فيها تعيش على دمه وهذا هو معنى سر الأفخارستيا أو سر القربان...

من سر المعمودية نفهم أن الكنيسة شجرة سقيت من دم المسيح، وفى سر القربان نتحقق أن الكنيسة شجرة سقيت وتسقى من دم المسيح، وستظل الكنيسة دائماً تعيش على دم المسيح، نحيا وسوف نحيا كما قال «من يأكلنى يحيا بى» فنحن لا يكون لنا حياة إلا بالمسيح «لأن جسدى مأكل حقيقى ودمى مشرب حقيقى» (يو ٦ : ٥٥) وبهذه الكلمة (حقيقى) شجب المسيح كل المفهوم الرمزى وغير الرمزى... فالمسيح نزل من السماء ولن تكون لنا الحياة إلا به «من يأكلنى يحيا بى» (يو ٦ : ٥٧) إذن بدم المسيح سقيت الشجرة فنمت وبدمه تحيا الشجرة للأبد...

صعد المسيح للسماء وترك نيابة عنه بعضاً من بنى البشر، وشاء أن يقيم نيابة عنه إناساً من بنى البشر لا من الملائكة، بل من أبناء البشر أنفسهم وجعلهم عنه وكلاء وخلفاء، وأعطى لهؤلاء الوكلاء أن يقوموا مقامه فى كل ما يريده فى كنيسته، وأعطى لهم الحق أن يلجأ إليهم المؤمنون فى كل أمر يتعلق بخلاصهم، وفوض لهم السلطان ومنحهم كل الإمكانيات وأعطاهم المواهب والسلطة كاملة، ليتصرفوا كما يقول الرسول لتلميذه الأسقف تيموثاوس «هذا أكتبه إليك راجياً أن آتى إليك عن قرب ولكن إن كنت أبطئ... فلكى تعلم كيف يجب أن تتصرف فى بيت الله، الذى هو كنيسة الله الحى عمود الحق وقاعدته» (١. تى ٣ : ١٤) والكنيسة فيها وكلاء فوضهم المسيح، أن يتصرفوا، وفوض للرسل أن يقيموا أشخاصاً مزودين بالروح القدس يقومون على الأمانة، وعلى توزيع هذه المواهب وكل عطايا الروح القدس على المؤمنين، وأعطى لهم سلطان القضاء والحكم... فوض المسيح الرسل ثم الأساقفة من بعدهم، ليكونوا بالنيابة عنه، وزودهم بمواهب الروح القدس ووعدهم، «ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر» (مت ٢٨ : ٢٠) وهذه المعّية ليست معّية ظاهرة مادية بل معنوية، بمعنى أنه أعطاهم المواهب والقدرات وأن كل ما يصنعونه يثبته من فوق «الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء وكل ما حللتموه على الأرض يكون محلولاً فى السماء» (مت ١٨ : ١٧ ـ ١٩).

والوكيل له تفويض وله سلطان أن يعمل باسم الأصيل، ولكن الوكيل أيضاً له حساب أمام الأصيل، له كرامة الوكيل لأنه ينوب عن الأصيل، ولكن لو تصرف الوكيل فى غير إختصاصه أو خرج عن حدوده المرسومة له كوكيل، يكون حسابه عسيراً أمام الأصيل الذى يقول له فى

اليوم الأخير: (قدم حساب وكالتك) وتعبير الوكيل تعبير كتابى فقد قال المسيح : «فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذى أقامه سيده على خدمه، ليعطيهم فى حينه ... طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا ... الحق أقول لكم أنه يقيمه على جميع أمواله، ولكن إن قال ذلك العبد الردئ فى قلبه، أن سيدى يبطئ فى قدومه، فيبتدئ يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى، يأتى سيد ذلك العبد ليشقه من وسطه، ويجعل نصيبه مع عديمى الإيمان هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (مت ٢٤ : ٥٦ ـ ٥١) ..

ويقول الرسول «يجب على الأسقف كوكيل لله أن يكون بلا لوم» (تيطس ١ : ٧) ويقول «فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله ثم يسأل فى الوكلاء لكى يوجد الإنسان أميناً» (١ . كو ٤ : ١) .

وهناك إذن وكيل عدل ووكيل ظلم والله ليس بغافل لأنه سيحاسب الوكيل، ولكن الوكيل طالما أنه وكيل له نفوذ وسلطان التصرف فى حدود إختصاصه .

المسـيح
رأس الكنيسة غير المنظور
أما البابا البطريرك
فهو رأس الكنيسة المنظور

إذاً لم يعد المسيح رأس الكنيسة المنظور بل هو الآن رأسها غير المنظور، لأنه أقام وكلاء عنه وعلى رأسهم البابا أو البطريرك فى إقليم معين فيكون هو نائب المسيح ووكيل المسيح فى الإقليم، وله التصرف وسوف يحاسب عن تصرفه. يتصرف كوكيل ومرجع أعلى... ولكنه سيحاسب عن عمله كوكيل أمام الأصيل وهو الله فى يوم الدين...

قال المسيح لتلاميذه القديسين: «لا تدعو لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذى فى السموات» (متى ٢٣ : ٩) قال المسيح هذا للرسل القديسين ولمن هم فى حكم الرسل وهم البابوات البطاركة... فالبابا البطريرك ليس له أب على الأرض غير المسيح... إنه يدعو الأساقفة أخوة، ويدعو الكهنة أبناء، ولكنه لا يدعو أحداً أباً له لأن أباه واحد وهو المسيح، فإذا وجه البابا الخطاب للأسقف أو المطران يسميه «الأخ الروحى الحبيب» وإذا وجه الخطاب للقس أو القمص يسميه «الإبن المبارك» إذن البابا البطريرك هو رئيس الكنيسة المنظور وأما المسيح فرأسها غير المنظور.

المجامع المسكونية

وإذا حدثت فى الكنيسة أمور يجب أن تنظر، أو كانت هناك مشكلة تخرج عن نطاق الإقليم، وتهم الكنيسة الجامعة الرسولية كلها هنا ينعقد مجمع.. وأول من عقد المجامع هم الآباء الرسل...

نبتت فى الكنيسة الأولى مشكلة الراجعين إلى الله من الأمم... كان هناك أمم من غير اليهود ويهود أصبحوا مسيحيين ... فقال المسيحيون الذين كانوا من أصل يهودى، لابد للأمم أن يتهودوا قبل أن يصيروا مسيحيين، ولابد لهم من أن يحفظوا الناموس القديم.. فقال الأمم: إن هذا تصعيب واختلف الآباء الرسل أيضاً فى هذا، لذلك اجتمعوا فى أورشليم سنة ٥١م.. وهذا المجمع الرسولى العظيم والأول من نوعه، يرد ذكره فى إصحاح ١٥ من أعمال الرسل، وقد رأسه القديس يعقوب الرسول بن حلفا أو كلوبا المسمى بيعقوب الصغير أو يعقوب أخى الرب... فقد كان هذا الأسقف أسقفاً على أورشليم .. عقد المجمع الرسولى الأول برياسة القديس يعقوب أسقف أورشليم وتفاوض الرسل وتناقشوا ثم قرروا قراراً وقالوا فى صيغة القرار: « قد رأى الروح القدس ونحن لا نضع عليكم أيها الأمم ثقلاً آخر غير هذه الأشياء، الواجب أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا» (أع ١٥ : ٢٨) لقد قرر الرسل فى هذا المجمع أن لا يلتزم المسيحى الأممى بالطقوس الموسوية القديمة بل أن المسيح فتح الباب للجميع دون التقيد بالدخول فى الدين اليهودى القديم وهنا حلت المشكلة...

إذن حينما تنبت مشكلة كبيرة فى الكنيسة على مستوى الكنيسة الجامعة الرسولية، فلا يبت فيها شخص واحد بل يعقد مجمع بمواصفات معينة ... فالمجامع لها صفات ومواصفات خاصة، وبها تصبح هذه المجامع قانونية، ومن دون توافر هذه الشروط لا تكون المجامع المسكونية قانونية...

إذن حينما تكون هناك مشكلة على صعيد أعلى وأعظم من الأقليم، ينعقد مجمع من جميع أساقفة المسكونة ليبت فى هذه المشكلة ويصدر فيها قرار، كل كنيسة تكون ملزمة بهذا القرار، ويصير لقرار المجمع قوة الكتاب المقدس والتقليد المقدس..

الخلافة الرسولية... وسلطان الكنيسة المنظورة

إذن وكلاء المسيح ورسله ونوابه لهم حق التصرف فى الكنيسة، فى حدود السلطة الممنوحة لهم ممن أقامهم على هذه الوكالة .. وهو المسيح ... فهم أولاً صاروا مستودع أسرار الروح القدس، المستودع الذى تنصب فيه مواهب الروح القدس ومنها يوزعون على الآخرين، فيقيمون عنهم نواباً وخلفاء فيسرى عمل الروح القدس وتيار الروح القدس فى الآخرين من الأولين.. قال القديس بولس لتلميذه تيموثاؤس: « وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه إناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً .. والرسول بولس الذى أقام تيموثاؤس، هو نفسه أقامه الآباء الرسل رسولاً وأعطوه يمين الشركة كواحد منهم، وهذا أمر غريب أن المسيح دعا بولس للخدمة، ومع ذلك لم يقمه رسولاً، ولكنه ترك هذه المهمة لوكلائه الذين أقامهم نيابة عنه يوزعون الأسرار ويقيمون الخلافة الرسولية..

فقد ظهر السيد المسيح لبولس أو شاول لينير بصيرته... قال بولس للمسيح: «ماذا تريد يا رب أن أفعل» فقال له المسيح «ادخل إلى المدينة وحينئذ يقال لك ماذا ينبغى أن تفعل» .. فالمسيح لم يقم بولس رسولاً بل قال له «ادخل إلى المدينة وحينئذ يقال لك ماذا ينبغى أن تفعل» وظهر المسيح فى رؤيا لحنانيا الرسول وقال له «اذهب إلى الزقاق الذى يقال له المستقيم واطلب فى بيت يهوذا رجلاً طرسوسياً اسمه شاول» (أع ٩ : ١١) .. إن المسيح لم يعمد شاول ولا أقامه رسولاً وإنما حنانيا هو الذى عمد شاول ليصبح مسيحياً أولاً، ولم يصبح رسولاً إلا بعد أن وضع الآباء أيديهم عليه، ويقول بولس «فإذا علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا (بطرس) ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطونى وبرنابا يمين الشركة» (غلاطية ٢ : ٩) وفى الإصحاح الثالث عشر من سفر الأعمال: «قال الروح القدس (للرسل) افرزوا لى برنابا وشاول (بولس) للعمل الذى دعوتهما إليه» (أع ١٣ : ٢) فمع أن بولس دعاه المسيح وقال عنه الروح القدس افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه، لكن هذا لم يكن ليصبح بها شاول رسولاً لأنه لم يصبح رسولاً إلا بعد أن أرسل رسمياً من الكنيسة المنظورة يقول الكتاب «فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى وأطلقوهما».

إذاً فالإنسان حتى ولو كان نقياً ومدعواً من الله أو من الروح القدس لا يمكن أن يصير رسولاً رسمياً، أو كاهناً رسمياً إلا بعد إرساله رسمياً من الكنيسة، ووضع الأيدى عليه من قبل رؤساء الكنيسة المنظورة. فالمسيح الذى وضع سياسة الكنيسة وتدبيرها فى أيدى الرسل والأساقفة، وصعد السماء وتركها أمانة ووديعة فى أيديهم، لا يمكن أن ينقض نفسه ولا يمكن أن يهدم بيده نظاماً وترتيباً وضعه بنفسه.. يؤيد هذا أيضاً قصة كورنيليوس قائد المئة الوثنى الذى شهدت السماء بتقواه فظهر له ملاك يقول له: «صلواتك وصدقاتك صعدت تذكاراً أمام الله» (أع ١٠: ٣) لكن الملاك لم يزد عن ذلك ولم يتعد إختصاصه ليعمد كورنيليوس أو يهبه موهبة من مواهب الروح القدس على الرغم من اقتدار الملاك، لذلك أحاله الملاك إلى الكنيسة، أحاله إلى مار بطرس الرسول وقال له «والآن أرسل إلى يافا رجالاًواستدع سمعان الملقب بطرس وهو يقول لك ماذا ينبغى أن تفعل» (أع ١٠: ٥، ٦) وهنا حكمة الله حتى لا يتكبر كورنيليوس ويظن نفسه أنه فى غير حاجة إلى الكنيسة ولا رجالها، كما يحدث من بعض الناس الذين يشعرون أو يزعمون أنهم فى غنى عن الكنيسة وعن الكهنة، ويقول أنه يمكنه أن يتصل مباشرة بالله، وليس فى حاجة إلى رجال الكهنوت ليكونوا وسطاء بينه وبين الله. لذلك خضع كورنيليوس واستدعى القديس بطرس الرسول الذى أتى إليه وبشره وعمده هو وأهل بيته...

إذا رجال الكهنوت هم نواب المسيح، ولن يمكن لإنسان أن يخلص من غير رجال الكهنوت، وهذا هو ترتيب المسيح، لا خلاص خارج الكنيسة، رجال الكهنوت هم حكومة الكنيسة ومن يتمرد على الكنيسة وعلى الكهنوت فهو متمرد على قانون وترتيب المسيح.

ها هو إبراهيم أب الآباء وكان نقياً جداً بل كان خليل الله، لكنه لما قابل ملكى صادق خضع إبراهيم لملكى صادق لأن كهنوته أكبر من كهنوت إبراهيم، وقدم العشور له، وقال الرسول بولس فى رسالته إلى العبرانيين ص ٧ أن الأصغر يبارك من الأكبر، إذاً على الرغم من تقوى إبراهيم فقد خضع إبراهيم لملكى صادق ونال منه البركة لأنه كان كاهناً لله...

... لعلنا بهذا نكون قد أعطينا فكرة شاملة عن وظيفة الكنيسة ومهمتها فى العالم...

تاريخ الفكر الدينى المسيحى
ما بين الأسكندرية وروما وبيزنطة

يبدو واضحاً لمن يتتبع أحداث التاريخ منذ القرن الأول لميلاد المسيح أن عصر الإمبراطور قسطنطين الكبير (٣٢٣ - ٣٣٧)م. يسجل نقطة تحول هامة في سياسة الإمبراطورية الرومانية نحو الديانة المسيحية، فقد كان يعدها أسلافه حركة ثورية مناهضة لدولة الرومان، ومن ثم فقد اضطهدوها وحاربوها حرب إبادة دون هوادة إبتداء من نيرون (٥٤ - ٦٨)م حتى ديوقليديانوس (٢٤٥ - ٣١٣)م ولا سيما هذا الأخير الذى رسم مخططاً هائلاً يقوم على نقاط أربع: أولها: قتل رجال الدين، وثانيها إحراق الكتب المقدسة، وثالثها: هدم الكنائس، ورابعها حرمان المسيحيين من الوظائف العامة ثم عاد وأصدر مرسوماً بالقضاء المبرم على جميع المسيحيين. وقد جاء بنفسه إلى مصر ليتشفي بقتل المسيحيين بيده لأنه كان يرى أن في مصر تكمن «رأس الحية». أما قسطنطين الأول فقد آمن بالمسيحية واعترف بها ديانة سماوية، وأعلنها من بين الديانات الرسمية فى الدولة الرومانية، ومنع اضطهادها.

مشكلة أريوس:

وكان قد ظهر أريوس الليبى فى الأسكندرية. ونشر بين الناس تعليماً فى المسيح اقتبس فكرته من فيلون اليهودى فى نظريته عن اللوغوس (Logos) Λόγος باعتباره كائناً متوسطاً يعبر الهوة التى لا تعبر بين الله والعالم، خلقه الله ليخلق به العالم والمادة، إذ أن الله عند فيلون مستشرف على المادة فلا يمكن أن يتصل بها مباشرة من غير وسيط. كما تأثر أريوس بأفلوطين فى نظريته فى النوس (Nous)Νοῦς ومركزه المتوسط بين الله أو «الواحد» وبين العالم. تأثر أريوس بهاتين النظريتين تأثراً واضحاً. بل قل أن أريوس لم يفعل فى الحقيقة أكثر من أنه أخذ نظرية فيلون فى «اللوغوس» ونظرية فيلون فى «النوس» وألبسهما لباساً مسيحياً وساق فى تأييدهما نصوصاً من الكتاب المقدس اعتقد أنها تساند رأيه. ولهذا قال القديس أثناسيوس عن آراء أريوس «إنها آراء وثنية» Ἑλλήνων ἴδια ταῦτα.

ولكن أريوس قد انحرف بالتأويل فى إتجاه رأته المسيحية الأرثوذكسية كفراً وزندقة. ومن ثم اشتعلت ثورة الخلاف على مركز المسيح: قال فيه أريوس: إنه خالق ومخلوق، خالق الكون ومخلوق من الله، وقالت الكنيسة: إن المسيح مولود غير

مخلوق γεννηθέντα οὐ ποιηθέντα وهو كان بأقنومه (١) الأزلي قبل أن يولد من العذراء مريم، بل قبل كل الدهور، ومنذ الأزل πρὸ πάντων τῶν αἰώνων وهو من ذات جوهر الآب ومن طبعه ὁμοούσιος τῷ πατρί، وأنه لم تمر لحظة من الزمان منذ الأزل كان فيها الآب موجوداً من دون اللوغوس (الكلمة)، وهو المسيح قبل التجسد.

مجمع نيقية:

وتفاقم الخلاف، ودعت الحاجة إلى عقد مجمع مسكوني يحضره أساقفة يمثلون العالم المسيحي بأسره ليتدارسوا في شأن التعليم الجديد الذي نادى به آريوس قسيس الأسكندرية. ودعا الإمبراطور قسطنطين إلى هذا المجمع، فانعقد في نيقية بآسيا الصغرى في ١٦ يونيه سنة ٣٢٥م من ٣١٨ أسقفاً، وألقى فيه الإمبراطور خطاباً افتتاحياً حيا فيه الأساقفة ودعاهم إلى بحث الموضوع الذي اجتمعوا لأجله، ولم يتدخل هو في مناقشات المجمع، وترك لهم شئون العقيدة لأنها من إختصاصهم.

وقد ظهر في هذا المجمع النيقي البابا ألكسندروس بطريرك الأسكندرية وشماسه الشاب أثناسيوس، وكان لا يزيد عن الخامسة والعشرين، لكنه كان يتميز بالذكاء والحماسة وسرعة البديهة وقوة الحجة ودقة التعبير. وعلى الرغم من أن بعض الأساقفة اعترضوا في أول الأمر على وجوده وهو شماس بينهم لكن البابا الأسكندري أبان أنه في حاجة إليه ليسند ضعفه لأنه شيخ. وتبين بعد ذلك أن أثناسيوس كان أقوى عقلية لاهوتية في المجمع أمكنها أن تكشف عن حقيقة المذهب الأريوسي، وتظهر الفروق الدقيقة الحاسمة التي تفصل في وضوح وتميز بين مذهب أريوس ومذهب المسيحية الأرثوذكسية التي يمثلها أساقفة مجمع نيقية (٢). ومن ثم

(١) الأقنوم كلمة سريانية الأصل بمعنى «شخص»، لكنها تقال اصطلاحياً في مقابل الكلمة اليونانية ὑπόστασις في مجال التحدث عن «الثالوث» وهو «الله» في المسيحية. فالأقانيم الثلاثة «صفات ذاتية» في الله، بها وعليها تقوم «الذات الإلهية»، وبدونها تنعدم الذات الإلهية.

(٢) من ذلك أن أريوس قال بعد مناقشة أنه يوافق على القول بأن المسيح من جوهر «شبيه» بجوهر الآب، مستخدماً في ذلك الكلمة اليونانية ὁμοιούσιος فرفض أثناسيوس هذا التعبير الذي كاد أن ينطلي على أعضاء المجمع، وأصرَّ على التعبير الأرثوذكسي الذي يدل على أن الابن هو من نفس جوهر الآب ὁμοούσιος ولم يكن الفارق بين التعبيرين إلا حرف واحد، ومع ذلك كان فارقاً ضخماً بين مدلولين، وهو الفارق بين الأريوسية من جانب، والأرثوذكسية من جانب آخر.

اتضح إنحراف أريوس ومدى ما في تعليمه من هرطقة (١). فحكم المجمع بتجريده من رتبته الكهنوتية وبطرده من شركة الكنيسة الجامعة. وقرر المجمع صيغة تحدد العقيدة سميت قانوناً للإيمان اشتركت في وضعه لجنة من ثلاثة هم ألكسندروس بابا الأسكندرية، وأثناسيوس تلميذه، وليونتيوس أسقف قيسارية الكبادوك. وكان أثناسيوس هو الشخصية الفعالة والعقلية اللاهوتية الكبرى بين هؤلاء الثلاثة، وكأنه هو في الواقع الواضع الحقيقي لقانون الإيمان الذي تستخدمه الآن جميع الكنائس المسيحية شرقاً وغرباً. وقد قال مونسينيور هيفيليه «ان لغة دستور الإيمان تشهد بأن أثناسيوس هو واضعه» وقد ذيل هذا الدستور بالحرم التالي ضد أريوس والأريوسيين «إن جميع الذين يقولون عن الابن أنه جاء عليه حين من الدهر لم يكن فيه موجوداً أو أنه لم يكن له أثر في الوجود قبل أن يولد، أو أنه ولد من العدم. أو أنه من غير جوهر الآب، أو أنه مخلوق وعرضة للتحول والتبدل، فالكنيسة الجامعة الرسولية المقدسة تعلن وقوعهم تحت طائلة الحرم». ووقع آباء المجمع على قراراتهم بإمضاءاتهم، واعتمد الملك قسطنطين ما قرره الآباء، ونفى آريوس.

البابا أثناسيوس يقاوم إمبراطور بيزنطة:

وفي سنة ٣٢٨م صار أثناسيوس بطريركاً لكنيسة الأسكندرية. وسعى آريوس إلى الإمبراطور واستعطفه، فتدخل قسطنطين في أمر إعادته إلى شركة الكنيسة، وطلب إلى أثناسيوس أن يقبله. فرفض أثناسيوس طلب الإمبراطور بشجاعة، وقال له: إن ما حرمه مجمع مسكوني لا يحله من الحرم إلا مجمع مسكوني آخر. ومن ثم بدأ سوء التفاهم يجد طريقه إلى قلب الإمبراطور ووجدت السعاية سبيلها إليه، فوشى الأريوسيون إليه بأن أثناسيوس يستغل نفوذه كبطريرك في منع تصدير الغلال من الأسكندرية إلى القسطنطينية، وكان لهذا الاتهام وقع سئ في نفس الإمبراطور. وأخذ يرى في أثناسيوس شخصية عنيدة مناهضة له سببت له الكثير من المتاعب. واستغل الأريوسيون هذا الموقف وأثاروا الإمبراطور فنفى أثناسيوس إلى «تريف» بفرنسا بداعي الحرص على أمن البلاد. وظل أثناسيوس صامداً لا يلين في أيام قسطنطين وأيام خلفائه يقاوم الأريوسية بقلمه ولسانه. ولم يلن أمام رغبة الإمبراطرة في قبول آريوس مما أدى إلى نفيه

(١) هرطقة كلمة يونانية الأصل مشتقة من αἱρετικός وهي نعت من الاسم αἵρεσις . ولئن كانت تفيد أصلاً «مدرسة فكرية، أو رأي» لكنها تطورت في مفهومها فأصبح يقصد بها في لغة الإنجيل والعهود المسيحية التالية مذهباً «خارجاً على المسيحية الأرثوذكسية، والهراطقة هم «الخوارج».

خمس مرات من قاعدة كرسيه إلى أن مات أريوس بطريقة شنيعة عدت إنتقاماً من السماء على موقفه العدائي للكنيسة، ووضع بموته حداً للمتاعب التي عاناها القديس أثناسيوس نحو خمسين عاماً حتى لقد قيل له مرة «العالم كله أصبح ضدك يا أثناسيوس» فأجاب « وأنا بقوة إلهي ضد العالم»، ومن ثم عرف في الغرب بهذا اللقب Athanasius contra mundum «أثناسيوس المضاد للعالم».

الخلاف الفكرى بين مدرستى الأسكندرية وأنطاكية (ومعها بيزنطة):

وإذا كان مجمع نيقية وجهود القديس أثناسيوس قد تركزت في توكيد لاهوت السيد المسيح وأزليته مع الآب συναΐδιος τῷ πατρί ضداً لمذهب أريوس الذى كان يرى في المسيح مخلوقاً له إبتداء أو هو نصف إله يحتل مركزاً متوسطاً بين الله وخليقته، لكن مجمع نيقية لم يشرح في عبارة واضحة العلاقة بين اللاهوت والناسوت في المسيح. لذلك اتجهت نظريات المفكرين المسيحيين إلى بحث هذه العلاقة. ويمكن أن نقول بصفة عامة أن إتجاه مدرسة الأسكندرية اللاهوتية كان يعارض إتجاه المدرسة الأنطاكية معارضة أساسية. فبينما كان الإتجاه الفكرى في الأسكندرية مطبوعاً بالنظرة الصوفية المسيحية كانت مدرسة أنطاكية تتسم بالإتجاه العقلى المنطقي. ويبدو أن مدرسة الأسكندرية كانت متأثرة بمنهج أفلاطون ومنهجه في التفكير، بينما اقتفت مدرسة أنطاكية أثر أرسطو وكان مذهبها في المنطق هو هو المنطق الأرسطاليسى، ولم يكن ثمت شئ عندهم إلا وقد خضع للمنطق القياسي، كما أخضعوا علم اللاهوت لعمليات التفكير الفيزيقى والرياضي. وظهر هذا الخلاف واضحاً في تفسير الكتاب المقدس، وفي تعليمهم عن طبيعة المسيح. أما في الكتاب المقدس فكانت الأسكندرية تنادى بأن لكل نص من نصوصه معنيين آخرين إلى جانب معناه الحرفى أحدهما روحى والآخر رمزى، لكن أنطاكية قصرت عنايتها على المعنى الحرفي اللغوى. وأما فيما يتصل بطبيعة المسيح، فقد كان تفكير لاهوتيى الإسكندرية متجهاً إلى لاهوت المسيح أولاً مع توكيد قضية الاتحاد بين اللاهوت والناسوت اتحاداً تاماً، وتصوروه بطريقة صوفية ووصفوه بأنه اتحاد «حقيقى» و «جوهرى» و«اقنومى» و«طبيعى»، ولما لم يستطيعوا أن يخضعوه لمنطق قياسي أو تصور بشرى قالوا أنه «اتحاد سرى» لا يمكن إدراكه بالفهم أو العقل. وعلى العكس من ذلك كان تفكير لاهوتيى أنطاكية متركزاً أولاً في ناسوت المسيح (١)، ولذلك مالوا إلى القول بالفصل بين طبيعتين في السيد المسيح. ولئن أقروا القول بالاتحاد لكنهم كانوا يلحون دائماً على الازدواج والأثنينية.

---

(١) وأريوس نفسه مع أن مركز نشاطه كان الأسكندرية لكنه كان قد تتلمذ أولاً على لوسيان الأستاذ الأكبر لمدرسة أنطاكية اللاهوتية.

مذهب أبوليناريوس:

تلك النظرة العامة في الخلاف الأساسي القائم بين مدرسة الأسكندرية من جهة، ومدرسة أنطاكية وبيزنطة وروما من جهة أخرى، تفسر لنا سر النزاع الذي ثار في القرون المسيحية الأولى إبتداء من القرن الرابع. وقد لا نجانب الحق إذا قلنا أن هذه القاعدة العامة لا تعرف لها شذوذاً إلا عند مفكر واحد تقريباً كان انطاكيا لكنه نزع نزعة أسكندرية، ومع ذلك لم يوفق في الجمع بين الإتجاهين فسقط هو الآخر في هرطقة دينية، هذا المفكر هو أبوليناريوس.

كان أبوليناريوس أسقف اللاذقية في سوريا، وكان ذا حماسة دينية واضحة. رأى أن أريوس قد أخطأ في أنه نسب إلى المسيح التغير زاعماً أنه مخلوق عرض له ما يعرض لسائر البشر من تجارب وإغراءات ولكنه بفضل مجاهدته الشيطان عن نفسه وبفضل مقاومته لإغراءات الخطيئة قد ثبت وصار معصوماً من الخطأ، فلم يخطأ المسيح بالفعل ولو أنه كان يمكنه أن يخطأ نظراً لما توافر له من حرية الاختيار بين الخير والشر. ذاك قول أريوس، أما أبوليناريوس فأنكر أن يكون المسيح قابلاً للتغير وعد ما قاله أريوس وأتباعه تعليماً مهيناً للسيد المسيح، واندفع في قوة يؤكد لاهوت المسيح وبراءته من التغير، وأن طهارته التامة من الخطيئة أي عصمته لم تكن بفضل مجاهدته الروحية بل بمحض طبيعته الذاتية.

وقال أبوليناريوس أن النفس الإنسانية العاقلة أو الروح هي علة التغير في الإنسان لأنها حرة، وهي العنصر الهام المسيطر على الطبيعة البشرية المغروس فيها بالضرورة القدرة على عمل الخير أو الشر. ولما كانت حرة ومعرفتها ناقصة فهي بالتالي مركز الخطيئة. ولذلك فلكي ينفي أبوليناريوس عن المسيح التغير وإمكانية الشر، أنكر أن تكون للمسيح نفس إنسانية. وقد طبق على المسيح مبادئ التقسيم الثلاثي المستخلص من سيكولوجيات أفلاطون، فكما أن الإنسان يتألف من جسم ونفس حيوانية وروح كذلك يتألف المسيح من جسم بشري ومن نفس حيوانية غير ناطقة ψυχὴ ἄλογος ، ومن اللوغوس Λόγος وبذلك حل اللوغوس أو «الكلمة» محل الروح الإنسانية العاقلة وصار هو المبدأ السائد في المسيح وهو القوة المسيطرة. وهو الذي يحرك العناصر الأخرى ويحييها بالحياة العليا الإلهية. إن أبوليناريوس لا يستطيع أن يتصور قيام اتحاد حقيقي بين اللوغوس وبين النفس الناطقة العاقلة. لأنه في هذه الحالة إما أن تحتفظ النفس الإنسانية بإرادتها واضحة، ومن ثم لا يكون ثمت اتحاد حقيقي، وإما تفقد النفس حريتها ومن ثم تمتص في اللاهوت. ولذلك فلكي يدافع أبوليناريوس عن وحدة أقنوم المسيح ضد التعليم بالثنائية

كما نادى به أصحاب المدرسة الأنطاكية علم هو باتحاد اللوغوس بجسد بشري بلا نفس ناطق وبلا عقل.

وقد حكم على تعليم أبوليناريوس في مجمع عقد بالأسكندرية عام ٣٦٢م، ولكن أبوليناريوس نفسه لم يحرم من الكنيسة قبل سنة ٣٧٥م. وقد تجدد حرمه في عدة مجامع عقدت في روما برئاسة داماسوس أسقفها في ٣٧٧/ ٣٧٨، كما حرم أخيراً في المجمع المسكوني الثاني الذي انعقد بالقسطنطينية سنة ٣٨١م، وصدرت عدة مراسيم إمبراطورية في منع مذهبه في الفترة من ٣٨٨ إلى ٤٢٨م إلى أن قضى عليه نهائياً، وقد مات أبوليناريوس نفسه في سنة ٣٩٢م.

تلاميذ المدرسة الأنطاكية:

أما إتجاه المدرسة الأنطاكية فيظهر واضحاً في تلامذتها المخلصين وأشهرهم نسطوريوس الذي صار فيما بعد بطريركاً للقسطنطينية، وهو الذي صنع من موضوع طبيعة المسيح مشكلة مسكونية ضخمة اندمجت فيها الأسكندرية وبيزنطة وروما والعالم المسيحي بأسره، إلى أن انتهت أخيراً بالانشقاق الكبير الذي حدث في القرن الخامس، حيث انقسمت الكنيسة الجامعة إلى شرقية وتمثلها الأسكندرية وغربية وتمثلها روما. ومما هو جدير بالذكر أن أنطاكية وهي المسئولة الأولى عن الاتجاهات التي سارت فيها بيزنطة وروما إلى اليوم قد انسلخت عن هذه الاتجاهات، وصارت تميل قلباً وقالباً إلى إتجاهات كنيسة الأسكندرية التي كانت قبلاً تعاديها. وصارت كنيستها القديمة وتعرف بالسريانية الأرثوذكسية صديقة حميمة لكنيسة الأسكندرية ومدرستها اللاهوتية. أما القسطنطينية أو بيزنطة فكانت أثناء المشكلة نفسها منقسمة على ذاتها: كانت رأسها غربية وأما جسمها فشرقي. فقد اتجه بطاركتها إتجاهاً غربياً يساندهم اميراطرة روما وبيزنطة بينما كان الشعب وصغار رجال الدين يشايعون الأسكندرية في حماس بالغ كان علة اضطهادات ومتاعب لهم.

والأستاذ الأكبر صاحب التوجيه الأول في مدرسة أنطاكية هو لوسيان الذي تتلمذ عليه أريوس كما تتلمذ عليه أساتذة نسطوريوس، ومن أبرزهم ديودوروس أسقف طرسوس وهو الذي أنشأ تقاليد أنطاكية وثبتها كما رفع تلاميذه إلى لهيب مندلع لمقاومة البدعة الأريوسية وتأييد قرارات مجمع نيقية. ومن بين تلاميذه يوحنا ذهبي الفم، وثيئودورس أسقف المصيصة Mopsuestia، وهو أي ثيئودوروس يعد المؤسس الحقيقي للمذهب النسطوري وأعظم ممثل لروح وتقاليد المدرسة الأنطاكية سواء في سيرته أو في تعليمه. وقد نالت كتاباته إهتمام العلماء في

زمانه. ولم تبرز خطورة آرائه وشذوذها عن التعليم الأرثوذكسي إلا عندما تبناها تلميذه نسطور بطريرك القسطنطينية وصاغ منها مذهباً شاملاً، عارضه في قوة وحزم كيرلس الأول بابا الأسكندرية. وقد تناول المجمع المسكوني الذي انعقد في أفسس سنة ٤٣١ كتابات ثيودوروس المصيصي وحكم على تعليمه بالحرم، ولكنه ترفق فلم يحكم على ثيودوروس نفسه، إلا أنه حكم عليه بعد وفاته بمائة عام في مجمع عقد بالقسطنطينية أو بيزنطة في سنة ٥٥٣م.

نسطوريوس:

ولد في جيرمانيقيا وهي مرعش في سوريا ولكنه تربى في أنطاكية وهناك التحق بدير يوبريبوس وفيه تتلمذ على ثيودوروس، وبعد أن أتم علومه اختير في كاتدرائية أنطاكية شماساً فقسيساً، واشتهر بمواعظه القوية وصوته الرخيم الرنان. وبعد وفاة بطريرك القسطنطينية زكاة أكليروس المدينة وشعبها ليكون بطريركاً عليهم. وتمت رسامته في ١٠ نيسان (أبريل) سنة ٤٢٨، وقد استصحب معه إلى القسطنطينية صديقه القسيس أناستاسيوس.

وفي القسطنطينية نشر نسطوريوس (أو نسطور) وقسيسه إتجاهات أنطاكية فأثار مشكلة ضخمة. لكن أناستاسيوس هو الذي أشعل الفتيل على ما يقول المؤرخ سقراط. ذلك أنه ألقى عظة في حضور البطريرك أنكر فيها تلقيب العذراء بوالدة الإله θεοτόκος، وهو اللقب التقليدي الذي ورد ذكره في صلوات القداس القديمة كما جرى على ألسنة الكثيرين من آباء الكنيسة وعلمائها من قبل، من أمثال أوريجينوس وألكسندروس وأثناسيوس وباسيليوس. فثارت ثائرة الناس وعدوا رأيه مروقاً عن الدين. ولم يكن رجال البلاط الامبراطوري أقل إهتماماً من الإكليروس وعامة الشعب بهذه المسألة. والتف أصدقاء نسطور من حوله وأشعروه بخطورة الموقف، وسألوه الإسراع بتفسير واضح ودقيق يعلنه للناس فتهدأ ثائرتهم. ففي ٢٥ ديسمبر اجتمعت الجماهير في الكنيسة ووعظهم نسطور، وقال: «إن الله روح ولا يمكن أن تلده إمرأة، والمخلوق يستحيل أن يلد غير المخلوق.. إن مريم قد ولدت الإنسان الذي تجسد فيه الكلمة، وأما اللاهوت فلم يولد كالناسوت من مريم». واقترح نسطور أن تسمى مريم «والدة المسيح» χριστοτόκος لا والدة الإله θεοτόκος وبالنسبة إلى المسيح قال نسطور أنه مؤلف من طبيعتين ἐκ δύο φύσεων بل من أقنومين ὑποστάσεις بل من شخصين πρόσωπα فكل من لاهوت المسيح وناسوته أقنوم أو شخص قائم بذاته. وهو يعتقد أن الطبيعة البشرية الكاملة لا يمكن أن توجد إلا في حالة أقنوم. فالمسيح إذن عند نسطور إثنان،

وهو أيضاً إثنان: ابن الله وابن مريم. هو تارة ابن الله حين صنع معجزة، وهو ابن مريم عندما أكل أو نام، أو صلب، أو مات.

تلك خلاصة آراء نسطور. ومع أنه لم يأت فيها بجديد خارجاً عما قال به أستاذه ثيودوروس لكن يبدو أن إلحاحه عليها وأسلوبه في شرحها وطريقته في إذاعتها وموقفه من خصومه في بيئة من إكليروس وشعب كانوا ينتمون بروحهم إلى مدرسة الأسكندرية، كل ذلك أثار الناس ضده بصورة لم يعرفها ثيودوروس نفسه. أضف إلى ذلك كله عامل الزمن في بلورة الأفكار ومناقشتها في مختلف الأوساط العامة والخاصة، ثم إثارة أطراف آخرين ممن سمعوا بالمشكلة أو زجوا فيها بطبيعة وظيفتهم الدينية أو الاجتماعية أو السياسية. ولذلك كان لابد أن تخرج المشكلة من حيزها الضيق في القسطنطينية إلى محيط عالمي، فقد أصبحت مشكلة العالم المسيحي بأسره.

وممن قاوموا نسطور في القسطنطينية بشجاعة نادرة كاهن اسمه بروكلوس وجد فيه إكليروس العاصمة وشعبها خير ممثل لهم، فألقى بروكلوس خطاباً قوياً قابله الناس بحماس عظيم فنهض نسطور ليرد عليه، ولكن أحد مساعدي نسطور ثار على البطريرك في وسط الجمهور وقال للجميع بصوت عال: «إن ما سمعناه الآن من نسطور هو كذب وتجديف» فغضب عليه نسطور وطرده من الكنيسة. وبعد ذلك علق مجهول على حوائط العاصمة كتابة جاء فيها: «نتوسل باسم الثالوث كلى القداسة إلى الذين يقرأون هذه الكتابة أن ينقلوا خبرها إلى الأساقفة والقسوس والشمامسة والشعب الذين يوجدون في هذه المدينة، ولن يعطوهم نسخة منها بخصوص بلية نسطوريوس المارق من الدين» وتلا ذلك نصوص من أقوال نسطور، وفي آخر الإعلان الحرم التالي «محروم من يفصل ابن الله عن ابن مريم» وقد أحدث هذا الإعلان ثورة كبيرة في المدينة، إذ قرأه الناس وعلقوا عليه. على أن نسطور لم يأبه كثيراً بهذه المعارضة الشعبية لأنه كان مؤيداً بالإمبراطور وعدد كبير من رجال البلاط الذين تدخلوا في شئون العقيدة لصالح نسطور.

النزاع بين كيرلس بابا الأسكندرية وبين نسطور:

وظهر لنسطور خصم عنيد أقوى مراساً من بروكلوس هو كيرلس بطريرك الأسكندرية (٣٦٦ – ٤٤٤م) وهو رجل عالم وذكي وهمام وطموح وحار، وكان يفوق نسطور في سعة معرفته وعلو كعبه في الشئون اللاهوتية فضلاً عن ذكائه وحدة ذهنه. فانتهز كيرلس فرصة عيد القيامة وكتب في منشوره الرعوي عام ٤٢٩م يصحح خطأ نسطور ولكن من دون أن يشير إلى اسمه

صراحة: «إن اللوغوس اتحد بالناسوت وولد من مريم. فمريم تدعى بحق والدة الإله ، وإن لم تكن أصلاً للاهوت أو مصدراً له. وكما أن نفس الطفل تولد متحدة بجسده على الرغم من أن النفس فى ذاتها لا تصدر ذاتياً عن الأم ومع ذلك يصدق على الأم إنها والدة الطفل نفساً وجسداً هكذا يصدق على العذراء إنها والدة الإله وإن لم تكن هى أصلاً للاهوت الذى ولد منها متحداً بالناسوت» وكان نسطور قد قال: «أنا لا أستطيع أن أعبد إلها مات ودفن» فقال كيرلس «إن الجسم هو العنصر الوحيد الذى يدركه الموت ومع ذلك نقول إن الإنسان يموت مع أن النفس لا تموت وبالمثل بالنسبة للمسيح، فاللاهوت ذاته لا يموت ولكن المسيح تألم ومات.. كالنار يتحد بها قضيب حام لدرجة الاحمرار ثم يضرب عليه، فالنار لا تتألم ولكن الحديد هو الذى يكابد الضرب».

وكتب القديس كيرلس الأسكندرى رسالة ثانية بتاريخ أول فبراير سنة ٤٣٠م عرفت بالرسالة العقائدية. وقد نالت إعجاب العالم المسيحى بأسره، وصادق عليها مجمع الأسكندرية عام ٤٣٠ كما صادق عليها مجمع روما فى أغسطس ٤٣١م وجميع أساقفة العالم، كل على حدة. وفى مجمع القسطنطينية الذى عقد برئاسة فلافيانوس عام ٤٤٨م قدم يوسيبيوس أسقف دوريليوم (الآن اسكى شهر بتركيا) هذه الرسالة على أنها قانون إيمان الكنيسة، وقد وصفها تيليمون بأنها تتميز بالدقة المنطقية التى لا يمكن مقاومتها، وفيها تظهر سعة معرفة البابا كيرلس بالكتاب المقدس وبأقوال الآباء. ولذلك فإن هذه الرسالة قد احتلت منذ ظهورها المرتبة الرئيسية فى النزاع النسطورى وعدتها المجامع التالية نصاً قانونياً.

وكتب كيرلس رسالة أخرى إلى الإمبراطور يوضح له فيها الإيمان الأرثوذكسى كما كتب رسالتين أخريين إحداهما إلى الإمبراطورة يودوكيا قرينة الإمبراطور ثيؤدوسيوس الثانى، والثانية إلى شقيقته الأميرة بولخيريا. وكان لهاتين السيدتين شأن كبير ونفوذ عظيم فى الدولة، ولم يكن من الحكمة تجاهلهما. وكتب البابا كيرلس كذلك إلى كثير من الأساقفة منهم أكاكيوس أسقف حلب فرد عليه هذا الشيخ وكان يبلغ نحو المائة عام يقول: «ليس عسيراً على حكمتك وفطنتك أن تسحق هذا الابتداع فى الإيمان».

وكتب نسطور بدوره إلى أساقفة العالم ومنهم سيليستين الأول بابا روما (٤٢٢ – ٤٣٢م) فأرسل بابا روما إلى كيرلس بابا الأسكندرية يستفسر منه عن معلوماته فى هذا الموضوع فرد عليه كيرلس برسالة فى نحو منتصف عام ٤٣٠ يشرح فيها بدعة نسطور ومدى إنحرافها عن التعليم الأرثوذكسي فلم يلبث سيلستين أن عقد مجمعاً في روما فى أغسطس ٤٣٠ أيد فيها تلقيب العذراء بوالدة الإله ضداً لمذهب نسطور كما أرسل إنذاراً إلى نسطور يهدده بأنه إن لم يجحد تعليمه الخاطئ فى ظرف عشرة أيام من تاريخ استلامه لهذا الإنذار وإن لم يعتنق تعليم روما والأسكندرية وكل الكنيسة الجامعة فإنه سيعامل كمقطوع من شركة الكنيسة. ثم أرسل سيليستين هذا القرار إلى القسطنطينية فى ١١ أغسطس ٤٣٠ كما كتب سيليستين إلى البابا كيرلس رسالة يقول فيها: «إنك أعظم المدافعين عن الإيمان الأرثوذكسي.. لقد كشفت لنا عن دقائق هذا المبتدع، وأوضحت الإيمان وضوحاً ملأ القلوب ثباتاً...».

وفى نوفمبر ٤٣٠ وضع كيرلس الأسكندري رسالة إلى نسطور عرفت بالرسالة الثالثة كما عرفت بالرسالة المجمعية، وهي رسالة بالغة الأهمية في عرض العقيدة الأرثوذكسية. وقد قرئت في مجمع أفسس الأول عام ٤٣١ كما قرئت فى مجمع خلقيدونية عام ٤٥١م. فى هذه الرسالة يقول كيرلس لنسطور «إن اللوغوس هو من نفس جوهر الآب ὁμοούσιος ومع أنه صار إنساناً باتخاذه لحماً ودماً إلا أنه ظل مع ذلك هو بعينه كما هو أعني إلهاً بالحقيقة فى طبيعته وجوهره». ونفى كيرلس قول نسطور بأن الاتحاد هو نوع من «الاقتران» συνάφεια بين أقنوم الكلمة وأقنوم الإنسان، وقال أنه يرفض هذا التعبير الذي يدل على الأثنينية ويستخدم بدلاً منه كلمة ἕνωσις ومعناها «اتحاد» ووصف هذا الاتحاد بأنه اتحاد «تام»، و«حقيقي» καταʼλήθειαν، «طبيعي» κατὰ φύσιν، «وأقنومي» καθʼὑπόστασιν ،

وقال إن اتحاد لاهوت المسيح بناسوته شبيه باتحاد النفس بالبدن فى الطبيعة البشرية وباتحاد النار بالفحم في جمر النار، هو اتحاد تام لكن من دون اختلاط بين الطبيعتين ومن دون امتزاج، ومن دون تحول فى طبيعة أحدهما إلى الأخرى. إننا يمكن أن نميز، ذهنياً فقط، بين طبيعتين فى المسيح فنتكلم عن لاهوت وناسوت. أما واقعياً فهذا التمييز مستحيل. فالمسيح إذن «من طبيعتين» ولكنه بعد الاتحاد طبيعة واحدة لها صفات الطبيعتين μία φύσις μετὰ τὴν ἕνωσις وخواصهما، وهنا يردد البابا كيرلس عبارته المشهورة «طبيعة واحدة لكلمة الله المتجسد».

μία φύσις τοῦ θεοῦ Λόγοῦ σεσαρκωμένη

ثم ألحق القديس كيرلس برسالته حرومًا إثنى عشر حدد فيها بكلمات قاطعة واضحة صريحة الإيمان الأرثوذكسي بإزاء الانحرافات التي ينطوي عليها مذهب نسطور معلناً شجب كل من يقول بها. وأرسل هذه الرسالة على يد وفد من أربعة أساقفة مصريين إلى نسطور في القسطنطينية.

أما نسطور فقد وجد نفسه في خلاف مع الأسكندرية وروما في وقت واحد، لكنه سعى حتى نال تأييداً كبيراً من جانب يوحنا بطريرك أنطاكية وثيئودوريتوس أسقف قورش. وتفاقم الخلاف بين الفريقين فصارت الحاجة ملحة إلى مجمع مسكوني يضع حداً لهذا الخلاف.

مجمع أفسس الأول:

وفي ١٩ نوفمبر ٤٣٠ كتب الإمبراطور ثيئودوسيوس الثاني يدعو أساقفة العالم المسيحي إلى مجمع عام ينعقد في أفسس في ٧ يونيه ٤٣١؛ وخول للبابا كيرلس الأسكندري رئاسة هذا المجمع. وذهب نسطور إلى أفسس قبل الموعد لعله يستميل من يستطيع إستمالته من الأساقفة قبل عقد المجمع. وكان القديس أوغسطينوس أحد الأساقفة الذين دعوا إلى المجمع. وقد أرسل إليه الإمبراطور رسولاً خاصاً من قبله، ولكن أوغسطينوس توفي في ٢٨ أغسطس ٤٣٠م. كذلك أساقفة أفريقيا لم يستطيعوا الحضور لأن بلادهم كانت آنذاك في حالة حرب مع الفاندال فقرروا بالإجماع أن ينيبوا عنهم البابا كيرلس الأسكندري لعظيم ثقتهم فيه، إذ كانوا يعدونه لسان حال الأرثوذكسية في الكنيسة الجامعة. ومع ذلك حضر المجمع مائتا أسقف من أنحاء العالم. أما يوحنا بطريرك أنطاكية فمع أنه أرسل إلى كيرلس يعده بحضور المجمع إلا أنه تأخر عن الموعد المحدد لافتتاح المجمع معتذراً بطول المسافات وغزارة الأمطار ومرض الخيول. ويقول بعض المؤرخين أن يوحنا رغب أن لا يحرج نفسه فيوقع حكماً بالحرم على نسطور صديقه الحميم ورفيقه سابقاً في مدرسة أنطاكية اللاهوتية. ثم لكي يدع لنفسه فرصة للاحتجاج على قرار المجمع لأنه كان موقناً بأن المجمع لابد أن يتخذ قراراً بحرم نسطور. وفي هذه الأثناء انتهز بعض الأساقفة الفرصة وسعوا لإقناع نسطور حتى يعدل عن آرائه فلم ينجحوا. وإذ مرض بعض الأساقفة وبدأ البعض الآخر يتذمرون من طول الانتظار، وتردد أن يوحنا الأنطاكي سوف لا يتمكن من الحضور أو لا يرغب فيه، اضطر البابا كيرلس تحت إلحاح الأعضاء أن يفتتح المجمع على الرغم من اعتراض المندوب الإمبراطوري الكونت كانديديانوس إذ كان صديقاً حميماً لنسطور. وتم ذلك في صباح يوم ٢٢ يونية ٤٣١م أي بعد ستة عشر يوماً من التاريخ المحدد لإنعقاده.

ودعا المجمع نسطور إلى الحضور وانتدب ثلاثة أساقفة ليقرعوا بابه ثلاث مرات وأرسلوا إليه مرة ثانية وثالثة كما تقضي بذلك تقاليد المجامع، فرفض الحضور. وقرأ المجمع الرسائل المتبادلة بين كيرلس ونسطور، ودامت تلك الجلسة من الصباح إلى المساء، وانتهوا أخيراً إلى قرار إجماعي بإدانة نسطور وتجريده من درجاته الكهنوتية. وقد استقبل شعب أفسس هذه النتيجة بتهليل كبير وزينوا المدينة بأنوار، واصطحبوا كيرلس الأسكندرى بالمشاعل والمباخر في موكب عظيم حتى المكان الذى كان يبيت فيه.

وفى ٢٧ يونيه ٤٣١م وصل يوحنا الأنطاكي وأساقفة آخرون ممن يتبعون رأيه. فلما وقف على قرار المجمع غضب جداً، وأسرع فعقد هو وأساقفته مجمعاً آخر من ثلاثة وأربعين أسقفاً وحكموا بإدانة كيرلس بابا الأسكندرية وميمنون رئيس أساقفة أفسس ولكنهم لم يتكلموا بشئ عن نسطور. وفي ١٠ يوليو (تموز) وصل وفد روما وكان يتألف من أسقفين نائبين عن مجمع رومية وقسيس نائباً عن بابا روما، وأيد الوفد الرومانى قرارات مجمع أفسس.

أما الإمبراطور فوقع تحت تأثير نسطور وتأثير مندوبه النسطورى كانديديان أو كانديديانوس قمائد نسطور. ثم عاد فقرر اعتقال نسطور كما اعتقل كيرلس وميمنون وسجنهم جميعاً في أول أغسطس. فلما ذاعت هذه الأنباء ثارت ثائرة الشعب البيزنطي ونظم الإكليروس والشعب مظاهرات حماسية كبيرة بقيادة الشيخ الوقور الراهب الناسك دالماتيوس الذى كان حبيساً في مغارة مدة ٤٨ سنة دون أن يغادرها مرة واحدة ولكنه لما علم بما أصاب البابا كيرلس خرج من عزلته ومن خلفه إكليروس المدينة وشعبها، واستطاع أن يقابل الإمبراطور الذى كان يؤمن بقداسته جداً وكان يزوره بنفسه أحياناً، وقبل اقتراح دالماتيوس بأن يستدعي إليه ثمانية مندوبين من كل فريق من الفريقين المتنازعين، فاجتمعوا إليه فى خلقيدونيا وكان مندوبو بابا روما من المتحمسين لكيرلس بابا الأسكندرية. وكان يوحنا بطريرك أنطاكية وثيئودوريتوس أسقف قورش من أئمة الفريق النسطورى. لكن هذه المحاولة للتوفيق بين الفريقين باءت بالفشل. وتقدم بعض الأساقفة الأرثوذكسيين إلى الإمبراطور وطلبوا إليه الإفراج عن البابا كيرلس وميمنون الأفسسى ووصفوهما بأنهما إمامان للإيمان الأرثوذكسي، فأطلق الإمبراطور سراحهما. أما نسطور فظل حبيساً في ديره القديم، وفى ٢٥ أكتوبر ٤٣١ عين مكسيميان بطريركاً للقسطنطينية بدلاً منه. وقد بعث مكسيميان بعد رسامته رسالة إلى كيرلس الأسكندرى مدحه فيها، ومما جاء فيها «إن رغباتك في إعلان الحق قد تحققت يا خادم الله ونجحت جهودك فى سبيل الإيمان.. فإنك لم تؤمن بالمسيح فحسب بل تحملت من أجله كل أنواع العذاب».

محاولة جديدة للتوفيق :

وظل الانقسام على أشده سنتين آخريين . ولم يقنع الأنطاكيون بما آلت إليه الأمور. ومات سيليستين بابا روما فى ١٦ يوليو ٤٣٢ فخلفه أكسيزتوس الثالث وكان معجباً بالبابا كيرلس الأسكندرى ووصفه بالرجل الرسولى وقال إنه لم ينقص فى جهاده بشئ عن رسل المسيح. ومال أكسيزتوس إلى التفاهم مع الأنطاكيين ولكن بشرط اعترافهم بقرارات مجمع أفسس. وأخيراً وبعد مفاوضات قام فيها أكاكيوس أسقف ميليتين بدور قيادى أمكن الوصول إلى اتفاق. ووضعت صيغة جديدة للتقريب بين وجهتى النظر روعى فيها إنها لا تتعارض مع أقوال البابا كيرلس السابقة وقد قبلها يوحنا الأنطاكى وأساقفته كما قبلها كيرلس الأسكندرى. ورضى الأنطاكيون بحرم نسطور ورأوا من الأصوب أن يضحوا بشخص نسطور من أجل وحدة الكنيسة وأن يحرموا «ابتداعاته الأثيمة» . وتم الاتفاق فى عام ٤٣٣م وأخذ نسطور من ديره الهادئ أمام أبواب أنطاكية حيث قضى ٤ سنوات، ونفى فى عام ٤٣٥ إلى بيترا (وهى الآن البتراء فى الأردن) وبعد قليل نفى إلى بتوليمايس (المنشأة) فى مصر التى كان ينفى إليها كبار المجرمين. واحتمل هناك آلمه واستسلم لمصيره . ويبدو أنه كان لا يزال حياً فى سنة ٤٣٩ عندما كتب سقراط المؤرخ كتابه . وثمت مخطوط قبطى عن حياة البابا ديوسقورس يروى أن نسطور قد دعى إلى مجمع خلقيدونيا عام ٤٥١ . ويقول ايواجريوس: «إن نسطور بعد أن أكل الدود لسانه عقاباً له على تجديفه مات لينال عذاباً أشد فى الأبدية . ويروى «شافت» أن أقباط أخميم فى مصر العليا اعتادوا من سنة إلى أخرى أن يقذفوا قبر نسطور بالأحجار، وقد انتشر بينهم تقليد مؤداه أن قبر نسطور لم يبتل مطلقاً بمطر السماء مع أن الله يمطر على الأبرار والأشرار . أما الأمبراطور ثيودوسيوس الذى كان أيده فى مبدأ الأمر فقد عاد وانقلب عليه كلية . وأمر بحرق جميع كتبه، وقد وجدت النسطورية ملجأ لها فى مدرسة أديسا أو الرها وهى أورفا الآن التى حملت طويلاً لواء المدرسة الأنطاكية . ولكن الامبراطور زينون أغلقها فى عام ٤٨٩م ففقدت النسطورية بغلقها آخر معقل لها فى الإمبراطورية الرومانية .

مصير الاتفاق :

لم تدم فرحة المحبين للسلام طويلاً، فلم يمر أكثر من خمسة عشر عاماً على اتفاق ٤٣٣ حتى ثار خلاف جديد بسبب بدعة يوطيخيس التى لم تكن فى حقيقتها غير رد فعل عنيف لبدعة نسطوريوس وما تلاها من أحداث لم تكن مرضية لأتباع مدرسة الأسكندرية اللاهوتية

الذين رأوا فى نصوص الاتفاق الذى قبله البابا كيرلس نقاط ضعف كثيرة تجعله يتعارض مع إيمانهم واعترافهم الذى حرصوا عليه زماناً طويلاً. ولم يكن أصحاب المدرسة الأنطاكية أقل من الأسكندريين تذمراً على نتيجة ذلك الاتفاق، فكان لابد من انفجار جديد.

أما الأنطاكيون بقيادة يوحنا الأنطاكي وثيودوريت وإيباس رئيس المدرسة الأنطاكية فقد فسروا نصوص الاتفاق على أن المسيح طبيعتين متميزتين وهما متميزتان دائماً حتى بعد تجسده . وقد قويت شوكتهم بإنضمام ليون (١) بابا روما الجديد. إليهم فى هذا الإتجاه، وزادوا فأعلنوا عن إستيائهم لحرم نسطور بعد أن كانوا قد وافقوا على تجريده . أما أصحاب مدرسة الأسكندرية فقد أظهروا هم أيضاً من جانبهم فزعهم من نصوص الاتفاق، ولم يرضوا بموقف البابا كيرلس حتى اضطر هو نفسه إلى أن يدافع عن وجهة نظره وأن يشرح فى إسهاب معنى الاتفاق بالنسبة له فى رسالة إلى أكاكيوس وأخرى إلى يولوجيوس، وقال أنه لا يقر بالأثنينية فى طبيعة السيد المسيح لأن اللاهوت والناسوت صارا واحداً فيه. وأنه بعد الاتحاد لا يمكن أن نفصل بين اللاهوت والناسوت. فإذا فرقنا فالتفريق ذهنى ولا وجود له فى الواقع، لأنه إذا كان ثمت افتراق أو إنفصال فى الواقع على قول النساطرة فلا يكون ثمت تجسد حقيقى. ويعود كيرلس إلى القول أن فى المسيح طبيعة واحدة، وقد اتخذ اللوغوس جميع الصفات والخواص الإنسانية إلى جانب صفاته وخواصه اللاهوتية، ومع ذلك لم يختلط اللاهوت بالناسوت ولا امتزج به ولا تحول أحدهما إلى الآخر. إن النساطرة رأوا فى المسيح «إنساناً» ارتقى إلى أعلى «بمصاحبته» للوغوس، بينما يرى كيرلس فى المسيح إلهاً تنازل وصار إنساناً وهو لم يزل فى نفس الوقت إلهاً: إنه بعينه اللوغوس ولكنه اتخذ لذاته صفات الناس من دون تحول فى طبيعته وجوهره.

بيزنطة تؤيد الأسكندرية:

وعادت بيزنطة تؤيد الأسكندرية فأصدر بروكلوس بطريركها الجديد فى سنة ٤٣٥ كتاباً أيد فيه إتجاه الأسكندرية وأثبت بنصوص اقتبسها من كتاب ثيودوريت، أن ثيودوريت من بين الهراطقة. وهو على ما نعلم أعظم لاهوتيى مدرسة أنطاكية فى زمانه.

وتوفى كيرلس الأسكندرى فى عام ٤٤٤ وخلفه رئيس شمامسته ويسمى ديوسقوريوس (٤٤٤- ٤٥١) . وكان قد صاحب كيرلس إلى مجمع أفسس. فلما آلت إليه مقاليد الأمور صمم فى عزيمة لا تفل على أن يثبت تعليم الطبيعة الواحدة مهما كان الثمن وأيا تكون النتيجة لأنه

(١) ويكتبونه فى الكتب العربية: لاون.

كان يؤمن أن هذا هو التعليم الصحيح الذى يثق فى إخلاص تام أنه التعليم الأرثوذكسى الذى علم به آباء الكنيسة من قبل.

يوطيخيس :

وظهرت في بيزنطة شخصية جديدة تؤيد إتجاه الأسكندرية، اندفعت فى مقاومة المذهب النسطورى بحماسة بالغة حتى سقطت فى بدعة جديدة على النقيض تماماً من البدعة النسطورية، وكان سقوطه نتيجة طبيعية للعنف والمغالاة اللذين عالج بهما مشكلة طبيعة المسيح، هى شخصية الراهب يوطيخيس الذى برز فى النزاع الكنسى فكان سئ الحظ على الرغم من أن معنى اسمه باليونانية Εὐτύχιος «السعيد الحظ»!

كان يوطيخيس شيخاً مسناً ورئيس دير خارج القسطنطينية برتبة أرشيمندريت وكان متصلاً بالبلاط الامبراطورى فى بيزنطة، وكان يتمتع بمكانة ونفوذ عظيمين، وكان يرى فى نفسه ملتقى أنظار الذين لم يرقهم اتفاق عام ٤٣٣م. ويبدو أن الرجل على الرغم من حماسته وغيرته لم تكن قدراته العقلية فى المستوى الذى يسمح له بالإيغال فى الانظار اللاهوتية. وقد وصفه ليون أسقف روما بأنه جاهل.

تمسك يوطيخيس بعبارة القديس كيرلس الأسكندرى «طبيعة واحدة بعد الاتحاد» μία φύσις μετα τὴν ἕνωσις وكان يتهم بالنسطورية كل من يتحدث عن طبيعتين فى السيد المسيح. وقال فى تفسيره معنى الطبيعة الواحدة عنده بأن اللاهوت قد امتص الناسوت وتمثله وابتلعه καταποθῆναι والناسوت قد تلاشى فى اللاهوت وتحول إلى جوهره وكأنه نقطة من الخل ابتلعها البحر أو المحيط. ولذلك فإن يوطيخيس ينكر أن يكون جسد المسيح مطابعاً لأجسادنا أو من طبيعتها، فهو عنده جسد إلهى. وإذا كان قد ظهر للناس أن للمسيح جسد إنسان ἀνθρώπου لكنه لم يكن جسداً إنسانياً ἀνθρώπινον وبعبارة أخرى أن الناسوت قد تأله.

يوطيخيس يحاكم أمام مجمع إقليمى فى بيزنطة :

وفى ٨ نوفمبر عام ٤٤٨ انعقد مجمع بيزنطة المحلى فى دورته العادية من ٣٢ أسقفاً برئاسة فلافيانوس بطريرك القسطنطينية (وكان ذا ميول نسطورية). وأثير فيه موضوع البدعة اليوطيخية. واستدعى يوطيخيس فى ١٢ نوفمبر ليمثل أمام المجمع، فرفض المرة تلو المرة ولكنه امتثل أخيراً وحضر جلسة ٢٢ نوفمبر. وسئل إذا كان يقر بطبيعتين للمسيح بعد التجسد وأن جسد

المسيح مطابع لأجسادنا، فحاول فى مبدأ الأمر أن يتملص من الإجابة على هذا السؤال ولكنه عاد فصرح قائلاً: «إنى أقر بطبيعتين قبل الاتحاد، وأما بعد الاتحاد فأقر بطبيعة واحدة». فلما لم يرضخ يوطيخيس لحكم المجمع البيزنطى وأصر على موقفه فى عناد، حكم المجمع بتجريده وحرمانه من الكنيسة.

ولم يقنع يوطيخيس بحكم مجمع فلافيانوس واستغل عطف الامبراطور عليه، وبتأثيره كتب الامبراطور رسالة إلى فلافيانوس، فرد فلافيانوس برسالة مسهبة فى ربيع عام ٤٤٩ أظهر فيها خطأ بدعة يوطيخيس. كما كتب يوطيخيس إلى ليون بابا روما (٤٤٠ – ٤٦١) فى عبارات التودد والاستعطاف ليكون إلى جانبه. فتريث ليون فكتب إليه فلافيانوس يخبره بقضية يوطيخيس وبحكم مجمع بيزنطة سنة ٤٤٨، فرد بابا روما على البطريرك البيزنطى بكتاب أثبت فيه اعتراضه على آراء يوطيخيس، ووعد بأن يكتب رسالة مطولة فى الموضوع. وقد بر بوعده فعلاً. وأرسل فى ١٣ يونيه عام ٤٤٩ برسالته العقائدية المشهورة بطموس τόμος ليون أو درج ليون، أظهر فيها عداءه سافراً لتعليم الطبيعة الواحدة، وقال أن فى المسيح طبيعتين متميزتين من بعد الاتحاد.

وكتب البابا ديوسقوروس رئيس أساقفة الأسكندرية إلى الامبراطور وأقنعه بضرورة عقد مجمع مسكونى لفض هذا النزاع. فأرسل ثيودوسيوس الثانى يأمر بعقد مجمع عام فى أفسس، وعهد إلى بابا الأسكندرية برئاسة هذا المجمع لكن ليون بابا روما وفلافيانوس بطريرك القسطنطينية لم يكونا يرغبان فى عقد هذا المجمع، ومع ذلك أرسل ليون ثلاثة من الإكليروس مندوبين عنه فى المجمع. وانعقد المجمع فى أوغسطس عام ٤٤٩ من بابا الأسكندرية ومائة وخمسة وثلاثين من أساقفة المسكونة. ولم يضع هذا المجمع قواعد جديدة للإيمان واكتفى بتثبيت قرارات المجامع المسكونية الثلاثة السابقة. ورفض قراءة طوموس ليون وقرر حرم فلافيانوس وكل زعماء الطبيعتين. أما يوطيخيس فمثل أمام المجمع ودافع عن نفسه وأعلن استمساكه بإيمان الكنيسة الجامعة وتبعيته لآباء الكنيسة من أمثال أثناسيوس الرسولى وكيرلس الأسكندرى، وجاهر بتأييده لحروم كيرلس الاثنى عشر، ثم أعلن عدوله عن آرائه الهرطقية. فقبل المجمع توبته ورده إلى رتبته، ولو أن يوطيخيس عاد بعد فض المجمع يراوغ من جديد ويتملص من تعهداته التى قطعها أمام مجمع أفسس الثانى، ويعاود سيرته الأولى. فأثارت هذه النتائج ثائرة أساقفة روما وبيزنطة ضد مجمع أفسس الثانى وقراراته وضد البابا ديوسقوروس. وسعى ليون إلى عقد مجمع جديد فى إيطاليا ليؤكد وجوده ويثبت مركزه إزاء الأسكندرية ولكى يلغى ما صنعه مجمع أفسس الثانى ويمحوه نهائياً، ولكنه لم ينجح فى ذلك.

مجمع خلقيدونية :

فلما توفى الإمبراطور ثيئودوسيوس الثانى فى ٢٨ يوليو عام ٤٥٠ ولم يكن له وريث، خلفه السناتور القائد مرقيان بعد أن تزوج من بولخيريا شقيقة الإمبراطور السابق وكانت تميل إلى مذهب الطبيعتين. واستجاب الإمبراطور مرقيان إلى رغبة ليون بابا روما ورغبة القائلين بالطبيعتين ودعا إلى عقد مجمع مسكونى فى نيقية لتقرير إيمان واحد فى كل أنحاء الإمبراطورية. وانعقد المجمع فى سبتمبر عام ٤٥١، ولكن نظراً لحدة الخلاف رأى الإمبراطور أن ينقل مقر الاجتماع إلى خلقيدونية مقابل بيزنطة ليشرف بنفسه على سير الأحداث.

ويعد مجمع خلقيدونية ذا أهمية بالغة لأن فيه بدت حدة الخلاف واضحة بين القائلين بالطبيعة الواحدة والقائلين بالطبيعتين، ولأنه المجمع الذى انشقت بعده الكنيسة الجامعة إلى شرقية أرثوذكسية وغربية كاثوليكية. أما الشرقية الأرثوذكسية فيمثلها بابا الأسكندرية وأتباع مدرسته الفكرية واللاهوتية ومنهم الأثيوبيون أو الأحباش والسريان والأرمن، وأما الغربية فيمثلها بابا روما وأساقفة بيزنطة (١) وأتباع المدرسة الأنطاكية. وفى هذا المجمع أيضاً يظهر تدخل الإمبراطور البيزنطى لمساندة بابا روما وأصحاب الطبيعتين، وقمعه لبابا الأسكندرية وأصحاب الطبيعة الواحدة. وفى التفاصيل التى يرويها المؤرخون عن هذا المجمع ما يبين لنا أساليب العنف التى استخدمها مندوبو الإمبراطور ورجال البلاط فى كبت حرية الرأى المعارض لإتجاه الإمبراطور والامبراطورة وأصحاب الطبيعتين.

جلس مندوبو الإمبراطور الستة وقد سموا بالقضاة Ἄρχοντες فى وسط الكنيسة وهم الذين أداروا جلسات المجمع باسم الإمبراطور مرقيان، وكان حاضراً معهم أعضاء مجلس الشيوخ. ولأول مرة فى تاريخ المجامع المسكونية يدير أعضاء السناتور دفة مناقشات مجمع مسكونى كأنهم رؤساء روحانيون. وجلس بعد هؤلاء أناتوليوس أسقف بيزنطة وماكسيموس أسقف أنطاكية وغيرهما من أصحاب الطبيعتين أتباع المدرسة الأنطاكية. وحضر ديوسقورس بابا الأسكندرية، لكن نواب بابا روما اعترضوا على حضوره، فقاده مندوبو الإمبراطور المسئولون عن حفظ النظام إلى مكان منعزل بعيداً عن الباقين. وقد ظهر بذلك إتجاه المجمع واضحاً ضد ديوسقورس الأسكندرى. وكانت جلسات المجمع منذ الابتداء صاخبة، وكان الضجيج عالياً والنقاش حامياً. وقرأ المجمع ما تيسر قراءته من الوثائق والرسائل. ولما عرضوا

---

(١) ويسمى الآن بطريركهم بالبطريرك المسكونى.

لأحداث مجمع أفسس الثاني وانتقدوا قراراته بشدة، اعترض البابا ديوسقورس في قوة، وقال: إن مجمع أفسس الثاني حكم بعدل على فلافيانوس لأنه قال بطبيعتين بعد الاتحاد بينما أننا لا نستطيع أن نتحدث بعد الاتحاد إلا عن طبيعة واحدة للكلمة المتجسد. ولما لم يجد كلامه قبولا صاح وقال «لقد رفضت ورفض معي الآباء، لكنني أحامي عن اعتقاد الآباء، ولن أحيد عنه بحال» وقال «إنني أوافق على أن السيد المسيح من طبيعتين، لكنني لا أوافق على أنه ذو طبيعتين، إذ لا يمكن التحدث عن طبيعتين بعد التجسد».

وعقد مجمع خلقيدونيا خمس عشرة جلسة على قول بعض المؤرخين. وانتهى في جلسته الأولى إلى إلغاء قرارات مجمع أفسس الثاني، وإعادة فلافيانوس بطريرك بيزنطة إلى كرسيه، وإلى حرم ديوسقورس. وفي الجلسة الثانية ثبتت قرارات مجمعي نيقية والقسطنطينية المسكونيين، وقرأ رسالة كيرلس الثانية إلى نسطور ورسالته إلى يوحنا بطريرك أنطاكية وأعلن تأييده لما جاء فيهما ضداً لبدعة نسطور، ثم قرأ المجمع طوموس ليون بابا روما وأعلن قانونيته لأنه دحض بدعة يوطيخيس. ومما تجدر ملاحظته أن طوموس ليون قوطع في مواضع عدة إذ بدت بعض عباراته نسطورية. وفي الجلسة الثالثة أعلن الحكم على ديوسقورس. وفي الرابعة أعلن الحكم على يوطيخيس واليوطيخيين. وفي الجلسة الخامسة وهي أهم جلسات المجمع وكانت بتاريخ ٢٢ أكتوبر وضع المجمع صيغة للإيمان هي تقريباً بعبارات ليون بابا روما في رسالته العقائدية أنكر فيها صراحة آراء كل من البدعتين النسطورية واليوطاخية وإن بدا جلياً أن للمجمع ميولاً نسطورية واضحة، فقد اعترف مجمع خلقيدونيا أن للمسيح طبيعتين في أقنوم واحد، وقد ظلتا متميزتين. وإن كلا منهما احتفظت بخصائصها مستقلة ومتميزة عن الأخرى: اللوغوس يقوم بما يتصل باللوغوس والناسوت يقوم بما يتصل بالناسوت، الطبيعة الواحدة متلألئة بالمعجزات، والأخرى قابلة للإهانات.

ومن المآخذ الهامة على مجمع خلقيدونية الدور الذى قام به لأول مرة في تاريخ المجامع، رجال الحكومة ومندوبو الإمبراطور في سبيل فرض مذهب الطبيعتين ومساندة القائلين به بزعامة بابا روما وبطاركة بيزنطة وأنطاكية، فقد برز واضحاً الدور الفعال الذى لعبه مندوبو الإمبراطور لا في إدارة جلسات المجمع فحسب بل وفي ضغطهم المتوالي على أعضاء المجمع للوصول إلى اتفاق عام، وفي قهرهم للأساقفة المعارضين على الإذعان لرأيهم، وقمع معارضتهم وإخماد صوتهم. وعلى الرغم من أنه كان ثمت إتجاه يكاد أن يكون إجماعياً بين الأساقفة إلى الاكتفاء بتثبيت قرارات مجامع نيقية والقسطنطينية وأفسس الأول دون صياغة

تحديدات جديدة للإيمان، إلا أن مندوبي الإمبراطور والإمبراطورة أدركوا أن لا نجاح للمجمع ما لم يصدر مرسوماً يحدد العقيدة، ويمكن أن يطلب حينئذ إلى كل أحد أن يوقع عليه، وقد أوضح مندوبوا الإمبراطور ذلك جيداً وحملوا المجمع على أن يصدر تحديداً للإيمان يوقع عليه جميع الأساقفة. وقد امتدت عملية التوقيع على تحديدات هذه المجمع وعلى طوموس ليون بابا روما نحو قرن آخر من الزمان بعد انفضاض مجمع خلقيدونية، وكان الذين يرفضون التوقيع يتعرضون لإضطهادات مريرة وآلام مبرحة مما جعل قبط مصر خصوصا يمتلئون حقدا وكراهية ضد الغربيين الذين أكرهوهم على قبول عقيدة لا يرتضونها. فحنق القبط عليهم وقاوموهم وأعلنوا عليهم العصيان، وقاطعوا البطريرك الملكانى (١) الذى كانت الحكومة البيزنطية تفرضه عليهم، وأقاموا هم بطريركهم فى الأديرة ورفضوا أن يعترفوا بغيره. وقد دامت هذه القطيعة والبغضة بين القبط وحكام روما وبيزنطة نحو قرنين من الزمان (٢) هى التى مهدت لدخول العرب إلى مصر، وجعلت القبط يرحبون بالعرب الذين رفعوا عنهم نير الرومان ووعدوهم بالحرية والأمان.

نقد لمجمع خلقيدونية :

وفى القرون التالية تعرض مجمع خلقيدونية لنقد كثير، ونسبت إلى قراراته وتحديداته أخطاء لا من قبل كنيسة الأسكندرية وحدها ولكن حتى من قبل الغربيين أنفسهم. فقد قال الأستاذ أدولف هارناك فى كتابه تاريخ العقيدة «أن الفضيحة التى لحقت بهذا المجمع، مجمع خلقيدونية، هى فى هذه الحقائق : أن الأغلبية العظمى من الأساقفة الذين كانوا يرون رأى كيرلس وديوسقورس قد أقروا أخيرا صيغة فرضت عليهم من غرباء، فرضها الامبراطور والبابا ليون وهى لا توافق إعتقادهم... إن آراء الأغلبية الكبرى من الآباء الذين اجتمعوا فى خلقيدونية لم تكن توافق آراء ليون ولا آراء فلافيان.. إنهم لم يكونوا يريدون سوى تثبيت قواعد الإيمان التى تقررت فى نيقية وأفسس كما فهمها كيرلس». ويقول ديكس «أن هذا المذهب، مذهب الطبيعتين، لا يرضى العقل ولا القلب. إنه مجرد تخطيط إجمالى لمذهب لا يمكننا أن نتبين فيه يسوع الذى حدثتنا عنه الأناجيل، أو المسيح الذى تعبده الكنيسة»، ويقول شفيتزر فى مؤلفه «البحث عن

---

(١) سمى بالملكانى لأنه كان يفرضه الملك أى الامبراطور البيزنطى.

(٢) من سنة ٤٥١ إلى ٦٤١م.

يسوع التاريخي» : «عندما انتصر الغرب على الشرق في خلقيدونية قسم مذهبه في الطبيعتين وحدة الأقنوم ومن ثم قطع آخر أمل في العودة إلى يسوع التاريخي» إلى أن يقول «أن يسوع التاريخي شئ آخر يختلف عن يسوع المسيح الذي يعلم به مذهب الطبيعتين» . ويقول ماكينتوش في كتابه «تعليم أقنوم يسوع المسيح» أولا أن تعليم الطبيعتين في صورته التقليدية يجلب إلى حياة المسيح لثنائية على طول الخط لا يمكن تصديقها. فبدلا من الوحدة التامة التي تركت آثارها في كل انطباع من انطباعاته انقسم الكل في حدة وتميز.. وبالإجمال أن تعليم الطبيعتين إذا تناولناه في جدية يعطينا تجريدين بدلا من حقيقة واحدة، نصفين عاجزين بدلا من كل واحد حي.. فالإثنان غير متجانسين على الإطلاق بل ومفترقان حتى أنه لا يمكننا أن نتصور إتحادا حقيقيا بينهما» .

أما يوطيخيس الذي خلط بين لاهوت المسيح وناسوته وقال أن ناسوته قد تلاشى في لاهوته فيعد في نظر أتباع مدرسة الأسكندرية اللاهوتية ومن يقول بقولهم في العالم المسيحي، من بين الهراطقة. أساء إلى تعليم الطبيعة الواحدة التي تجمع بين صفات الطبيعتين بدون اختلاط أو امتزاج ἀσύγχυτος أو تغيير، في وحدة ترتفع فوق كل تناقض، وحدة لا يمكن إدراكها إلا في تجربة روحية صوفية تعلو على كل منطق وتصور إنساني.

الأقباط الأرثوذكس وجمعيات خلاص النفوس (١)

لازال عدد من الأقباط الأرثوذكس الأبرياء يترددون على جمعيات خلاص النفوس إعتقاداً منهم أنها جمعيات روحية تهدف إلى أغراض روحية بحتة، وأنها على زعم قادتها جمعيات لا طائفية!!!

ونحن نعجب لأمر هذه الجماعة التي تصر على إنكارها لبروتستانتيتها، وتتستر تحت أسم لامع جميل هو «خلاص النفوس»!.

ولكن لماذا اتخذت هذه الجماعة لنفسها هذا الاسم ؟!

هل حقاً لأنها تهدف إلى خلاص النفوس فقط؟ لاشك أن غاية إيماننا المسيحي هو خلاص النفوس «نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس» (٢). وهذه الغاية التي تعمل من أجلها كنيستنا الأرثوذكسية منذ إنشائها إلى اليوم. وهي الغاية التي أدركها جمهور القديسين في الكنيسة، الراقدين منهم والأحياء.

لأنه إذا لم يكن خلاص النفس هو غايتنا، فباطل هو إيماننا وباطل هو تعليمنا، وباطل هو سعينا وجهادنا في طريق الكمال المسيحي.

وإذا لم يكن خلاص النفس هو غايتنا، فلتغلق كنائسنا ولتتحطم منابرنا، وليصمت إلى الأبد وعاظنا، ولتقف نهائياً كل خدمة مقدسة في كنيسة الله الرسولية!!

إذا لم يكن خلاص النفس هو هدفنا وهدف الكنيسة الأسمى والأول، فلماذا دشنت الكنائس وأقيمت المذابح، ورفعت القرابين؟ ولماذا أقام الرب في الكنيسة خداماً للكرازة والتعليم من أساقفة وقسوس وشمامسة؟

من غير أن يكون خلاص النفس هو غاية إيماننا، يمسي كل وعظ وكل تعليم وكل خدمة في الكنيسة عبثاً لا طائل تحته ولا غناء فيه.

وإذن فما معنى أن تتخذ جمعية خلاص النفوس لنفسها اسم «خلاص النفوس»؟

هذا معناه لا يخرج عن أمر من إثنين:

---

(١) نشر في يونية ١٩٦٢م - بؤونه ١٦٧٨ش.

(٢) رسالة ماربطرس الأولى (١ : ٩).

إما أن هذه الجماعة تعتبر أنها هي وحدها التي قامت في النصف الثاني من القرن العشرين لتعمل لخلاص النفوس، وأن كل الجهود التي بذلت قبل قيام هذه الجماعة لم تكن لخلاص النفوس وهذا هو منتهى الغرور البروتستانتي ـ لاسيما أن هذه الجماعة تتعمد العمل وإظهار النشاط في مناطق آهلة بالكنائس الأرثوذكسية، وهي تجد في سعيها لضم الأقباط المترددين على كنائسهم الأرثوذكسية ما يقنع ضميرها في أنها حقاً تعمل لخلاص النفوس!!

وإما أن هذه الجماعة قد حكمت في نفسها على أن كل الجهود التي بذلتها والتي لا تزال تبذلها كنائسنا الأرثوذكسية في سبيل خلاص النفوس لم تجد نفعاً، ولذلك اختصت تلك الجماعة البروتستانتية نفسها بخلاص النفوس، وتركت للكنائس الأرثوذكسية المحيطة بها أن تشغل ذاتها بالطقوس، دون خلاص النفوس كما يزعمون!!!

مبدأ اللاطائفية وخطره :

ومهما يكن من أمر، فإن جمعيات خلاص النفوس تنادي بمبدأ هدام ومهلك هو مبدأ اللاطائفية الأثيم!

واللاطائفية بالمعنى الذي تنادي به جمعية خلاص النفوس دعوة غير صحيحة كما أنها غير طبيعية. فاللاطائفية عندهم مؤداها أن لا يتبع المؤمن كنيسة بعينها، أو بالحرى أن لا تكون له عقيدة خاصة. وكأنهم ينادون بعقيدة مشاعة بين جميع الناس تتلخص في المبادىء المشتركة بين الجميع، وتتنكر للمعتقدات المختلف عليها بينهم.

ولو تابعنا منطق هذه الجماعة لكان علينا أن ننتزع من عقيدتنا المسيحية كل ما كان مثاراً لخلاف.

وإذا عرفنا أن أمر هذه الخلافات كبير بين المذاهب البروتستانتية على الخصوص، لاستحالت المسيحية في نظر هذه الجماعة إلى مبادىء أخلاقية عامة تقارب بينها وبين جميع المذاهب الدينية الأخرى!

ودليلك على ذلك أن بعض المذاهب الدينية والتي تزعم أنها مسيحية ـ كشهود يهوه مثلاً ـ تنكر لاهوت المسيح وعقيدة الثالوث. فهل تستبعد جمعية خلاص النفوس الاعتقاد بلاهوت المسيح والتثليث المسيحي تحقيقاً لمبدأ اللاطائفية!

أو هل تستبعد أيضاً عقيدة «الآخرة»، لأن أتباع مذهب شهود يهوة لا يؤمنون بالآخرة، حتى تضمهم جمعية خلاص النفوس تحت لواء «اللاطائفية»!

إذا استرسلنا في منطق «اللاطائفية»، كان علينا - في سبيل أن نرضي جميع الطوائف - أن نلغي من عقائدنا لاهوت المسيح، والتثليث المسيحي، وأسرار الكنيسة السبعة جميعاً: فلا معمودية ولا تثبيت ولا تناول ولا كهنوت... لأن بعض الطوائف لا تؤمن بها ولا تمارسها...

وعلينا تمشياً مع منطق اللاطائفية عند جمعية خلاص النفوس أن نبطل الأصوام والأعياد، وأن نهدم الهياكل والمذابح، ونحطم الصور والإيقونات والصلبان لأن بعض الطوائف لا تؤمن بها ولا تمارسها...!!

وعلينا تمشياً مع منطق اللاطائفية أن نلغي يوم الأحد، لأن السبتيين ينادون بالعودة إلى السبت اليهودي!!!

وعلينا تمشياً مع منطق اللاطائفية أن نلغي من المسيحية كل عقائدها وكل طقوسها، ذلك لأن الكلام عن أية عقيدة مسيحية يجرح قوماً من المنضوين تحت لواء جمعية خلاص النفوس اللاطائفية!!

بعض شرور اللاطائفية:

إن اللاطائفية مبدأ غير طبيعي، لأنه من غير المعقول أن لا يكون للإنسان عقيدة يؤمن بها ويدافع عنها، ويحيا بها وفيها ولها، ويمارس سلوكه طبقاً لها، بشعوره الواعي أو باللاشعور.

وحتى اللاطائفيون أنفسهم من جمعية خلاص النفوس لابد أن تكون لهم عقيدتهم حتى لو كانت هي «اللاطائفية» ؟!!!

واللاطائفية تقتل الصراحة في الحق والجرأة في الإيمان.

واللاطائفية تعلم الكذب والنفاق والتعمية، وتتطلب من الإنسان أن يطوي عقيدته في نفسه ولا يجاهر بها ولا يدافع عنها، ويكتمها كأنها أمر مخجل يدعو إلى التخبئة والتستر.

* * *

واللاطائفية دعوة إلى مسيحية ناقصة. إن جمعية خلاص النفوس تدعو الناس إلى التوبة أو إلى الخلاص كما تدعي، فهل تستطيع أن تشرح لأتباعها طريق الخلاص أو طريق التوبة ؟! إنها لا تستطيع.

لأنها إذا أباحت للخاطيء أن يمارس الاعتراف ويتقدم إلى التناول، فقد وقعت في مأزق! فإذا قالت إن الاعتراف يكون أمام الله فقط، فقد نادت بعقيدة بروتستانتية. وإذا قالت إن الاعتراف يكون على الكاهن. أمام الله، فقد نادت بالمبدأ الأرثوذكسي! ولذلك فإنها تكتفي بكلام ناقص عن التوبة، وإن كان يعد كاملاً من وجهة النظر البروتستانتية!!

ومما يؤكد بروتستانتية هذه الجماعة أن وعاظها ينادون في الناس أن يقفوا إذا كانوا قد تخلصوا، فيقف من يقف، ويبقى جالساً من لم يتخلص بعد!! وهو هو بعينه الأسلوب السائد عند بعض الطوائف البروتستانتية والذى تنكره وتستقبحه الكنيسة الأرثوذكسية وجميع الكنائس الرسولية التقليدية.

ولا يمكن لجمعية خلاص النفوس - تمشياً مع منطق اللاطائفية - أن تتكلم عن التناول من الأسرار المقدسة، لأنها إن قالت إنه جسد الرب ودمه فقد أعلنت الحقيقة الأرثوذكسية، وإن قالت إنه رمز فقد كشفت عن بروتستانتيتها، ولذلك لابد لها من أن تتهرب، فلا تتكلم عن التناول مع أهميته وضرورته للحياة الروحية، ولا تدرى أنها فيما تتهرب من الكلام عن التناول أنها تثبت بذلك أنها بروتستانتية!!

كما يستحيل على جمعية خلاص النفوس - تمشياً أيضاً مع دعوتها اللاطائفية - أن تتكلم عن التقليد أو عن الصوم أو عن رسم علامة الصليب، ولا تستطيع أن تستخدم آيات الكتاب المثبتة لأية عقيدة أرثوذكسية، ولا يمكن أن تسمح لواعظ فيها أن يتكلم عن السيدة العذراء وفضائلها وبتوليتها الدائمة، وأنها والدة الإله، ولا يمكن أن يتناول في حديثه شيئاً عن الإتجاه إلى الشرق في الصلاة، ولا عن شفاعة القديسين التوسلية للأحياء وللراقدين، ولا يمكن أن يشير إلى الهيكل أو المذبح أو الحجاب، ولا للصور المقدسة، ولا إلى القداس. وبالإجمال لا يمكن أن يعرض في حديثه جملة أو تفصيلاً لشيء من العقائد والطقوس. إنها في نظر اللاطائفيين رجس وشر يبعد الناس عن الخلاص!!!

ولعل أخطر من هذا كله أن يفهم الناس أنهم في غير حاجة إلى تلك العقائد والطقوس، وحينئذ تكون اللاطائفية قد جرتهم إلى عقيدة بروتستانتية من أعلى طراز!!

وأياً كان القول، فإن الأرثوذكسي لا يقبل أن يصير لاطائفياً أو مائعاً بين المذاهب! ولا يسمح لنفسه أن يتستر وراء «اللاطائفية»، ولا يطيق أن يتنكر لعقيدته وإيمانه ولا يستسيغ أن يفصل نفسه عن الأرثوذكسية الصريحة بجميع عقائدها وطقوسها وتقاليدها!!

إن الذى قد يقبل أن يستبدل بأرثوذكسيته مذهب اللاطائفية هو غير الأرثوذكسى، أو هو البروتستانتى. أما الأرثوذكسى الحقيقى فلا يقبل بأرثوذكسيته بديلاً.

وإذن فجمعية خلاص النفوس البروتستانتية بدعوتها اللاطائفية لم تخسر أو تفقد شيئاً. أما الأرثوذكس الذين خدعوا بدعوتها، فهم الذين قد خسروا، وخسروا كثيراً جداً...

هى لم تخسر لأنها بروتستانتية. وليس يضرها بل ومن مصلحتها، أن تستبعد من مواعظها وممارساتها كل العقائد الأرثوذكسية وكل الطقوس الأرثوذكسية، لأن ما سيتبقى بعد ذلك هى العقائد البروتستانتية، والطقوس البروتستانتية...

أتريد الدليل على أن جمعية خلاص النفوس لا تخسر شيئاً بدعوتها إلى اللاطائفية، وأن الأرثوذكس وحدهم هم الخاسرون؟

تأمل إجتماعات هذه الجماعة، جماعة خلاص النفوس...

تأمل صلواتهم وترانيمهم وأنغامهم فى ترانيمهم...

تأمل كيف يبدأون إجتماعاتهم، وكيف يختتمونها...

تأمل ترتيب المكان الذى يجتمعون فيه... تجده بروتستانتياً فى تصميمه وفى كل ما يجرى فى داخله...

لقد أقاموا لهم مبنى مثلاً فى شبرا... وحاشا طبعاً أن تكون بينه وبين أية كنيسة أرثوذكسية صلة...

إنه مبنى لاطائفى بحسب دعواهم، ولكنه بروتستانتى حقاً لا غش فيه... ليس فيه هيكل أو مذبح، وليس له نظام بيت الرب أو الكنيسة... ليس هو أرثوذكسياً... ولا هو كاثوليكياً... إنه بروتستانتى بالطبع، فهل هو حقاً لاطائفى كما يزعمون؟ ألا ترى أنه طائفى من طراز بروتستانتى أصيل؟!!!!

أتريد الدليل على أن جمعية خلاص النفوس جمعية بروتستانتية وليست لاطائفية كما هى تدعى؟ الدليل فى مواعظهم وفى كتبهم التى يصدرونها، ونشراتهم التى يوزعونها... إنها مؤلفات بروتستانتية صميمة، فى أسلوبها، وفى صياغتها، وفى منهجها، وفى مفهوماتها بل وأيضاً فى مصطلحاتها التى تعبر بها عن روحيات المسيحية... إن كتاباتهم تكشف عن عقيدتهم وعن روحهم البروتستانتية التى تشبعوا بها... وقديماً عرف خدام رئيس الكهنة أن مار بطرس

الرسول جليلي... عرفوه من لهجته الجليلية التي كان يتكلم بها «وقالوا لبطرس: في الحقيقة أنت أيضاً منهم (= من الجليليين) فإن لهجتك تدل عليك» (١) «ولغتك تشبه لغتهم» (٢)... فقد عرفوه من لهجة حديثه كما تعرف لهجة الصعيدى، ولهجة البحيرى، فى بلادنا وغير بلادنا... على الرغم من أن بطرس الرسول كان ينكر بشدة أنه جليلي مؤيداً إنكاره بأغلظ الإيمان، وكان يلعن المسيح ليظهر براءته منه ومن أهل الجليل...

هكذا نقول لأتباع جمعية خلاص النفوس: لستم لاطائفيين إنكم بروتستانت... فإن لهجتكم تظهركم وتدل عليكم... مهما أنكرتم وأصررتم على الإنكار، فليست العبرة بدعواكم، ولكن بما تبطنون، وما تبطنون تكشف عنه كتاباتكم ومواعظكم ولهجتكم فى الحديث وفى الكتابة، وفى المصطلحات التي تستخدمونها...

لو كانت هذه الجماعة ـ جماعة خلاص النفوس ـ تعلن عن حقيقة بروتستانتيتها، لما كان لنا معها شأن أكثر مما يكون لنا مع أية جماعة بروتستانتية أخرى. لكن هذه الجماعة تنكر بروتستانتيتها، وتزعم أنها مذهب يضم كل الطوائف... سوف لا نصدقها مهما أنكرت، ولو أقسمت بحلف لأن لغتها تظهرها، ولهجتها تدل عليها...

ولتزعم جمعية خلاص النفوس ما شاءت أن الأرثوذكس يحضرون إجتماعاتها، فهل تستطيع أن تزعم أنها أيضاً تضم الكاثوليك مثلاً؟... بالطبع أنها لا تجرؤ على هذا الادعاء...

ولا يتبقى معها أو فيها إلا قليل جداً من البروتستانت ومعهم عدد كبير جداً من أبرياء الأرثوذكس الذين لم يكونوا قبلاً عالمين بحقائق ديانتهم، واقفين على مبادىء كنيستهم، فاستهوتهم دعوة اللاطائفية الهدامة، ولو عرفوا لما قبلوا أن يتركوا كنيستهم وينضووا تحت لواء هذه الجماعة البروتستانتية المقنعة بقناع «اللاطائفية» المزعوم!! كما قلنا سابقاً نقول الآن أيضاً أن البروتستانتية الصريحة خير ألف مرة من البروتستانتية المقنعة، (بفتح القاف وتشديد النون وفتحها).

* * *

هل تستطيع جمعيات خلاص النفوس أن تنكر الحقائق الآتية :

ونحن نسائل جمعية خلاص النفوس البروتستانتية التى تزعم أنها لاطائفية إذا كانت تنكر الحقائق الآتية:

(١) متى ٢٦ : ٧٣ (٢) مرقس ١٤ : ٧٠ راجع أيضاً قضاة (١٢ : ٦)

أولاً ـ أن الخدام الرسميين المعينين فى جمعية خلاص النفوس وفروعها كلهم من البروتستانت.

ثانياً ـ أن الذين يديرون فعلاً جمعية خلاص النفوس كلهم من البروتستانت.

إلا قلة مخدوعة من بين من يسمون أنفسهم بالأرثوذكس وليسوا بأرثوذكس على الحقيقة، وأرثوذكستهم مشوبة وليست أرثوذكسية نقية خالصة... وقد تنبه كثير من هؤلاء الأبرياء إلى خطئهم فى تبعيتهم لهذه الجماعة البروتستانتية وانفصلوا عنها.

ثالثاً ـ أن جمعية خلاص النفوس تعقد إجتماعاتها فى مناطق آهلة بالكنائس الأرثوذكسية. وتحدد مواعيد إجتماعاتها فى نفس المواعيد المحددة للصلوات فى الكنائس الأرثوذكسية مما يدل على نية جمعية خلاص النفوس فى محاربة الكنيسة الأرثوذكسية وإقصاء أبنائها عنها...

فمع علمها أن الكنائس القبطية الأرثوذكسية تقيم فى مساء السبت، صلوات عشية الأحد، إلا أن جمعية خلاص النفوس تتعمد أن تقيم خدمات وصلوات فى مساء هذا اليوم فى قاعاتها!! وذلك حتى لا تدع فرصة لأحد من المترددين على إجتماعاتها أن يحضر عشية الأحد فى الكنيسة الأرثوذكسية!

ويبلغ بها الإمعان فى محاربة الكنيسة القبطية أن تهتم بإقامة نهضات روحية فى مختلف فروعها، فى أسبوع الآلام، وهو الأسبوع الحافل بالذكريات الروحية العميقة... وهى تعلم تماماً أن الأقباط يحتفلون فى هذا الأسبوع فى كنائسهم حيث تقام الطقوس الرائعة الحزينة والصلوات والعظات... ولكنها كما قلنا تريد أن تنزع **الأقباط من كنيستهم لذلك تعمد إلى إقامة خدمات** وعظات ونهضات فى قاعاتها...

وفى القاهرة، وبالذات فى حى شبرا، أقامت جمعية خلاص النفوس حفلة سينمائية كبرى عرضت فيها فيلم حياة السيد المسيح. ومتى كان ذلك؟ فى «مساء خميس العهد» ٢٦ أبريل عام١٩٦٢ حيث تقام الطقوس الدينية والمواعظ بالكنائس الأرثوذكسية المجاورة وغير المجاورة لجمعية خلاص النفوس. فلماذا تصنع جمعية خلاص النفوس ذلك؟

أفهل حقاً تهدف هذه الجمعية إلى خلاص النفوس، أم أنها تهدف أولاً إلى إبعاد الأقباط عن كنيستهم، وإنتزاعهم من بين أحضانها...؟

ومما يذكره الأقباط لهذه الجماعة التى تحارب الكنيسة القبطية وتزعم مع ذلك أنها لاطائفية، أنه في سنة ١٩٦٠ وقع عيد الغطاس المجيد يوم الاثنين، واحتفلت به الكنيسة القبطية مساء الأحد جرياً على عادتها فى إقامة صلوات هذا العيد ليلاً... فماذا صنعت جمعية خلاص النفوس؟

إنها لم تستطيع أن تتحول عن سياستها. لقد أقامت فى ليلة العيد خدمة أعلنت عنها، وظلت هذه الخدمة إلى ما بعد الساعة التاسعة مساء... فكانت عثرة لكنيسة الله... لأن أكثر الذين حضروا خدمة هذه الجماعة إلى هذه الساعة المتأخرة عادوا إلى بيوتهم ولم يذهبوا إلى الكنيسة، وحتى الذين ذهبوا إلى الكنيسة ذهبوا إليها متأخرين ولم يستطيعوا بطبيعة الحال أن يحضروا جزءاً كبيراً من الصلوات كقداس اللقان وغيره، لأنهم دخلوا الكنيسة فى العاشرة مساء... وبعد هذا كله تدعى جمعية خلاص النفوس أنها جمعية لاطائفية، وأنها تهدف إلى خلاص النفوس فقط...!! وأنها لا تحارب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية!!

رابعاً: أن جمعية خلاص النفوس تبذل جهوداً جبارة فى إفتقاد أولاد الكنيسة الأرثوذكسية. فى بيوتهم والإلحاح عليهم بضرورة حضور إجتماعات جمعيتهم وكان الأحرى بها أن تبذل جهودها هذه نحو الفاترين والمستهترين لتمهد أذهانهم إلى حياة التوبة، لو كانت حقاً جمعية تهدف إلى خلاص النفوس لا إلى تشتيت الأقباط عن كنيستهم!

وإذا كانت جمعية خلاص النفوس تستغل معظم أيام الأسبوع فهل يجد المؤمن الأرثوذكسى وقتاً ليحضر إجتماعاً فى كنيسته الأرثوذكسية؟!

إن الذى يحدث فعلاً أن يضطر المؤمن الأرثوذكسى تحت إلحاح هذه الجماعة وتضييقها عليه بالإفتقاد والضغط المنظم أن يحضر إجتماعاتها، فيكتفى بها دون إجتماعات الكنيسة الأرثوذكسية، وشيئاً فشيئاً يهمل إجتماعات الكنيسة الأرثوذكسية وتقل حماسته لتعاليمها وطقوسها، ويجد أخيراً نفسه قد ارتبط بجمعية خلاص النفوس وإجتماعاتها ومواعيدها...

وينجم عن إنصراف الأقباط عن كنيستهم وإجتماعاتها، حرمان الكنيسة من أولادها رجالاً وسيدات، شباناً وشابات، وحرمانها من عضويتهم الحية، ومن الإهتمام بإحتياجاتها الروحية والإجتماعية والمادية...

إن جمعية خلاص النفوس تجمع مئات الجنيهات شهرياً، من العشور التى تجمع من أعضائها العاملين، ومن الإشتراكات التى تجمعها من أعضائها المعضدين، ومن الأطباق... فهل هذه المبالغ الضخمة تجمعها جمعية خلاص النفوس البروتستانتية من سكان المريخ! إنها تجمعها من الأقباط، والأقباط الأرثوذكس على الخصوص! أفهل يستطيع القبطى الذى يساهم بعشر دخله لجمعية خلاص النفوس أن يساهم أيضاً فى إحتياجات كنيسته الأرثوذكسية وإحتياجات الجمعيات الخيرية القبطية، وغيرها من المؤسسات القبطية كالملاجىء والتوزيع على الفقراء؟!

الجواب الطبيعى كلا...

وهكذا فإن جمعية خلاص النفوس تسلب الكنيسة القبطية روحياً ومادياً، وانطبق على تلك الجمعية قول الكتاب المقدس عن الهراطقة «وأسألكم أيها الأخوة أن تلاحظوا الذين يحدثون الشقاقات والشكوك خلافاً للتعليم الذى تعلمتموه وأعرضوا عنهم، فإن أمثال أولئك لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم، وبعذوبة الكلام والدعاء بالبركات يخدعون قلوب السلماء» (١).

خامساً: إن الذين يدعون إلى الوعظ فى جمعية خلاص النفوس كلهم من البروتستانت.

ولقد نزعت هذه الجماعة أحياناً إلى دعوة بعض الآباء من كهنة الأقباط الأرثوذكس لإلقاء عظات «خلاصية» حسب تعبيرهم المسموم! والعظات الخلاصية عندهم هى العظات الخالية من العقيدة الأرثوذكسية، فتأمل!!

وقد لبى بعض الكهنة فى مبدأ الأمر دعوة هذه الجمعية ببساطة وإخلاص، ولكن لما تكشفت لهم نوايا هذه الجمعية على حقيقتها، قاطعوها ورفضوا تلبية دعوتها بعد ذلك، وعملوا على تحذير شعبهم من حضور إجتماعاتها البروتستانتية.

سادساً: إن جمعية خلاص النفوس دعت بعض الكهنة إلى إلقاء بعض المواعظ.

ولما عرض بعضهم لناحية عقيدية، غضبت الجمعية لهذه الإشارة، واحتسبت عمله خروجاً على رسالتها، ونبهته إلى هذه الجريمة العظمى التى ارتكبها! وهى تعلم تمام العلم أن جميع الذين يحضرون إجتماعاتها هم من أبرياء الأرثوذكس، لأن البروتستانت الحقيقيين ليسوا فى حاجة إلى إجتماعاتها، فإن لهم إجتماعاتهم الخاصة وكذلك الكاثوليك لا يحضرون إجتماعاتها

---

(١) رومية ١٦: ١٧، ١٨.

لأن كنيستهم تمنعهم من ذلك منعاً باتاً. فلم يبق غير البسطاء الأبرياء من الأقباط الأرثوذكسيين الذين خدعوا فى حقيقة هذه الجماعة التى تدعى أنها لاطائفية وهى فى حقيقتها بروتستانتية صميمة.

فلماذا تغضب جماعة خلاص النفوس من كل كاهن أو واعظ يعرض فى عظته لعقيدة أرثوذكسية مادامت الغالبية العظمى ممن يترددون على إجتماعاتهم هم من الأقباط الأرثوذكس؟ ألا يكشف هذا عن الهدف الحقيقي والخفى من قيام هذه الجماعة، وهو إهمال الأقباط لكنيستهم وإغفالهم لعقيدتهم الأرثوذكسية حتى يقعوا فى براثن البروتستانتية؟!

سابعا: أن جمعية خلاص النفوس البروتستانتية قد استطاعت فعلاً أن تؤثر على عقيدة أنصاف الأرثوذكسيين . الذين يحضرون إجتماعاتها، ففترت حماستهم لعقيدتهم الأرثوذكسية، وصاروا يدينون بمسيحية مائعة، وأمسوا لا يشعرون بالفارق بين كنيستهم الأرثوذكسية وبين غيرها من الهيئات البروتستانتية، وأصبحوا يهادنون المشيخيين والبليموث والإصلاح، والرخويين، والأدفنتست السبتيين، والمثوديست (أتباع مذهب مثال المسيح) والخمسينيين، وشهود يهوة... وسائر المذاهب السبعة والعشرين (أو يزيد) التى يتوزع عليها البروتستانت فى مصر...

ثم تغيرت صفات هؤلاء الأرثوذكسيين المتساهلين، وأمست حتى لغتهم بروتستانتية، ولهجتهم فى الكلام والتعبير وصارت تميزهم عن الأرثوذكسيين المخلصين.

أيها الأقباط :

ليس لدينا أدنى شك على الاطلاق فى أن جمعية خلاص النفوس جمعية بروتستانتية صميمة، مهما تسترت بستار اللاطائفية الأثيم!!!

وليس لدينا أدنى شك فى أن هدف جمعية خلاص النفوس هو محاربة الكنيسة الأرثوذكسية وإبعاد الأقباط عن كنيستهم، بطريقة خادعة غير ظاهرة.

لقد حاول البروتستانت فى أول عهدهم، وعندما دخلوا بلادنا لأول مرة، أن يهاجموا عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية وطقوسها وتقاليدها، ولكنهم أثاروا بذلك حمية الأقباط، فنهض الأقباط وعلى رأسهم رجال الدين وأخذوا يردون على هجمات البروتستانت بالأدلة والبراهين الكتابية والمنطقية والتاريخية، كما شرعوا فى شرح تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية شرحاً مسهباً فى

مواعظهم ومؤلفاتهم. فعرف الأقباط قيمة تعاليم كنيستهم وازدادوا إيماناً بأرثوذكسيتهم، ورجع منهم من كان قد انضم إلى البروتستانت مخدوعاً بحملاتهم وإتهاماتهم.

وأما اليوم فقد عدل البروتستانت في الغالب عن هذه السياسة بعد أن تبين لهم خطؤها، وعدم جدواها، وأنهم خسروا بها أكثر مما كسبوا...

ولذلك قامت جمعية خلاص النفوس البروتستانتية بمحاولة جديدة، وابتدعت لنفسها سياسة جديدة تخدع بها الأقباط وتنأى بهمَ عن كنيستهم. هذه السياسة الجديدة هي سياسة «اللاطائفية». وهي تهدف من ورائها إلى نفس الغرض: فصل الأقباط عن كنيستهم، ولكن من دون أن تهاجم العقيدة الأرثوذكسية والكنيسة الأرثوذكسية مهاجمة صريحة حتى لا تثير الأقباط، فتردهم إلى كنيستهم من حيث هي قصدت إلى إبعادهم منها وإقصائهم عنها.

يتضح من هذا كله إذن أن دعوة جمعية خلاص النفوس إلى «الطائفية» دعوة خبيثة هدامة مؤدها أن ينسى الأقباط تدريجياً عقيدتهم وذلك عن طريق إهمالها وعدم التعرض لها في المواعظ والمقالات. ولا شك أن البروتستانتية قد كسبت من وراء هذه الدعوة أو السياسة اللاطائفية الجديدة كسباً لم تحرزه بأسلوب الهجوم. فإن اللاطائفية دعوة من غير إثارة، ولكن نتيجتها مضمونة وهي نسيان الأقباط لعقيدتهم، وإهمالهم لها من غير جهد مفتعل.

وهل حقاً أن جمعية خلاص النفوس لا تهاجم عقائد الكنيسة الأرثوذكسية؟

الجاهلون بعقيدة كنيستهم هم وحدهم الذين تخدعهم هذه المزاعم.

ولكن العارفين بالعقيدة الأرثوذكسية على وجه دقيق يعرفون أن قادة هذه الجماعة يهاجمون عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية غالباً بطريق غير صريح، وأحياناً بطريق صريح.

فمن وقت إلى آخر ترد إلينا من مختلف الجهات تقارير عن هذه الجماعة - جماعة خلاص النفوس البروتستانتية - وتصريحات بعض قادتها أو تلميحاتهم في التعريض بعقائد الكنيسة الأرثوذكسية والتقليل من شأنها.

من ذلك هذه الصيحة التي أرسل بها إلينا الأستاذ جورج كامل داود المحامي بطنطا يقول في خطاب له بتاريخ ٢٢ يونيو سنة ١٩٦٠.

«ظهر فى مدينتنا طنطا شخص يدعى «الأخ موريس» ينتمى إلى جماعة خلاص النفوس - غير أرثوذكسية المذهب - يعظ يومياً بمقر الجمعية متعرضاً فى عظاته إلى عقائد الأرثوذكسية وخاصة سر التناول، وكما تعرض إلى شفيعتنا البتول أم النور السيدة العذراء مريم، وجعل فريسته أبناء كنيستنا فى طنطا».

وهذه شكوى واحدة من مئات الشكاوى تصل إلينا كتابة وشفاهاً عن هذه الجماعة البروتستانتية، ومهاجمتها لعقيدة الكنيسة الأرثوذكسية تصريحاً أو تلميحاً، وتعريضها بكهنتها ورؤسائها الروحانيين، وهى تبغى بالطبع من وراء هذا كله إثارة الشعب ضد الكهنة ورجال الدين. والنتيجة الطبيعية لفقد ثقة الشعب بالكهنة ورجال الدين هى إحجامه عن الكنيسة الأرثوذكسية ومقاطعة إجتماعاتها بالتدريج واكتفاؤه بإجتماعات جمعية خلاص النفوس البروتستانتية!!!

أيها الأقباط :

إن قوانين كنيستكم الأرثوذكسية تحرم تحريماً قاطعاً حضور إجتماعات لغير الأرثوذكسيين.

فالرسول القديس يوحنا يقول عن الهراطقة وهم الخوارج على الكنيسة «منا خرجوا، **ولكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا لاستمروا معنا، ولكن ليتبين أن ليسوا جميعاً منا»(١)**

أفلا ينطبق هذا الكلام الرسولى على مذهب جماعة خلاص النفوس البروتستانتية الذين يتركون الكنيسة الأرثوذكسية ويعقدون إجتماعاتهم خارج الكنيسة الأرثوذكسية؟! إنهم «منا خرجوا»، ولكنهم بخروجهم منا برهنوا على أنهم «ليسوا منا».

إذ «لو كانوا منا لبقوا معنا». ولكن لأن روحهم ليست من روحنا، وتعليمهم ليس من تعليمنا... فقد انفصلوا عنا، وأسسوا لهم جماعة خارجة، لها تعليم غير تعليمنا، ولها تقليد غير تقليدنا، وترتيب غير ترتيبنا، علماً بأن الرسول القديس بولس يقول:

«ثم إنا نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل من يسلك من الأخوة على خلاف الترتيب بغير مقتضى التقليد الذى تسلموه منا» (٢).

---

(١) ١. يوحنا ٢ : ١٩ (٢) ٢. تسالونيكى ٣ : ٦

ويقول الرسول يوحنا أيضاً «كل من تعدى ولم يثبت على تعليم المسيح فليس الله له... فمن أتاكم ولم يأت بهذا التعليم، فلا تقبلوه في البيت، ولا تقولوا له سلام. فإنه من قال له سلام فقد اشترك في أعماله الشريرة» (١).

وجمعية خلاص النفوس تعلم بتعليم جديد، ومبدأ يخالف تعاليم المسيح، مبدأ اللاطائفية الهدام. إن المسيح له المجد لم يفصل في تعليمه بين العقيدة وبين الحياة الروحية، بل جعل العقيدة أساساً للحياة الروحية فعلم بأن المعمودية هي الميلاد الفوقاني وهي الميلاد الثاني، والميلاد الذي من الله، وأنه بدون المعمودية لا يقدر أحد أن يدخل إلى ملكوت الله، أو يعاين ملكوت الله (٢).

وعلمنا أنه لا حياة أبدية لنا إن لم نأكل من جسده ونشرب من دمه، وأن جسده مأكل حقيقي (لارمزي) وأن دمه مشرب حقيقي (لارمزي) (٣)... وهكذا تكلم عن جميع العقائد وأبان عنها كدعائم للحياة الروحية وأسس للحياة الأبدية.

وما من عقيدة تؤمن بها الكنيسة الأرثوذكسية إلا مستقاه من تعليم المسيح نفسه. فكيف يدعي قوم أن هذه العقائد ليست من متعلقات الخلاص؟! وكيف أباح اللاطائفيون لأنفسهم أن ينتزعوا العقائد ويكتفوا بالخلاص؟! كأنهم يزعمون أن العقائد ليست من الله أو أن العقائد تعوق الناس عن الخلاص أو أن الخلاص ميسور من غير أن ترتبط نفوس الناس بعقائدهم في ديانتهم تنعقد عليها نفوسهم وتظهر في سلوكهم!!

والحق أيضاً أن القانون الرسولي يمنع أبناء الكنيسة الأرثوذكسية من مخالطة الذين يبعدونهم عن كنيستهم، ويوصي المؤمنين بمقاطعة الخوارج على الكنيسة الذين يحتالون على إقصاء المؤمنين عن كنيستهم بإهمال عقيدتها والتشكيك في تعاليمها، كما يحرم القانون الرسولي حضور إجتماعات الخوارج، ومن الصلاة معهم.

فقد جاء صراحة في القانون العاشر من قوانين الرسل الأطهار.

«كل من يصلي مع من كان مفروزاً وإن كان داخل المنزل، فليفرز هو أيضاً».

---

(١) ٢. يوحنا ٩: ١١

(٢) يوحنا ٣: ٣-٥

(٣) يوحنا ٦: ٥٤، ٥٦

ولما كانت جمعية خلاص النفوس تضم فى إجتماعاتها الأرثوذكس مع غيرهم من الخوارج على الكنيسة، فهى تجعل الأرثوذكس يقعون تحت طائلة القانون الرسولى الذى يحرم على أبناء الكنيسة الأرثوذكسية أن يصلوا مع الخوارج المنقطعين من شركة الكنيسة، وبالتالى أن يحضروا معهم فى إجتماعات تؤول بهم إلى الإنفصال عن كنيستهم الأرثوذكسية بأفكارهم أولاً وبوجودهم العملى بعد ذلك.

أيها الأقباط :

إن جمعية خلاص النفوس البروتستانتية تدعوكم بأسلوب ناعم أملس نعومة الحية الرقطاء إلى أن تتركوا كنيستكم وأن تهملوا عقيدتكم...

فأحذروا هذه الجماعة وقاوموها، وافضحوا دعوتها الخبيثة الهدامة...

واقطعوا شركتكم معها...

وامنعوا أولادكم وأقرباءكم وأصدقاءكم من حضور إجتماعاتها.

وادرسوا عقيدتكم الأرثوذكسية، وواظبوا على إجتماعات كنيستكم الأرثوذكسية فهي كثيرة.

وكونوا راسخين فى إيمانكم الأقدس، واثبتوا على ما تعلمتم من الآباء ومعلمي الإيمان الأرثوذكسى المسلم للقديسين من رب المجد مخلصنا يسوع المسيح.

ولا تكونوا مائلين مع كل ريح تعليم، بخداع الناس بمكر يفضى إلى مكيدة الضلال (١) «وكونوا راسخين غير متزعزعين» (٢).

فاثبتوا إذن أيها الأخوة وتمسكوا بالتقاليد التى تعلمتموها (٣) أثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق (٤).

اسهروا. اثبتوا على الإيمان. كونوا رجالاً. تشددوا (٥) تمسكوا بما عندكم، يقول الرب، إلى أن أجيء. (٦).

---

(١) أفسس ٤ : ١٤
(٢) ١ . كورنثوس ١٥ : ٥٨
(٣) ٢ . تسالونيكي ٢ : ١٥
(٤) أفسس ٦ : ١٤
(٥) ١ . كورنثوس ١٦ : ١٣
(٦) رؤيا ٢ : ٢٥

أسئلة وإجابات عليها

١ - معمودية الأرثوذكس ومعمودية الكاثوليك

سؤال من أحد المسيحيين :

يقول: ما الفرق بين المعمودية في الكنيسة الأرثوذكسية، وبين المعمودية في الكنيسة (الرومانية) الكاثوليكية؟

الجواب :

هناك فارق واحد أساسي، وثمت فروق أخرى في الممارسات.

الفارق الأساسي هو في صيغة قانون الإيمان، الذي بموجبه وعليه يتم التعميد. فالكنيسة الأرثوذكسية تلتزم بقانون الإيمان كما وضعه آباء الكنيسة في مجمع نيقية، المجمع المسكوني الأول، في سنة ٣٢٥م، وثبّته مجمع القسطنطينية، المجمع المسكوني الثاني في سنة ٣٨١م، وفيه يقول المؤمن عن أقنوم الروح القدس: (نعم نؤمن بالروح القدس **المنبثق من الآب**)، وهي صيغة مأخوذة من قول المسيح له المجد **(روح الحق المنبثق من الآب)**. (يوحنا ١٥: ٢٦).

أما الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فقد أضافت على صيغة قانون الإيمان قولها **(والابن)**، فصارت صيغة قانون الإيمان عندهم (الروح القدس المنبثق من الآب **والابن**)، بحجة أن المسيح له المجد وعد تلاميذه بإرسال الروح القدس عليهم، بقوله (ومتى جاء المعزّى الذى **سأرسله أنا إليكم**) (يوحنا ١٥: ٢٦).

هذه الإضافة إلى صيغة قانون الإيمان، والتي عُرفت بمشكلة **(والابن** Filioque) **ترفضها الكنيسة الأرثوذكسية رفضاً باتاً،** سواء عائلة الكنائس الشرقية القديمة: وهي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، والكنيسة السريانية الأرثوذكسية، والكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية، فضلاً عن الكنيسة الأثيوبية الأرثوذكسية - أو عائلة الكنائس الشرقية البيزنطية المعروفة بالخلقيدونية وهي كنائس الروم، والروس ومن إليهم...

إن جميع تلك الكنائس الأرثوذكسية بشقيها: غير الخلقيدونية، والخلقيدونية، يرفضون إضافة (والابن) ويقولون إنه ليس من حقنا أن ننسب إلى الروح القدس أنه منبثق من الآب والابن، ففي هذه الإضافة خروج وعدم إلتزام بنص الإنجيل، وبالصيغة التي نطق بها رب المجد يسوع المسيح.

ثم إن في هذه الإضافة (والابن) خلطاً بين مفهوم **(الإنبثاق)** ومفهوم **(الإرسال)**. وهذا ليس من حقنا، خصوصاً وأنَّ الموضوع يتصل بالطبيعة الإلهية التي تعلو عن تصوُّرنا، ولا نستطيع أن نحيط بها أو ندركها، فهي أعلى من مثالنا، ولابدَّ لنا، **ولا مفرَّ لنا، من أن نلتزم في التعبير عنها بكلام الله ذاته عن طبيعته.**

هذا إلى أن (الإنبثاق) من الآب فعل **(أزلي)** أي أنَّ الروح القدس ينبثق من الآب منذ الأزل. **أما** (إرسال) الروح القدس على التلاميذ في يوم الخمسين فهو فعل **(زمني)**، وعد به الآب، ثم تحقق في يوم الخمسين لقيامة المسيح الرب من بين الأموات. قال المسيح له المجد (وها أنا ذا أرسل إليكم **ذلك الذي وعد به أبي، فامكثوا في مدينة أورشليم إلى أن توشحوا بقوة من الأعالي)** (لوقا ٢٤ : ٤٩) وقال أيضاً : (أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق، لأنني إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي. أما إذا مضيت **فإني أرسله إليكم)** (يوحنا ١٦ : ٧).

هذا إلى أنه من الخطورة بمكان عظيم، أن يكون في تعليم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أن الروح القدس ينبثق من الآب والابن، إذ أن هذا القول ينطوي ضمناً على وجود مصدرين في الثالوث القدوس لإنبثاق الروح القدس: الآب والابن، الأمر الذي يؤدي إلى القول بالإثنينية في الله الواحد، وهو أمر مرفوض في المسيحية. فنحن نجاهر بقولنا (نؤمن بإله واحد) كما نقول بأن هناك **مصدراً واحداً للإلوهة في الله** *πηγὴ Θεότητος* هو الآب. فالروح القدس ينبثق من الآب.

وليس هناك أدنى شك في أن آباء الكنيسة في مجمع نيقية، كانوا على علم واسع ودقيق بتعليم الكتاب المقدس والتقليد الرسولي، ولم تغب عن بالهم النصوص الواردة في الإنجيل عن (إرسال) موهبة الروح القدس من الآب والابن في يوم الخمسين، ولكنهم كانوا حريصين على أن ينسبوا (الإنبثاق) للروح القدس من الآب، على ما نطق به المسيح له المجد، **لأن الإنبثاق فعل أزلي لا زمني**، أما **إرسال** موهبة الروح القدس في يوم الخمسين **فهو فعل زمني** قد تم في زمن محدَّد، وهو يوم الخمسين .

وقد سارت الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة على هذا التعليم، حريصة على الإلتزام بنص الإنجيل، ونص مجمعيّ نيقية والقسطنطينية المسكونيين قروناً كثيرة. ومن الثابت تاريخياً أن إضافة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قولها (والابن) إلى قانون الإيمان، **جاء متأخراً زمنياً، وكان سبباً رئيسياً في إنشقاق مجموعة الكنائس الشرقية، المعروفة بالكنائس**

الأرثوذكسية البيزنطية الخلقيدونية، من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية منذ عام ١٠٥٤ لميلاد المسيح.

والمعروف أن البطريرك فوتيوس Photius بطريرك القسطنطينية المسكوني (٨١٠ـ ٨٩٥)، هاجم إضافة (والابن) مهاجمة عنيفة، وفي منشور بطريركي أصدره سنة ٨٦٧م، شرح إعتراضاته اللاهوتية على تلك الإضافة الرومانية. وفي هذه السنة عينها عقد مجمعاً أصدر فيه قراراً **بشجب إضافة (والابن) إلى قانون الإيمان**، وحرم الحبر الروماني.

وإلى اليوم تشكل هذه القضية سبباً للإنفصال بين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من جانب، وعائلة الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة ومعها عائلة الكنائس الخلقيدونية البيزنطية، من جانب آخر.

إنّ هذه الصيغة الإنجيلية التي صرّح بها المسيح له المجد، والتي نصّ عليها قانون الإيمان الأرثوذكسي الذي وضعته الكنيسة الجامعة الرسولية في نيقية والقسطنطينية، **هي الصيغة التي نستخدمها في سرّ العماد، والتي تشترطها الكنيسة على المتقدمين إلى المعمودية**، بإعترافهم بالإيمان المسيحي، الذي يؤهل المتقدم إلى العماد لقبول موهبة الروح القدس للميلاد الثاني.

أما إضافة (والابن) فتطعن صحة الإعتراف، وأرثوذكسية الإيمان، وتعوق عند الأرثوذكسيين **قبول معمودية الكنيسة الرومانية الكاثوليكية**، التي بإضافتها (والابن) أحدثت في صيغة الإيمان إضافة، **جعلت الإعتراف بإله واحد مثلث الأقانيم بمفهوم مختلف على نوع ما، عن الإعتراف الذي تشترطه الكنيسة الأرثوذكسية لصحة العماد.**

وهناك فارق آخر في ممارسة المعمودية عند الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية، **هو أنّ الكاثوليك يؤخرون مسح أعضاء المعمّدين من الأطفال بالميرون، إلى سن الثانية عشرة**، بينما **أن الكنيسة الأرثوذكسية تباشر المسح بالميرون بعد خروج المعمّد من جرن المعمودية مباشرة**، وهذا يتفق مع تعليم المسيح له المجد، الذي قال: «إنّ الروح النجس إذا خرج من إنسان طاف بالقفار يلتمس راحة فلا يجد، وعندئذ يقول: سوف أرجع إلى داري التي بارحتها. **فإذا جاء يجدها خالية مكنوسة مزيّنة. فيذهب ويأخذ معه سبعة أرواح آخرين أكثر منه شراً، وهناك يدخلون ويقيمون، فتكون أواخر ذلك الإنسان أسوأ من أوائله**» (متى ١٢: ٤٣ـ ٤٥)، (لوقا ١١: ٢٤ ـ ٢٦). فلقد أبان مخلصنا يسوع المسيح أنّ الروح النجس إذا خرج من الإنسان،

يمكن أن يعود إليه مرة أخرى، وفى هذه الحالة لا يعود بمفرده بل (يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح آخرين أكثر منه شراً، وهناك يدخلون ويقيمون، فتكون أواخر ذلك الإنسان أسوأ من أوائله) وعلى ذلك **فإن تأخير منح سرّ المسحة بالميرون إلى ما بعد المعمودية بوقت، يعرّض الإنسان إلى عودة الروح النجس إليه مرة أخرى، ومعه أرواح آخرين أكثر منه شراً**. أما فى الكنيسة الأرثوذكسية، فينفخ الكاهن المعمّد ثلاث مرات فى وجه المعمّد، قبيل التغطيس فى جرن المعمودية، وهو يقول: اخرج أيها الروح النجس! ... فيخرج، وبعد التغطيس مباشرة، يسرع فيدهن أعضاء المعمّد فى ٣٦ موضعاً - وهى منافذ الروح إلى جسم الإنسان - تحسباً لإحتمال عودة الروح النجس إلى جسم الإنسان بعد خروجه منه، **وبهذا يغلق بالمسحة المقدسة على المنافذ ويحصنّها بالميرون، حتى لا يجد الروح النجس طريقاً إلى جسم الإنسان**. ولا شك أن منح المسحة المقدسة بعد الخروج مباشرة من جرن المعمودية هو التقليد السليم الذى يطابق تعليم المسيح له المجد.

* * *

وثمّت فروق أخرى بين المعمودية الأرثوذكسية والمعمودية عند الكاثوليك، فى ممارسة المعمودية: هى أن الكاثوليك يبيحون التعميد بالرش أو بالسكب، وتضاءل عندهم التعميد بالتغطيس. **أما الكنيسة الأرثوذكسية، فتتطلب التعميد بالتغطيس ثلاث غطسات فى الماء كاملة. على اسم الثالوث القدوس، الآب والابن والروح القدس، وعلى عدد الأيام الثلاثة التى قضاها المسيح له المجد فى القبر**، حيث أن المعمودية فى مفهومها الدقيق هى موت مع المسيح (فدفنا معه فى المعمودية وشاركناه فى موته) (رومية ٦: ٤).

ثم إن هناك ما يعرف فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية **بتعميد الجنين فى بطن أمه**. وهو أمر قبيح لا تقره كنيستنا الأرثوذكسية.

٢ ـ طبيعة واحدة للكلمة المتجسد (١)

الابن العزيز المبارك الراهب........

سلام ومحبة وإعزاز ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح، أرجو لكم موفور الصحة، والنمو فى المعرفة والتقوى والروحانية.

شكراً على خطابكم، بل على روح المحبة والوفاء التى أملت عليكم ما كتبتموه ـ وأشكر الله من كل قلبى على غيرتكم الأرثوذكسية، التى إزدادت توهجاً بالسيرة الرهبانية.

وعلى الرغم من أن النصّ الكامل للاتفاقية، بين عائلتى الكنائس الأرثوذكسية القديمة والكنائس الخلقيدونية ليس أمامى، فإننى بضمير صالح أمام الله لا أقبل بالنسبة لكنائسنا الأرثوذكسية تعبير The double consubstantiality، إذا كان المقصود منهما (ثنائية الجواهر)، والذى نذكره واضحاً للبابا ديوسقورس، أنه كان بصوت واضح يصرخ فى مجمع خلقيدونية قائلاً: **إننا نقر بطبيعتين قبل الاتحاد ـ أى قبل التجسد. أما بعد الاتحاد ـ أى بعد التجسد ـ فلا نقبل القول بطبيعتين، إنما هى طبيعة واحدة للكلمة المتجسد. فاللاهوت والناسوت اتحدا معاً فى المسيح اتحاد النار بالفحم فى جمر المجمرة**. إننا لا نستطيع أن نفصل بين النار والفحم بعد اتحادهما. وما دمنا نقول بالاتحاد ἕνωσις ـ فالاتحاد معناه إنهما صارا واحداً، ومادام واحداً فلا نقبل القول بالطبيعتين، لأن مجرد القول بالطبيعتين ولو لفظاً، معناه يتعارض تعارضاً أساسياً مع الاتحاد أو الوحدانية.

وإذا كانت الصياغة تحتفظ بالإثنينية، فالصياغة تنطوى على إنحراف باطنى عن معنى الاتحاد.

والسؤال القائم: هل اتحاد اللاهوت بالناسوت فى المسيح، هل هو اتحاد حقيقى أم هو جمع Combination ؟ وهو التعبير الذى قال به نسطور، الذى قال إن المسيح جمع بين اللاهوت والناسوت فى أقنوم واحد، كما تجمع نعمة الروح القدس بين الرجل والمرأة فى الزيجة ـ وهو التعبير الذى رفضه مجمع أفسس الأول والبابا كيرلس الأول، والذى كان ينطوى على إيمان ضعيف بلاهوت المسيح، والذى نما عند نسطور فجعله يقول صراحة (أنا لا أستطيع أن أسجد لطفل ابن ثلاثة شهور)، مستنكراً ما صنعه المجوس إذ سجدوا لابن الله فى المذود...... الأمر الذى عارضه البابا كيرلس الأول عمود الإيمان، والذى تطلب إنعقاد مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م، والذى جرد نسطور وأسقطه من جميع درجاته الكهنوتية، ثم نفاه الملك إلى أخميم، وأما أتباعه النساطرة فنفاهم إلى خارج الإمبراطورية الرومانية، فذهبوا إلى بلاد العرب...

---

(١) كتب فى ٢٥ من سبتمبر ١٩٩١م ـ ١٤ من توت ١٧٠٨ش.

إن تعبير The double consubstantiality معناه صراحة (ثنائية الجوهر) ، فكيف نقبل نحن هذا التعبير؟ وكيف يقال عنا ، وعلى ألسنتنا إننا نقرّ acknowledge بثنائية الجوهر أو ازدواج الجوهر. إن الثنائية هي تعبير آخر يؤيد القول بالطبيعتين أو بالجوهرين أو الأقنومين؟ لست أفهم كيف يقال عن كنيستنا الأرثوذكسية إنها تقر بالثنائية الجوهرية؟

إننا نقر بالاتحاد Union ومعنى لفظ (الاتحاد) أن هناك جوهرين قبل الاتحاد، صارا (واحدا) . أي أن لفظ (الاتحاد) يفيد الإثنينية قبل الاتحاد أي قبل التجسد، إذ هناك طبيعة الله ثم طبيعة الإنسان. فإذا كان (الاتحاد) حقيقياً، فلا معنى للنص على الإثنينية أو الإزدواجية بعد القول بالإتحاد. إن الإصرار على النص على الإزدواجية أو الإثنينية بعد القول بالاتحاد، يجب وينفي ويلغي ويبطل حقيقة الاتحاد. إن كلمة الاتحاد كافية بها، وبها وحدها، على أن هناك طبيعتين أو جوهرين قبل الاتحاد. ثم اتحدا فصارا (واحدا) وهو التعبير الذى اصطلح عليه البابا كيرلس الأول ἕνωσις (الاتحاد) .

ولعل هذا القدر يكفي الآن في بيان إعتراضنا على القول بأننا نقر بالثنائية الجوهرية .

مع تحيات المحبة، نصلي أن يحفظ الله حياتكم ويقويكم في مسيرتكم الرهبانية في طريق صاعد وإلى الأمام.

الرب معكم،،،،

٣ - موهبة التكلم بالألسنة أو اللغات (١)

سؤال من الابن بشاى سيف حنا - البدارى - العقال البحرى

يقول: أرجو توضيح ظاهرة التكلم بألسنة، وهل هى مستمرة إلى اليوم؟

الجواب :

موهبة التكلم بالألسنة (أو الألسن) أو باللغات، هى من مواهب الروح القدس التى نزلت على تلاميذ المسيح ورسله القديسين، فى يوم الخمسين لقيامته المجيدة. فقد وعدهم المسيح له المجد بهذه الموهبة، قبيل صعوده إلى السماء، (يوحنا ١٤: ١٦، ٢٦)، (١٥: ٢٦)، (١٦: ٧)، (لوقا ٢٤: ٤٩)، (أعمال الرسل ١: ٤) ثم أوصاهم أن لا يبرحوا أورشليم بعد صعوده إلى السماء، بل أن ينتظروا تحقيق هذا الوعد. فلمّا صعد له المجد إلى السماء صعدوا إلى العلية أو القاعة العليا، التى أكل فيها المسيح الفصح مع تلاميذه وغسل أرجلهم، وأقاموا فيها مواظبين على الصلاة والطلبة بروح واحدة. وفى اليوم الخمسين للقيامة المجيدة «وكانوا كلهم مجتمعين فى مكان واحد. وبغتة حدث صوت جاء من السماء كأنه دوىّ ريح عاصفة، وملأ كل البيت الذى كانوا موجودين فيه. وظهر لهم ما يشبه ألسنة من نار منقسمة، وحلت على كل واحد منهم. فامتلأوا جميعاً من روح القدس، وطفقوا يتكلمون بلغات أخرى غير لغتهم، حسبما وهبهم الروح أن يجهروا بالكلام» (أعمال الرسل ٢: ١ - ٤).

أما لماذا كانت هذه الموهبة، وما هو الهدف منها؟

نقول إنها موهبة التكلم باللغات، لتوصيل رسالة الخلاص، ودعوة الإنجيل للناس باللغة التى يتكلمون بها. وهو الهدف الطبيعى من كل لغة ومن كل لسان. فاللغة أو اللسان أداة التفاهم، ونقل المعرفة من إنسان إلى آخر.

ولمّا كان المسيح له المجد قد أمر تلاميذه أن يحملوا رسالته لكل الشعوب والأمم، وأن يكونوا له (شهوداً فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض) (أعمال ١: ٨)، (لوقا ٢٤: ٤٧، ٤٨)؛ ولما كان هؤلاء التلاميذ لا يعرفون كل اللغات، وأكثرهم لا يعرفون غير لغة بلدهم، فكيف يمكنهم أن يذهبوا إلى بلاد لا يعرفون لغتها، ويكرزون فيها بالإنجيل، ما لم يكونوا مالكين زمام اللغة التى يتحدثون بها إلى الناس؟ إن المعرفة العادية للغة بلد ما قد تكفى لفهم ما يقوله أهل البلد. أما الكرازة والتعليم والخطابة، فتقتضى أن يكون المتكلم قادراً على التعبير السليم، عن المعانى التى يريد أن ينقلها للناس. وهذا لا يتوافر بالكفاية إلا لمن ملك زمام اللغة.

---

(١) نشر بجريدة وطنى الأحد الموافق ٢١ من مايو ١٩٩٠م - ١٣ من بشنس ١٧٠٧ش.

إن المسيح له المجد طالب تلاميذه أن ينتقلوا بأنفسهم للبلاد في كل المسكونة، وينقلوا بشرى الخلاص للناس في بلاد الناس.

قال لتلاميذه بعد قيامته من بين الأموات: (فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به) (متى ٢٨: ١٩، ٢٠).

وجاء في إنجيل ربنا يسوع المسيح للقديس مرقس (ثم قال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع، وبشّروا بالإنجيل كل الخليقة.. وبعد أن كلمهم الرب يسوع بهذا ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله. أما هم فانطلقوا وبشروا في كل مكان، والرب يعمل معهم، ويثبت الكلمة بالآيات التي تتبعهم إلى أبد الآبدين) (مرقس ١٦: ١٥ - ٢٠).

وإذن لقد أمر المخلص تلاميذه أن لا يقبعوا في أورشليم بعد قيامته المجيدة وصعوده إلى السماء، بل بالأحرى أن ينطلقوا إلى كل العالم، وأن يتلمذوا جميع الأمم وأن يعلموهم ما أوصاهم به، وأن يكرزوا بالإنجيل كل الخليقة في العالم أجمع، فكيف يمكنهم أن يعملوا بوصية سيدهم، وأن يذهبوا إلى كل العالم، وأن يكرزوا بالإنجيل كل الخليقة، دون أن يكونوا مزوّدين بأدوات التبليغ والكرازة والتعليم، وهي اللغة أو اللغات التي بها يكرزون ويعلمون ويبشرون ويشهدون لسيدهم؟

وكيف يعرفون لغات البلاد التي يذهبون إليها ويكرزون فيها؟

لا مفرّ من أحد أمرين: إمّا أن يدرسوا هذه اللغات في مدارس للغات، إذا وجدت. وهو أمر عسير خصوصاً بالنسبة لرجال كبار، ضعفت مع السنّ قابليتهم لتعلّم لغات جديدة، فضلاً عن أن تعلّم اللغات يقتضي سنوات طويلة، وسنوات حتى يمكن للدارس أن يتقدم في معرفة اللغة والتكلم بها.

أو أن تُمنح لهم هذه المعرفة بموهبة علوية، تغنيهم عن دراسة اللغات في مدارس للغات.

وهذا ما تم بالفعل، فقد مُنح الآباء الرسل القديسين، بعطية سمائية، القدرة على التكلم باللغات، وذلك بحلول الروح القدس عليهم. وهو ما أوضحه المسيح له المجد في قوله لهم: «وينبغي أن يبشر باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا بين كل الأمم إبتداء من أورشليم. وأنتم شهود لذلك. **وها أناذا أرسل إليكم ذلك الذي وعد به أبي، فامكثوا في مدينة أورشليم إلى أن توشحوا بقوة من الأعالي»** (لوقا ٢٤: ٤٧ - ٤٩).

ومكثوا في أورشليم كأمر سيدهم، وعكفوا في عليه صهيون، يصلون بنفس واحدة، من يوم صعود المسيح إلى السماء إلى يوم الخمسين، (وبغتة حدث صوت جاء من السماء كأنه دويّ ريح عاصفة، وملأ كل البيت الذي كانوا موجودين فيه، وظهرت لهم علانية وبصورة جسمية ما يشبه ألسنة من نار منقسمة وحلّت على كل واحد منهم) (أعمال ٢: ١ - ٣). هذه الألسنة التي

ظهرت في جو عاصف غير عادى، وصفه الوحي الإلهى فى سفر الأعمال بأنه (كأنه دوى ريح عاصفة) (أعمال ٢ : ٢)، وذلك للتدليل على أنه عطية سمائية فوق الطبيعة، وزيادة فى التوكيد على سمو هذا المصدر، أن صاحب هذا الحلول العاصف (صوت جاء من السماء)، وإذن فهذا موهبة سمائية وعطية إلهية مصحوبة بكل مظاهر الإبهار التى تعلو على قدرات الإنسان الطبيعية ـ ثم إنّ هذه العطية تجسدت فى صورة ألسنة ـ والألسنة جمع لسان. والألسن أو الألسنة وصفت بأنها (تشبه ألسنة من نار)، وهذا للدلالة على طبيعتها الإلهية، فإن (إلهنا هو نار آكلة) (العبرانيين ١٢ : ٢٩)، فهى من نار ومن نور، وإذن فهى من طبيعة إلهية.

على أنها أيضاً ألسنة أو ألسن بجمع الكلمة، فلم تكن إذن لساناً واحداً وإنما هى ألسنة عدة أو كثيرة ، لأن الحاجة ماسّة إلى أن يتزود رسل المسيح وتلاميذه بالقدرة على التكلم بلغات عدة، حسب حاجة البلاد التى سيذهبون إليها، ولابد أن تعطى إحتياجات جميع الناس في كل بلاد العالم، لأن الدعوة الإنجيلية لابدّ من تبليغها إلى كل بلاد المعمور. وهذا ما أنبأ عنه سفر المزامير (يوم ليوم يفيض قولاً وليل لليلٍ يبدى علماً. ليس قول ولا كلام. الذين لا يسمع صوتهم. فى الأرض كلها ذاع منطقهم . وإلى أقاصى المسكونة بلغت أقوالهم) (مزمور ١٨ : ٣، ٤)، (رومية ١٠ : ١٨).

وأما أنها ظهرت بشكل منظور (ألسنة) نزلت على رءوسهم، فهى إذن موهبة (التكلم بلغات)، بها أصبح رسل المسيح قادرين على أن يتكلموا بلغات أخرى غير لغتهم التى كانوا يتكلمونها فى بلادهم.

وأما أنها ظهرت (منقسمة) على كل منهم. فمعناه أن هناك توزيعاً لكل رسول، وتزويداً له بعدد من اللغات، التى سيحتاج إليها فى خدمته فى البلاد التى سيذهب إليها ليبشر بالمسيح.

ومن هنا نفهم لماذا ذهب القديس توما الرسول إلى بلاد الهند، وذهب القديس متى الرسول إلى بلاد الحبشة (أثيوبيا)، وذهب فيلبس الرسول إلى بلاد الفرس أو إيران ... وهكذا ذهب بطرس الرسول إلى بنطس وغلاطية وكبادوكية وآسيا الصغرى وروما.. وهكذا سائرالرسل القديسين. لم يكن ذهابهم إلى تلك البلد أو غيرها من تلقاء أنفسهم، بل بتدبير وتخطيط الحكيم الذى أرسلهم. (يوحنا ١٧ : ١٨)، (٢٠ : ٢١)، ولهذا منحهم فى يوم الخمسين موهبة التكلم باللغات اللازمة لخدمتهم، فى البلاد التى شاء أن يرسلهم إليها (وكيف يبشرون إن لم يرسلوا؟) (رومية ١٠ : ١٥).

وإذن لقد تبيّن سر هذه الموهبة موهبة التكلم باللغات، من بين مواهب الروح القدس، وأنها موهبة خدمة للوصول إلى قلوب الناس وأذهانهم باللغة التى يفهمونها.

ولقد تجلت حكمة الله من هذه الموهبة فى يوم الخمسين، إذ كان قد تجمع لمناسبة عيد الفصح اليهودى وعيد الخمسين، وهو عيد الحصاد (الخروج ٢٣ : ١٦)، أو عيد الأسابيع

(الخروج ٣٤: ٢٢)، وهو أيضاً عيد (اليوبيل) الذي يحتفل به كل خمسين سنة (اللاويين ٢٥: ١٠، ١١، ١٢) - نقول كانت هناك جماهير من يهود أتوا (من كل أمة تحت السماء) (أعمال ٢: ٥)، غير اليهود المقيمين في أورشليم، وأعني بهم اليهود المهاجرين إلى كل بلاد آسيا وأوربا وأفريقيا، ممن لطول إقامتهم في بلاد المهجر صاروا يجهلون اللغة العبرانية، وهي لغة الهيكل الرسمية، مثلهم مثل المصريين المهاجرين إلى بلاد الغرب، وخصوصاً من ولدوا منهم في انجلترا أو فرنسا أو إيطاليا أو ألمانيا أو كندا أو أمريكا أو إستراليا، ونشأوا وكبروا... فمع طول إقامتهم في تلك البلاد خصوصاً بعد قرون طويلة من الزمان صاروا يجهلون اللغة العربية، كما هو الحال بالنسبة لليهود الذين هاجروا إلى بلاد آسيا وأوربا وأفريقيا وغيرها، فصاروا يجهلون اللغة العبرانية، أو على الأقل، لم تعد العبرانية بالنسبة لهم إلا لغة الطقوس الدينية، مثلها مثل اللاتينية الآن بالنسبة لشعوب أوربا.. وقد ذكر سفر الأعمال عن اليهود المتجمعين في أورشليم يوم الخمسين، لأداء فريضة الحج أنهم كانوا من بلاد كثيرة (بارثيون، ومادِيّون، وعيلاميون، وسكان ما بين النهرين، واليهودية، وكبادوكيا، وبنطس، وآسيا، وفريجية، وبمفيلية، ومصر وأنحاء ليبيا القريبة من القيروان، والقادمون من روما المقيمون بيننا، يهوداً ومتهودين، وكريتيون، وعرب...) (أعمال ٢: ٩ - ١١) وهؤلاء المذكورون فقط من أربعة عشر قطراً، غير اليهود المواطنين وغير (القادمون من روما المقيمون بيننا، يهوداً ومتهودين). وهذا كانت المعجزة التي تجلّت في يوم الخمسين، إذ أن الآباء الرسل تكلموا مع هذه الجماهير، بلغات البلاد التي أتوا منها، حتى نطق كل أولئك الآتين من كل أمة تحت السماء، مبهورين بعظمة المعجزة (لأن كلا منهم كان يسمعهم يتكلمون بلغته هو. وقد ذهلوا جميعا وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض: ترى أليس كل هؤلاء الذين يتكلمون جليليين؟ فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته التي ولد فيها؟ منّا بارثيون ومادِيّون وعيلاميون، وسكان ما بين النهرين، واليهودية، وكبادوكية، وبنطس، وآسيا، وفريجية، وبمفيلية، ومصر، وأنحاء ليبيا القريبة من القيروان.. كريتيون وعرب، ونسمعهم يحدثون بجلائل أعمال الله بلغاتنا نحن. وقد تولتهم جميعاً الدهشة، وراحوا يقولون في حيرة بعضهم لبعض: ما عسى أن يكون هذا؟ (أعمال الرسل ٢: ٦ - ١٢).

وإذن فالمعجزة كانت موهبة التكلم بألسنة وبلغات كثيرة غير لغة الرسل الأصلية، لغة أهل الجليل (أعمال ٢: ٧)، فالموهبة موهبة (تكلم باللغات) فهي في ألسنة الرسل التي صارت قادرة على التكلم بلغات أخرى غير لغة الرسل الخاصة. وهنا نلاحظ قول جمهور الحجيج (لأن كلا منهم كان يسمعهم يتكلمون بلغته هو)، (فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته هو التي ولد فيها؟). (ونسمعهم يحدثون بجلائل أعمال الله بلغاتنا نحن). المعجزة إذن ليست في آذان السامعين، وإنما في ألسنة الرسل، الذين تكلموا باللغات. ولذلك كانت هذه الموهبة موهبة (تكلّم باللغات أو الألسن والألسنة).

وزيادة في الإيضاح قال الكتاب المقدس (فوقف بطرس مع الأحد عشر، ورفع صوته وخاطبهم قائلاً:) (أعمال ٢ : ١٤)، وإذن لم يكن القديس بطرس الرسول هو وحده الذى تكلم مع جماهير اليهود المجتمعين فى أورشليم لأداء فريضة الحج، وإنما الاثنى عشر رسولاً جميعاً تكلموا فى هذا اليوم. فوقف بطرس الرسول، وتكلم مع مجموعة منهم. وتكلم معهم بلغتهم التى يفهمونها والتى (ولدوا فيها) - ووقف اندراوس الرسول مع مجموعة أخرى وتكلم معهم باللغة التى يفهمونها. وهكذا وقف يعقوب بن زبدى مع مجموعة ثالثة وتكلم معهم بلغتهم. ووقف يوحنا مع مجموعة رابعة. وفيلبس مع مجموعة خامسة، وبرثولماوس مع مجموعة سادسة. وتوما مع مجموعة سابعة. ومتى مع مجموعة ثامنة. ويعقوب بن حلفى مع مجموعة تاسعة. وتداوس مع مجموعة عاشرة. وسمعان القانوى مع مجموعة حادية عشرة. ومتياس مع مجموعة ثانية عشرة ... تماماً كما يحدث اليوم فى الجماعات السياحية، فإن لكل مجموعة دليلاً ومرشداً يتحدث معهم بلغتهم: الإنجليزية أو الفرنسية، أو الألمانية، أو الإيطالية، أو الروسية.. وهذا هو معنى الألسنة أو الألسن المنقسمة، التى نزلت على كل منهم لتجعله قادراً على أن يتكلم مع أهل لغة بلغتهم.

نعم إن سفر الأعمال سجل الحديث الذى ألقاه القديس بطرس الرسول بوصفه الأول بين الرسل (متى ١٠ : ٢) وهو أكبرهم سناً. ولم يجد حاجة إلى تسجيل أحاديث الرسل الآخرين، لأنها (ترجمة) لما قاله القديس بطرس، فالموضوع واحد وهو المسيح، وعمل الفداء ثم قيامته وصعوده إلى السماء، وطريق الخلاص بالإيمان. (فقال لهم بطرس: توبوا، وليعمّد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح، فتغفر خطاياكم وتنالوا موهبة الروح القدس، لأن الموعد إنما هو لكم ولأبنائكم ولكل البعيدين، ممّن يدعوهم الرب إلهنا جميعا) (أعمال ٢ : ٣٨، ٣٩).

وهذا هو معنى موهبة (الترجمة) التى أشار إليها الكتاب المقدس (١ - كورنثوس ١٤ : ٥، ١٣، ٢٦، ٢٨). إنها إعادة لموضوع الدعوة بلغة أخرى لجمع من الناس، باللغة التى يعرفونها ويفهمونها ويتكلمون بها.

وتوكيداً على هذه الحقيقة، أن موهبة التكلم بالألسن هى موهبة (التكلم باللغات)، وأنها لخدمة الكرازة والدعوة المسيحية، وتبليغ رسالة الخلاص للناس باللغة التى يفهمونها، يقول الكتاب المقدس على لسان القديس بولس الرسول، الذى واجه بعض الناس فى مدينة كورنثوس، وكانوا قد أساءوا فهم هذه الموهبة، وأساءوا إستخدامها بصورة أضرّت بالرسالة المسيحية، وأمسوا ينطقون بأصوات لا معنى لها، مدعين أنها لغة السمائيين أو لغة الملائكة وهى ليست فى حقيقتها غير هزّات عصبية، تحدث للمصابين بالصرع بمسّ من الجن. ولذلك كتب لهم الرسول يوبخهم ويسخر منهم ويقول (إذا أخرج البوق صوتاً مشوشاً، فمن يتأهب للقتال؟ وكذلك أنتم إن لم ينطق لسانكم بكلام مفهوم، فكيف يعرف أحد ما تقولون؟ ألا يذهب كلامكم فى الهواء؟ إن فى العالم أنواعاً كثيرة من اللغات ، وليس شئ منها بغير معنى. فإن كنت لا أعرف معنى اللغة أكون عند الناطق بها أعجمياً، ويكون الناطق بها أعجمياً عندى... وإلا فإن حمدت

الله بالروح، فكيف يمكن لمن لا يعرف، أن يجيب على شكرك قائلاً: (آمين)، وهو لا يعرف ما تقول؟.. أشكر الله إلهي على أنني أتكلم بلغات أخرى أكثر مما تتكلمون كلكم. ولكنني أوثر أن أقول وأنا في الكنيسة خمس كلمات بعقلي، أعلّم بها الآخرين على أن أقول عشرة آلاف كلمة بلغة غريبة لا يفهمها أحد. لا تكونوا أيها الإخوة أطفالاً في أذهانكم، بل كونوا أطفالاً في الشر، وأما في أذهانكم فكونوا كاملي الرشد. إذن فاللغات الأخرى الغريبة آية لا للمؤمنين، بل لغير المؤمنين. وأما النبوءة فهي للمؤمنين لا لغير المؤمنين. فلو اجتمعت الكنيسة كلها وتكلم كل واحد فيها بلغة غريبة. فدخل قوم من غير العارفين أو غير مؤمنين، أفلا يقولون إنكم مجانين؟) (١ . كورنثوس ١٤: ٨ ـ ٢٣).

ويبقى بعد ذلك السؤال قائماً: هل موهبة التكلم بالألسن أو اللغات مستمرة إلى اليوم؟

نقول: نعم، إنها من مواهب الروح القدس، التي وعد بها المسيح له المجد، للمؤمنين باسمه ليستعينوا بها في طريق الخلاص، كلما دعت الحاجة إليها. قال: (اذهبوا إلى العالم أجمع، وبشروا بالإنجيل كل الخليقة. فمن آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن أدين. وستتبع المؤمنين هذه الآيات فيطردون الشياطين باسمي **ويتكلمون لغات جديدة...**) (مرقس ١٦: ١٥ ـ ١٧).

إن الله لا يخلف وعده. فقد وعد المؤمنين باسمه بأن يتكلموا لغات جديدة غير لغتهم، ولن يخلف الله بوعده. وعلى مدى التاريخ المسيحي تكلم المؤمنون المسيحيون بلغات، حسب حاجتهم إليها في مسيرتهم المقدسة، وكلما اقتضتهم الضرورة إلى ذلك من أجل الخدمة المقدسة.

لقد شهد القديس بولس الرسول، والذي وُصف بأنه ثالث عشر رسل المسيح بأنه يتكلم بلغات كثيرة. وقال لأهل كورنثوس: (أشكر الله إلهي على أنني أتكلم بلغات أخرى أكثر مما تتكلمون كلكم) (١ ـ كورنثوس ١٤: ١٨).

وورد في تاريخ الكنيسة عن القديس افرآم السرياني (٣٠٦ ـ ٣٧٣)، لما ذهب إلى القديس باسيليوس الكبير (نحو ٣٣٠ ـ ٣٧٩) رئيس أساقفة قيصرية كبدوقية، وكان كل منهما لا يعرف لغة الآخر... فالقديس افرآم السرياني كان لا يعرف اليونانية، والقديس باسيليوس الكبير لا يعرف السريانية، فسألا الله معاً أن يهبهما موهبة التكلم بالألسن حتى يمكنهما أن يتفاهما، فاستجاب الله، وتكلم كل منهما مع الآخر وتعزيا بالتعزيات الروحية.

إنه (لا ندامة في هبات الله ودعوته) (رومية ١١: ٢٩) (ليس الله إنساناً فيكذب، ولا كبني البشر فيندم. أتراه يقول ولا يفعل، أو يتكلم كلاماً ولا يتممه) (العدد ٢٣: ١٩)؛ (لا يكذب ولا يندم لأنه ليس إنساناً فيندم) (١ ـ صموئيل ١٥: ٢٩).

على أن هذه الموهبة تمنح للمؤمنين بمقتضى الحاجة إليها في الخدمة، ولتبليغ رسالة الخلاص، فهي للبنيان (١ . كورنثوس ١٤: ٢٦)، ولنشر المعرفة الروحية، ولخلاص النفوس.

٤ - يسوع المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين

سؤال : من السيد / اسحق اسطفانوس سابا.

هل للسيد يسوع المسيح طبيعتان إلهية وبشرية. أو طبيعة واحدة، بعد أن امتزجت الطبيعتان في السيد المسيح بعد التجسد؟

الجواب :

إن المسيحيين الأرثوذكسيين لا يقولون إن في المسيح طبيعتين إلهية وبشرية، وإنما يقولون إن في المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين، هذه الطبيعة الواحدة تجمع بين خصائص الطبيعتين الإلهية والإنسانية. إذن ليست الطبيعة الواحدة للمسيح هي طبيعة اللاهوت وحده، ولا هي طبيعة الناسوت وحده. إنما هي طبيعة واحدة جامعة أو قل مركبة، تجمع بين صفات اللاهوت وصفات الناسوت معاً، في وحدة واحدة لا تقبل الإنقسام أو التفريق أو الفصل أو الإنفصام، هي وحدة جامعة.

وعلى الرغم من أن هذه الطبيعة، طبيعة الإله المتأنس، طبيعة مركبة من اللاهوت والناسوت، لكنها مع ذلك طبيعة واحدة، أو قل إنها بعد التجسد وبعد اتحاد اللاهوت والناسوت في سر التجسد، صارت طبيعة واحدة، لكن المسيحيين الأرثوذكسيين لا يقبلون القول بطبيعتين في المسيح، لأنهم يرون في هذا القول مناداة بالإثنينية، أو بالاثنينية في المسيح. وهم يفهمون المسيح أنه واحد، لا إثنان، واحد في الأقنوم، وواحد في الطبيعة. إن الإثنينية في المسيح مرفوضة عند المسيحيين الأرثوذكسيين، لأنها نوع من النسطورية، وهو المذهب الهرطقي الذي إنعقد بسببه مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١، وقرر رفض النسطورية التي دعا إليها نسطور، لأنها تعلم بالإزدواج في شخص المسيح، وكأنه مسيحان لا مسيح واحد. وقد حرم المجمع نسطور، وأسقطه من جميع درجاته الكهنوتية، وفرزوه من شركة الكنيسة، بمثابة مجدف على لاهوت المسيح.

قال آباء الكنيسة، وعلى رأسهم القديس البابا كيرلس الأول بطريرك الأسكندرية الرابع والعشرون، والذي لقبوه بعمود الإيمان، بأن المسيح إله متأنس، هو إله وهو أيضاً إنسان، ومع ذلك فهو واحد وليس إثنين. هو واحد، لكنه ليس لاهوتاً فقط، وليس ناسوتاً فقط. هو واحد، غير منقسم إلى طبيعتين. هو واحد، يجمع بين خصائص الطبيعتين، لكنه مع ذلك ليست له طبيعتان. طبيعة بعد الاتحاد هي طبيعة واحدة تجمع بين صفات الطبيعتين. فهي طبيعة جديدة جامعة، هي طبيعة الكلمة المتجسد. هذه الطبيعة الواحدة، جمعت بين اللاهوت والناسوت، لا

بطريق المصاحبة أو الأثنينية، بل عن طريق الاتحاد. هذا الاتحاد، ليس كما كان يقول نسطور، كاتحاد الرجل بالمرأة في سر الزواج، كلا، لأن اتحاد الرجل بالمرأة إتحاد بالجسد وليس في الروح، فقد قال المسيح «فيصير الإثنان (الرجل وزوجته) جسداً واحداً، فلا يكونان بعد إثنين إذن وانما جسداً واحداً (متى ١٩: ٥، ٦)، (مرقس ١٠: ٨). إذ يبقى بعد الزواج شخصان: رجل وإمرأة هما جوهران، وشخصان، وأقنومان وطبيعتان، ينفصلان بالموت، وحتى لو عاشا معاً كل الحياة، فإن لكل منهما شخصيته، وكيانه، وطبيعته. وليس كذلك إتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح. إننا بعد الاتحاد، أي بعد التجسد. لا نستطيع أن نتكلم في المسيح عن طبيعتين، لأن القول بطبيعتين معناه إزدواج في المسيح، وهذا مرفوض. لأن التجسد تم باتحاد حقيقي في الجوهر، اتحاد كامل وتام. ولم يكن هذا الإتحاد اتحاداً بالعرض، ولا اتحاد إرادة أو مشيئة، أي ليس من نوع الاتحاد الذي يعرف عند الروحانيين باتحاد المشيئة أو اتحاد الإرادة. إنما الاتحاد بين اللاهوت والناسوت هو اتحاد في الجوهر، أي لم يعد المسيح بعد التجسد جوهرين، وإنما هو جوهر واحد، وطبيعة واحدة، هي طبيعة الكلمة المتجسد، أو الله المتأنس.

هذا الاتحاد شبهة القديس كيرلس البابا الأسكندري، باتحاد الروح والجسد، في الإنسان، إن الروح تنزل من السماء، وتتحد في الرحم بجسد الجنين المتكون من الأب والأم، وبعد تسعة أشهر يخرج الجنين طفلاً، هو إنسان واحد في جوهره، وواحد في طبيعته. طبيعته ليست طبيعة الروح وحدها، وليست طبيعة الجسد وحده، لكنها طبيعة الإنسان، والإنسان بطبيعته روح متحدة بجسم، هذه الطبيعة واحدة، هي ناجمة عن اتحاد الروح بالجسد، لكنها طبيعة واحدة، هي الطبيعة البشرية، أو الطبيعة الإنسانية، التي تجمع في صفاتها وخواصها، بين صفات الروح وصفات الجسم، لكنها مع ذلك طبيعة واحدة.

هذا التشبيه ساقه البابا كيرلس، لبيان حقيقة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت في المسيح، وأنه مسيح واحد، لا إثنان. ومع ذلك فهذا التشبيه قياس مع الفارق، لأن اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح، ليس له شبيه ولا مثال. إنه اتحاد أسمى وأرفع من اتحاد الروح والجسد في الإنسان، لسبب بسيط: وهو أن اتحاد الروح بالجسد في الإنسان، قابل للإنفصال بالموت. فعند الموت يرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها (الجامعة ١٢: ٧). أما اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح، فلا يقبل الإنفصال. فإن لاهوت المسيح لم يفارق ناسوته بالموت لحظة واحدة ولا طرفة عين، بل ظل اللاهوت متحداً بكل من الروح والجسد بعد الموت، بدليل أن المسيح بعد موته، جرى من جنبه دم وماء (يوحنا ١٩: ٣٤). وهذا لا يحدث لميت. فقد كان جسد المسيح بعد موته حياً باللاهوت المتحد به.

وعندما نقول عن المسيح أنه طبيعة واحدة، فالاتحاد القائم بين لاهوته وناسوته، ليس بالاختلاط، ولا بالامتزاج، ولا بالتغيير، وإنما هو اتحاد فريد، ليس له نظير في عالم الحسيات والموجودات المادية.

إن القول بالاختلاط مرفوض، في شرح اتحاد لاهوت المسيح بناسوته. إن الاختلاط يجرى بين المواد التي من نوع الأجسام المادية، كاختلاط القمح بالشعير، أو اختلاط تبر الذهب بالتراب، أو اختلاط الفول بالقش. المادتان تجتمعان، ولكنهما لا تتحدان، بل كل مادة منهما يمكن بالتنقية فصل إحداهما عن الأخرى. وليس كذلك اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح.

وليس الاتحاد في المسيح من قبيل الامتزاج، لأن الامتزاج يتم بين السوائل، كامتزاج الخل بالماء، أو الخمر بالماء. وبالامتزاج يفقد الخل أو الخمر شيئاً باختلاطه بالماء، فيصير الخمر أو الخل مخففاً بالماء. وليس كذلك اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح، لأن اللاهوت لم يفقد شيئاً باتحاده بالناسوت.

وليس الاتحاد في المسيح بين لاهوت المسيح وناسوته من نوع الاتحاد الكيميائي بين المواد، كما يتحد الكبريت بالحديد اتحاداً كيميائياً، فينتج بالاتحاد مادة جديدة هي كبريتور الحديد، تختلف إختلافاً جوهرياً عن كل من الكبريت والحديد. إنها مادة جديدة، وتركيب جديد، وجوهر جديد، أحدث الاتحاد بين الكبريت والحديد تغييراً أساسياً وجوهرياً في طبيعة المواد الأصلية. وليس كذلك اتحاد اللاهوت بالناسوت، فإن الاتحاد لم يغير من اللاهوت، ولم يغير من الناسوت، فاللاهوت ظل كما هو محتفظاً بخصائصه وصفاته، ولم يتغير أو يتبدل إلى الناسوت، ولا فقد شيئاً من خصائصه. وكذلك الناسوت ظل كما هو، محتفظاً بخصائصه وصفاته، ولم يتغير أو يتبدل إلى اللاهوت، ولا فقد شيئاً من خصائصه.

قال البابا كيرلس الأول، عمود الإيمان: إن الاتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته، يمكن تشبيهه باتحاد النار والحديد. فإذا وضعنا قضيباً من حديد في النار، إتحدت النار بالحديد، والحديد بالنار، وصارت طبيعة القضيب الملتهب بالنار، طبيعة تجمع بين خصائص النار، وخصائص الحديد معاً، لكن بدون اختلاط أو امتزاج أو تغيير. فلا النار اختلطت بالحديد، ولا امتزجت به، ولا تغيرت إليه، وإنما بقيت محتفظة بخصائصها وأهمها: التوهج والإحراق. وكذلك الحديد اتحد بالنار، لكنه لم يختلط بها، ولا امتزج بها، ولا تغير إليها، وإنما بقي الحديد محتفظاً بجميع خصائصه وهي الكتلة والوزن والحجم والثقل، والصلابة والامتداد، أي الطول والعرض والسمك...

لكن اتحاد النار بالحديد، أوجد طبيعة جديدة، هي طبيعة الحديد المتوهج بالنار، الذي يجمع بين خصائص الحديد والنار، جمعاً لا يقبل الإنفصال. فأنت لا تستطيع أن تمسك سكيناً، أو مقصا، تفصل به بين النار والحديد. إنه اتحاد لا يقبل الإنفصال .

قد يقال أن الحديد المتوهج بالنار، يقبل البرودة. وفي هذه الحال، يعود الحديد، حديداً من غير نار، والنار نفسها تفارق الحديد. وهنا نسارع بالقول، إن التشبيه الذي ساقه البابا كيرلس، تشبيه مأخوذ من عالم الحس والمادة. ومن هنا فلا يمكن أن ينطبق إنطباقاً كاملاً وتاماً، على اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح. إن التشبيهات دائماً تشبيهات ناقصة، ولا تكون كاملة من جميع الوجوه، فإذا قلنا أن فلاناً كالأسد، فوجه الشبه هو الشجاعة. ولكن فلاناً إنسان، أما الأسد فحيوان.

كذلك شبه البابا ديسقورس، اتحاد اللاهوت بالناسوت، باتحاد النار بالفحم في المجمرة، فالجمر هو فحم متوهج بالنار، يجمع بين خصائص النار وهي: التوهج والاحراق، وبين خصائص الفحم: وهي الكتلة والوزن والحجم، وما إليها من خصائص المادة الكثيفة. هذا إلى أن هذا الاتحاد، لا يقبل الانفصال. فأنت لا تستطيع أن تمسك بآلة، تفصل بها بين الفحم وبين النار.

ولعل هذا هو المعنى الروحي الذي ينطوي عليه، ويشير إليه، تشبيه العذراء بالمجمرة، في اللحن المعروف بلحن العذراء القائل: المجمرة الذهب هي العذراء، وعنبرها هو مخلصنا. ولدته، وخلصنا، وغفر لنا خطايانا.

وفي أيام الصوم المقدس، يقال اللحن على الصورة الآتية: «أنت هي المجمرة الذهب النقي، الحاملة جمر النار المبارك» وواضح من التشبيه الأخير: أن المجمرة هي العذراء، وأما جمر النار الذي حملته العذراء فهو المسيح. وكما تتحد النار بالفحم في جمر النار، هكذا اتحد لاهوت المسيح بناسوته، إتحاداً بدون اختلاط، ولا امتزاج، ولا تغيير.

٥ ـ المانويون وليس المسيحيون (١)
هم الذين ينهون عن الزواج ويحرّمون أكل اللحوم

سؤال : من الابن ا.ح.ص ـ اطسا ـ الفيوم .

يقول: عند قراءتي في الكتاب المقدس وبالتحديد في رسالة معلّمنا القديس بولس الرسول الأولى إلى تيموثيئوس، فوجدت بكلام غريب (إن بعض الناس يرتدون عن الإيمان في الأزمنةالأخيرة، ويتبعون أرواحاً مضلّلة وتعاليم شيطانية، لقوم مرائين كذابين كُويت ضمائرهم، ينهون عن الزواج وعن أنواع من الأطعمة، خلقها الله ليتناولها ويحمده عليها الذين آمنوا وعرفوا الحق) (١ ـ تيموثيئوس ٤ : ١ ـ ٣) أفليس في هذا النصّ المقدّس إدانة للرهبان والمتبتلين الذين يمتنعون عن الزواج؟

أو ليس فيه أيضاً إتهام صريح بخطأ الذين يصومون، فيمتنعون عن اللحوم ومستخرجاتها الحيوانية من الألبان والجبن والبيض وما إليها؟ إني أرجو تفسيراً مقنعاً لهذا النص المقدس الذي أزعجني وأقلقني، والذي يستغله بعض الناس لمحاربة الرهبنة، ولمهاجمة الإمتناع عن اللحوم في فترات الأصوام العامة.

الجواب :

كيف يمكن أن يتصور أحد أن يدين الوحي الإلهي طريق الرهبنة وحياة التبتل، بينما أن المسيح له المجد يصفها بأنها (طريق الكمال)؟

ألم يقل المسيح له المجد (أتريد أن تكون كاملاً؟ يعوزك شيء واحد: اذهب بع كل ماتملك وأعطه للفقراء، فتقتني لك كنزاً في السماء، وتعال اتبعني واحمل الصليب) (مرقس ١٠ : ٢١)، (متى ١٩ : ٢١).

ولمّا قال له تلميذه سمعان بطرس (ها نحن أولاء قد تركنا كلّ شيء وتبعناك، فماذا عسى أن يكون نصيبنا؟ فقال لهم يسوع: الحقّ أقول لكم.... كل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات، أو أباً أو أماً أو زوجة أو أبناء ، أو حقولاً من أجل اسمي، ومن أجل الإنجيل، إلا ويأخذ مائة ضعف ينالها الآن في هذا الدهر، بيوتاً وإخوة وأخوات وأمهات وآباء وأبناء، وحقولاً مع إضطهادات. أما في الدهر الآتي فحياة أبدية) (مرقس ١٠ : ٢٨ ـ ٣٠)، (متى ١٩ : ٢٧ ـ ٢٩)، (لوقا ١٨ : ٢٨ ـ ٣٠).

---

(١) نشر بجريدة وطني في الأحد الموافق ٣ من مارس ١٩٩٢م ـ ٢٤ من امشير ١٧٠٨ ش

وهنا نلاحظ أنه له المجد أحصى من بين تضحيات طريق الكمال، أن يترك الإنسان (الزوجة) **أى حياة الزواج**، ولكن لما تحدث عن نتائج هذا الترك، وما يجده السائرون فى طريق الكمال من العوض، قال إنه (يأخذ مائة ضعف ينالها الآن فى هذا الدهر، بيوتاً وإخوة وأخوات وأمهات وآباء وأبناء وحقولاً مع إضطهادات، **ولكنه لم يذكر الزوجة العوض عن الزوجة التي تركها من أجل الله ومن أجل الإنجيل**. والمعروف أن المتزوجين من الآباء الرسل مثل سمعان بطرس **رافقتهم زوجاتهم فى الخدمة، كأخت لا كزوجة**. قال الرسول بولس (أما لنا حق مثل سائر الرسل وإخوة الرب وبطرس، أن **نستصحب زوجة** أختا **ОУСΩΝΙ ΝCϨΙΜΙ** ؟) (١ كورنثوس ٩: ٥).

ألم يقل المسيح له المجد رداً على مقولة تلاميذه: خير للرجل ألا يتزوج.... (**ليس الجميع يقبلون هذا الكلام** وإنما الموهبون فقط. لأنه يوجد خصيان ولدوا على هذا النحو (خصياناً) من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس، **ويوجد خصيان خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السماوات**. فمن استطاع أن يَقْبَل فليَقْبَل (بفتح الياء وسكون القاف) (متى ١٩: ١٠ ـ ١٢)؟

ففى تعليم المسيح إنه **يمكن للإنسان أن لا يتزوج حتى يحيا حياة «مقدسة جسداً وروحاً»، وهذا سبيل أفضل، للراغبين فى طريق الكمال، لكنه منهج إختيارى، لا يُقهر عليه، إنهم خصوا أنفسهم بالتسامى والإعلاء للغريزة الجنسية، ومن أجل ملكوت الله**. إنها موهبة يمنحها الله للراغبين فيها والساعين إليها من أجل حياة أفضل.

وفي هذا المعنى يقول الوحى الإلهى على فم النبى إشعياء (**لا يقل الخصىّ ها أنا شجرة يابسة**. لأنه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتى، ويختارون ما يسرّنى، ويتمسكون بعهدى، **أنى أعطيهم** فى بيتى وفى أسوارى نُصباً (بضم النون والصاد) **وأسماً أفضل من البنين والبنات. أعطيهم اسماً أبدياً لا ينقطع**) (إشعياء ٥٦: ٣ ـ ٦).

وفى هذا المعنى جاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى كورنثوس، (**يحسن بالرجل أن لا يمسّ إمرأة**، ولكن، خوفاً من الزنى، فليكن لكل رجل إمرأته ولكل إمرأة زوجها... **وأقول لغير المتزوجين.. أنه يحسن بهم أن يظلوا مثلى (غير متزوجين)**، فإذا لم يطيقوا العفاف فليتزوجوا. فالزواج أفضل من التحرّق بالشهوة... **إن بين المتزوجة والعذراء فرقاً. فغير المتزوجة والعذراء، تهتم بما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً**. وأما المتزوجة فتهتم بأمور العالم وكيف ترضى زوجها) (١ كورنثوس ٧: ١ ـ ٣٤).

فالبتولية الطاهرة والعفة الكاملة هى طريق الكمال، وهى تقديس للجسد والروح فى حياة تعبّدية ملائكيـة، وفى خدمة رسولية، لكنها **إختيارية وليست جبرية** (**من استطاع أن يقبل فليقبل**) (متى ١٩ : ١٢).

أما الذين أنبأ عنهم الكتاب المقدس بأنهم (يَنهَون عن الزواج) **فهم أتباع بدعة مانى Mani** ابن فاتك (٢١٥ ـ ٢٧٦)م، الذى ظهر فى القرن الثالث للميلاد. وقال (مانى) بمبدأين: مبدأ الخير ومبدأ الشر، النور والظلام، الله وديمون، ونادى **بتحريم الزواج**، والمناداة بأن الزواج نجاسة ودنس، وكذلك دعا إلى **تحريم أكل اللحوم وبعض المأكولات الأخرى تحريماً قطعياً**. وعنده أنّ من يتزوج ومن يأكل اللحوم فهو من أتباع إله الشر، ومصيره إلى جهنم والنار الأبدية.

لقد دعا (مانى) بن فاتك وأتباعه، إلى الاعتقاد بإلهين إثنين يتقاسمان الوجود: إله للخير، وإله للشر.

والناس عند (مانى) صِدّيقون مختارون، Elect ثم سمّاعون Hearers ثم خُطاة. أما الصديقون المختارون فهم أتباعه بالقول والعمل، لا يتزوجون ولا يحاربون، **ولا يذبحون الحيوان. ولا يأكلونه، ولا يأكلون مستخرجاته من بيض وحليب وجبن، ولا يشربون الخمر**، بل يكتفون بالخبز والحبوب والبطيخ، لأنها كما يقول (مانى) من صنع إله النور، **وأما اللحوم ومستخرجاتها والخمر فهى من صنع إله الظلمة**. والصديقون المختارون تصعد نفوسهم فوراً إلى النعيم.

وأما السّماعون Hearers فيشتركون مع الصديقين المختارين فى جميع الشعائر، ولكنهم لا يقوون على سائر التكاليف. **فإذا تزوجوا فهم مجبرون على الاكتفاء بزوجة واحدة، وليجتهدوا أن لا يُعقبوا نسلاً**. وأن يحسدوا إلى الصدّيقين المختارين. والسمّاعون عند (مانى) تبقى نفوسهم بعد الموت فى العالم، ولكنها تدخل جسماً آخر ثم آخر، وهكذا حتى تستقرّ فى جسم صديق، وبعد ذلك تصعد إلى النعيم.

وأمّا الخطاة عند (مانى) فهم أهل الأديان الأخرى، وهم يهلكون فى جهنم.

وعلى ذلك، فما جاء برسالة القديس بولس إلى تيموثيئوس، **هو نُبوءة عن ظهور بدعة (مانى) بن فاتك ومن تبعه فى هرطقته**.

وواضح أنّ الكنيسة المسيحية مع دعوتها إلى شرف البتُولية وكرامتها، ومدح الحياة الرهبانية النسكية ووصفها بأنها طريق الكمال، **لا تنهى عن الزواج ولا تمنعه، فالزواج فى**

الكنيسة المسيحية رباط إلهي وسرّ مقدس، واتحاد سماوي بين الرجل والمرأة بفعل الروح القدس، الذي يحل على العروسين ويجمع بينهما، وقد قال المسيح له المجد (فلا يكونان بعد إثنين إذن وإنما جسداً واحداً، ومن ثم فما جمعه الله لا يفرقه الإنسان) (متى ١٩ : ٦). ولذلك فإنه يباشر في الكنيسة، وأمام الهيكل المقدس، ويعقده الكاهن وهو ملتحف بكامل ملابسه الكهنوتية، ممثلاً للسلطة الإلهية، فهو يباشر عملاً مقدساً، وإلهياً.

لقد قال الكتاب المقدس: (ليكن الزواج مكرّماً عند جميع الناس، وليكن فراش الزوجية طاهراً) (العبرانيين ١٣ : ٤)، ويقول أيضاً (إنّ هذا السرّ لعظيم) (أفسس ٥ : ٣٢).

فالكنيسة المسيحية لا تنهى عن الزواج، بل تقدسه وتكرمه، وتنادى به رابطة إلهية وسرّاً مقدساً. وأمّا فراش الزوجية فطاهر وبرىء من الدنس.

أما الذين ينهون عن الزواج فهم مانى وأتباعه.

جاء في القانون ٥١ من قوانين الآباء الرسل:

«أي أسقف أو قس أو شماس أو أي شخص آخر من السلك الكهنوتى، يمتنع عن الزيجة واللحم والخمر، ليس تنسكاً، بل لأنه يشمئز منها ويعتبرها نجسة، وقد نسي أن الله قد خلق كل الأشياء حسنة جداً، وأنه خلق الإنسان ذكراً وأنثى، فهو بمسلكه هذا يجدّف على عمل الخليقة، فليصلح أمره أو فليسقط ويطرد من الكنيسة، ويمثل ذلك يعاقب العاميّ (من غير الإكليروس) أيضاً).

وجاء في القانون الأول من قوانين مجمع غنغرة المكانى (المنعقد نحو ٣٦٥) م:

(ليبسل (= ليحرم) كل. من لا يوقّر الزواج الشرعى).

وجاء في القانون التاسع من قوانين مجمع غنغرة:

(إنّ كلّ من يبقى عازباً حافظاً العفة وممتنعاً عن الزواج، لأنه يكرهه ويزدريه، وليس لما في البتولية من جمال وقداسة فليكن مبسلا (= محروما)

كذلك القانون الخامس من قوانين الرسل، والقانون ١٤ والقانون ٢١ من قوانين مجمع غنغرة.

وأما الصوم فهو فضيلة وعبادة لله، فيمتنع العابد عن الطعام إمتناعاً تاماً، لفترة من الوقت قد تمتد إلى غروب الشمس، كما هو الحال في الصوم الكبير، وقد

تقتصر إلى الساعة الثالثة بعد الظهر، بعدها يتناول الصائم طعامه من نباتات الأرض.

على أنّ الإمتناع في فترة الأصوام عن اللحوم ومستخرجاتها الحيوانية، هو للحصول على الفوائد الروحية التي ينالها الصائم. فالكنيسة المسيحية في دعوتها للصوم والإمتناع عن اللحوم ومستخرجاتها، فمن قبيل النسك والعبادة، ولكنها لا تمنع أكل اللحوم ومستخرجات الألبان في غير أوقات الصوم كما يفعل المانويون أتباع بدعة (ماني) بن فاتك.

ولذلك فإنه تمشياً مع هذا المبدأ، ورفضاً لبدعة (ماني) في تحريم أكل اللحوم، نصّت القوانين الكنسية على حرم من يمتنع عن أكل اللحوم بدعوى أنها نجسة، أو أنها من صنع إله الظلمة أو الشر.

جاء في القانون ٥٣ من قوانين الرسل:

(أي أُسقف أو قس أو شماس لا يأكل في أيام الأعياد لحما ولا يشرب خمراً، لا عن نُسكٍ، بل لأنه يشمئز منهما، فليسقط، لأن ضميره مكويٌ، وصار معثرة لكثيرين).

كذلك القانون ١٤ من قوانين مجمع أنقرة (أنقيرة) في سنة ٣١٤م، والقانون ٨٦ من قوانين القديس باسيليوس الكبير.

٦ ـ شروط الإنضمام للكنيسة القبطية الأرثوذكسية(١)

العزيز دكتور ج.ش.ج

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

رداً على خطاب سيادتكم بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٧٣، وبه تستفسرون عن الإجراءات الكنسية الواجب إتباعها بالنسبة لعريس كاثوليكي، تقدم لخطبة كريمتكم الأرثوذكسية والزواج منها.

نفيد بأن كنيستنا الأرثوذكسية تشترط عند الزواج أن يكون العروسان أرثوذكسيين، يتمتعان بعضوية وبنوة الكنيسة الأرثوذكسية. فإذا كان أحدهما غير أرثوذكسي، وجب أن ينضم إلى الكنيسة الأرثوذكسية،

والإنضمام يقتضي **الإعتراف بالإيمان الأرثوذكسي** والاعتماد **بالمعمودية الأرثوذكسية وحسب الطقس الأرثوذكسي، والتناول من الأسرار المقدسة في الكنيسة الأرثوذكسية**. كل هذا يتم كاملاً قبل إتمام الزواج، ولا يكفي الإنضمام دون التعميد والتثبيت بالميرون، لأنه طالما أنه لا يجوز حتى الآن تناول الأرثوذكسي في كنيسة كاثوليكية والكاثوليكي في كنيسة أرثوذكسية، فيجب أن يتمم العماد أرثوذكسياً على الإيمان الأرثوذكسي.

والحكمة في هذا الإنضمام الرسمي الكامل الشامل، تشمل الناحيتين الروحية والقانونية.

أما من الناحية الروحية، فالحكمة هي إتفاق الزوجين إتفاقاً في الإيمان والاعتقاد والفكر، وهذا أساسي جداً لفعاليات سر الزواج من جهة ولدعم روح التوافق الذهني والنفسي والقلبي بين الزوجين، مما يبني حياتهما الزوجية ويكفل لهما دوام الرابطة بينهما من جهة أخرى. فالإختلاف العقائدي يهدد مستقبلاً حياة الزوجين ويغذي أسباب الخلاف والشجار بينهما.

كذلك فإن إتفاق الزوجين عقائدياً وإيمانياً ذو أهمية قصوى بالنسبة لأولادهما، وتنشئة الأولاد على أساس واضح راسخ من الإيمان الواحد المشترك بين الأب والأم. أما الاختلاف العقائدي بين الوالدين فله مستقبلاً أسوأ الأثر في تنشئة الأولاد الدينية، ويدع مجالاً لزعزعة الإيمان في نفوس البراعم الناشئة، وتشتت أفكار الصغار بين مذهبين مختلفين للأب والأم.

أما من الناحية القانونية. فإن اتفاق الزوجين في الاعتقاد وإنضمامهما رسمياً للكنيسة الأرثوذكسية، التي يجري عقد الزواج في ظل شريعتها، يحفظ للزوجين ولأولادهما منهما، كل

---

(١) كتب في ٣١ من مايو ١٩٧٣م ـ ٢٣ من بشنس ١٦٨٩ش.

الحقوق القانونية والشرعية، فيما لو شجر مستقبلاً خلاف بين الزوجين.

وأن ما يجرى على مرآنا ومسمعنا كل يوم، من أحداث الخلافات الزوجية يزيدنا إيماناً بضرورة أن يكون الزوجان أرثوذكسيين عند الزواج.

وعلى الطرف غير الأرثوذكسي أن ينضم رسميا إنضماماً تاماً، شكلاً وموضوعاً، روحاً وطقساً، للكنيسة الأرثوذكسية. فالتساهل في هذا الشرط الأساسي من شروط الزواج، يبدو في مبدء الأمر خلقاً مسيحيا تبرره مقتضيات المحبة المسيحية بين الكنائس والمعتقدات، وتغرى عليه مشاعر المودة بين العروسين الراغبين في إتمام الزواج على الرغم من كل العوائق... ولكن لا يلبث الزواج أن يتم، حتى تبدأ رواسب الإختلاف العقائدي المختفية تحت ستائر الرغبة المبدئية في الزواج، أن تصعد إلى السطح شيئاً فشيئاً فتظهر بوضوح، ولكن بعد أن يصير من العسير علاجها.

ليس هذا الجواب عن كراهية أو عن تعصب. ولكن يجب أن تكون كل أمورنا في محبة ووضوح وتدبر.

ونعمته تعالى تشملكم وبركته تحل عليكم، راجياً لكريمتكم الخير والتوفيق.

٧ - المعمودية الكاثوليكية (١)

الآب المحترم القمص م. القمص ع.

سلام ومحبة وبركة من ربنا يسوع المسيح.

رداً على استفساركم بخصوص المعمودية الكاثوليكية وهل تعد في نظر الكنيسة الأرثوذكسية مقبولة؟ وهل تعاد معمودية من يريد الإنضمام للكنيسة الأرثوذكسية؟

نقول: إن المعمودية الكاثوليكية قانونية في داخل الكنيسة الكاثوليكية.

أما إذا أراد كاثوليكي الإنضمام للكنيسة الأرثوذكسية، فيلزم في هذه الحالة عماده من جديد على الطقس الأرثوذكسي.

أولاً - لأن المعمودية دائماً تتوقف على الإيمان، والاعتراف بالإيمان الأرثوذكسي في الله الواحد، أحدي الذات مثلث الأقانيم والصفات، وفي لاهوت المسيح وأنه في طبيعة واحدة من طبيعتين، وفي الروح القدس وأنه منبثق من الآب... وغيرها من حقائق الإيمان الأرذوكسي.

لذلك يجب أن يكون قبول سرّ العماد، على أساس قبول الحقائق الأرثوذكسية في الإيمان.

ثانياً - إن الكنيسة الأرثوذكسية تشترط لصحة المعمودية أن يكون التعميد بالتغطيس، فضلاً عن مباشرة طقس جحد الشيطان وما يتبعه من صلوات ومراسم ودهن بالزيت في مواضع محددة.

وقد لا يتوافر هذا كله أو بعضه على الأقل في المعمودية الكاثوليكية...

فضماناً لصحة سرّ المعمودية، يعمد من يريد الإنضمام للكنيسة الأرثوذكسية على الطقس الأرثوذكسي، وبيد الكاهن الأرثوذكسي.

ثالثاً - إن الإنضمام للكنيسة الأرثوذكسية لا يكون بوعد شفهي، ولا بكتابة طلب إنضمام.. هذا لا يكفي لصحة الإنضمام. إنما الإنضمام الحق يتم بالمعمودية على الإيمان الأرثوذكسي. ومن دون هذا لا يكون الإنضمام حقيقياً.

ويتضح خطر الإنضمام الشكلي، في حالة الزواج بين طرفين أحدهما أرثوذكسي والثاني كاثوليكي. فسريعاً ما يعود بعد إتمام الزواج كل منهما إلى عقيدته وكنيسته، وهذا يشكل خطورة على العلاقات الزوجية والأسرية، ويفتح أمام الأطفال المولودين في ظل هذا الزواج أبواباً

---

(١) كتب في ٢٤ من يونيه ١٩٨١م - ١٧ من بؤونه ١٦٩٧ ش.

للإنقسام العقائدى والفكرى، وبالتالى يخلق أسباباً للتنافر العاطفي بين أفراد الأسرة الواحدة.

وبالإضافة إلى هذا كله، يخلق سبيلاً لتطبيق الشريعة الإسلامية عند حدوث خلاف بين الزوجين.

لذلك وتفادياً لكل تلك المتاعب والنتائج التي تهدد سلام الأسرة، تشترط الكنيسة الأرثوذكسية أن يكون الزوجان عند عقد الزواج على إيمان واحد، وعضوين في كنيسة واحدة، فإما أن يكون الإثنان أرثوذكسيين، أو الإثنان كاثوليكيين، وفي الحالة الأخيرة يتم زواجهما في الكنيسة الكاثوليكية، وفي الحالة الأولى يتم زواجهما في الكنيسة الأرثوذكسية.

وضماناً لصحة الإنضمام لابدّ من أن يعمد غير الأرثوذكسي في الكنيسة الأرثوذكسية بمعرفة الكاهن الأرثوذكسي، وطبقاً لطقس الكنيسة الأرثوذكسية في التعميد.

وما تقوله عن الأرثوذكسي، نقوله بالمثل سواء بسواء عن الكاثوليكي. فنحن لا نغضب إذا انضم أرثوذكسي إلى الكنيسة الكاثوليكية فأعيد عماده في الكنيسة الكاثوليكية، ولا نعتبر هذا إهانة للكنيسة الأرثوذكسية، وإنما ضماناً لصحة إيمانه الكاثوليكي، وتفادياً للنتائج المتعبة التي تترتب مستقبلاً على عقد زواج بين إثنين أحدهما أرثوذكسي والآخر كاثوليكي، نتائج تهدد سلام الأسرة، وتؤدي إلى إنقسام فيها، مما يصدع وحدتها الروحية والإيمانية والعاطفية.

ولا ننسى في ختام الأمر كله أن ننبه إلى أن التعميد في الكنيسة الأرثوذكسية، يرتبط به منح سرّ المسحة أو الميرون تواً بعد الخروج مباشرة من جرن المعمودية. ولئن كان سر الميرون سراً قائماً بذاته، لكنه إجرائياً يتم بعد المعمودية مباشرة، وكأنه مع المعمودية عمل مكمل، وبهما معاً يصير الإنسان مسيحياً.. بينما أن الكنيسة الكاثوليكية تؤخر منح سّر المسحة إلى أن يبلغ الطفل إثنتى عشرة سنة من عمره.

ولقد شرحنا هذه الحقائق بكل وضوح في المحادثات الرسمية بين الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والكنيسة الرومانية الكاثوليكية. في روما وفي القاهرة، وأصررنا على مبدأ إعادة المعمودية طبقاً للطقس الأرثوذكسي، لا إحتقاراً للمعمودية الكاثوليكية، ولكن ضماناً لقانونية المعمودية في الكنيسة الأرثوذكسية، وتجنباً للنتائج التي تترتب على إختلاف مضمون ومحتويات الإيمان، في حياة الأسرة.

ونعمة الرب تشملكم،،،،

٨ - حول العماد والإكليل بالأروام والروس الأرثوذكس

سؤال :

١ - هل تعتمد كنيستنا عماد وإكليل الأروام الأرثوذكس والروس الأرثوذكس والأرمن الأرثوذكس، وهل يمكن لقبطى أرثوذكسي أن يتناول فى هذه الكنائس. إذا لم يكن فى البلدة التى يقيم فيها كنيسة قبطية ؟

الجواب :

أما الأرمن الأرثوذكس فهم من عائلة الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة، مثلهم مثل إخوتنا السريان الأرثوذكس، معموديتهم نقرها طبعا، وكذلك يمكن التناول من الأسرار المقدسة عندهم، بلا فارق.

أما الروم الأرثوذكس والروس الأرثوذكس ومن إليهم من عائلة الكنائس الخلقيدونية التى تتبع الطقس البيزنطى، فنحن نقبل معموديتهم لأن صيغة قانون الإيمان عندهم هى بعينها صيغة الإيمان عندنا، (وهم لايقبلون الإضافة التى أضافتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وبسببها ولأسباب أخرى انسلخوا عن الكنيسة الغربية فى القرن الحادى عشر ١٠٥٤م).

ولكننا فى حالة إنضمام أحد الأروام البيزنطيين إلى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية، نوجب دهنه بالميرون (المسحة المقدسة) فى ٣٦ موضعا بحسب طقس كنيستنا.

أى أننا لا نعيد معمودية الأروام والروس، وإنما نكتفى بمسح المنضم إلى كنيستنا منهم بالميرون.

أما عن التناول، فتناول القبطى الأرثوذكسي الأسرار المقدسة من عند الأرمن الأرثوذكس ممكن، ولا إشكال فيه. لأنهم من عائلة الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة.

٩ - موقف الكنيسة القبطية
من كنائس الطوائف المختلفة؟ (١)

الأب المحترم القس. م.

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح

رداً على خطابكم المرسل في ٢ من نوفمبر لسنة ١٩٨٤م (٢٣ من بابه ١٧٠١ش)، بخصوص توضيح موقف الكنيسة القبطية من الطوائف المختلفة - الروم الأرثوذكس - الروم الكاثوليك، الأرمن، السريان الأرثوذكس والكاثوليك - اللاتين - الفرنسيسكان - الموارنة - الطوائف البروتستانتية المختلفة، من كافة النواحي العقائدية، والطقسية واللاهوتية، وجميع الجوانب الكنسية لتعريف أبناء الكنيسة - وخصوصا من جهة إتمام أي سر من أسرار الكنيسة المقدسة، لدى هذه الطوائف المذكورة، حيث أن كثيرين من أبناء الكنيسة القبطية يقومون بالزواج والتناول وممارسة الأسرار لديهم...

الجواب :

يسرني أن أجيب :

أولاً : بأن السريان الأرثوذكس، ثم الأرمن الأرثوذكس هم من أتباع الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة التي تدخل كنيستنا القبطية الأرثوذكسية في نطاقها وإطارها.

وعلى ذلك فإن بين كنيستنا القبطية الأرثوذكسية والكنيسة السريانية الأرثوذكسية، والكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية، شركة روحية إيمانية تجيز وتبيح شركة جميع أسرار الكنيسة لجميع أعضاء هذه الكنائس، ومنها سر التناول، وسر الزيجة، والكهنوت.. فضلا عن المعمودية والتوبة، ومسحة المرضى... أي أن السرياني والأرمني يعامل معاملة القبطي بغير فارق.

ثانياً : أما الروم الأرثوذكس، فكنيستنا القبطية الأرثوذكسية تقبل اعتماد معموديتهم، لأن قانون الإيمان هو بعينه في الكنيستين. ولكن كنيستنا تتطلب دهنهم بالميرون في ٣٦ موضعا حسب طقس كنيستنا. هذا في حالة إنضمام أحدهم إلى كنيستنا. وهذا يبيح له سرى التناول والزواج في كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

ثالثاً: أما الروم الكاثوليك، والسريان الكاثوليك، واللاتين، والفرنسيسكان، والموارنة... فكل هذه الطوائف كاثوليكية، وتتبع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

---

(١) كتب بتاريخ ١٣ من ديسمبر ١٩٨٤م - ٤ من كيهك ١٧٠١ ش.

وكنيستنا تحترم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بصفتها كنيسة رسولية، تؤمن وتمارس جميع الأسرار السبعة، إيمانيا وعقائديا ولاهوتيا وكنسيا.

أما إذا أراد أحد من أتباع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية (بمختلف طوائفها وطقوسها) **التناول أو الزواج** فى الكنيسة الأرثوذكسية، **فكنيستنا تشترط فى هذه الحالة العماد من جديد على أساس قانون الإيمان الأرثوذكسي وطبقا للطقس القبطى**. وغير خاف أن صيغة قانون الإيمان الأرثوذكسي، تختلف عنها صيغة قانون الإيمان فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من حيث إضافة **(والابن)** فى قضية انبثاق الروح القدس من الآب..

وعلى نفس الأساس، وبنفس الروح، وعلى ذات القياس، نحن من جانبنا لانغضب فى حالة إنضمام أرثوذكسى إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، بسبب التناول، أو الزواج، إذا طلبوا تعميده من جديد. **فليس فى الأمر، كما يظن، إهانة ولكنه ضمان لعدم الخلط، وما يعرف بالزواج المختلط، وما يثيره ويتخلف عنه من مشاكل رعوية وأسرية، ومايفتح المجال لتطبيق الشريعة الإسلامية عند حدوث خلاف بين الزوجين**.

إننا تفاديا لكل تلك النتائج الضارة روحيا وعائليا وإجتماعيا، وإتقاء لتطبيق الشريعة الإسلامية، تتطلب كنيستنا في حالة إنضمام أحد من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لكنيستنا القبطية الأرثوذكسية، بغرض التناول من الأسرار المقدسة أو بغرض إتمام سر الزيجة.. أن يعمد من جديد على الإيمان الأرثوذكسي، والطقس الأرثوذكسي، ضمانا لصحة الإنضمام **ونحن لانمانع فى نفس الوقت أن تشترط الكنيسة الرومانية الكاثوليكية التعميد من جديد لإنسان قبطى فى حالة إنضمامه للكنيسة الرومانية الكاثوليكية سواء بسواء**.

رابعاً : أما البروتستانت بمختلف طوائفهم، فبالأحرى والأولى **أن لايُسمح لأى منهم بالتناول أو بالزواج عندنا، إلا بعد الانضمام التام للكنيسة الأرثوذكسية، إيمانيا وعقائديا وكنسيا وطقسيا.. وبالطبع لابد أن يعمد على الإيمان الأرثوذكسى وطبقا للطقس القبطى الأرثوذكسى، ويمسح بالميرون قبل أن يسمح له بالتناول من الأسرار المقدسة، وبالتالى بالتقدم إلى سر الزيجة**

ونعمة الرب تشملكم، ولعظمته تعالى الشكر دائما،،

١٠ - قانون الكنيسة الأرثوذكسية للمنضمين إليها (١)

الابنة م. ف

سلام ونعمة وبركة من ربنا يسوع المسيح

ردا على الاستفسار المقدم منك إلينا بتاريخ ٣ فبراير ١٩٦٨ عن :

١ - الخطوات التي يفرضها قانون الكنيسة الأرثوذكسية القبطية والسريانية المتحدتين، على الراغبين في الإنضمام إلى الكنيسة من الطوائف الأخرى.

٢ - وهل تحتم قوانين الكنيسة الأرثوذكسية موافقة المجلس الإكليريكي بقبول العضوية.

٣ - وهل يمكن أن يكتسب أي شخص صفة العضوية في الكنيسة، وأن يُقبل طلب إنضمامه إليها خلال يومين من تاريخ إبداء رغبته، دون إتمام الطقوس وممارسة الشعائر ؟

نجيب على الاستفسارين الأول والثاني بما يلي :

لا يخفى أن الكنيستين القبطية الأرثوذكسية والسريانية الأرثوذكسية، شقيقتان متفقتان في العقيدة الدينية، والكنيسة القبطية تذكر بطريرك الكنيسة السريانية في القداس، كما تذكر الكنيسة السريانية بطريرك الكنيسة القبطية في قداساتها.

أما إجراءات الإنضمام إلى الكنيسة من الطوائف الأخرى، فتتم عادة على الصورة الآتية.

أولاً - أن يكتب الراغب في الإنضمام طلبا رسميا بذلك إلى قداسة البطريرك، أو إلى وكيل عام البطريركية، ويرفق بطلبه صورته الفوتوغرافية موقعا عليها بإمضائه أو ببصمته ورقم بطاقته الشخصية، ويدفع الرسم المقرر، وقد يخفف هذا الرسم أو يعفى منه إذا كان فقيرا.

ثانياً - يحيل قداسة البطريرك أو وكيل عام البطريركية، الطلب ومرفقاته إلى المجلس الإكليريكي الذي يعقد جلسة للنظر في الموضوع، ويستدعي الطالب للمثول رسميا أمامه بخطاب مسجل بعلم الوصول قبل موعد الجلسة بوقت كاف.

ثالثاً - يفحص المجلس الإكليريكي في جلسة بحضور طالب الإنضمام، الأسباب التي حدت بالطالب إلى تغيير مذهبه أو ملته، للتثبت من أن إنضمام الطالب هو عن عقيدة وإيمان، وأنه ليس بقصد الكيد أو النكاية في زوجته أو أولاده، ولا بقصد التخلص من رابطة الزوجية أو تبعات عائلية، أو إلتزامات مالية حيال زوجته أو أولاده أو أسرته، ولا بقصد الإنتفاع المادي، ويتثبت من أن إنضمام الطالب هو عن معرفة بالعقيدة، وبالفارق بين المذهب الذي يريد تركه، والمذهب الذي يريد الإنضمام إليه، وشعور صادق منه بسمو المذهب الجديد.

---

(١) كتب في ٩ من فبراير ١٩٦٨م - ٢٨ من طوبة ١٦٨٤ ش.

رابعاً- يتثبت المجلس الإكليريكي من أن طالب الإنضمام متزوج أو غير متزوج. فإذا كان متزوجا فلا يقبل إنضمامه إلا ومعه زوجته، ضمانا لعدم إستغلال هذا الإنضمام من طرف واحد للنكاية في الطرف الأخر، للحصول على الطلاق بالإرادة المنفردة.

خامساً- يكتب المجلس الإكليريكي خطابا رسميا مسجلا بعلم الوصول، إلى طائفة الطالب التي هو منها قبل الإنضمام، يسأل فيها المجلس الاكليريكي رئيس الطائفة، عما إذا الطالب (ويذكر اسمه كاملا وعنوانه ورقم بطاقته الشخصية) خال من الموانع الزوجية، ويحدد المجلس مدة لتلقي الرد في غضونها. فإذا لم يرد رئيس الطائفة في خلال هذه الفترة المحددة، طلب المجلس من الطالب أن يقدم إليه شهادة إدارية، موقعا عليها من إثنين من الموظفين، ومصدقا عليها من رئيس المصلحة أو الهيئة التابع لها هذان الموظفان.

سادساً- بعد هذا كله يحيل المجلس الإكليريكي طالب الإنضمام على كاهن يختاره الطالب، أو يعينه المجلس عند الإقتضاء لفحص الطالب ونياته، وسماع إعترافه وبحث أسباب إنضمامه ومعرفة سلامة نيته وصدق عقيدته، وأن هذا الإنضمام ليس بقصد النكاية ولا تخلصا من الرابطة الزوجية أو التبعات المالية أوالعائلية.

والمتبع عادة أن يكتب المجلس الإكليريكي خطابا رسميا، إلى الكاهن المختار ولابد للكاهن من أن يرد على كتاب المجلس بخطاب رسمي، يشهد فيه بقبول المهمة التي كلفه بها المجلس ويكون الخطاب مدونا عليه اسم الكنيسة التي يخدم فيها الكاهن ومختوما بختمها.

سابعا- يقوم الكاهن المعين بمهمته بسماع اعتراف طالب الإنضمام، وفحص نواياه وبعد التثبت من صدق عقيدته، وأنه ليست هناك موانع، يباشر له الكاهن المراسيم الدينية المقررة لطالب الإنضمام، ومنها تعميده إذا لم يكن قد سبق عماده عمادا قانونيا بحسب طقوس الكنيسة الأرثوذكسية، ومنها تقريبه من سر القربان المقدس.

ثامناً- بعد ذلك يتقدم الكاهن بخطاب رسمي إلى المجلس الإكليريكي، يقرر فيه أنه قام بمهمته الموكول إليه القيام بها، وأن طالب الإنضمام باشر جميع الطقوس والمراسم الدينية، وأنه قد انضم إلى عضوية الكنيسة، فيقرر المجلس الاكليريكي قبول عضوية وإنضمام الطالب.

ويتضح مما سبق أن الإنضمام الصحيح، يحتاج إلى فترة زمنية غير قليلة للقيام بجميع الخطوات اللازمة، للتحقق من صدق نية طالب الإنضمام وصحة عقيدته، وأن إنضمامه لا للنكاية أو الإنتفاع به كسلاح للتخلص من الرابطة الزوجية، أو المسئوليات العائلية أوالتبعات المالية الأسرية.

وأما عن الاستفسار الثالث الخاص بالمدة، وهل يمكن أن يكتسب أي شخص صفة العضوية في الكنيسة، وأن يقبل طلب إنضمامه إليها خلال يومين من تاريخ إبداء رغبته، دون إتمام

الطقوس وممارسة الشعائر. فنجيب أنه من المستحيل أن يكفي مدة يومين لإكتساب شخص عضويته في الكنيسة أو قبول إنضمامه إليها. إنها لا تكفي حتى للمرحلة الأولى من المراحل السابقة التي تكلمنا عنها، وواضح أن إجراء من هذا القبيل الذي تشيرين إليه في خطابك، يبدو فيه جليا أنه تحايل واضح وسوء قصد.

ونعمة الرب تشملنا ولعظمته تعالى الشكر دائما.

١١ ـ الطوائف الرسولية والتصفيق بالأيدى (١)

الأب المحترم القس ب.م.ح.

سؤال :

ماذا يكون الرد على **طائفة** الرسولية من حيث أنهم يعتمدون فى تأدية الترانيم على **التصفيق بالأيدى** على قول المزمور «ياجميع الأمم صفقوا بأيديكم» ؟

الجواب :

إن التصفيق بالأيدى للرب، أمر مباح وجائز لأن المزمور يقول «ياجميع الأمم صفقوا بالأيادى» (مزمور ٤٦ (٤٧) : ١).

ولكن المزامير فى مواضع أخرى، تذكر بعض الآلات الموسيقية المعروفة فى زمانها، ومنها الصور، والرباب (الكنارة)، والعود، والدف، والأوتار، والمزمار، والصنوج بأنواعها (أنظر مزمور ١٥٠).

كما تذكر أيضا الأبواق (مزمور ٩٧ (٩٨) : ٦)

ولما كانت الأدوات الموسيقية هى آلات مصاحبة للترنيم، لذلك تختلف كما ونوعا من شعب إلى شعب ومن عصر إلى عصر، وتختلف كذلك تبعا لطبيعة الأنغام نفسها، لأن منها ما يتناسب معها ومنها ما قد يتنافر معها.

لذلك لا تستخدم كنيستنا جميع الآلات المذكورة فى المزامير، على الرغم من أنها تتلو المزمور الخمسين وتردده كثيرا منغما وملحنا فى آخر كل قداس، وذلك لأن موسيقانا القبطية لا تتمشى إلا مع آلات قليلة ومحدودة، وخصوصا الآلات التى لا تحدث مايعرف فى الموسيقى الحديثة بـ «الهارمونى» وكذلك يلاحظ فى الموسيقى البيزنطية عموما أنها أيضا صوتية لا آلية. فالكنائس البيزنطية ترتل مكتفية بالحنجرة البشرية دون الآلات الموسيقية.

والخلاصة أن التصفيق بالأيدى جائز من حيث المبدأ، ولكننا لا نتقيد إلا بما ينسجم فنيا مع موسيقانا القبطية.

* * *

على أن التصفيق بالأيدى ليس هو مشكلة مذهب الرسولية.. إنما هو زعمهم بأنهم يتكلمون بألسنة.

---

(١) كتب فى ٢٠ من أغسطس ١٩٧٤م ـ ١٤ من مسرى ١٦٩٠ ش

وعلى الرغم من أن التكلم بالألسنة موهبة من مواهب الروح القدس، لكن ما يصنعه الذين يسمون أنفسهم بالرسوليين أو الخمسينيين، ليس إلا هزات عصبية لا علاقة لها أصلا بموهبة التكلم بالألسنة. فهم يهذون بمقاطع كلمات وأصوات لا وجود لها في لغة من اللغات الميتة أو الحية القديمة أو المعاصرة.

وليس كذلك صنع الرسل الأطهار الذين تكلموا بلغات معروفة هي لغات الناس الذين تكلموا معهم حتى قال الكتاب «لأن كل واحد كان يسمعهم **يتكلمون بلغته**. **فبهت الجميع وتعجبوا** قائلين بعضهم لبعض: أترى ليس جميع هؤلاء **المتكلمين جليليين فكيف نسمع نحن كل** واحد لغته التي ولد فيها: فرتيون وماديون وعيلاميون والساكنون مابين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتس وأسيا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبية... والرومانيون... كريتيون وعرب. **تسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله**» (أعمال الرسل ٢ : ٦ – ١١).

وإذن فالموهبة التي نالها الرسل هي **موهبة كلام بألسنة مفهومة، ولم تكن مجرد رطانة وهزات عصبية تشنجية.**

ثم إن الكتاب يذكر أن كل واحد من الجمهور المجتمع في يوم الخمسين كان **يسمع الرسل يتكلمون بلغته التي يعرفها ويتكلم بها**. (عدد ٦). ومرة أخرى **في عدد ٨** يقول: إن الجميع بهتوا وقالوا: **فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته التي ولد فيها**، ثم في عدد ٩ يذكر الكتاب اللغات الكثيرة التي تكلم بها الرسل وهي اللغات التي كان يتكلم بها الناس الآتون إلى العيد من كافة أنحاء البلاد ويتكلمون بلغات البلاد التي جاءوا منها.

وأخيراً في عدد ١١ – يكرر الكتاب قول جمهور الناس بعضهم لبعض عن الرسل «**تسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله**» أي أن الناس كانوا يسمعون كلاما مفهوما بلغتهم التي يتكلمون بها، وسمعوا من الرسل بهذه اللغات كلاما يبرز عظمة الله.

فأين ما يصنعه الذين يسمون أنفسهم بالرسوليين أو الخمسينيين بما صنعه الآباء الرسل.

الفرق بين الإثنين هو الفرق بين الحق والباطل، أو الفرق بين عمل الله وعمل الشيطان.

نعم إن ما يصنعه من يسمون أنفسهم بالرسوليين أو الخمسينيين، لا يمكن أن يصدر عن الروح القدس، إنما هو إما دجل وشعوذة، وإما مس من الشيطان. ونوع من الصرع يصاب به أصحاب الأعصاب المهزوزة القابلة لمس الشياطين.

ونعمة الرب تشملكم.

١٢ ـ شهود يهوه وحقيقتهم

سؤال من السيد / تصيف مسيحه أيوب

قرأت في سفر الخروج «قال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبنى إسرائيل : يهوه إله آبائكم، إله ابراهيم، وإله اسحق، وإله يعقوب، أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد» (٣ : ١٥) وهكذا جاء اسم يهوه في (سفر الخروج ٦ : ٢، ٣)، وفي (مزمور ٨٣ : ١٨)، وفي (إرميا ١٦ : ٢١)، (٣٣ : ٢) (عاموس ٤ : ١٣)، (٥ : ٨)، (٩ : ٦).

فهل لهذه التسمية علاقة بشهود يهوه ؟

الجواب :

علاقة جماعة «شهود يهوه» باسم الله تعالى «يهوه» هي علاقة اسمية، مثلهم في ذلك مثل من يسمونه «عادل» أو «حليم» أو «حكيم» وقد يكون سلوكه على غير ما يدل اسمه.

إن (شهود يهوه) مذهب غير مسيحي، وهم أضداد للمسيح، وأعداء له، وينكرون أزليته، ولذلك اتخذوا اسمهم من اسم الله تعالى، كما أعلنه لموسى النبى، لأنهم لا يريدون أن يرتبطوا باسم المسيح، زعما منهم أنهم يعبدون إله العهد القديم. إنهم بتسمية ذواتهم بـ (شهود يهوه) يكشفون عن حقيقة إبتعادهم عن اسم المسيح الذي ينتسب إليه المسيحيون.

كما أنهم بهذه التسمية يعلنون أنهم يعودون القهقرى إلى اليهودية، رافضين مكاسب العهد الجديد في المسيح.

إن هذه الجماعة تمثل بمبادئها وعقائدها وممارستها الإرتداد إلى اليهودية، ولذلك يرفضها جميع المسيحيين شرقا وغربا، ويسمونها «الأريوسية الجديدة». والأريوسية القديمة هى هرطقة أريوس الذى أنكر أزلية المسيح أو الابن، والذى حرمه المجمع المسكوني الأول الذى انعقد في نيقية سنة ٣٢٥، واعتبره «يهوذا الاسخريوطى الجديد»، وقرر المجمع النيقاوى قانون الإيمان الأرثوذكسى الذى يردده جميع المسيحيين في الشرق والغرب، في صلواتهم العامة والخاصة، ومطلعه «بالحقيقة نؤمن بإله واحد».

لكن شهود يهوه، زادوا على أريوس القديم أنهم ينكرون أيضا الجزاء الأخروى. وبالإضافة إلى هذا هم أيضا صهاينة، ينادون بالصهيونية، التى مؤداها أن اليهود يحكمون العالم بأسره، ويكون جبل صهيون قاعدة حكمهم.

أما الأسم (يهوه) فهو لفظ عبرانى معناه «الدائم» أو «الأزلى الأبدى» أو «السرمدى» أو «السرمد» أو هو «الكائن الذى كان والدائم إلى الأبد». وهو اسم الجلالة، والذات الإلهية.

ولقد اتخذت جماعة (شهود يهوه) شعارها، من قول الرب على يد إشعياء النبى «أنتم شهودى يقول الرب» (إشعياء ٤٣ : ١٠، ١٢) ، (٤٤ : ٨) .

هذا من جهة الإسم. أما من جهة الواقع فيصدق عليهم قول الوحى الإلهى بفم الرسول بولس «وأما من جهة الإنجيل فهم أعداء» (رومية ١١ : ٢٨) . «وهم أعداء صليب المسيح» (فيلبى ٣ : ١٨) .

١٣ ـ الخمسينيون وظاهرة الإرتعاد

سؤال من السيد فوزى بقطر واصف

أرجو أن تتفضلوا نيافتكم بالإفادة برأيكم، حيث نطلبه لكى يكون ردا مفحما مقنعا قاطعا وكتابيا، عن موضوع إنتشار فئة الخمسينيين اليوم بشكل كبير، وظاهرة الإرتعاد بحجة الحلول للروح القدس، والتكلم أو الهذيان بكلام غير مفهوم، حيث أنها جذبت الكثيرين من البسطاء وراءها، نتيجة معاينة الإرتعاد والمناظر، والتصديق أنها مادامت خارجة عن الإرادة فتصبح من الروح القدس، لذلك أرجو التوضيح عن موقف الكتاب المقدس والعقيدة من ظاهرة الإرتعاد اللاإرادية هذه ؟

الجواب :

أما فئة الخمسينيين فهم جماعة حديثة كسائر الجماعات التى انحرفت عن التعليم المسيحى الأرثوذكسى السليم، المسلم مرة للقديسين (رسالة يهوذا ١ : ٣) ويذهب أتباعها إلى أن الآباء الرسل، صلوا فحل الروح القدس عليهم فى يوم الخمسين لقيامة المسيح، وطفقوا يتكلمون بألسنة ولغات، وقياسا على الآباء الرسل، يرى أصحاب هذا المذهب أنهم هم أيضا يسألون الله فى طلب حلول الروح القدس عليهم، فيحل الروح عليهم فيتكلمون كالرسل بلغات، على أنهم فى الواقع لا يتكلمون بلغات حقيقية كالرسل (أعمال الرسل ٢ : ٤، ٦، ٨ – ١١، ٣٧) وإنما هم يهذون بمقاطع كلمات وأصوات وصرخات غير مفهومة، ولا تؤلف عبارات لها وجود فى عالم اللغات الميتة أو الحية، فيزعمون أن هذه الصرخات وهذا الهذيان هو لغة الملائكة، وبهذا يسقطون فيما سقط فيه بعض من استهوتهم هذه المظاهر الصبيانية من أهل كورنثوس، فكتب إليهم الرسول القديس بولس يلومهم ويسخر منهم قائلا : إذا دخل عاميون أو غير مؤمنين أفلا يقولون إنكم تهذون ؟ أيها الإخوة لا تكونوا أولادا فى أذهانكم بل كونوا أولادا فى الشر. وأما فى الأذهان فكونوا كاملين (١ كورنثوس ١٤ : ٢٣، ٢٠).

وإذا أردتم الحقيقة وراء هذه المظاهر فهى هزات عصبية، يقع فريسة لها أصحاب الأعصاب الضعيفة المهزوزة التى لا تقوى على إحتمال الإنفعالات، عندما تشتد بهم بعض الفورات العاطفية. وأما الإرتعاد بالصورة التى تظهر منهم فى إجتماعاتهم فهو شبيه بإرتعاد المصروعين، ممن أصابتهم ضربة القمر فى رؤوس الأهلة (مزمور١٢٠ : ٦) أو أدركهم مس من الشيطان والجان والأرواح النجسة ممن ذكرهم الإنجيل (متى ٤ : ٢٤)، (١٧ : ١٥)، (مرقس١ : ٢٦)، (٩ : ٢٠، ٢٦)، (لوقا٤:٣٥)، (٩ : ٣٩، ٤٢) وقد رأينا بعضا من هؤلاء الخمسينيين يتمرغ ويزبد ويخرج من فمه ريما، تماما كما حدثنا الإنجيل عن الصبى المصروع الذى حين يتملكه الروح كان يصرعه فى عنف فيزبد ويصر على أسنانه ويتصلب (مرقس ٩ : ١٦ ـ ٢٥)، ورأينا مثله فى دير قرية ميت دمسيس ممن يصيبهم الشهيد العظيم مارجرجس

بحريته فيطرد الشيطان منهم. ولذلك فنحن على يقين من أن تلك الهزات العصبية التي تصيب أولئك القوم لا علاقة لها بالروح القدس، وإنما هي حالات متفاوتة الدرجة من الصرع، وهو مرض يصيب بعض الناس ممن لهم إستعدادات جسمية وعصبية ونفسية، لهذه اللمسة الروحية التي لا صلة لها بالروح القدس، روح الله «لأن الله ليس إله تشويش بل إله سلام كما في جميع كنائس القديسين» (١ ـ كورنثوس ١٤ : ٣٣).

إن من الغريب عن تعليم المسيحية أن يقال عن ظاهرة الإرتعاد اللاإرادية التي تنسب إلى أولئك الخمسينيين، إنها مادامت خارجة عن الإرادة فهي من الروح القدس. إن هذا التفسير والتأويل لا يمكن قبوله. فإذا كان هناك إرتعاد لاإرادي فلماذا يكون مصدره الروح القدس، ولا يكون مصدره مرض من صرع أو من روح شرير؟ ألم يحدثنا الإنجيل عن المصروع من روح شرير أو نجس أنه كان يتعذب عذابا أليما، ويسقط على الأرض يتمرغ ويزبد (مرقس ٩ : ١٩) ؟

إنه لا الكتب المقدسة ولا كتب آباء الكنيسة ولا كتب التاريخ، حدثتنا عن مثل هذا الإرتعاد اللاإرادي كظاهرة روحية مقدسة. إن عشرات الألوف والملايين من القديسين ممن عاشوا للمسيح في العالم، أو في الصحاري أو في الأديار، وممن بلغوا في الحياة الروحية درجات سامية، لم يتحدثوا في الكتب التي كتبوها بأيديهم أو في نصائحهم التي نقلوها إلى تلاميذهم، عن هذا الإرتعاد اللاإرادي الذي صرنا نسمع عنه اليوم. وعلى قول الرسول القديس بولس إلى الذين انحرفوا من أهل كورنثوس مدعين الروحانية الكاذبة «أم منكم خرجت كلمة الله. أم إليكم وحدكم إنتهت. إن كان أحد يحسب نفسه نبيا أو روحيا فليعلم ما أكتبه إليكم أنه وصايا الرب ولكن أن يجهل أحد فليجهل... وليكن كل شئ بلياقة وبحسب ترتيب» (١ . كورنثوس ١٤ : ٣٦-٤٠).

١٤ ـ الفرق بين الأقباط الأرثوذكس والإنجيليين (١)

الابنة العزيزة حنان غالي شاكر

سلام ونعمة وبركة

ردًا على سؤالك ما الفرق بين الأقباط الأرثوذكس، والإنجيليين البروتستانت من ناحية الأسرار المقدسة ـ ومن ناحية القديسين ـ ومن ناحية أمنا العذراء مريم أم النور.

أجيب أن الفروق أيتها الابنة كبيرة. وإنه ليضيق بها خطاب. لقد تناولتها كتب كثيرة يمكنك الرجوع إليها في مكتبة الكنيسة الإستعارية أو الشرائية.

فالبروتستانت الإنجيليون يقولون بسرّين فقط من بين الأسرار السبعة التي تُعلّم بها كنيستنا الأرثوذكسية. فالبروتستانت يعتقدون بسرّ المعمودية، وبسرّ الشكر (التناول). ومع ذلك فالمعمودية عندهم ليست سرًا بالمفهوم الأرثوذكسي. إنّ المعمودية عندهم هي مجرد علامة ظاهرية على الإيمان. أما عندنا ففي المعمودية ينحدر الروح القدس على الماء، فيحوله إلى ماء ناري يطهر الإنسان من الخطيئة، فيخلق الإنسان الخليقة الجديدة ويولد من فوق الميلاد الثاني.

كذلك سرّ الشكر عندهم هو مجرد خبز وخمر. أما في كنيستنا فنحن نؤمن أن الخبز يتنقل بالروح القدس إلى جسد المسيح، والخمر إلى دمه. وبهذا السرّ ينال الإنسان جسد المسيح متحدًا بلاهوته للخلاص وغفران الخطايا الفعلية واليومية، كما ينال به الحياة الأبدية.

أما العذراء مريم فعندنا هي أم النور، وأم المخلص، ووالدة الإله، والدائمة البتولية، وهي الممتلئة نعمة، وهي الشفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح. وليست كذلك عند البروتستانت.

هذه بعض الإجابة، ولكن يلزمك أن ترجعي إلى الكتب التي تستفيض في شرح هذه الأمور.

ونعمة الرب تشملك،،،،

---

(١) كتب في ٨ من أكتوبر ١٩٨٥م ـ ٢٨ من توت ١٧٠٢ ش.

١٥ - شهود يهوه مذهب غير مسيحي

سؤال من أحد القراء :

ما نصيحة نيافتكم في معاملة شهود يهوه ؟

الجواب :

شهود يهود مذهب غير مسيحي، وفي الحقيقة إنه مذهب يهودي صهيوني، يؤمن بالصهيونية، ويريد أن يرتد بالمسيحيين إلى اليهودية، وإلى الصهيونية، ولذلك فهو مذهب كفري هدام ينكر لاهوت المسيح، وينكر التثليث المسيحي، وينكر أيضا الخلود، والجزاء الأخروي، ويدعو إلى العودة إلى اليهودية، وينادي أيضا بالصهيونية.

ولهذه الإعتبارات يرفض المسيحيون جميعاً إعتبار شهود يهوه مذهبا مسيحيا، ولهذا أيضا يرفض مجلس الكنائس العالمي أن يضم إلى عضويته شهود يهوه، لأنه يعتبرهم غير مسيحيين على الرغم من قولهم وإدعائهم أنهم مسيحيون.

وعلى ذلك يجب مقاومة مذهب شهود يهوه بكل قوة، ومحاربته بكل شدة، لأنه مذهب كفري ضد لاهوت المسيح، وضد عقائد المسيحية العظمى، ثم أنه مذهب يهودي صهيوني.

والواجب على المسيحيين جميعا أن لا يقبلوا دعاة هذا المذهب في بيوتهم، وأن لا يسمحوا بدخولهم إلى منازلهم، وأن يعملوا بنصيحة القديس يوحنا الرسول الحبيب الذي مع دعوته الملحة إلى المحبة، يوصي بالتشدد مع الهراطقة وعدم مخالطتهم.

يقول الرسول يوحنا الحبيب.

«كل من تعدى ولم يثبت في تعليم المسيح، فليس له الله... إن كان أحد يأتيكم ولا يجئ بهذا التعليم، فلا تقبلوه في البيت، ولا تقولوا له سلام لأن من يسلم عليه يشترك في أعماله الشريرة» (٢. يوحنا : ٩ ـ ١١).

١٦ ـ الكنيسة والتحديات الفكرية (١)

منهج الإيمان ـ المنهج العلمى ـ الالحاد والشك

سؤال :

ما هو دور الكنيسة اليوم تجاه التحديات الفكرية ؟

الجواب :

تواجه الكنيسة المسيحية في العالم الحاضر تحديات كثيرة، ومنها على الخصوص التحديات الفكرية، وهي متعددة. وهذا أمر طبيعي، نظرا لإختلاف أفكار الناس، بقدر إختلاف أجناسهم وبيئاتهم وألوانهم ولغاتهم، وتباين ثقافاتهم وظروف حياتهم وخبراتهم، وتنوع تجاربهم ومؤثراتهم النفسية والإجتماعية. فأنت لن تجد إثنين من الناس تتطابق أفكارهم تماما حتى ولو كانا أخوين شقيقين من أب واحد وأم واحدة. قد يمكن أن تلمس توافقا ـ لا تطابقا ـ بين إثنين أو أكثر في رأى، ومن هنا نجد فريقا من الناس ينضوون تحت مذهب فكرى بعينه، وفريقاً آخر من الناس ينتمون إلى مذهب فكرى آخر، من غير تقيد برابطة اللحم والدم. ومع ذلك توجد فروق فكرية بين أصحاب المذهب الواحد، ربما بعدد المنضوين تحت اسم المذهب الواحد، وإن كان حقا أنهم يضمهم جميعا فكر شامل جامع هو بمثابة مظلة كبرى تجعل منهم أسرة فكرية واحدة، وإن كان أعضاء هذه الأسرة يختلفون في بعض الجزئيات فيما بينهم.

للخالق حكمته :

وللخالق العظيم حكمته العالية والبعيدة في هذا التنوع والإختلاف بين الناس من مخلوقاته، لأن هذا التنوع صالح لإثراء الجنس البشري بأفكار مختلفة تكمل بعضها بعضا. ثم إن تنوعها يخلق حركة حيوية في الأفكار، وحركة حيوية في الجدل الفكرى، واحتداما في الصراع الفكرى، يفيد في تقدم النوع الإنسانى وتطوره إلى الأفضل، وهذا ما نلحظه على الخصوص في تاريخ نشأة جميع العلوم، وتطورها. ولولا الإختلاف الفكري لبقى كل فكر على صورته الأولية، ولم يتزحزح عنه إلى الأمام. وهذا أيضاً يشكل فارقا أساسياً وجوهرياً بين عالم الإنسان وعالم الحيوان. فعالم الحيوان يتسم بالثبات والاستقرار في غرائزه ودوافعه وتحركاته، بينما أن عالم الإنسان يتميز بالتغير الذى يؤدى إلى التطور وإلى التقدم، في خط متحرك إلى الأمام.

---

(١) كتب في ٢٩ من مايو ١٩٨٦م ـ ٢١ من بشنس ١٧٠٢ ش.

الدين لا يتغير. أما العلم فمتغير :

أمَا الكنيسة المسيحية، فتملك فضلاً عن الفكر البشرى، تراثا ضخماً أساسه سماوى إلهى، قوامه حقائق أزلية أبدية منزلة من السماء، معلنة للإنسان، عن طريق الأنبياء، بالروح القدس، روح الله. والأنبياء بشر من الناس لكنهم تميزوا عن غيرهم من الناس بالروحانية والصفاء والنقاء، فتأهلوا بذلك لأن يكونوا وسطاء روحيين، ينفخ فيهم الروح القدس، فيبوقون بصوت ليس هو صوتهم الخاص، وإنما هو صوت الله ناطقاً فيهم وبهم. وقد أيدهم الله بالمعجزات والآيات برهانا على صدق إرساليتهم، ومصداقية دعوتهم السمائية. وجاء بعد ذلك المسيح له المجد فثبت أقوالهم، وشرح ما غمض منها على الناس، وأضاف للشريعة معانى كانت غائبة عن فهم الناس، قيادةً وشعباً ومدّ آفاق تلك المفاهيم فصارت أكثر ملاءمة مع إحتياجات النفس البشرية التى تزايدت وعلت وارتفعت، فصارت الشريعة كما قدّمها المسيح فى العهد الجديد هى شريعة الكمال. قال له المجد (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الشريعة أو الأنبياء. **ما جئت لأنقض بل لأتمم**) (متى ٥ : ١٧) وبعد أنْ أرسى قواعد شريعة الكمال، قال (**فكونوا إذن كاملين كما أنّ أباكم الذى فى السّماوات كامل**) (متى ٥ : ٤٨).

من هنا فإن الكنيسة المسيحية من حيث هى منظمة إلهية ملتزمة بشريعة الكمال السمائية، **فتعاليمها ثابتة، غير متغيرة**، وبالتالى لا تقبل التغير الذى تقبله العلوم. ذلك أن كل لون من ألوان المعرفة الإنسانية فى العلوم أو الفلسفة يبدأ من نظر الإنسان إلى ظواهر الوجود. ومن النظر ينشأ التفسير لظواهر الوجود. ولما كان نظر الإنسان محدوداً بالزمان والمكان، ومرتبطا بما يقع فى خبرته من أحداث، وما تنقله إليه حواسه الخمسة من معلومات، لأنها هى عنده أبواب المعرفة، فقد كان طبيعيا أن تختلف نظرة إنسان عن آخر لظاهرة بعينها، ويختلف كذلك عنه فى تفسيره لها، فى زمان عن آخر، وفى مكان عن آخر تبعا لفكره وخبرته وثقافته، وتبعاً أيضا لكفاءة حواسه ثم قدراته العقلية فى الإستقراء والاستنباط، والاستنتاج، والربط فى استخلاص القانون العام الذى يربط الظواهر فى صيغة عامة.

وعلى ذلك فالتغير هو طابع المعرفة التى تبدأ بالنظر الحسى والنظر العقلى فى عالم الناس، وهو مسار لابدّ منه فى سبيل التطور والتقدم إلى الأفضل. ومن هنا كان تاريخ العلم والفلسفة حافلاً بالتغير والتطور والتقدم. **والتغير فى العلم والفلسفة خير، فيه ابتكار وإبداع وخلق، وارتقاء إلى معرفة أفضل وأكمل.**

أما الدين، فلأنه منزل من السماء، وقوامه الحق الإلهي معلناً للناس، فلا يجوز لأحد أن يغيّر فى حقائقه بإضافة أو بحذف، فكل تغيير فيه يتلفه ويفسده ويحيله إلى علم إنسانى أو فلسفة بشرية، وينزله من مرتبته السامية العالية بوصفه حقائق إلهية إلى مرتبة العلوم الإنسانية الوضعية التى تتسم بالنقص وبالتغيّر.

ومع ذلك يمكن للحقيقة الدينية الإلهية أن تجد تفسيرا أو تأويلاً يقربها لعقل الإنسان فى الزمان والمكان، فيزداد الإنسان فهماً لها، بعد أن صارت فى منسوبه ومتناوله، فيقوى إيمانه بها ويشتد تمسكه بأهدابها، ويرتبط بها قلبا وروحاً ونفساً، فتتحول إلى عقيدة إيمانية تنعقد عليها روحه، فلا يملك منها فكاكاً.

المسيحى يجمع بين الثابت والمتغير :

على أن المسيحىّ يجمع فى شخصه الثابت والمتغيّر معاً، من دون تعارض ومن غير تردد أو حيرة. ففى عقيدته الدينية هو ثابت لا يتحول ولا يتغير، ولكنه فى ميدان العلم والفلسفة يتغير بإزدياد معارفه. وهو يجمع فى قلبه وفكره بين الثوابت والمتغيرات من دون خلط بين الميدانين، ميدان الدين الذى يتسم بالثبات، وميدان العلم والفلسفة الذى يتسم بالتغير والتحرك إلى الأفضل والأكمل فى طريق صاعد وإلى الأمام.

ظاهرة رفض الدين :

أما التحديات الفكرية المعاصرة، فتبلغ ذروتها فى رفض الدين من منطلق أنه يقوم على الغيبيّات، ويتطلب التسليم بالقوى غير المنظورة، وعلى رأسها الله، وهو الروح الأعظم، والعقل الأعظم، وأصل الوجود، كما أن الدين يتطلب الإيمان بالحياة بعد الموت، والجزاء الأخروى والثواب والعقاب، والإيمان بالقيم الروحية والأخلاقية، وهى قيم أبدية.

ومن الناس من لا يقبل الغيبيات لأنه لا يراها بعينيه فى عالم مشبع بالماديات بكل صورها وأبعادها. ومنهم من يرى أن الغيبيات قضايا يفرضها رجال الدين على الناس فرضاً، وهو لا يقبل مالا يسيغه عقله، وما تنبئه به حواسه، فضلاً عن أنه يرى فى الدين سلطة تتعارض مع الحرية التى تقيدها السلطة، وهو يريد الحرية غير المقيدة بفروض والتزامات ومسلّمات.

الإلحاد :

وقد يتخذ الرفض للدين صورة الإلحاد، وإنكار الاعتقاد بوجود الله، والتحلل من كل روابط

الدين والعقيدة أو التشكيك في المسلمات الدينية، أو على الأقل اعتناق اللادينية ثم المذاهب المادية ومنها الشيوعية، والوجودية الملحدة وما إليها.

الإلحاد ليس بجديد :

وليس الإلحاد جديداً في تاريخ الإنسانية. فمنذ القديم كان بين الناس من يقول : ليس إله، لأنه يجد في وجود الله شكيمة تلجم حريته في ارتكاب الشرور والمظالم، أو رادعاً له عن الإنغماس في اللذات الحسية، والشهوات والأهواء البدنية والجسدية. جاء في سفر المزامير (**قال الجاهل في قلبه : ليس إله**. فسدوا ورجسوا بأعمالهم) (مزمور ١٣ : ١)، (٥٢ : ١).

ومن الناس من بلغ به غروره واعتداده بنفسه، وتجبّره وكبرياؤه، حتى أنكر الله من منطلق إحساسه بوجوده المادىّ، وإيمانه بذاتيته وإنيته. وربما كان هذا هو التعبير القديم عن مذهب الوجودية في الزمن السحيق (قالوا بألسنتنا نتجبر. **إنّ شفاهنا منا، فمن هو ربنا**) ؟ (مزمور ١١ : ٤).

ليس الإلحاد إذن جديداً. هو سبيل الهرب من كل إلتزام يفرضه الدين: إمّا لتحقيق شهوة أو مغنم، أو تعبير للتمرد على سلطة الدين ورجال الدين جريا وراء الحرية غير المقيّدة بآداب وقوانين الشريعة الإلهية.

الإلحاد غير الصريح - اللا أدرية :

وقد لا يكون الإلحاد صريحا عند بعض الناس، فقد يتخذ صورة أخرى يتجنب بها صاحبها الدخول في جدل عقلي أو ديني، فيقول : إني لا أدرى.. هذه اللا أدرية هي صورة خفية من صور الإلحاد، أو هي محاولة للهرب من سلطة الدين من دون دخول في حرب صريحة مع الدين ورجال الدين. وربما يكون فيها هرب أيضا من الضمير، وزجره وتوبيخه ولومه.

ليس ثمت إلحاد حقيقي :

والواقع أنه ليس ثمت إلحاد حقيقيّ. فما من إنسان يمكنه حقا ومن أعماق قلبه وشعوره، أن ينكر الله، أو يلغي عقله فيتجاهل ألوف البينات الصارخة على وجود الله، إذ أنه مهما أغلق عينيه حتى لا يرى آيات الله في النبات والحيوان، والإنسان، وفي الشمس، والقمر، والنجوم، ونظام الكون والطبيعة المحكم الدقيق، ومهما صمّ أذنيه عن أصوات الموجودات التى تتحدث بمجد خالقها وصانعها، ومهما أغلق كل حواسه، وأمات قلبه وشعوره وإحساسه فأنكر العلة الأولى لكل هذا الوجود الجميل في نظامه الرائع البديع، الناطق بوجود العقل الأعظم الذي أوجده

وحفظه إلى اليوم، فإنه كيف يتسنّى له أن ينكر قوانين الطبيعة التى اكتشفها العلماء وصاغوها في صيغ ثابتة، وصار العلم بها هو العلم الذي يدرسه طلاب العلم في المدارس والجامعات، ثم هو العلم الذى يقوم عليه كل اختراع جديد لتسهيل حياة الإنسان وتذليل العقبات التي تعترض طريقه في حياته المادية والروحية؟.

العلم يقدم فى كل يوم جديدا :

كيف يبلغ بالمدعين الإلحاد أو اللا أدرية، العناد القلبى حتى يغلقوا عيونهم ويصمّوا آذانهم عن عشرات الألوف من الأدلة الصارخة، التي بات العلماء يقدّمونها عن عظمة الخالق وحكمته في كل ما خلق.. وفى كل يوم، وكل ساعة يكشف العلم عن جديد من أدلة دامغة على وجود إله حكيم عظيم، خلق الكون بكل ما فيه من كائنات كبيرة وصغيرة، ولم يخلقها فقط، ولكنه يحفظها ويحكمها بقوانين غاية في الحتمية والدقة، ويضبط كل حركة فيها بإيقاع دقيق، ينفذ إلى أصغر جزء من المادة وهو الذرة التى لا ترى بالعين المجردة، وما يجرى فى داخلها من حركة الإلكترونات حول النواة، وحركة الفوتونات حول الإلكترونات ثم الإرسال والبث التليفزيوني في الكون، وفيه تتجلى عظمة الخالق الذى ربط الكون كله بقانون محكم، يخضع له كل الوجود مما ينطق صارخاً بعقل الواحد الأحد الذى ليس كمثله شئ، وهو العقل المهيمن على كل الوجود..

العلم يخدم الدين :

إنّ واحدا من الفلاسفة القدماء قال بحق (كلما تقدّم علم التشريح إزداد الإنسان إيمانا بالله) وقد كان نيوتن مؤسس علم الطبيعة يمشى حاسر الرأس، فلمّا سئل قال : إجلالاً لخالق الطبيعة ... ومن العلماء من أقر صاغرا بأنّ ما كشفناه وما عرفناه من علم لا يقاس بشئ إلى مالا نعرفه، والأقرب إلى الحق أن نقول ونقر إننا لم نعرف شيئا..

إن العلم الذى كان يتشدق به العلماء فى القرن الثالث عشر، عندما اكتشفوا المنهج التجريبي، صار اليوم يقدم فى كل يوم دليلاً جديداً، بل أدلة على وجود عقل جبّار خلق الكون ويحكمه بقوانين ثابتة لا تتخلف.

وفى عصر الفضاء، وقد استطاع الإنسان إستنادا إلى القوانين الطبيعية أن يقتحم الفضاء، إزداد عقله إتضاعا وإنبهارا بما فى الكون من أسرار وعلوم، تخرس كل لسان يتشدق بالإنكار للوجود الإلهى وحكمته اللانهائية.

إن الإلحاد لم تعد له أرضية يقف عليها. والملحد بالأمس يقف اليوم محكوما عليه من نفسه، بالحماقة والغباء والعناد وعمى القلب والبصيرة.

إنَّ العلم الذي كان يُستغل في الماضي تُكأة لإنكار الله واحتقار الدين، يطأطئ اليوم برأسه في إتضاع وعبادة وسجود، لخالق الكون ومدبّره وحاكم الوجود وحافظه.

التحديات الحقيقية :

إنَّ التحدّيات الفكرية التي تواجه الكنيسة اليوم قد انحسرت، وضاق في الواقع نطاقها... فلم يعد هناك صراع جاد بين الإلحاد والإيمان، ومع ذلك فالتحديات الحقيقية التي ستواجه الكنيسة المسيحية في السنوات الباقية من القرن العشرين، هي في الصراع الذي سيحتدم بين أصحاب الأديان المعروفة بالأديان السماوية. وهذه هي المعركة القادمة، وموقعها على الخصوص هو الشرق الأوسط، ولا سيما بعد أن عاد اليهود إلى أرض فلسطين، وأسسوا لهم دولة إسرائيل التي تنازع عن وجودها واستمراريتها.

١٧ ـ الحركة المسكونية الحديثة (١)

سؤال :

متى أسس مجلس الكنائس العالمي؟ وما هو دوره في تحقيق الإحساس عند بعض المسيحيين بالحاجة إلى الوحدة الكاملة والحقيقية بين مختلف الكنائس؟

الإجابة :

في مطلع هذا القرن، بدأ الإحساس عند بعضٍ من المسيحيين، بالحاجة إلى الوحدة الكاملة الحقيقية بين مختلف الكنائس، لتجمع كل المنظمات والمؤسسات المسيحية على إختلاف عقائدها ونظاماتها في هيئة واحدة. وأخذ هذا الإحساس ينمو ويزداد وضوحا وقوة، ويسري ويتحرك طولاً وعرضاً، في الشرق والغرب، والشمال والجنوب، حتى شمل قطاعات أكثر عدداً.

وأخذ يصاحب هذا الإحساس بالحاجة إلى الوحدة المسيحية الشاملة، إحساسٌ آخر بإدانة أسباب الإفتراق والإنقسام والإنشقاق، مع الشعور بالأسى على الأزمنة التي ضاعت في مناقشات ومساجلات، لم تزدِ عند بعض الناس إلا إلى زيادة الخصومات، وما يلازمها ويتبعها من مشاعر الإحتقار والكراهية بين المسيحيين أفرادا وجماعات، فضلاً عن أنها عطلت رسالة المسيح عن العمل بنجاح، نظراً لما أحدثه الإنقسام بين المسيحيين من عثرة في طريق الخلاص بالمسيح. ألم يقل المسيح له المجد (ليكونوا هم أيضا **في وحدة فينا كي يؤمن العالم** بأنك أنت الذي أرسلتني) (يوحنا ١٧ : ٢١)؟

ولقد نما الإحساس بالحاجة إلى الوحدة المسيحية الجامعة، فصار تياراً إزداد مع الأيام قوة ووضوحاً. وقد غذّاه وأنماه ما يواجهه المسيحيّون الأتقياء من تحديات للتقوى والدين، تحدّيات عنيفة غطت بعنفها مساحات كبيرة من العالم الذي نعيشه، وقد تدفّقت هذه التحديات بسرعة وكأنها الفيضانات الكاسحة التي تجرف في طريقها كل شئ فتصيره حطاماً.

ولم تكن هذه التحديات جديدة كل الجدّة. فقد كان لها وجود منذ كان الإنسان على سطح الأرض. وقد سجل الكتاب المقدس رغبة بعض الناس منذ القديم في إنكار وجود الله، وبالتالي إنكار جميع العقائد الدينية والقيم الروحية والأخلاقية. جاء في المزامير (قال الجاهل في قلبه ليس إله : فسدوا ورجسوا رجاسة) (مزمور ١٣: ١)، (٥٢ : ١)، (الشرير حسب تشامخ أنفه.. كل أفكاره أنه لا إله) (مزمور ١٠ : ٤).

على أنه مع طول الزمن وتعقّد المشاكل بين الأفراد والأمم، وتقدّم وسائط المواصلات،

---

(١) كتب في ٣٠ من مايو ١٩٨٦م ـ ٢٢ من بشنس ١٧٠٢ش.

وازدياد وسائل الإعلام، ازدادت التحديات واشتدت، واتخذت مظهرين كبيرين وإن كان الإثنان يرجعان إلى أصل واحد، ويجمعهما هدف واحد.

المظهر الأول هو الإلحاد الصريح، وإنكار وجود الإله، والتمرد على الدين والعقيدة والاستهتار بكل المبادئ الدينية.

والمظهر الثاني هو الإباحية والفساد الأخلاقي، والتحلل عن كل القيم الروحية والأخلاقية.

هذه التحديات ضد العقائد الإيمانية في مجملها، أو التي ضد القيم الروحية والأخلاقية، هي صور مختلفة للتيار الإلحادي اللاديني الذي زحف بكل جحافله، فجرف في طريقه الشعوب والأمم فضلاً عن الأفراد. لقد لفت هذا التيار أنظار الأتقياء من المسيحيين إلى الخطر الجسيم الذي صار يهدد كيان الأديان بعامة، والدين المسيحي بخاصة، فهو الدين المتميز بعقائده التي تتطلب قدرا عاليا من الإيمان بما وراء المحسوس والمنظور، وبما يعلو على منسوب العقل البشري . كما أنه يتطلب مستوى عاليا في الأخلاق، ويحاسب الإنسان على الأفعال، وبواعث الأفعال، ويحض الإنسان على طلب الكمال في كل شئ. فقد قال المسيح له المجد (فكونوا إذن كاملين كما أن أباكم الذي في السماوات كامل) (متى ٥ : ٤٨)، (لوقا ٦ : ٣٦)، (كولوسي ١ : ٢٨)، (٤ : ١٢)، (يعقوب ١ : ٤)، (١ بطرس ١ : ١٥، ١٦).

* * *

بعد فترة طويلة من الزمن، شغلت نحوا من خمسة عشر قرنا، تطلع بعض الأتقياء من المسيحيين إلى وحدة مسيحية شاملة، تقف في وجه التحديات التي تزايدت وتفاقمت، وعلت بموجها العاتي فغطت الجبال فضلا عن الوديان، وصارت فيضانا يهدد الإنسانية كلها. قالوا إننا لا نتجاهل الخلافات بين الكنائس، ولكننا يجب منذ الآن أن نركز إهتمامنا على ما يجمع بيننا لا على ما يفرقنا. وما يجمع بيننا كثير. وهو أولى باهتمامنا لمواجهة التحديات التي أمامنا. فالإختلاف بين الكنائس المسيحية هو في بعض التقاليد الكنسية. لكن هناك إتفاقا بين المسيحيين كلهم على العقائد المسيحية العظمى، وأخصها : الإيمان بإله واحد، أحدي الذات مثلث الأقانيم والخاصيات.. والإيمان بالتجسد، وبعمل الفداء. فالمسيح هو الله وقد اتخذ جسداً، ليقوم بعمل الخلاص بدلاً من الإنسان فهو وحده المخلص والفادي، (وليس لأحد بغيره الخلاص) (أعمال الرسل ٤ : ١٢) ـ ثم الإيمان بالقيامة العامة والحياة بعد الموت، وبالجزاء الأخروي والمصير الأبدي.

في كل تلك القضايا يتفق الجميع ولا خلاف بين المسيحيين في هذه القضايا المسيحية

العظمى، ولا خلاف بينهم على الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد، وعلى أنه كتاب موحى به من الله وعلى أنه كتاب معصوم من الخطأ.

* * *

مجلس الكنائس العالمى

من هنا أدرك المسيحيون حاجتهم إلى أن يلتقوا معاً فى منظمة عالمية مسكونية لا تتجاهل الخلافات بين الكنائس، ولكنها تركّز على القضايا الكبرى التى تجمع بين المسيحيين، والتى تستحق أن تكون أساساً للوحدة الشاملة بينهم، فإذا اجتمعوا والتقوا فى ألفة ومحبة نظروا أولاً فيما يجمع بينهم، فازدادوا قوة، واكتشفوا جمال الوحدة المسيحية وأهميتها وضرورتها، وفوائدها فى دعم الكنائس الصغيرة، أفرادا وجماعات، وتعاونوا معاً على سدّ الثغرات وعلى حل المشكلات المادية والإجتماعية، ومنها مشاكل الفقر والمرض والجهل والتمييز العنصرى. ومن بعد هذا كله يمكنهم فى إطار هذه الوحدة العامة أن ينظروا فى الخلافات الكنائسية فى العوائد والتقاليد، لعلهم يتوصلون إلى اتفاق فيها يجمع بينهم فى سبيل تحقيق الوحدة المسيحية التامة، فتصير جميع الكنائس كنيسة واحدة، هى الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية.

هذه المنظمة العالمية التى أسسها الراغبون فى الوحدة العامة الشاملة لجميع المسيحيين هى ما يعرف بـ (مجلس الكنائس العالمى).

WORLD COUNCLL OF CHURCHES.

* * *

افتتح مجلس الكنائس العالمى رسميا، فى الجمعية العامة التى انعقدت فى امستردام AMSTERDAM عاصمة هولندا، فى الفترة من الثانى والعشرين من أغسطس إلى الرابع من سبتمبر - ايلول لسنة ١٩٤٨ . وقد كان هذا الميلاد الرسمى لمجلس الكنائس العالمى، مسبوقا إليه باجتماعات مسكونية سابقة على هذا التاريخ، وكانت تهدف إلى نوع من التعاون والوحدة بين الكنائس، ومنها على الخصوص: (مؤتمر الحياة المسيحية والعمل المسيحى) CHRISTIAN LIFE AND WORK الذى انعقد فى اكسفورد بانجلترا فى عام ١٩٣٧ - ثم (مؤتمر الإيمان والنظام أو (العقيدة والطقس الكنسى) FAITH AND ORDER الذى انعقد فى أدنبره EDINBURGH فى اسكتلندا فى سنة ١٩٣٧ أيضاً.

وقد كان المجلس يضم فى عضويته فى مبدأ الأمر الكنائس غير التقليدية، وهى الكنائس التى تسمّى بالبروتستانتية فى أوربا وأمريكا الشمالية، ومع ذلك لم تكن جميع الكنائس البروتستانتية تقبل الإنضمام إليه. وحتى اليوم ومع إزدياد عدد الكنائس التى انضمت إليه، لا تزال بعض

الكنائس البروتستانتية ترفض الإنضمام إليه، لأنها ترى في الحركة المسكونية ما يهدد خصوصيتها وكيانها الخاص، وهم يرون أن هذا المجلس العالمي يشجع الميوعة العقائدية، ويقضي شيئا فشيئا على التمايز بين الكنائس.

ولا يقبل مجلس الكنائس العالمي في عضويته، أعضاء من مذهب السبتيين أو من مذهب شهود يهوه، لأنهم لا يحسبون في عداد المسيحيين الذين يؤمنون بقضايا المسيحية العظمي.

ثم أخذ أعضاء مجلس الكنائس العالمي يسعون بإهتمام واضح، إلى ضم الكنائس الأرثوذكسية الشرقية إلى هذه المنظمة العالمية. ولما كانت الكنائس الأرثوذكسية مرتبطة بتقاليدها واحترام السلطة الكنسية، ولا تبيح لأعضائها ورجال الدين فيها أن ينضموا إلى هيئة ما، بدون موافقة السلطة الكنسية والمجمع الإكليريكي العام بها، فقد تدارست الكنائس الأرثوذكسية بمختلف مجامعها هذه الدعوة، وأخذت تنضم إلى مجلس الكنائس العالمي مع التحفظ بعدم الإلتزام بالقرارات التي يتخذها المجلس مالم توافق عليها مجامعها الإكليريكية العامة. ولقد إعترف مجلس الكنائس العالمي بهذا التحفظ في دستوره، فقراراته هي توصيات، تنفذها الكنائس وفقاً لنظامها وقوانينها المجمعية.

ومع الإلتزام بهذه السياسة إزداد عدد الكنائس الأرثوذكسية المنضمة لمجلس الكنائس العالمي.

وبعد اجتماع (الجمعية العمومية) الثالثة لمجلس الكنائس العالمي الذي انعقد في نيودلهي NEW DELHI بالهند عام ١٩٦١، صار مجلس الكنائس العالمي يضم عددا أكبر من (الكنائس البروتستانتية) بمختلف طوائفها، ومن (الكنائس الأرثوذكسية الشرقية التي تتبع الطقس البيزنطي)، ومن بينها كنائس اليونان، وروسيا، ورومانيا، وبلغاريا... ثم (الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة)، ومنها الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، والكنيسة السريانية الأرثوذكسية، والكنيسة الأثيوبية الأرثوذكسية، والكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية. وهي في مجموعها تبلغ حتى اليوم مائتين وخمسين كنيسة من جميع القارات الخمس.

أما الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فظلت فترة طويلة لا تعترف بمجلس الكنائس العالمي، ولكن بعد أن اطمأنت إلى أن قراراته ليست إلا توصيات تعمل بها الكنائس وفقا لنظامها وقوانينها، أخذت ترسل إلى مجلس الكنائس العالمي أعضاء يمثلونها، ولكن لا كأعضاء رسميين، بل بمثابة (مراقبين)، وشيئا فشيئا أخذ هؤلاء المراقبون وضعاً قريبا من الأعضاء الكاملين، فقد صار لهم الحق في إبداء الرأي، وفي المداخلات في اجتماعات اللجان الفرعية، وفي اجتماعات الجمعية العمومية، وخصوصا بعد (مجمع الفاتيكان الثاني) (١٩٦٢ - ١٩٦٥).

فروع للمجلس العالمي

وامتدت فعالية مجلس الكنائس العالمي، فصارت له في بلاد مختلفة فروع أو لجان تمثله. وهو يتشكل من أعضاء الكنائس المختلفة الممثلة في مجلس الكنائس العالمي. ففي مصر مثلاً، يوجد فرع لمجلس الكنائس العالمي يتألف من أعضاء من الكنائس الأرثوذكسية والبروتستانتية والكاثوليكية.

ولمجلس الكنائس العالمي لجان فرعية لها إجتماعاتها منها :

- لجنة الإيمان والنظام (العقيدة والطقس الكنسي) :

COMMISSION ON FAITH AND ORDER

وتجتمع مرة في كل ٤ سنوات. وجُلُّ إهتماماتها النظر في العقيدة والطقوس، ومحاولة التوصل إلى إتفاق فيما شجر بين الكنائس من إختلاف فيما بينهما، ولها دراسات حول المعمودية، ثم الخدمة وأشكالها ثم الزواج وما إلى ذلك.

- لجنة المشاركة الكنائسية في التنمية :

COMMISSION ON THE CHURCHES' PARTICIPATION IN DEVELOP-MENT.

- وحدة برنامج العدالة والخدمة :

PROGRAMME UNIT ON JUSTICE AND SERVICE.

- وحدة برنامج التربية والتجديد :

PROGRAMME UNIT EDUCATION AND RENEWAL.

ثانيــاً

مجلس كنائس الشرق الأوسط

THE MIDDLE EAST COUNCIL OF CHURCHES

وعلى غرار مجلس الكنائس العالمي، تشكّل مجلس للكنائس التي يضمها الشرق الأوسط، وأخذ في مبدأ الأمر اسم (مجلس كنائس الشرق الأدنى).

NEAR EAST COUNCIL OF CHURCHES

وكان يضم على الخصوص الكنائس البروتستانتية، وامتد فصار يضم أعضاء من الكنائس الأرثوذكسية.

ثم رُئى تمكيناً لفعالياته أن يصاغ من جديد، فيشكل من أعضاء يمثلون رسمياً الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة غير الخلقيدونية (أي الأرثوذكسية التى لا تعترف بمجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م)، وأعضاء يمثلون الكنائس الأرثوذكسية البيزنطية أو الخلقيدونية، وأعضاء يمثلون الكنائس البروتستانتية. وصار يسمّى (مجلس كنائس الشرق الأوسط) بدلاً من مجلس كنائس الشرق الأدنى، وهى تسمية كان يبررها فى القديم النظرة الأوروبية فى تقسيم الشرق إلى ما يعرف بالشرق الأدنى ثم الشرق الأقصى بالنسبة إلى شعوب أوروبا.

وصار تمثيل العضوية فى (مجلس كنائس الشرق الأوسط) على أساس ثلاثى دقيق يعبّر عنه بالأرقام، فأصبح له رؤساء ثلاثة : أحدهما من أساقفة الكنائس الأرثوذكسية القديمة، والثانى من أساقفة كنائس الروم الشرقية الخلقيدونية، والثالث من قسوس الكنائس البروتستانتية.

وقد انعقد الإجتماع التأسيسى لمجلس كنائس الشرق الأوسط، فى نيقوسيا NICOSIA عاصمة قبرص، فى الفترة من ٢٨ إلى ٣٠ من مايو - ايار لسنة ١٩٧٤.

ويحدد دستور مجلس كنائس الشرق الأوسط أهداف المجلس فى خمسة :

١ - تقوية روح الشركة والوعى المسكونى بين الكنائس، حتى يمكن لكل كنيسة أن تشترك بالصلاة والدرس والعمل فى غنى التقاليد والاختبارات الروحية فى الكنائس الأخرى، وأن تعمل لوحدة الكنيسة تلبية لإرادة الله.

٢ - تهيئة الطرق والوسائل للدراسة المشتركة الهادفة إلى تفهم التقاليد فى الكنائس الأخرى.

٣ - تقوية أسباب التعاون بين الكنائس للقيام برسالة الكنيسة.

٤ - القيام بالخدمات التى تعبّر عن إهتمام الكنائس المشترك بجميع الناس وتنسيقها.

٥ ـ أن يكون مرجعا إقليميا في شركة الكنائس العالمية الشاملة، وأن يوطد ويدعم العلاقات مع مجلس الكنائس العالمي ومع المجالس الوطنية والإقليمية ومع جميع كنائس المنطقة والمنظمات المسكونية الأخرى.

وينص دستور مجلس كنائس الشرق الأوسط في المادة الرابعة على أن دوائر المجلس هي :

أ ـ دائرة التربية المسيحية والدراسات اللاهوتية.

ب ـ دائرة التأليف والنشر والإعلام.

ج ـ دائرة الإيمان والشهادة.

د ـ دائرة العدالة والخدمة.

ولمجلس كنائس الشرق الأوسط جمعية عمومية THE GENERAL ASSEMBLY وهي صاحبة السلطة النهائية والأخيرة في المجلس.

وللمجلس لجنة تنفيذية The Executive Committee وللمجلس أمين عام The General Secretary تنتخبه الجمعية العمومية بناء على توصية اللجنة التنفيذية لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد.

١٨ - هل حرم البابا ديسقورس لمجمع خلقيدونية سار اليوم على جميع الكاثوليك والأروام الأرثوذكس

سؤال من الأب الموقر القس ى. ع. :

رداً على خطابكم المؤرخ ١٢ / ١٠/ ١٩٧٩ وسؤالكم هل كل جماعة الكاثوليك والأروام الأرثوذكس، بل وجميع من يخالف العقيدة الأرثوذكسية، يعتبرون محرومين من الدخول إلى ملكوت السماوات وهم السواد الأعظم من العالم المسيحى فى المسكونة كلها، أو ما هو الحلّ بالنسبة للحرم الذى أصدره البابا ديسقورس على مجمع خلقيدونية وجميع المجتمعين؟

نجيب بأن حرم البابا ديسقورس لمجمع خلقيدونية «طوموس ليون» هو حرم للإيمان المنحرف والمتمسكين به، وحرم للصيغة الإيمانية التى قررها مجمع خلقيدونية، وطوموس ليون.

والحرم معناه فى هذه الحالة:

أولاً: حرم للإيمان المنحرف فى طبيعتين منفصلتين للمسيح الذى قال به نسطور، والذى رأى البابا ديسقورس أن مجمع خلقيدونية بقراره أيد فيه البدعة النسطورية.

ثانياً: إعلان بعدم موافقته، وعدم رضاه على ذلك الإيمان، وعلى تحديدات مجمع خلقيدونية.

لكن الحرم من هذا النوع لا يمتد إلى الحرمان من ملكوت السماوات إلا إذا أيده الرب من فوق، فهو القاضى الذى تستأنف إليه جميع القضايا والأحكام.

وحكم الديان العادل يكون بناء على محاكمة عادلة لكل فرد على حدة، تراعى فيها نيته ومعرفته وفهمه وظروفه، وملابسات فعله. وعلى ذلك لن يكون الحكم واحداً على كل الناس.

ثم أن كاثوليك العصور التالية بعد مجمع خلقيدونية وكذلك الأروام الأرثوذكس، ليسوا هم بعينهم أعضاء مجمع خلقيدونية الذين حرمهم البابا ديسقورس، ولا شك أن التحديدات التى يقرلون بها اليوم تختلف عن التحديدات التى حرمها البابا ديسقورس فى مجمع خلقيدونية، وذلك بسبب اختلاف المفاهيم وتطورها مع الزمن، ومع ضروب المناقشات والمحادثات التى جرت مذ ذلك التاريخ.

والخلاصة:

أن الحرم الذى يصدره البابا فى زمن معين على مجمع أو على المجتمعين فيه هو:

أولاً: إعلان عن عدم رضاه على الصيغة الإيمانية التى قررها ذلك المجمع.

ثانياً: حرم للصيغة الإيمانية ذاتها.

ثالثاً: إعلان عن عدم الإعتراف بالمجمع وقراراته.

رابعاً: إن الحرم يتناول حكم الكنيسة على الأرض، ولكنه مرفوع إلى السماء. ولذلك فهو فى إنتظار الحكم النهائى بالنقض والإبرام أو بالتأييد.

خامساً: إن حكم السماء النهائى يكون يوم الحساب، ويكون لكل فرد على حدة، يحاكم محاكمة عادلة ينظر فيها القاضى العادل للفعل ذاته، وللفاعل بحسب نيته وقصده وعلمه، وما إلى ذلك من ظروف وملابسات كما يراها القاضى العادل، إله أرواح جميع البشر.

١٩ - مجمع القسطنطينية المسكوني

فى اليوم الأول من أمشير من سنة ٣٨١ لميلاد المسيح، انعقد المجمع المسكونى الثانى فى مدينة القسطنطينية (الآن استنبول) فى عهد الإمبراطور ثيئودوسيوس الكبير (٣٤٦ - ٣٩٥)م من مائة وخمسين أسقفاً من مختلف بلاد العالم يمثلون جميع كنائس المسكونة للنظر فى بدعة مقدونيوس Macedonius بطريرك القسطنطينية.

وكان من أبرز الأساقفة الذين حضروا هذا المجمع، الأنبا تيموثيئوس الأول (٣٧٩- ٣٨٥) م بابا الأسكندرية الثانى والعشرون، وكان له دور طليعى وقيادى فى إدارة المناقشات وفى مقارعة مقدونيوس - وفى مقدمة الحضور أيضاً الأنبا كيرلس بطريرك أورشليم، والأنبا بطرس بطريرك أنطاكية. وأما الأنبا داماسوس Damasus بابا روما (٣٦٦ - ٣٨٤) فدعى ولكنه لم يتمكن من الحضور، فأرسل نواباً عنه.

وفى عام ١٩٨١ - احتفل العالم المسيحى بمرور ستة عشر قرناً على هذا الحدث التاريخى، وهو انعقاد مجمع القسطنطينية المسكونى، الذى ثبت وأيد قرارات المجمع المسكونى الأول الذى انعقد فى نيقية سنة ٣٢٥م من ٣١٨ أسقفاً من أساقفة المسكونة للنظر فى بدعة أريوس القسيس الليبى ثم وضع ما يعرف بـ (قانون الإيمان) الذى يرتله اليوم وقوفاً كافة المسيحيين شرقاً وغرباً، ويرددون فيه «نؤمن بإله واحد» مثلث الأقانيم: الآب والابن والروح القدس، وأن الأقانيم الثلاثة خاصيات فى الذات الإلهية الواحدة، وليست أجزاء فيه، لأن الله واحد، ووحدانيته بسيطة لا تقبل التقسيم أو التجزئة . وأن المسيح وهو الله الكلمة قبل الزمان، أتخذ له فى الزمان جسداً من مريم العذراء ظهر فيه، وتمم به وفيه الحكم بالموت الذى كان قد أصدره الله على آدم وذريته. وبهذا الموت فى الصليب، كان المسيح هو الفادى الذى «ليس لأحد بغيره الخلاص» (أعمال ٤ : ١٢) . فالمسيح هو الله الكلمة (يوحنا ١ : ١)، ومن ثم فهو «الله الغير المنظور» (كولوسى ١ : ١٥) وقد صار منظوراً فى الجسد، فهو إذن «الله الظاهر فى الجسد» (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦)، وليس ميلاده من العذراء مريم غير «تجسده» . أما وجوده فهو أزلى قبل الزمان (ميخا ٥ : ٢)، (متى ٢ : ٦)، «الأول قبل كل خليقة» (كولوسى ١ : ١٥)، (الرؤيا ٣ : ١٤) «وقبل كل الدهور» .

وكان مجمع نيقية قد ختم قانون الإيمان بإله واحد أحد. مثلث الأقانيم الآب والابن والروح القدس، بقوله: «نعم نؤمن بالروح القدس» فرأى مجمع القسطنطينية بعد أن ثبت قانون الإيمان النيقاوي أن يضيف سبع عبارات، هي بنود تكميلية، فصارت خاتمة قانون الإيمان الذي أصبح يعرف بقانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني على النحو التالي:

و(نؤمن) بالروح القدس الرب المحيي.

المنبثق من الآب.

نسجد له ونمجده مع الآب والابن،

الناطق في الأنبياء

وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية،

ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا.

وننتظر قيامة الأموات، وحياة الدهر الآتي آمين.

وكان مقدونيوس قد أنكر لاهوت الروح القدس وزعم أنه مخلوق، فأثار بذلك ثائرة الآباء الأمناء على التراث المسيحي، الحارسين للإيمان الأرثوذكسي بإله واحد، فلزم مواجهته ومجادلته وإقناعه بالعدول عن تعليمه الفاسد، فإذا لم يقتنع اتخذوا قراراً بعزله، وتجريده من جميع درجاته الكهنوتية، وأعلنوا أن تعليمه تعليم شاذ ورديء، تعليم انحرف بعيداً عن التعليم المسيحي الأصيل.

وقد كان. وإذ أن بدعة مقدونيوس - وهو بطريرك العاصمة - قد أثارت إعتراضاً عاماً وشاملاً، من جانب أساقفة العالم المسيحي، فلم يجد الإمبراطور ثيئودوسيوس الكبير مفراً من ضرورة عقد مجمع مسكوني، من جميع كنائس المسكونة للنظر في هذا التعليم الجديد الذي علم به مقدونيوس. فوافق على عقد هذا المجمع بناء على نصيحة الناصحين المخلصين. ولا بد أنه بصفته الإمبراطور خشي من أثر هذه البدعة على مملكته أن تنشق عنه بسبب تعليم جديد يدعو له بطريرك العاصمة.

فانعقد المجمع المسكوني في مدينة القسطنطينية ذاتها، واجتمع الآباء الأساقفة وبينهم مقدونيوس وناقشوه رأيه، وقارعوه الحجة، وأثبتوا له من نصوص الكتاب المقدس والتراث

المسيحي، أن الروح القدس هو روح الله، أو هو الله ذاته، لأن «الله روح» (يوحنا ٤ : ٢٤)، (٢. كورنثوس ٣ : ١٧) وهو (الروح الأعظم)، وهو لذلك «إله أرواح جميع البشر» (سفر العدد ١٦ : ٢٢)، (٢٧ : ١٦) لأن بيده تعالى «نفس كل حي، وروح كل بشر» (أيوب ١٢ : ١٠)، (دانيال ٥ : ٢٣)، وهو أيضاً «أبو الأرواح» (العبرانيين ١٢ : ٩)، بمعنى أنه أصلها أي (خالق الأرواح) وجابلها وصانعها (الجامعة ١٢ : ٧)، (إشعياء ٤٢ : ٥)، (٥٧ : ١٦)، (زكريا ١٢ : ١).

الله إذن هو (الروح القدس)، و (الروح القدس) هو الله. ذلك لأنه بطبيعته الإلهية روح، بل هو «الروح» الأول ـ معرفاً بالألف واللام ـ لأن جميع الأرواح هي منه، فهو خالق الأرواح الملائكية والأرواح الآدمية، فهو إذن أبوها لأنه (الأصل) فيها، ومنه صارت وبه وجدت، إذ هو العلة الأولى لكل روح. وليس يمكن تفسير وجود الروح في الإنسان أو في الملائكة إلا بأن خالقها هو (الروح الأعظم) الذي أبدعها وأوجدها، وهو الله.

على أن الله هو الروح الكامل، الكلي الكمال، فلا يشوبه نقص من أي نوع. ومن هنا فإنه (الروح القدس)، لأنه (قدوس)، والكلي القداسة (اللاويين ١٩ : ٢)، (إشعياء ٥٧ : ١٥)، (مزمور ١١٠ : ٩)، (لوقا ١ : ٤٩)، (١. بطرس ١ : ١٥).

وبما أن الله هو الروح القدس، والروح القدس هو الله، فالروح القدس (ليس مخلوقاً)، بل (هو الخالق).

وإذن فالروح القدس ليس غريباً عن الله، وإنما هو (أقنوم الحياة الإلهية).

ونحن نعلم أن (الله حي)، «حي أنا يقول الرب» (العدد ١٤ : ٢٨) «حي أنا يقول رب الجنود» (صفنيا ٢ : ٩)، وهو (الحي الأول) و«فيه كانت الحياة» (يوحنا ١ : ٤) و(الحي منذ الأزل) قبل الوجود، و«الحي إلى الأبد» (دانيال ٤ : ٣٤)، (١٢ : ٧)، و«الحي إلى أبد الآبدين» (الرؤيا ٤ : ٩، ١٠)، (١٠ : ٦).

وإذن فالله روح، وهو حي في ذاته وبذاته، لم يستمد حياته من كائن آخر، وإذن فهو (حي بروحه). وعلى ذلك فالروح القدس هو الله الحي بروحه، وهو (أقنوم الحياة الإلهية). والأقنوم خاصية في الذات الإلهية. والأقانيم الثلاثة هي الخاصيات الثلاث الإلهية، التي بها تقوم الذات الإلهية، ومن دونها لا وجود للذات الإلهية.

ذلك أن أقنوم (الآب) هو خاصية (الوجود) الإلهي، لأن الله مُوجد الوجود، (أو أصل) الوجود. ولفظ (الآب) في اللغات السامية والشرقية معناه (الأصل)، ومنها أخذت جميع اللغات. (فالآب) ليس جزءاً من الله، وإنما (الآب) هو الله ذاته لأنه هو (أصل) الوجود. فأقنوم (الآب) هو خاصية (الوجود) في الله بإعتباره (أصل) الوجود.

و(الابن)، وهو (الكلمة)، هو (العقل) الإلهي. والعقل الإلهي ليس جزءاً من الله، ولكنه هو الله من حيث هو (العقل) الأعظم. فالعقل الإلهي خاصية في الذات الإلهية لا يمكن أن يكون لله وجود بغيرها، ولا يمكن أن نتصور الله من دونها.. وإلا كيف نفسر وجود الحكمة والعقل في الكائنات العاقلة ما لم يكن الخالق ذاته الذي خلقها هو العلة الأولى العاقلة. ولما كان العقل غير منظور، ولكنه تجسد في (الكلمة)، لذلك (فالكلمة) و (العقل) بمعنى واحد: أحدهما ظاهر والآخر غير ظاهر، لكنهما في الحقيقة واحد. لذلك وصف الأقنوم الثاني في الذات الإلهية بأنه (الكلمة) لأن العقل الإلهي قد تجسد في المسيح. فالمسيح إذن ليس جزءاً من الله، لكنه الله ذاته: العقل والعاقل والمعقول لذاته، وقد تجسد. وهو بهذه الصفة يسمى (الابن) بمعنى أن من رآه فقد رأى الله الآب (يوحنا ١٤: ٩).

و(الروح القدس) هو الله ذاته الحي بذاته أي بروحه، لأن الله روح. وإذن فالروح القدس ليس جزءاً من الله، إذ أن الله لا يتجزأ، ولكنه هو الله من حيث هو الحي الأول، وأصل الحياة، وباعث الحياة، ومبدئ الحياة.

وبعد، فهل يمكن أن يكون لله وجود من غير أقانيمه الثلاثة؟

هل يمكن أن يكون لله وجود، إذا لم تكن له خاصية الوجود أو أقنوم الوجود (وهو الآب) بإعتبار أنه تعالى. هو أصل الوجود؟

وهل يمكن أن يكون لله وجود إذا لم تكن له خاصية (العقل) أو أقنوم العقل (أو الكلمة) بإعتبار أنه تعالى هو العقل الأعظم؟

وهل يمكن أن يكون لله وجود، إذا لم تكن له خاصية الحياة أو أقنوم الحياة وهو (الروح القدس) بإعتبار أنه تعالى هو (الروح الأعظم).

فالأقانيم الإلهية الثلاثة هي الخاصيات الإلهية التي تقوم بها وعليها الذات الإلهية، ومن دونها لا وجود للذات الإلهية.

والأقانيم الإلهية الثلاثة هي إذن الخاصيات الذاتية التي يقوم عليها وبها كيان الذات الإلهية، وهي تتميز عن سائر الصفات الإلهية الكثيرة الحسنى.

والفرق بين الأقانيم أو الخاصيات الإلهية الثلاث، وسائر الصفات الإلهية الكثيرة: أن هذه الصفات الأخيرة يمكن أن نتصور الله بها أو بغيرها، دون أن يتأثر بها الكيان الإلهي بزيادة أو بنقص. أما الأقانيم الإلهية الثلاثة فهي الخاصيات الذاتية التي تقوم بها وعليها الذات الإلهية، ومن دونها لا يمكن أن يكون لله وجود أو كيان. وهذا هو معنى الأقنوم أو الهيبوستاس Hypostasis (به وعليه تقوم الذات الإلهية الواحدة).

٢٠ - ما الذى يجعل المجامع مسكونية ؟

أولاً: إجتماعها من أجل بحث قضايا مسكونية تعني المسكونة كلها.

ثانياً: إجتماعها لبحث قضايا إيمانية عامة.

ثالثاً: أن يكون إلتئامها من أساقفة يمثلون كنائس المسكونة كلها، على أن يكون من بينهم رؤساء الكنائس الممثلة، أى البطاركة ومن هم فى حكمهم.

رابعاً: أن يضم ممثلوها جميع الكنائس الرسولية على الأقل، على أن يكون ذلك بتمثيل متكافئ من حيث عدد الأعضاء.

خامساً: أن لا يتدخل في تقرير قضاياها سلطة زمنية.

سادساً: أن يتوافر لأعضائها كمال الحرية لإبداء الرأى من دون ضغط أو إكراه.

سابعاً: أن يكون التبليغ بعقد المجمع إلى جميع الكنائس الممثلة فى وقت واحد، وقبل إنعقاد المجمع بمدة كافية نحو سنتين على الأقل، مع توضيح الغرض من الإجتماع، وأسباب الإنعقاد، وتاريخ المسائل المعروضة، وما صدر بخصوصها من بيانات سابقة ووثائق، مع مسودة مقترحة لأعمال المجمع، تضعها لجنة من الخبراء واللاهوتيين والقانونيين تشكل لهذا الغرض، بتمثيل متكافئ من الكنائس المختلفة الأعضاء قبل موعد إنعقاد المجمع بستة شهور على الأقل.

ثامناً: أن يكون مكان إنعقاد الاجتماع في بلدة بعيدة عن مراكز القوى الدينية أو المدنية، ويحسن أن يكون ذلك دير أو مكان هادئ بعيد عن الضوضاء، وعن الإتصال بالناس أو الصحافة وما إليها من وسائل براقة.

تاسعاً: أن يتحمل نفقات المجمع صندوق عام يجمع لهذا الغرض من كل المسكونة، حتى تتوافر الحيدة لأعضاء المجمع.

عاشراً: أن يتلو أعضاء المجمع فى يوم إلتئامهم صلاة مشتركة، يتعاهدون فيها على أن يستلهموا الروح القدس فى أقوالهم وأعمالهم، وأن يقضوا بالحق ويتوخوا خير الكنيسة الجامعة الرسولية، وأن يضعوا الكتاب المقدس أمامهم وأن يعلنوا إحترامهم لقرارات المجامع المسكونية السابقة المعترف بها من جميعهم.

حادى عشر: أن يصلوا مجتمعين القداس يومياً حسب طقس كل كنيسة من الكنائس الأعضاء.

ثاني عشر: أن يتكلم كل عضو من أعضاء المجمع بلغته الخاصة التي يجيدها، مع ترجمة فورية لها إلى جميع اللغات المستخدمة في المجمع. وترجمة دقيقة مكتوبة توزع بعد ذلك على جميع أعضاء المجمع.

ثالث عشر: أن تشكل لجان بحث ودراسة فرعية لمختلف أعمال المجمع، يراعى فيها التمثيل المتكافئ للكنائس المختلفة الأعضاء، يعهد إليها بصياغة القرارات أو تعديلها أو تنقيحها وتبويبها وتصنيفها.

رابع عشر: أن لا يصدر قرار في موضوع ما إلا بأغلبية ثلثي الأصوات على الأقل.

خامس عشر: أن يتوافر لأعضاء المجمع الوقت الكافي لدراسة الموضوعات المعروضة عليهم، بحيث لا يكون ضيق الوقت عاملاً من عوامل الضغط للإسراع في إصدار القرارات.

سادس عشر: أن لا تتوالى الجلسات بشكل ضاغط، بحيث يتوافر للأعضاء الراحة الذهنية والعقلية والنفسية الكافية، لإبداء آراء ناضجة مدروسة، وبحيث يمكن أن يكون ثمت مجال للقاءات فردية ودية.

سابع عشر: يحذر المجمع أعضاءه من التكتلات الحزبية، والتجمعات على المستوى القومي أو الوطني، مما يعطل رسالة المجمع المسكوني وقراراته التي ينبغي أن تتوخى الروح المسكونية التي تسود كنيسة الله في الجامعة الرسولية.

ثامن عشر: لكل عضو حق إبداء الرأى في الموضوع المعروض للمناقشة في حدود عشرة دقائق، على أن يسجل رأيه مكتوباً من ثلاث صور، يقدم إحداها لأمانة سر الميجمع قبل موعد إلقائها بثلاثة أيام على الأقل.

تاسع عشر: أخذ الأصوات في موضوع ما، يجب أن يكون بطريق الاقتراع السرى.

عشرون: اللجنة الرياسية لتنظيم وإدارة أعمال المجمع وجلساته ومحاضره وقراراته، تشكل من إثني عشر عضواً يختارون بتمثيل متكافئ من الكنائس المختلفة الأعضاء.

واحد وعشرون: أمين عام سر المجمع يختار من غير الإثنى عشر، على أن يكون من كنيسة عضو غير ممثلة في اللجنة الرياسية.

ثاني وعشرون : كل قرار يتخذ بعد التصويت عليه فى صورته النهائية، يقرأ على جميع الأعضاء علناً فى جلسة رسمية بعد طبعه بالمطبعة، ويوقع عليه الأمين العام لسر المجمع ولجنة رياسة المجمع، ويوقع عليه بعد إعلانه رؤساء الكنائس المحلية أى البطاركة ومن فى حكمهم.

ثالث وعشرون : توزع نسخ كافية من هذه القرارات على جميع أعضاء المجمع.

رابع وعشرون : تشكل لجنة عمل لمتابعة وتنفيذ قرارات المجمع بعد إنفضاضه، يراعى فيها التمثيل المتكافئ من الكنائس المختلفة الأعضاء، لموالاة الإتصالات بكل جهات الإختصاص المسئولة، دينية ومدنية لتنفيذ قرارات المجمع وتتبع آثاره.

خامس وعشرون : أن تكون مطبعة حديثة بمختلف اللغات مخصصة لأعمال المجمع، وكذلك الحاسب الإلكترونى لإحصاء أصوات الموافقين وغير الموافقين على القرارات، ومكبرات الصوت، وأجهزة الترجمة الفورية، ووسائل التهوية، وكل ما يلزم توافره لتسهيل أعمال المجمع.

٢١ - ليأت ملكوتك (١)

سيدى صاحب الغبطة البطريرك والرئيس

نعم، هذا دعاؤنا فى الصلاة الربانية ، نردده كلما تلونا هذه الصلاة الربية فى كل يوم، ونحن نتجه أولاً وبالذات إلى المجئ الثانى حيث يملك المسيح بعد أن يكون قد أخضع جميع أعدائه تحت قدميه، ومع ديماس اللص اليمين نصلى: اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك... وإذ يقول الرب يسوع أنا آتى سريعاً، نهتف فى شوق ولهفة ومع الرائى القديس يوحنا اللاهوتى: «نعم تعال أيها الرب يسوع» (الرؤيا ٢٢ : ٢٠).

ترى متى جاء المسيح فى مجده وملكه هل يجد الإيمان على الأرض، الإيمان المسلم مرة للقديسين (يه ٣) ؟ هل يجد كنيسته عروسه ثابتة على هذا الإيمان، المسلّم منه ومن الرسل وديعة محفوظة بالروح القدس، تلبية وإطاعة لأمره «وإنما الذى عندكم تمسكوا به إلى أن أجئ» ؟ (الرؤيا ٢ : ٢٥).

هل يجد كنيسته جسماً واحداً سليماً، كُلاً واحداً صحيحاً، أم يجدها أشلاء مبعثرة وأعضاء مهشمة متقطعة ممزقة مفتتة، قد أُثخنت بجروح التقطيع والتمزيق والإنقسام؟

اسمعوا ، أيها الإخوة، قصة من تراثنا هى رؤيا رآها البابا القديس بطرس خاتم الشهداء ، السابع عشر من بطاركتنا فى القرن الثالث، وفى عهده ظهر أريوس الذى أنكر أزلية الابن مع الآب - رأى المسيح له المجد فى هيئة طفل فى الثانية عشرة من عمره، وثوبه مشقوق من أعلاه إلى أسفله، وعرف بالروح أنه هو الرب يسوع بعينه، فهتف قائلاً: من الذى شق ثوبك يا رب، فأجاب له المجد قائلاً: أريوس هو الذى شق ثوبى.

وثوبه هو كنيسته. وشقها أريوس يمعنى أنه قسمها وشطرها ببدعته، فلم تبق بعد كُلا واحداً صحيحاً. وأما أن البابا رأى المسيح فى هيئة طفل فى الثانية عشرة من عمره، فلأن الكنيسة كانت ما تزال صبية صغيرة، فى جمال الصبا وبراءة الطفولة.

أيها الإخوة: إن إنقسام الكنيسة إلى مذاهب شق ثوب المسيح، وقسم جسم المسيح. وليس فى مقدورنا فى هذه المجالة أن نتتبع الأسباب اللاهوتية وغير اللاهوتية، من سياسية واجتماعية وحضارية وتاريخية، لكننا نحس جميعاً بتيار حار من الروح القدس يدين الإنقسام وينشد

---

(١) ألقيت فى أحد المؤتمرات عن الوحدة بعد نوفمبر ١٩٧٨ م.

الوحدة، الوحدة فى الإيمان والرأى، وليست الوحدة فى النظام والشكل، طبقاً لما قاله الرسول القديس بولس يناشد كنيسة الله فى كورنثوس:

«أطلب إليكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تقولوا جميعكم قولاً واحداً، ولا يكون بينكم إنشقاقات، بل كونوا كاملين فى فكر واحد ورأى واحد... إلى أن يقول : هل انقسم المسيح؟» (١ . كورنثوس ١ : ١٠ ـ ١٣) .

لقد أضرّ الإنقسام رسالة المسيح إلى العالم. فقد قال له المجد «ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى» (يوحنا ١٧ : ٢١) . فعلى الرغم من التبشير والمبشرين ومن الكتب التى أغرقنا بها العالم، لكن رسالة المسيح معطلة والسبب أن الكنيسة ليست واحدة، لا يصدق عليها إنها الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية، كنيسة الله، جسم المسيح الواحد.

لقد صار الإنقسام نقطة ضعف المسيحية فى نظر غير المسيحيين، وتوقفت رسالة المسيح عن الامتداد وباتوا يقولون لقد فشلت المسيحية ، وفشل المسيح ـ نعم شتان بين المسيحية كلها شيع، وبينها وهى شعب غير منقسم.

أيها الإخوة إن هذه الرغبة فى الوحدة تجسدت فى تشكيل مجلس الكنائس العالمى، ومع ما حققه مجلس الكنائس العالمى من إنجازات فى التعاون المشترك بين كنائسنا المتفرقة، لكننا لم نتمكن بعد فى نطاق هذه المنظمة العالمية أن نحقق الوحدة الإيمانية المنشودة، وتبيّنا أن الطريق طويل جداً، وقد يأتى المسيح فى مجيئه الثانى قبل أن نتمكن فى المجلس العالمى من تحقيق وحدتنا فى الإيمان، قلنا، فلنبدأ بالخطوة الأولى، وهى الأسهل والأسرع.

أعنى الوحدة بين عائلتى الكنائس الأرثوذكسية ـ الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة، والكنائس الشرقية التى تتبع الطقس البيزنطى، أو كما اصطلحنا عليها إبتداء من سنة ١٩٥٤ الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية والكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية، وقد عقدت منذ هذا التاريخ إلى اليوم عدة مؤتمرات، وكان لمجلس الكنائس العالمى فضل تشجيع هذا اللقاء الثنائى بين عائلتى الكنائس الأرثوذكسية، ففى أروس بالدانيمرك تم لقاء فى أغسطس ١٩٦٤ ـ وأصدر بياناً جاء فيه:

« وفى دراستنا المشتركة لمجمع خلقيدونية وجدنا أن العبارة المشهورة التى استخدمها أبونا جميعاً فى المسيح أى القديس كيرلس «طبيعة واحدة للكلمة المتجسد»

μία φύσις τοῦ Θεοῦ Λόγου σεσαρκωμένη - وكل ما تعنيه هو محور إهتمامنا المشترك بالنسبة لجوهر إيماننا الخاص بشخص المسيح، فقد وجدنا أنفسنا متفقين تماماً. والتعبيرات المختلفة التي تستعملها كل كنيسة تعبر عن الحق الواحد بعينه، لأننا نتفق معاً بدون تحفظ على رفض تعليم أوطيخا، وكذلك تعليم نسطور، وبذلك يصبح قبول أو رفض مجمع خلقيدونية لا يكون معناه قبول أى من الهرطقتين اللتين تشجبهما الكنيستان. وقد وجد الطرفان في هذا المؤتمر أنهما يتبعان كأساس راسخ تعليم الكنيسة الواحدة غير المنقسمة عن المسيح كما عبر عنه القديس كيرلس».

وفي يوليو سنة ١٩٦٧ انعقد مؤتمر في بريستول بانجلترا، وأصدر بياناً جاء فيه:

«اعتباراً من القرن الخامس استخدمنا صيغ مختلفة لنعترف بها، تعبر عن إيماننا الواحد في الرب يسوع المسيح الإله الكامل والإنسان الكامل. منا من يؤكد على أن الطبيعتين والمشيئتين قد اتحدا أقنومياً في الرب الواحد يسوع المسيح، والبعض الآخر منا يؤكد على طبيعة واحدة ومشيئة واحدة إلهية إنسانية متحدة فى المسيح نفسه، لكن على الرغم من هذا فكلا الجانبين يتكلمان عن اتحاد بدون إختلاط ولا تغيير ولا إنقسام ولا إنفصال. وهى الصفات الأربعة التى نراها فى تقليدنا المشترك. كلا الجانبين يؤكد على دوام اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح الواحد، بكل قدراتهما وخصائصهما الطبيعية. ولذلك فالذين يستخدمون اصطلاح «الطبيعتين» لا يجزئون أو يفصلون، والذين يقولون باصطلاح «الطبيعة الواحدة» لا يخلطون ولا يمزجون. ولذلك فالكلمات «بلا تجزؤ ولا إنفصال» التى يستخدمها الذين يقولون «بالطبيعتين»مع الكلمات «بدون تغيير ولا اختلاط» التي يستخدمها الذين يقولون «بالطبيعة الواحدة» يجب أن نؤكد أهميتها».

وفى أغسطس سنة ١٩٧٠ انعقد مجمع فى جنيفا سويسرا أصدر كذلك بياناً عرض لموضوع المجامع والحروم ومشاكل التنظيم الرعائى فى الكنيسة.

رأى أعضاء المؤتمر أن يؤكدوا من جديد ما اتفقوا عليه في مؤتمر أروس بالدانيمرك سنة ١٩٦٤، ومؤتمر بريستول سنة ١٩٦٧، أنه على الرغم من الانفصال الذى دام خمسة عشر قرناً بين الكنائس الأرثوذكسية الشرقية، والكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة بسبب مجمع خلقيدونية فى سنة ٤٥١، إلا أن الفريقين مع ذلك على اتفاق فى جوهر العقيدة المسيحية فيما يختص بلاهوت المسيح، وكل من الفريقين على احترام كامل للشروح اللاهوتية والتحديدات

الإيمانية التي قدمها القديس كيرلس بابا الأسكندرية، وأنهم جميعاً يتخذونه أباً ومعلماً للإيمان الأرثوذكسي، الذى لا يحيدون عنه وعنده يلتقون وإليه يحتكمون، في حل الخلاف بين الكنائس التى تعترف بمجمع خلقيدونية والتى لا تعترف به... فكل من الفريقين يؤمن ويعلم بأن من كان وما زال متحداً بلاهوته مع الآب في الجوهر، صار بتأنسه متحداً معنا في إنسانيتنا، هذا المولود من الآب قبل كل الدهور، صار في الأيام الأخيرة من أجلنا ومن أجل خلاصنا مولوداً من العذراء مريم، فالمسيح يسوع إله كامل، كما أنه ناسوت كامل وله كل خصائص اللاهوت وقدراته وكل خصائص الناسوت وقدراته، ومشيئة اللاهوت وعمل اللاهوت لم يبتلعا مشيئة الناسوت وعمل الناسوت ولا أبطلاهما، ولم يحدث بينهما تعارض وإنما المشيئتان والفعلان قد اتحدا معاً في توافق تام بغير إنقسام أو إختلاط فالمشيئة والفعل هما دائماً مشيئة الكلمة المتجسد وفعله، واحد هو عمانوئيل هو إله وهو إنسان هو ربنا ومخلصنا الذى نعبده ونمجده ونسجد له ومع ذلك صار بيننا كواحد منا.

وفي يناير ١٩٧١ انعقد المؤتمر الرابع في أديس أبابا ناقش فيه المؤتمر موضوع رفع الحروم.

وفي مارس ١٩٧٢ تم لقاء بين مندوبي الكنائس الأرثوذكسية بالشرق العربي. وذلك في دير سيدة البلمند البطريركي.

وصدر بيان طويل جاء فيه: ألسنا جميعاً نردد قانون إيمان واحد مقرين ومعترفين بإله واحد، أحدي الذات مثلث الأقانيم والصفات، وبمسيح واحد، وبالروح القدس المنبثق من الآب، والفاعل في أسرار الكنيسة السبعة، ونؤمن بالقيامة العامة والمجئ الثاني للدينونة والحساب،وبالجزاء الأخروي، والحياة في الدهر الآتي.

ألسنا جميعاً نؤمن بلاهوت الابن الوحيد، الأقنوم الثاني من الثالوث القدوس كلمة الله وحكمته وقوته، وهو بهاؤه ورسم جوهره، وأنه في ملء الزمان تجسد وتأنس من أجلنا، ولأجل خلاصنا، وهو لم يزل الكائن مع الآب، والواحد معه في الجوهر بغير إنفصال ولا افتراق ولا إنقسام ولا تجزئة ولا تغير؟

ألسنا جميعاً نعتقد بالفداء الذى قام به ابن الله بعد أن اتخذ لنفسه جسداً مطابعاً لجسدنا، جسداً حقيقياً ذا نفس ناطقة عاقلة، مشاركاً إيانا إنسانيتنا بغير خطيئة ولا دنس متحداً بنا فيها، بالجسد الذى أخذه من مريم العذراء بغير زرع بل بحلول الروح القدس عليها؟

ألسنا جميعاً نؤمن بأن ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا، يسوع المسيح هو ابن الله الوحيد من حيث لاهوته، وهو ابن الإنسان من حيث ناسوته، وأن فيه اتخذ اللاهوت بالناسوت اتحاداً حقيقياً كاملاً تاماً، بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا تحوّل ولا إنفصال ولا إنقسام، وأنه وهو صورة الله الغير المنظور قد صار منظوراً في الجسد، فهو الأزلي الأبدي الذي لا بداءة له ولا نهاية، ولا أول له ولا آخر، وهو بعينه الرب وقد قبل صورة العبد، فهو كامل في لاهوته وكامل أيضاً في ناسوته وفي شخصه المبارك اجتمعت كل خصائص اللاهوت وكل خصائص الناسوت معاً، باتحاد لا يعبر عنه اتحاد بغير إفتراق.

وفي نوفمبر ١٩٧٨ انعقد في دير بندلي باليونان مؤتمر جاء في آخر فقرة منه:

إننا نؤكد في اجتماعنا هذا بيان اجتماع اليلمند التاريخي وتوصياته، معبرين عن الاقتناع ذاته بأن مفهومنا للإيمان متطابق، وأنه آن الأوان لنقل المحادثات إلى المستوى الرسمي المسؤول في كنائسنا المقدسة في الشرق الأوسط.

وقالوا إننا نرفع توصياتنا إلى الرئاسات في كنائسنا على يد وفد مؤلف من إثنين ممن حضروا الإجتماع ويحاول الوفد البحث في إمكان تحقيقها.

كما أوصوا بأن ترسل وثائق اليلمند سنة ١٩٧٢ مع وثائق اجتماع بندلي ١٩٧٨ إلى اللجنة الخاصة بالحوار مع الأرثوذكس غير الخلقيدونيين، التابعة للمؤتمر العام لكل الكنائس الأرثوذكسية، وأيضاً إلى اللجنة الخاصة بالكنائس الشرقية الأرثوذكسية غير الخلقيدونية في الشرق الأوسط.

ليس هناك داع بتاتاً لكثير من النقاش والجدل حول الموضوعات اللاهوتية.

أولاً: المهم وضع صيغة لاهوتية يقبلها الطرفان، مع محاولة تجنب المصطلحات الغامضة، التي دار حولها في الماضي ولا يزال يدور في الحاضر نقاش طويل، في تحديد مفهومها كالطبيعة والأقنوم. صيغة تحدد في تعبيرات بسيطة مقبولة أمام الكل، تبين اتحاد لاهوت المسيح بناسوته اتحاداً كاملاً تاماً، بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا إنفصال أو إنقسام. وتبين أن المسيح واحد كامل في لاهوته كامل في ناسوته وأنه هو الإله المتجسد، ولم يزل بتجسده إلهاً، وأنه الإله المتأنس، وأن الاتحاد قد تم منذ اللحظة الأولى للتجسد، وأنه لم تمر لحظة في الزمان كان للناسوت وجود في المسيح من غير لاهوته، وأن اللاهوت اتحد بالناسوت منذ اللحظة الأولى

لتكوّن الناسوت. وأن هذا الاتحاد بين اللاهوت والناسوت كان ولا زال قائماً وسيظل كذلك إلى الأبد بغير إفتراق ولا إنفصال ... وأن المسيح يحمل فى شخصه كل صفات اللاهوت والناسوت معاً بغير إفتراق، وأن كل ما ينسب إلى اللاهوت ينسب إلى المسيح، وأن كل ما ينسب إلى الناسوت ينسب إلى المسيح الإله المتجسد، بما يعرف بتبادل الخصائص والصفات وذلك لطبيعة الاتحاد التام القائم بين اللاهوت والناسوت.

ثانياً : إذا كان هناك اتفاق على المفهوم الدقيق لحقيقة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت، لا بأس من أن يحتفظ كل فريق بالتعبيرات التقليدية التى يعبر بها عن هذا الاتحاد، على أن يقدم باستمرار هذا المفهوم. وعلى أن يدين كل فريق المذهب النسطورى من جهة والمذهب الأوطاخى من جهة.

ثالثاً : على ضوء هذا المفهوم الجديد يمكن لكل فريق أن يقبل ما يشاء من قرارات المجامع السبعة، وليس إلزام بإقرار الأربعة المجامع التى تلت مجمع أفسس سنة ٤٣١م.

رابعاً : الحروم التى وقعت فى الماضى على كل فريق، يمكن أن تترك بين يدى الله الذى يدين الأحياء والموتى، وترفع الحروم عمن يسلم بالصيغة الجديدة التى تقرها جميع الأطراف، معبرة عن إيمان الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة.

خامساً : تعرض هذه الصيغة على رؤساء الكنائس الخلقيدونية وغير الخلقيدونية، لإقرارها من المجامع المقدسة فى تلك الكنائس، تمهيداً لرفع الحروم وإعلان وحدة الإيمان الأرثوذكسى.

سادساً : ترفع من كتب الطقس النصوص التى تلعن وتحرم ليون بابا روما، وديوسقورس بابا الأسكندرية، وساويروس الأنطاكى بطريرك أنطاكية، ونستبدل بهذه الأسماء أريوس ومقدونيوس وأبوليناريوس وأوطاخى.

سابعاً : توضع كتب جديدة للتاريخ واللاهوت تنصف ديوسقورس الأسكندرى على ضوء الحقائق التاريخية والفهم السليم لموقفه اللاهوتى وتصحيح الاتهام الظالم له بالأوطاخية.

ثامناً : يعقد مجمع مسكونى من الكنائس التى تتبع الإيمان الأرثوذكسى، توضع لقراراته مسودة تضعها لجنة مشتركة من اللاهوتيين والقانونيين تمثل الكنائس الشرقية القديمة تنظر فى:

(١) القضايا الإيمانية التي عرضت لها أو لبعضها المجامع الأربعة التالية لمجمع أفسس سنة ٤٣١، والبت فيها على ضوء الإيمان المشترك وبروح العصر، وصياغتها بما يتمشى واحتياجات الكنيسة في الزمن الحاضر.

(٢) القضايا المعاصرة التي تواجه واقع الكنيسة في الزمان.

تاسعاً : منعاً للحساسيات يمكن الاتفاق على مكانين أو أربعة أماكن. إثنين منها في نطاق الكنائس الشرقية وإثنين منها في نطاق الكنائس الشرقية القديمة، على أن يكون إنعقاد المجمع فيها دورياً وبالتناوب.

وأما رياسة المجمع فتكون بالتناوب والتبادل والتعادل بين رؤساء الكنائس الشرقية والشرقية القديمة وكذلك الأمر بالنسبة للسكرتير العام للمجمع.

عاشراً : بعد رفع الحروم وإعلان الاتحاد.

(١) يصير جميع المؤمنين والاكليروس خاضعين لبطريرك الإقليم مع إمكانية الاحتفاظ بشمامسة وكهنة وأساقفة لكل كنيسة بسبب فوارق اللغة والطقس.

(٢) الإعتراف بصحة جميع الأسرار الكنسية، وإعتبار كل مؤمن وكل شماس وكاهن وأسقف عضواً في الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة الرسولية، وله كل الحقوق وعليه كل الإلتزامات والواجبات الإنجيلية والكنسية، طبقاً للإيمان الأرثوذكسي الواحد بغير تفريق بسبب الجنس أو اللون.

٢٢ ـ احذروا جمعية خلاص النفوس البروتستانتية (١)

من وقت إلى آخر ترد إلى المجلة شكاوى من تصرفات هذه الجماعة الأجنبية عن كنيستنا وشعبنا، التي تعمل على ضم البسطاء من الأقباط إلى إجتماعاتها وإلى إعتناق مبادئها. وإن كانت تزعم أنه ليس لها مبادىء خاصة، غير أن هذا تمويه وتضليل فلسنا نعرف هيئة لا عقيدة لها ولا مبدأ، **وإننا نؤكد أن كل هيئة تخفي مبادئها لابد أن تكون هيئة ماكرة مضللة، تنوى أن تسوق أتباعها إلى أهدافها بدون أن يشعروا.**

ومن بين الخطابات التي تلقيناها سؤال وجهه إلينا السيد م. ك. ع بديروط، يقول:

لجمعية خلاص النفوس نشاط كبير، فما أهداف تلك الجمعية؟ وهل تتفق مع عقيدتنا الأرثوذكسية؟ ولماذا؟.

والإجابة إن أهداف هذه الجمعية لا يعلمها غير القائمين بهذه الجمعية وحدهم. ولا عبرة بما يقولونه ويكتبونه أن هدفهم هو خلاص النفوس، فهذا الهدف هو هدف كل خدمة دينية مسيحية، وليس هو وقفا على هذه الجمعية بالذات!!

إن هدفهم يا صديقي، على ما يبدو، هو إزالة الفوارق العقيدية بين الأرثوذكس والبروتستانت، وذلك لا بمناقشة هذه الفوارق ولكن بتجاهلها وإهمالها، وبذلك تموت هذه الفوارق، في أذهان الناس، ويتحولون دون أن يشعروا إلى مجموعة تربط بينها بعض الأفكار المسيحية العامة. أما العقائد التي تتمسك بها الكنيسة الأرثوذكسية فمصيرها مع هذه الجماعة إلى الإهمال. وإذا أهمل المسيحي عقائد الإيمان، استحال إيمانه مع الأيام إلى عقيدة مشوهة غامضة، هي خليط من أفكار غير واضحة وغير محددة. وفي كل يوم هو على استعداد ذهني إلى ترك كل عقيدة يجد عليها بين الناس إختلافاً، إلى أن يسقط هو عن كل عقيدة مسيحية، لأنه بإزاء كل عقيدة يمكن أن يجد طائفة من البروتستانت لا تؤمن بها، حتى عقيدة لاهوت المسيح التي ينكرها شهود يهوه، والسبتيون، وكذلك عقيدة التثليث والجزاء الأخروى وما إليهما من العقائد الرئيسية فضلاً عن العقائد الأخرى.

عندما جاء البروتستانت إلى مصر من أمريكا وانجلترا، أخذوا يهاجمون عقائد كنيستنا هجوماً علنياً، في مواعظهم وكتاباتهم. لكن هذه الطريقة أثارت رجال الكنيسة القبطية وأبناءها فأخذوا

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد ـ السنة العاشرة ـ العدد الثامن ـ أكتوبر ١٩٥٦م

يفندون مزاعم البروتستانت، ويبرهنون على سلامة تعليم الكنيسة القبطية المقدسة. فارتد عن البروتستانتية عدد كبير ممن انخدع فى مبدأ الأمر بمنطقهم، ونشطت الكنيسة القبطية، ورحب رجالها بفرصة أتاحت لهم الكشف عن لآلىء التعليم الأرثوذكسى القويم.

اضطر البروتستانت بعد ذلك إلى تغيير سياستهم، فلجأوا إلى غير ذلك الأسلوب المثير، لجأوا إلى إهمال الفوارق العقيدية حتى لا يثيروا مشاعر الأقباط، ودعوة الناس إلى نوع من الدين هو كلام خطابى بلا أسرار ولا طقوس ولا عقائد، كلام مصيره يوماً من الأيام أن يحيل المسيحية إلى نوع من البهائية أو ما إليها.

هذا هو رأينا فى جمعية خلاص النفوس، والجمعيات البروتستانتية التى على شاكلتها التى تزعم أنها جمعيات لاطائفية. ولكنها فى حقيقتها بروتستانتية. أقول بروتستانتية، لأن الذى ينقص إيمانه بقيمة أى عقيدة من عقائد الكنيسة الأرثوذكسية هو بروتستانتى وليس أرثوذكسياً، ومن يهمل أى عقيدة من هذه العقائد، ولا يرى فى هذا الإهمال، وفى عدم السلوك وفقاً لهذه العقيدة، خطيئة يمتنع بسببها خلاصه، فهو بروتستانتى وليس أرثوذكسياً. إننا نعلن من فوق منبر المجلة **أن الكنيسة المرقسية الأرثوذكسية لا علاقة لها بجمعية خلاص النفوس البروتستانتية وتحرّم على كل فرد من أبنائها أن ينتظم فى سلك أى جماعة خارجة عن الكنيسة الأرثوذكسية، ولا أن يشترك فى ممارساتها أو يحضر إجتماعاتها. إنهم ليسوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا (١. يو ٢ : ١٩).**

على أنه مما يؤسف له حقاً، أن ترد إلينا أنباء من الأقاليم عن بعض الآباء الكهنة أنهم يتعاونون مع هذه الجمعية البروتستانتية. وقد أرسل إلينا أحد قراء المجلة إعلاناً عن الوعظ «بالمجمع (١) السنوى لجمعية خلاص النفوس بملوى»، وفيه اسم أحد الآباء الكهنة، ونحن نأسف لهذه الواقعة، ونعتبرها تصرفاً معثراً للكثيرين، وموجباً للتأديب الكنسى. وأننا نرجو حضرة صاحب النيافة أسقف إيبارشيته أن يصدر أمره إلى جميع حضرات الآباء الكهنة بمقاطعة هذه الهيئة وإعلان الشعب القبطى بأسره بمقاطعة إجتماعات هذه الهيئة وكل هيئة خارجة عن تعليم الكنيسة الأرثوذكسية.

---

(١) يلاحظ أن استخدام كلمة «مجمع» بهذا المعنى الواضح من الإعلان، مصطلح بروتستانتى معروف عند البروتستانت وحدهم. وهذا يكشف عن حقيقة خلاص النفوس وأنها بروتستانتية على الرغم من زعمها بأنها جمعية لاطائفية؟!!

٢٣ ـ جمعية خلاص النفوس (١)

ما حكم الكنيسة على الكاهن الذى يشجع جمعية خلاص النفوس، ويدعو لها فى المنازل والكنيسة أيضاً؟!

إذا كان حقاً أن هناك كاهناً من هذا الطراز فإنه يعمل على تمزيق كنيسة الله وعلى تفريق قطيع المسيح. فإما أن يكون ذلك الكاهن قد انخدع فى براءة وجهالة بأساليب تلك الجماعة البروتستانتية، أو قد يكون قد انحرف هو عن الإيمان الصحيح. وفى كلا الحالين يجب أن يشكى إلى أسقفه أو مطرانه شفاهاً أو مكاتبة. وعلى الأسقف أن يفحص هذه الشكوى، ويوقف الكاهن عن مسئوليته التعليمية ويراجع تصرفاته على ضوء تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية وقوانينها، فإذا أصر الكاهن على موقفه، فللأسقف أن يجمع له مجمعاً من كهنة الإيبارشية ويجرده من رتبته الكهنوتية ومن عضوية الكنيسة المقدسة، فلا يتعثر المؤمنون بسلوكه المنحرف.

إن كنيستنا لا تسمح لعضو فيها أن يحضر إجتماعات غير أرثوذكسية. فالخلاص خارجاً عن الكنيسة مستحيل، إذ الخلاص يتوقف على التوبة الصحيحة، والإيمان السليم، وعلى الانتفاع ببركات الخلاص المستودعة فى كنيسة المسيح فى الأسرار المقدسة.

كل من لا يسلم بتعليم كنيستنا، هو خارج عنا، فلا يعمل معنا بل يفرق، وهو مقطوع عن شركتنا. والذين يجتمعون خارج الكنيسة منكرين إيمانها، ليسوا معنا «لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا» (١ ـ يو ٢ : ١٩).

رجاؤنا إلى حضرات الآباء الكهنة أن يحاموا عن الإيمان الرسولى. ويثبتوا الشعب على تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية، ويسهروا على رعاية قطيع المسيح بالصلوات والمواعظ القوية الحارة، ونشر التعليم الصحيح، وافتقاد النفوس فى البيوت، والاهتمام بسر الاعتراف، وكل ما يدعم رابطة الشعب بالله وبكنيسته الأرثوذكسية».

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد ـ السنة ٩ العدد ٩، ١٠ ـ نوفمبر وديسمبر.

٢٤ - الحبل بلا دنس (١)

سؤال : من الأخ فيليب فرج صبرى.

إننا معشر الأرثوذكس ننكر على الكاثوليك إعتقادهم بأن القديسة مريم قد «حبل بها بلا دنس». ولكننا نتلو فى صلواتنا قائلين «يا والدة الإله المكرمة... لكى نمجد ميلادك الطاهر فى كل شيء» (القطعة الثالثة - الخدمة الثالثة - صلاة نصف الليل) فما المقصود من هذا القول؟؟

الجواب :

الميلاد المقصود هنا هو ميلاد العذراء للسيد المسيح لا ميلادها هى من أبويها يواقيم وحنة. والعذراء لم يُحبل بها بلا دنس، ولكنها حبلت بالمسيح بلا دنس، بعد أن حلّ الروح القدس عليها وطهر أحشاءها لحلول كلمة الله فيها: «فأجاب الملاك وقال لها روح القدس يحل عليك وقوة العليّ تظللك. ولهذا فالمولود منك قدوس، وابن الله يدعى» (لو ١ : ٣٥).

٢٥ - بدعة المطهر (٢)

سؤال : قرأت بدعة المطهر، ولكن ماذا يقصد مما يقال فى أوشية الموتى وخاصة «يا رب نيحهم واغفر لهم، فإنه ليس أحد طاهراً من دنس، ولو كانت حياته «يوماً واحداً» على الأرض؟

الجواب :

الصلاة على الموتى استرحام يقوم به أهل الميت، أو تقوم به الكنيسة، برجاء أن يغفر الله للمنتقل خطاياه، إذا لم تكن خطايا مميته، فقد قال الرسول القديس يوحنا «توجد خطية للموت، ليس لأجل هذه أقول أن يطلب» (١ . يو ٥ : ١٦).

ولكننا لا نؤمن بنار تتطهر فيها أرواح الموتى، ذلك أن ناراً مهما تكن صورتها لن تقو على تطهير النفس من خطاياها، وإلا يكون موت المسيح عن حياة العالم عبثاً ولغواً وباطلاً. وإنما التطهير بدم المسيح الفادى واستحقاقاته الخلاصية بالكفارة والفداء الذى قام به عن طريق الصليب. وليس لنا من حاجة إلى مطهر آخر لأن «دم المسيح يطهرنا من كل خطية»، وكما أن

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد - السنة العاشرة - العدد ٢ - فبراير ١٩٥٦م.

(٢) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٣ عدد ٦، ٧ - سبتمبر ١٩٤٩.

الأرواح الآن تنتظر يوم الدينونة العام، فلن ينالها عذاب من نار إلا بعد أن تتلبس بأجسامها بعد القيامة والحساب.

وليست الصلوات والقداسات وشتى القرابين والصدقات التي تقدم الآن عن أرواح الموتى تكفيراً ولا تطهيراً، وإنما هي في مجموعها ابتهالات إلى الله واستغاثات إلى استحقاقاته الخلاصية ليتفضل فيرحم الميت ويحكم له بالبراءة والمغفرة في يوم الدينونة العام. وكأنها جهود يبذلها الأحياء عن موتاهم طالما أن القاضي لم ينطق بالحكم بعد. وليست الصلوات والقرابين بملزمة لله، وإنما هي محاولات يتوقف نجاحها على موافقتها لإرادة الله، وإن كان لنا وعد من الوحي أنها نافعة إذا كانت خطايا المتوفى غير مميتة (راجع ١. يو ٥ : ١٦).

ومن الاستهتار بقداسة الله وعدالته، أن نظن أن الخطايا غير المميتة لا تستحق من الأحياء كل هذه العناية، أو أن الله لا يكترث للأخطاء غير المميتة، ونحن نعلم «أنه بدون القداسة لن يرى أحد الرب» «وأن السموات ليست بطاهرة أمام عينيه وإلى ملائكته ينسب حماقة» وأن السماء لن يدخلها شيء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً. ولما كنا جميعاً غير كاملين كما أن أبانا الذي في السموات هو كامل، فلابد لنا من أن نطلب المغفرة للموتى، وإلا فلن يستحقوا الحياة السعيدة حتى ولو كانوا أبراراً وصديقين «لأنه ليس أحد طاهراً من دنس الخطيئة ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض». وفي هذا الاسترحام ما فيه من الإحساس العميق بقداسة الله التي لا تحتمل أن ترى بين سكان السماء شراً أو شبه شر، وبعدالة الله التي تقضي على الإنسان حسبما يكون عمله، فضلاً عما في الاسترحام أيضاً من فضائل المحبة لأخوتنا، والإهتمام بمصيرهم، بل وفيه اعتراف ضمني وإيمان وثيق بالحياة الأخرى، وبالثواب والعقاب، وإلا فلا معنى للصلاة عن الموتى وطلب المغفرة لهم؟!!

ونحن في غنى عن البيان بأن في قول الكنيسة «وليس أحداً طاهراً من دنس الخطية ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض» إشارة إلى الخطيئة الأصلية التي يولد الطفل وارثاً لحالة آدم فيها، وأنه لا سبيل إلى غفرانها إلا بموته مع المسيح في المعمودية المقدسة، التي أسسها الرب لينال بها المؤمنون استحقاقات الفداء، بفعالية الروح القدس الذي يكسب المياة الطبيعية هذه الخاصية الروحية.

ومن هذا كله نرى أن التطهير بدم المسيح وحده، وأن الصلوات عن الراقدين لا قوة لها في ذاتها إلا من حيث استنادها إلى دم المسيح وعمل المسيح.

المراجع

١ـ فى مقدمات الهرطقات :

١ ـ الأثار القديمة لليهود Antiquities of the jews

كتاب ١٣ فصل ٥ فقرة ٩

وكتاب ١٨ فصل ١ فقره ٢ .

٢ ـ أكليمنضس الأسكندري ـ المتفرقات STROMATA كتاب ٣ فصل ٤ .

الموشيات كتاب ٣ فصل ٤ فقرة ٢٥ ومايليها.

٣ ـ ايريناوس ـ الرد على الهراطقة كتاب ١ فصل ٣ وفصل ٢٦

٤ ـ حروب اليهود ـ كتاب ٢ فصل ٨ فقرة ٢ .

٥ ـ يوسابيوس القيصرى ـ تاريخ الكنيسة ٣ فصل ٢٩ .

٢ـ فى هرطقة الأبيونية :

1. EUSEB IUS.

The Ecclesiastical History and the Martyrs of Palestinc:

Translated with Introduction and notes :

1) by Lawlor (H.J.) and Oulton (J.E.L.), London 1927.

2) by Lakc (k.), London 1949.

2. HIPPOLYTUS,

Rofutations of all Heresios.

3. IRENABUS,

Against Heresics (Ante. Nicene christian Librory vol. 5, Edinburgh, 1910).

4. JUSTIN MARTYR,

Dialogue with Trypho.

5. ORIGEN,

Commentary on Matthew

6. ORIGEN,

Contra Celsum

7. ORIGEN,

Dc Principliis

8. TERTULLIAN,

De Preescriptionibus Hocreticorum.

9. BETHUNE-BAKER (J.F.)

An Introduction to the Early History of christian Doctrine to the time of Council of Chalcedon, London 1920.

10. DR. BURTON'S,

Inquiry into the Heresios of the Apostolic Age (Bampton Lectures pp. 184, 185, 498, 499.

11. FISHER (G.P.),

History of christian Doctrine (International Theological Library) Edinburgh 1949.

12. GIESELER,

Vebor die Nazaraer und Ebioniten (Staudlin u. Tzschirner Archiv fur kirchengeschiohte IV p 279

13. HARNACK (A.),

Dogmenges chichto

History of Dogma (translated by Neil Buchanan, London 1905 (Theological Translation Library vol. ii).

14. HORT (F.J.A.),

Tudaistic Christianity, 1894

15. LAWLOR (H.J.)l, and OULTON (J.E.L.),

Eusebius Ecclesiastical History voll ii, London 1928.

16. LIGHTFOOT (J.B.),

Dissertations of the Apostolic Age, London 1892.

17. RITCHL,

Alt katholische kirche

18. SEEBER (REINHOLD),

Text Book of the History of Doctrines, Michingan 1954. (Translated by Hay - charles E. Hay)

19. STREETER (B.H.),
The Primitive church.
(The Hewett Leetures, 1928).
London 1929.

20. Encylopaedia of Religion and Ethies vol. 5. NICHOLSON (E.B.), The Gospel according to the Hebrews, London 1879 pp. 28 ff.

٣- فى هرطقة الأريوسية :

١ - القديس أثناسيوس الرسولي في الرد على الأريوسيين :
- مقال ١ فصل ١٨، ٢٢، ٤٣.
- مقال ٣ فصل ١٠، ٢٨.
- الخطبة ١ فصل ٥، ٦، ٨، ٩.
- الخطبة ٢ فصل ١٧، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٣٢، ٦٩.
- الخطبة ٣ فصل ١٥، ١٦، ٦٤.
- تجريد أريوس Depositio Arii
- المجلد الرابع من مجموعات الآباء السابقين واللاحقين على مجمع نيقية.

٢ - القديس باسيليوس - الرسالة ٥٢

٣ - الأسقف ليتفوت Lightfoot تفسيره الرسالة إلى كولوسي الطبعة ٧ ص ١٢٥.

٤ - ثيودوريت Theodoret تاريخ الكنيسة ١ : ٤ (٥)، ١ : ٥، ٦، ١ : ٧، ١ : ٨

5 - Athanasius, the orations i, 15, cp.ii 35 - 36., ii. o4 iii. 1, 63, 67

6 - Ath. d. Sgn. v. (Ath. Treatises, i. G8).

7 - Cp. Newman, A th. Treatises, vol. ii. p. 43 (art. Arians');

8 - Cp. Greg. Naz Grat Theol. xxv11.2, Sub fin.

9 - Dorner, Person of Christ div. i val. ii.p. 240.

10 - Gwatkin, Studies of Arianism, p. 3, 26.

11 - Harnack, Dogmengesch ii pp. 185, 186 cp. Fair baim in mode Theol. p. 62 ff.

12 - Hatch, Hibbert Lectutes, x, p.293 note, Newman, Chap. ii, 1.

13 - Theodoret ap. newman Arians p.452.

٤ ـ فى هرطقة الأبوليناريوسية :

١ ـ أثناسيوس الرسولى ـ فى الرد على أبوليناريوس Contra Appoll ف ٢٧ ، ٥٢ ، ٥٤ .

ـ فى الرد على الأريوسيين : الخطبة ٣ فصل ٣١

ـ فى تجسد الكلمة ـ ورده على الأريوسيين فصل ٢١

٢ ـ أوريجينوس العلامة ـ فى الرد على كلسس .

ـ كتاب المبادئ جزء ٢ فصل ٦ ، ٣ ، ٥

٣ ـ ايريناوس ـ الرد على الهراطقة ك ٣ ف ١٩ : ١

٤ ـ ترتليانوس ـ فى النفس De Anima ٢٧ ، ٥١

ـ De canne christi ١١ وما يليها

٥ ـ غريغوريوس النزنيزى ـ رسالة ١٠١ ، ٢٠٢

٦ ـ غريغوريوس النيسى ـ Antirrhet ص ٢٦ ، ٤٥

٧ ـ مجموعة منى Migne ـ مجلد ٤٥ ص ١٢٧٦

EP. adv. Apoll Migne

ـ مجلد ٤٥ ص ١١٨٠ .

٨ ـ هيلارى ـ رسالته عن التثليث ـ كتبت سنة ٣٥٦ - ٣٥٩ فى آسيا الصغرى

٥ ـ فى هرطقة بيلاجيوس :

AUGUSTINUS, De pecc. meritis et ramiss.

De spiritu et littera

De natura et gratia

De perfectione iustitiae homminis

De gestis pelagii

De gratia Christi et de peccato originali

De nuptiis et concupiscentia

De anima eius que origine

De grafia et libro arbitrio

De correptione et gratia

Contra duas epp. pelagianorum

Contra julianum

AUGUSTINUS De praedest Sanctorum
De dono perseverantiae
BETTENSON (H) Documents of the christian church,
Oxford 1946, pp. 83, 84, 85.
Documents of the christian church,
Oxford 1950.
FISHER (G.P.) History of christian doctrine, Edinburgh 1949.
HARDY (E.R.) Christology of the later fathers, London 1954.
MANSI, J. D. Sacrorum Conciliorum Nova et amplissima collectio. Venice, 1759, vol. iii, 811. & vol, viii, 712 sqq.
MILBURN (R.L.P.) Early christian interpretations of History, London 1954.
OTTLEY (R.L.) The doctrine of the inearnation, London 1946.
PRESTIGE (G.L.) Fathers and Heretics, London 1940.
RELTON (H.M.) A study in christology, London 1934.
SWETE (H.B.) The Holy Spirit in the ancient church, London 1912.

٦- في هرطقة النسطورية :

١ - أثناسيوس الرسولي - خطبة ضد الأريوسيين - خطبه ٣ ف ٣١، ٣٣.
٢ - أوريجينوس - المبادئ - المقدمة ف ٤، جزء ٢ ف ٦ ، ١٣.
٣ - ثيودوروس - Hebele Councils مجلد ٣ صفحة ٥ .
٤ - سقراط - المؤرخ - تاريخ الكنيسة ٧ : ٣٢ Genetrix.
٥ - سويريوس يعقوب توما (بطريرك الكنيسة السريانية) تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية - الجزء الثاني - بيروت ١٩٥٧ صفحة ٣٣.
٦ - كيرلس الكبير (البابا) - رسائله فى شرح الاتحاد بين اللاهوت والناسوت الرسالة ٤٠، ٤٤، ٤٥، ٥٠.
٧ - مجموعة Migne - الأباء اليونانيين مجلد ٦٦ ، ٧٧ ، ٨٦.
٨ - هيرتلي Heurtley - De fide et Sombolo ص ١٨٢
٩ - هيفليه Hefele (المؤرخ) - كتاب المجامع Councils جزء ٣ ص ٨ ، مجلد ٣ ص ٤٥ ، ص ٢٤٠ وما يليه.
١٠ - يوسابيوس القيصرى (المؤرخ) - تاريخ الكنيسة جزء ٥ ف ٣

11 - Epiphantus Ancorat 96 , 95

12 - Epiphanius, adu. Haer. 69 : 24, 42; 72, 23

13 - leontius c. Nest et Eutych. iii 43 Swote, Theodore of Mopsucstia on the Minor Epistles on St. Paul. Appendix A. vol. ii pp. 293 ff. - vol. 1. pp. 81 ff.

٧ـ في هرطقة الأوطاخية :

١ ـ أوريجينوس ـ الرد على كلسس Contra Cotsam جزء ٤ ف ١٥ ص ٢٦٢

٢ ـ ايريناوس ـ الرد على الهرطقات Adv. Haer جز ٣ ف ١٩ ف ٣

٣ ـ القديس كيرلس ـ رسالة ٣ إلى نسطور ad Nestorium

ـ رساله إلى يوحنا الانطاكي في كتاب Hewrtly ص ٢١٢

4 - De Trinitate i x. 14, xi.48, 49, xii 6 Dorner, Doctrof the Person of Christ.

٨ - فى تاريخ الفكر الدينى المسيحى
ما بين الأسكندرية وروما وبيزنطه

St. ATHANASIUS, Orations against the Arians. London (The Ancient and Modern Library of Theological Literature.

J.F. BETHUNE-BAKER, An Introduction to the early History of Christian Doctrine to the Time of the Council of Chalcedon, London 1920.

H. BETTENSON, Documents of the Christian Church, Oxford 1950.

T.H. BINDLEY, The Oecumenical Documents of the Faith, London 1899.

E.L. BUTCHER, The Story of the Church of Egypt, London 1897 (2 Volumes).

J.A. DORNER, History of the Development of the Doctrine of the Person of Christ, Edinburgh 1878.

DYKES, Expository Times, Oct. 1905 - Jan. 1906.

EUSEBIUS, The Ecclesiastical History and the Martyrs of Palestine, translated with introduction and notes by H. J. Lawlor and J.E.L. Oulton, London 1927 (2 Volumes).

G.P. FISHER, History of Christian Doctrine (International Theological Library), Edinburgh, (1949).

F.R. HARDY, Christology of the Later Fathers, (The Library of Christian Classics). Philadelphia 1954.

A. HARNACK, History of Dogma (trans. by N. Buchanan, Vol. 1 (London 1905).

C.J. HEFELE, Histoire des Conciles d'après les Documente Originaux (trad. par Dom H. Leclercq. Paris 1908 (tome 1. ler & 2 ème parties).

J.N.D KELLY, Early Christian Doctrines, London, 1960.

KYRILLIANA, Études variées àl'occasion du XVe centenaire de Saint Cyrille d'Alexandrie, Le Caire 1947 (Seminarium Franciscale Orientale. Ghizac-Aegypti).

J. LIEBAERT, La Doctrine Christologique de Saint Cyrille d'Alexandrie avant la querelle Nestorienne, Lille (1951), (Memoires et Travaux, F. LVIII).

H. LIETZMANN. From Constantine to Julian (A History of the Early Church, Vol. III), London. 1960.

MACKINTOSH. The Doctrine of the Person of Jesus Christ.

MUNSCHER, Lehrbuch der Dogmengeschichte.

J. NEALE, History of the holy Eastern Church.

SCHWEITZER, Quest of the Historical Jesus.

R. SEEBERG, Text Book of the History of Doctrines, trans. by C.E. HAY, (2 Volumes), Michigan 1954.

R.V. SELLERS, The Council of Chalcedon, London, 1953.

R.V. SELLERS, Two ancient Christologies, (London, 1940).

THODORET and EVAGRIUS, History of the Church, London.

H.A. WOLFSON, The Philosophies of the Church Fathers, Harvard 1956.

R.L. OTTLEY, The Doctrine of the Incarnation, London 1946.

A.S. PEAKE, & R.G. PARSONS, An Outline of Christianity, London (vol.II).

G.L. PRESTIGE, Fathers and Heretics, London 1940

H.M. RELTON, A Study in Christology, London, 1934.

P. SCHAFF, History of the Christian Church, Vol. III, Michigan 1957.

P. SCHAFF, The Seven Ecumenical Councils. A select Library of Nicene and Post-Nicene Fathers, Second Series, Vol. XIV, Michigan, 1956.

SCHWARZ, Acta Concillorum, (Berlin & Leipzig, 1927).

- الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة، تأليف الأسقف ايسيذوروس (جزءان).

- تاريخ الانشقاق، تأليف جراسيموس مسرة، الأسكندرية، ١٨٩١.

- تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية، تأليف البطريرك مار اغناطيوس يعقوب، بيروت ١٩٥٣، ١٩٥٧ (جزءان).

- كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، للدكتور أسد رستم (٣ أجزاء).

- قصة الكنيسة القبطية، تأليف ايريس حبيب المصرى، القاهرة ١٩٦٢.

٢- فهرس الموضوعات

صفحة